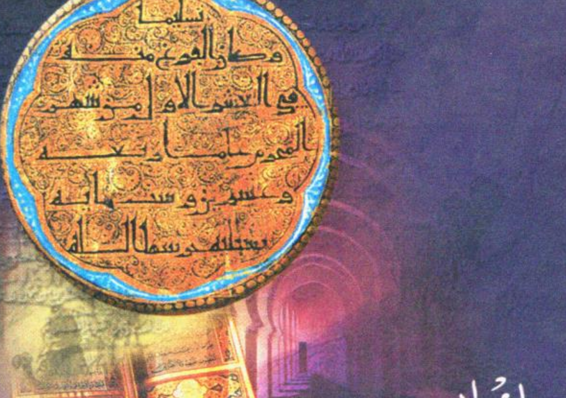
جامعُ

نوادر وأساطير وأمثال العرب

طرائفُ وأخبارُ ونوادرُ وقصصُ مُختارةُ من كُتُب التُراث العربي
ودواوين الشّعر والموسوعات الأدبيّة



إعداد

خالد عبد الله الكرمي

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

دار الكتب العلمية

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH

BEIRUT

بيروت

جامع

نوادر وأساطير وأمثال العرب

طرائفُ وأخبارٌ ونوادرُ وقصصٌ مُخْتارةٌ من كُتُب التُّراث العربيّ
ودواوينِ الشِّعر والموسوعات الأدبيَّة

إعداد
خالد عبد الله الكرمي

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

جامع
نوادر وأساطير وأمثال العرب

ISBN 2-7451-4210-0
9 782745 142108 90000

http://www.al-ilmiyah.com/
email: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إذا أردنا أن نكوّن فكرةً ما عن أي مجتمع من حيث عاداته وتقاليده وقيمه الإنسانية والاجتماعية والثقافية، وحتى الاقتصادية منها، فلا بدّ من الاطّلاع على آدابه وفنونه وثقافته الشعبية وأمثاله وشعره وقصصه المأثورة وطرائفه ونوادره وحِكَمِه.

فالأثر الأدبي والقصة والحكمة والطرفة، هي أقدر الأساليب على تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، وتمثيل الأخلاق وتصوير العادات والتقاليد، ورسم خلجات النفوس، كما أنها إذا شرُف غرضها، ونبُل مقصدها، وكرُمت غايتها، تهذّب الطباع، وترقّق القلوب، وتدفع الناس إلى الاقتداء بالمثل العليا، من الإيمان والواجب والحق والتضحية، والكرم والشرف والإيثار.

وتذخر مكتبتنا التراثية العربية والإسلامية بكمٍّ من الروائع والنفائس والطرائف واللطائف والقصص والأمثال والحكم وغير ذلك، موزعة ومنتشرة في عشرات، بل مئات الكتب والمجلدات الضخمة.

هذا كتاب «جامع نوادر وأساطير وأمثال العرب» جمعنا فيه ما انتبذ وما شرد، وألّفنا ما تنافر وافترق، وجعلناه أقساماً، وقسمناه أبواباً، جمعنا كلَّ قصة إلى مثلها، وضممنا كل طرفة إلى شبهها.

وقد حصرنا مادة هذا الكتاب في المأثور التراثي العربي بهدف إلقاء نظرة على الخلفية الثقافية والمفهومية لمُختلف جوانب المجتمع العربي القديم، وفي سبيل هذه الغاية حرصنا على أخذ مادة الكتاب من كتب التراث المعتبرة والمصادر الموثوقة.

وهذا لا يعني أن كل قول أو قصّة أو طرفة مذكورة، إنما هي موثوقة من حيث حدوثها، وحصولها، ولكن قيمتها تنبع من كونها مأخوذة من صلب التراث وليس من حواشيه أو إضافاته فكثير مما تطالعنا به كتب التراث موضوع أو مختلفٌ أو منسوب نسبة غير حقيقية، غير أن هذا الأمر لا ينفي عنه قيمته الثقافية والاجتماعية من حيث دلالته على مفاهيم عامة سائدة أو مقبولة في المناخ الثقافي العام.

فنحن عندما نقرأ مثلاً قولاً منسوباً للإمام علي بن أبي طالب في المرأة، وهو: «المرأة شرٌ كلها، وشرُّ ما فيها أنه لا بدّ منها». قد نشكّك في صحة نسبة هذا القول استناداً إلى ما نعرفه عن الإمام علي من علوّ همّة ومن انسجام كامل مع أعماق المفاهيم الإسلامية. غير أنّ هذا التشكيك لا ينفي عن هذا القول بحدّ ذاته قيمته الدلالية، لأنه أُخذ به من قبل الكثيرين ورُوي بأشكال متقاربة المعنى منسوبة إلى غير قائل، وبالتالي فإنه عبّر عن مفهوم مقبول ومعمول به في المناخ الثقافي السائد عبر مراحل تاريخية طويلة، ومن هنا فإن القيمة التوثيقية للقول تتراجع لتتقدم عليها القيمة الدلالية التاريخية.

وبعد، فقد اعتمدنا في مادة هذا الكتاب على مصادر أساسية في التراث العربي، مثل: «الأغاني لأبي الفرج» الأصبهاني، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه، و«أدب الدنيا والدين» للماوردي، و«المستطرف» للأبشيهي، و«الكشكول» لبهاء الدين العاملي، و«الصداقة والصديق» لأبي حيان التوحيدي، و«الأذكياء، وأخبار الحمقى والمغفلين، وذم الهوى، وأخبار النساء، وأخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي، و«مناظرة بين الربيع والخريف»، و«البخلاء» و«البيان والتبيين»، وكتاب «الحيوان»، للجاحظ،

و«مناظرة بين السيف والقلم» لابن نباتة المصري، ومحاورة بين الليل والنهار لابن منظور، و«طوق الحمامة» لابن حزم، و«نثر الدرّ» للآبي، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«يتيمة الدهر» للثعالبي، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي، و«أسواق العرب» لسعيد الأفغاني، و«الأصنام» لابن الكلبي، و«أمالي أبي علي القالي»، و«البداية والنهاية» لابن كثير، و«بلوغ الأرب» للألوسي، و«تاريخ الطبري». و«خزانة الأدب» للبغدادي، و«السيرة النبوية» لابن هشام، و«سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، و«الفرج بعد الشدة» للتنوخي، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير الجزري، و«مجمع الأمثال» للميداني، و«نفح الطيب» للمقري التلمساني، و«الوزراء والكتاب» للجهشياري.

وغير ذلك من كتب التراث ودواوين الشعر وكتب الأمثال والنوادر والطرائف.

وقد وضعنا الكتاب في أربعة أبواب، وهي:

١ ـ **الباب الأول**: النوادر والطرائف..

٢ ـ **الباب الثاني**: الجن والغيلان والشياطين عند العرب.

٣ ـ **الباب الثالث**: أساطير العرب.

٤ ـ **الباب الرابع**: أمثال العرب.

وأخيراً نرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى، ولله الكمال وحده، وهو ولي التوفيق.

الباب الأول

النوادر والطرائف

[المهدي والأعرابي]

خرجَ المَهْدِيُّ يتصَيَّدُ، فغارَ بهِ فرَسُهُ حتّى وقعَ فِي خِبَاءِ أعْرَابِيٍّ. فقالَ: يَا أعْرَابيُّ، هلْ مِنْ قِرًى؟ فأخْرَجَ لهُ قُرْصَ شَعِيرٍ فأكلَهُ. ثمَّ أخْرَجَ لهُ فَضْلَةً منْ لَبَنٍ فسقَاهُ، ثُمَّ أتَاهُ بِنَبِيذٍ فِي رَكْوَةٍ فسَقَاهُ. فلمَّا شَرِبَ قالَ: أتَدْرِي مَنْ أنَا؟ قالَ: لاَ، قالَ: أنَا منْ خَدَمِ أميرِ المُؤمنِينَ الخَاصَّةِ. قالَ: بارَكَ اللّهُ لكَ في مَوْضِعِكَ، ثُمَّ سَقَاهُ مَرَّةً أخْرَى فشَرِبَ. فقَالَ: يَا أعْرَابِيُّ، أتَدْرِي مَن أنَا؟ قالَ: زَعَمْتَ أنَّكَ منْ خَدَمِ أميرِ المُؤْمِنِينَ الخَاصَّةِ. قالَ: لاَ، أنَا منْ قُوَّادِ أميرِ المُؤْمِنِينَ. قالَ: رَحُبَتْ بِلاَدُكَ، وطابَ مَرَادُكَ، ثُمَّ سَقَاهُ الثَّالِثَةَ. فلمَّا فرَغَ، قالَ: يَا أعْرَابيُّ، أتَدْرِي مَنْ أنا؟ قالَ: زَعَمْتَ أنَّكَ منْ قُوَّادِ أمِيرِ المُؤْمنِينَ. قالَ: لاَ، ولٰكِنَّنِي أمِيرُ المُؤْمنِينَ.

فأخَذَ الأعْرَابِيُّ الرَّكْوَةَ فألقَاهَا جَانِبًا وقالَ: إلَيْكَ عَنِّي، فوَاللّهِ لوْ شَرِبْتَ الرَّابِعةَ لادَّعَيْتَ أنَّكَ رَسُولُ اللّهِ. فضَحِكَ المَهْدِيُّ حتَّى غُشِيَ عليْهِ، ثُمَّ أحَاطَتْ بهِ الخَيْلُ، ونزَلَتْ إليْهِ المُلُوكُ والأشْرَافُ، فطارَ قَلْبُ الأعْرَابِيِّ. فقالَ لهُ المَهْدِيُّ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ ولاَ خَوْفَ، ثُمّ أمرَ لهُ بِكُسْوَةٍ ومَالٍ جَزِيلٍ.

* * *

وخرجَ الحَجَّاجُ مُتصَيِّدًا بالمَدِينَةِ فوقَفَ علَى أعْرَابِيٍّ يَرْعَى إبِلاً، فقالَ لهُ: يَا أعْرَابِيُّ، كيْفَ رَأيْتَ سِيرةَ أمِيرِكُمُ الحَجَّاجِ؟ قالَ لهُ الأعْرَابيُّ: غَشُومٌ

ظَلُومٌ لاَ حيَّاهُ اللّهُ. فقالَ: فَلِمَ لاَ شَكَوْتُمُوهُ إلَى أميرِ المُؤمِنِينَ عَبْدِ المَلِكِ؟ قالَ: فأظْلَمُ وأغْشَمُ.

فبَيْنمَا هوَ كذٰلِكَ إذْ أحَاطَتْ بهِ الخَيْلُ، فأوْمأ الحَجَّاجُ إلَى الأعْرَابيِّ، فأُخِذَ وحُمِلَ، فلمَّا صَارَ معَهُمْ، قالَ: مَنْ هٰذَا؟ قالُوا لهُ: الحَجَّاجُ، فحَرَّكَ دابَّتَهُ حتَّى صَارَ بِالْقُرْبِ منْهُ، ثُمَّ نَادَاهُ: يَا حَجَّاجُ، قالَ: مَاذَا تُرِيدُ يَا أعْرَابيُّ؟ قالَ: السِّرُّ الّذِي بَيْنِي وبَيْنَكَ أحِبُّ أنْ يَكُونَ مَكْتُومًا. فضَحِكَ الحَجَّاجُ، وأمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ.

* * *

[أعرابي موظف مختلس]

وعَيَّنَ أحدُ الوُلاَةِ أعْرَابِيًّا علَى عمَلٍ لهُ، فاخْتلَسَ مَبْلَغًا كَبِيرًا منَ المَالِ فعزَلَهُ الوَالِي وبَعَثَ في طَلَبِهِ. فلمَّا دخلَ عليْهِ قالَ لهُ: يَا عَدُوَّ اللّهِ، أكَلْتَ مَالَ اللّهِ. قالَ الأعْرَابيُّ: فأيَّ مَالٍ آكُلُ إذَا لَمْ آكُلْ مَالَ اللّهِ؟ لقَدْ رَاوَدْتُ إبْلِيسَ أنْ يُعْطِيَنِي فَلْسًا وَاحِدًا فمَا فعلَ. فضَحِكَ منْهُ الوَالِي وخَلَّى سَبِيلَهُ.

[نذرت دجاجة سمينة]

ودخلَ أحدُ الوُلاَةِ إلى خَيْمَةِ أعْرَابِيَّةٍ، ولهَا دجَاجَةٌ سمِينَةٌ، فذبَحَتْهَا وجاءَتْ بهَا إليْهِ. فقَالَتْ: أيُّهَا الأمِيرُ، هٰذهِ دجَاجَةٌ لِي، كُنْتُ أُعْنَى بهَا عِنايَةً فَائِقَةً، وأعْلِفُهَا منْ قُوتِي، وألْمَسُهَا طِوَالَ اللّيْلِ فكَأنَّمَا ألْمَسُ بِنْتي. فنذَرْتُ لِلّهِ أنْ أدْفِنَهَا في أكْرَمِ بُقْعَةٍ تكُونُ، فلَمْ أجِدْ تِلْكَ البُقْعةَ المُبارَكَةَ إلاَّ بَطْنَكَ، فأرَدْتُ أنْ أدْفِنَهَا فيهِ. فضَحِكَ الوَالِي وأمَرَ لهَا بخَمْسِمائَةِ دِرْهَمٍ.

[دعاء أعرابي لأمه]

وسُمِعَ أعْرَابيٌّ يَطُوفُ حولَ الكَعْبَةِ ويقُولُ: اللّهُمَّ اغْفِرْ لأمِّي، فقِيلَ لهُ: مَا لكَ لاَ تَذْكُرُ أبَاكَ؟ قالَ: أبي رَجُلٌ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ، وأمّا أُمِّي فبَائِسَةٌ ضَعِيفةٌ.

[هاؤم اقرؤوا كتابيه]

وجِيءَ بأَعْرَابيٍّ إلَى السُّلْطَانِ ومعَهُ كِتَابٌ قدْ كتبَ فيهِ قِصَّتَهُ، وهُوَ يقُولُ: هَاؤُمُ اقْرَؤوا كِتَابِيَهْ. فقيلَ لهُ: يُقَالُ هٰذا يَوْمَ القِيامَةِ. قالَ: هٰذَا وَاللّهِ شَرٌّ منْ يوْمِ القِيامَةِ، إنَّ يوْمَ القِيامَةِ يُؤْتَى بِحَسَنَاتِي وسَيِّئَاتِي، وأنْتُمْ جِئْتُمْ بسَيِّئاتِي وتركْتُمْ حسنَاتِي.

* * *

[إن وجد فراشًا فليبل]

أرادَ أعْرَابِيٌّ أنْ يَشْتَرِيَ غُلاَمًا، فسألَ البَائِعَ عمَّا إذَا كانَ فيهِ منْ عَيْبٍ. فقالَ البَائِعُ: لاَ عَيْبَ فيهِ إلاّ أنَّهُ يَبُولُ في الفِرَاشِ. فقالَ الأعْرَابيُّ: هٰذَا ليْسَ بِعَيْبٍ، إنْ وَجَدَ فِرَاشًا فَلْيَبُلْ فيهِ.

[٧٠٠ جلدة لكثرة الشكر]

وأخذَ الحَجَّاجُ أعْرَابِيًّا لِصًّا بالمَدِينَةِ فأمرَ بضَرْبِهِ فكانَ كلَّمَا قرَعَهُ بِسَوْطٍ، قالَ: يَا رَبِّ شُكْرًا، حتَّى ضربَهُ سَبْعَمِائَةِ سَوْطٍ. فلَقِيَهُ أحدُ الظُّرفَاءِ، فقالَ لهُ: أتَدْرِي لِمَ ضربَكَ الحَجَّاجُ سَبْعَمِائَةِ سَوْطٍ؟ قالَ: لِمَاذَا؟ قالَ: لِكَثْرَةِ شُكْرِكَ، إنَّ اللّهَ تعالَى يقُولُ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] قالَ: وَهٰذَا في القُرْآنِ؟ قالَ: نعَمْ. فقالَ الأعْرَابِيُّ:

يَا رَبِّ لاَ شُكْرَ فَلاَ تَزِدْنِي أَسَأْتُ في شُكْرِيَ فَاعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

[أعرابي لا يجاهد]

قيلَ لأعْرَابِيٍّ: مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَغْزُوَ؟ قالَ: وَاللّهِ إنِّي لأُبْغِضُ الموْتَ علَى فِرَاشِي فكَيْفَ أمْضِي إليْهِ رَكْضًا؟

خرَجَ أعْرَابيٌّ إلَى الْحَجِّ معَ أصْحَابٍ لهُ، فلمَّا كانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ رَاجِعًا

يُرِيدُ أهلَهُ لَقِيَهُ ابْنُ عَمٍّ لهُ، فسألَهُ عنْ أهْلِه ومَنْزِلِه، فقالَ: اعْلَمْ أنَّكَ لَمَّا خرَجْتَ وكانَتْ لكَ ثلاثَةُ أيَّام وقعَ في بَيْتِكَ الحَرِيقُ. فرَفَعَ الأعْرَابيُّ يدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ، وقالَ: مَا أحْسنَ هٰذَا يَا رَبِّ! تأْمُرُنا بِعِمَارَةِ بَيْتِكَ وتُخَرِّبُ أنتَ بُيُوتَنَا.

وخرَجَتْ أعْرَابِيَّةٌ إلى الحَجِّ، فلمَّا كانَتْ ببَعْضِ الطَّرِيقِ، عَطِبَتْ رَاحِلَتُهَا، فرَفَعَتْ يدَيْهَا إلَى السَّمَاءِ، وقَالَتْ: يَا رَبِّ، أخْرَجْتَنِي منْ بَيْتي إلَى بَيْتِكَ، فلاَ بَيْتِي ولاَ بَيْتُكَ.

اصْطَحَبَ شَيْخٌ وحَدَثٌ في سَفَرٍ. وكانَ لهُمَا قُرْصٌ يَأْكُلاَنِهِ مَعًا في كلِّ يوْمٍ. وكانَ الشَّيْخُ مُنْخَلِعَ الأضْرَاسِ بَطِيءَ الأكْلِ. وكانَ الحَدَثُ يَبْطِشُ بالقُرْصِ، ثمَّ يَجْلِسُ يَشْتَكِي العِشقَ، ويتضَوَّرُ الشَّيْخُ جُوعًا، وكانَ الحَدَثُ يُسَمَّى جَعْفَرًا، فقالَ الشَّيْخُ:

لَقَدْ رَابَنِي مِنْ جَعْفَرٍ أنَّ جَعْفَرًا ... بَطِيشٌ بِقُرْصِي ثُمَّ يَبْكِي عَلَى جُمْلِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْ مَسَّكَ الْحُبُّ لَمْ تَبِتْ ... بَطِينًا وَنَسَّاكَ الْهَوَى شِدَّةَ الأكْلِ

* * *

[شرب الخمر لضعف السند]

اجتمَعَ نصْرَانِيٌّ معَ أحدِ رجالِ الحَدِيثِ في سَفِينَةٍ. فصَبَّ النَّصْرانِيُّ خَمْرًا منْ زِقٍّ كانَ معَهُ وشَرِبَ، ثمَّ صَبَّ وناوَلَ المُحَدِّثَ، فأخذَهَا دُونَ تَفْكِيرٍ ولاَ مُبالاَةٍ. فقالَ النَّصْرَانِيُّ: جُعِلْتُ فِداءَكَ، إنمَا هيَ خَمْرٌ. قالَ: مِنْ أينَ عَلِمْتَ أنَّهَا خَمْرٌ؟ قالَ: اشْترَاهَا غُلاَمِي منْ يَهُودِيٍّ، وحَلَفَ أنَّهَا خَمْرٌ. فشَرِبَهَا المُحَدِّثُ علَى عَجَلٍ، وقالَ للنَّصْرَانِيِّ: يَا أحْمَقُ، نَحْنُ أصْحَابُ الحَدِيثِ نُضَعِّفُ مثلَ سُفْيَان بنِ عُيَيْنَةَ، ويَزِيدَ بنَ هارُونَ. أفَنُصَدِّقُ نصْرَانِيًّا عنْ غُلاَمِهِ عنْ يَهُودِيٍّ! وَاللّهِ مَا شَرِبْتُهَا إلاّ لِضَعْفِ الإِسْنَادِ!

[السكران وبول الكلب]

وحُكِيَ أنّ سَكْرَانَ اسْتَلْقَى علَى الطَّرِيقِ، فجاءَ كلْبٌ فلَحَسَ شفَتَيْهِ،

فقالَ: خَدَمَكَ بَنُوكَ ولاَ عَدِمُوكَ، فبَالَ علَى وَجْهِهِ، فقالَ: وَمَاءً حَارًّا أيْضًا! بارَكَ اللّهُ فِيكَ.

[أعرابي يقوم الليل]

وحضرَ أعْرَابيٌّ مَجْلِسَ قوْم فتذَاكَرُوا قِيامَ اللَّيْلِ؛ فقِيلَ لهُ: أتقُومُ اللّيْلَ؟ فقالَ: نعَمْ. قالُوا: مَا تَصْنَعُ؟ قالَ: أبُولُ وأرْجِعُ أنَامُ.

[رمى الصرة وخرج]

وسرَقَ أعْرَابيٌّ صُرَّةً فيهَا دَرَاهِمُ، ثُمَّ دخلَ المَسْجِدَ يُصَلِّي، وكانَ اسْمُهُ «مُوسَى» فقرَأ الإِمَامُ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [طه: ١٧]؟ فقَالَ الأعْرَابيُّ: وَاللّهِ إنَّكَ لَسَاحِرٌ! ثُمّ رمَى الصُّرَّةَ وخرجَ.

[هروب الأعرابي من الإمام]

وصَلَّى أعْرَابيٌّ خَلْفَ إمَام، فقرَأ الإمَامُ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ [المرسلات: ١٦] وكانَ في الصَّفِّ الأوَّلِ، فتأخَّرَ إلى الصَّفِّ الآخِرِ. فقرأَ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٧﴾ [المرسلات: ١٧] فتأخَّرَ، فقرأ: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]، وكانَ اسمُ البَدَوِيِّ «مُجْرِمًا» فتَرَكَ الصَّلاةَ وخرجَ هَارِبًا وهُوَ يقُولُ: وَاللّهِ مَا المَطْلُوبُ غَيْرِي! فوجَدَهُ بعضُ الأعْرَابِ، فقالَ لهُ: مَا لكَ يَا مُجْرِمُ؟ فقَالَ: إنَّ الإمَامَ أهْلكَ الأوَّلِينَ والآخرِينَ، وأرادَ أنْ يُهْلِكَني في الجُمْلةِ، وَاللّهِ لاَ رَأيْتُهُ بعدَ اليَوْمِ.

* * *

[حيلة مسخ لإكرام الملك]

وَكانَ لِسَابُورَ ملِكَ فَارِسَ نَدِيمٌ مُضْحِكٌ يُسَمَّى «مَرْزَوَان» فظهرَ لهُ منَ المَلِكِ جَفْوَةٌ. فلمَّا زَادَ ذُلِكَ علَيْهِ، تعَلَّمَ نُباحَ الكلاَبِ، وعُوَاءَ الذِّئَابِ، ونَهِيقَ الحَمِيرِ، وصَهِيلَ الخَيْلِ، وصَوْتَ البِغَالِ. ثمَّ احْتَالَ حتّى دخلَ موْضِعًا بِقُرْبِ خَلْوَةِ المَلِكِ، وأخْفَى أمْرَهُ.

فلمَّا خلاَ المَلِكُ بنَفْسهِ نبحَ نُبَاحَ الكِلاَبِ، فلمْ يَشُكَّ المَلِكُ في أنّهُ كَلْبٌ، فقالَ: انْظُرُوا مَا هٰذَا؟ فعوَى عُوَاءَ الذِّئَابِ، فنزلَ المَلِكُ عَنْ سَرِيرِهِ، فنَهَقَ نهِيقَ الحَمِيرِ؛ فمَضَى المَلِكُ هَارِبًا، وأَخَذَ الغِلْمَانُ يَبْحَثُونَ عنْ مصدَرِ الصَّوْتِ. فلمَّا اقْتَرَبُوا منْهُ صَهَلَ صَهِيلَ الخَيْلِ، فَاقْتَحَمُوا عليْهِ مَوْضِعَهُ وأَخْرَجوهُ عُرْيانًا. فلمَّا وصَلُوا بهِ إلى المَلِكِ وَرَأى أَنَّهُ «مَرْزَوَان» ضَحِكَ ضَحِكًا شَدِيدًا، وقالَ لهُ: مَا حمَلَكَ علَى مَا صنَعْتَ؟ قالَ: إنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ مَسَخَنِي كَلْبًا وذِئْبًا وحِمَارًا وفَرَسًا لمَّا غَضِبَ علَيَّ المَلِكُ. فأمَرَ المَلِكُ أنْ يُخْلَعَ علَيْهِ، وأنْ يُرَدَّ إلى مَرْتَبَتِهِ الأُولَى.

[ما فيكم من يعرف أباه]

ورُوِيَ أنَّ عجُوزًا منَ الأعْرَابِ جلسَتْ في طَرِيقِ مكَّةَ إلى فِتْيَانٍ يَشْرَبُونَ نَبِيذًا فسقَوْهَا قدَحًا، فطَابَتْ نَفْسُهَا فتبَسَّمَتْ، فسَقَوْهَا قدَحًا آخَرَ فاحْمَرَّ وَجْهُهَا وضَحِكَتْ، فسقَوْهَا ثَالِثًا، فقَالَتْ: خَبِّرُونِي عنْ نِسَائِكُمْ بالعِرَاقِ، أَيَشْرَبُونَ النَّبِيذَ؟ قالُوا: نَعَمْ. قالَتْ: زَنَيْنَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ! وَاللّهِ لَئِنْ صَدَقْتمْ مَا فِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُ أبَاهُ!.

وصَلّى أعْرَابيٌّ خَلْفَ إمَام، فقرأَ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ثمَّ وقفَ وجعَلَ يُرَدِّدُهَا. فقالَ الأعْرابيُّ: أرْسِلْ غيْرَهُ ـ يرْحَمُكَ اللّهُ ـ وأرِحْنَا وأرِحْ نَفْسَكَ.

وصَلَّى آخرُ خَلْفَ إمَام فقرَأ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يوسف: ٨٠] ووقفَ وجعَلَ يُرَدِّدُهَا. فقالَ الأعْرَابيُّ: يَا فَقِيه، إذَا لَمْ يَأْذَنْ لكَ أبُوكَ في هٰذَا اللَّيْلِ نَظَلُّ وُقُوفًا إلَى الصَّبَاحِ! ثُمَّ ترَكَهُ وَانْصرَفَ.

[ضرطه أجرة وصفة طب]

وخرَجَ الرَّشِيدُ وَفي صُحْبتِهِ الفَضْلُ بنُ يَحْيى، فَإذَا هوَ بِشَيْخ منَ الأعْرَابِ علَى حِمَارٍ، وكَانَ مُصابًا بِرَمَدٍ في عَيْنَيْهِ. فقَالَ لهُ الفَضْلُ: هَلْ أدُلُّكَ علَى دوَاءٍ لِعَيْنَيْكَ؟ قالَ: مَا أحْوَجَنِي إلى ذٰلِكَ. قالَ: خُذْ عِيدَانَ الهوَاءِ وغُبَارَ

المَاءِ فصَيِّرْهُ في قِشْرِ بَيْضِ الذُّرِّ وَاكْتَحِلْ بهِ يَنْفَعْكَ. فانحنَى الشَّيْخُ وضَرِطَ ضَرْطَةً قوِيَّةً، وقالَ: خُذْ هٰذهِ في لِحْيَتِكَ أُجْرةَ وَصْفِكَ، وَإِنْ زِدْتَ زِدْنَاكَ. فضَحِكَ الرَّشِيدُ حتَّى اسْتَلْقَى على ظَهْرِ دَابَّتِهِ، وخَجِلَ الفَضْلُ بنُ يَحْيى.

* * *

[عند الشدة يكون الفرج]

ومِنْ غرِيبِ الاتِّفَاقِ مَا حُكِيَ منْ أنّ رَجُلاً سافرَ منَ العِرَاقِ إلى مَكّةَ، وخلَعَ ملاَبِسَهُ لِيَغْتَسِلَ منْ مَاءِ زَمْزَمَ، وكانَ معَهُ حِلْيَةٌ ذَهَبِيّةٌ فلَبِسَ ثِيابَهُ ونَسِيَهَا، ومضَى إلى بَغْدادَ. ولَمْ يَبْقَ معَهُ منْ ثَرْوَتِهِ سِوَى شَيءٍ يَسِيرٍ، فاشْترَى بهِ زُجاجًا وحَمَلَهُ لِيُتَاجِرَ فيهِ. فبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ إذْ سقَطَ الزُّجَاجُ منْ فَوْقِ رَأْسِهِ فتكَسَّرَ جَمِيعُهُ فوَقَفَ يَبْكِي. فاجْتَمَعَ النَّاسُ حوْلَهُ يتألَّمُونَ لِمَا أصَابَهُ. وقالَ منْ جُمْلَةِ كلاَمِهِ: وَاللّهِ لقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي حِلْيَةٌ ذهَبِيَّةٌ منذُ سنِينَ عنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ زِنَتُهَا خَمْسُونَ مِثْقالاً فمَا حَزِنْتُ لِفَقْدِهَا كما حَزِنْتُ علَى تَكْسيرِ هٰذَا الزُّجَاجِ، وذٰلِكَ لأَنَّهُ جَمِيعُ مَا أمْلِكُهُ. فقالَ لهُ رَجُلٌ منَ الوَاقِفِينَ: فَأنَا لَقِيتُ هٰذِهِ الحِلْيَةَ، وأَخْرَجَهَا ودَفَعَهَا إلَيْهِ، فتعَجَّبَ النَّاسُ منْ غَرِيبِ هٰذا الاتِّفاقِ.

ودخلَ بَعْضُهُمُ الحمَّامَ فوجدَ رَجُلاً مكْشُوفَ العَوْرَةِ، فغَمَّضَ عينَيْهِ. فقالَ لهُ الرَّجُلُ: مُنْذُ كمْ عَمِيتَ أيُّها الشَّيْخُ؟ فقالَ لهُ: منْذُ هَتَكَ اللّهُ سِتْرَكَ.

وسُئلَ بعضُهُمْ وكانَ لهُ ثلاثَةُ أوْلاَدٍ: أيُّهُمْ أثْقَلُ علَى قَلْبِكَ؟ قالَ: مَا فيهِمْ أثْقَلُ منَ الصَّغيرِ بعدَ الكَبيرِ إلاَّ الأوْسَطُ.

[أعمى كصندوق فارغ]

ودعَا بعضُهُمْ ضَرِيرًا إلى دارِهِ، فلمَّا رفعَ الطَّعامَ منْ بَيْنِ يدَيْهِ. وأحْضرَ الفاكِهَةَ والحَلْوَى وغَسَلاَ أيْدِيَهُما، أرادَ الضَّريرُ الانْصِرافَ. فقالَ لهُ صاحِبُ الدَّارِ: اقرَأْ لنَا شَيْئًا منَ القُرآنِ. قالَ: وَاللّهِ مَا حَفِظْتُ منَ القُرآنِ غيرَ الفاتِحَةِ ورُبَّمَا غَلِطْتُ فيهَا. قالَ: أسْمِعْنَا شَيْئًا منَ الحديثِ. قالَ: مَا حَفِظْتُ منهُ

شَيْئًا. قالَ: فلعَلَّكَ تُسْمِعُنَا بعضَ أشْعَارِ العَرَبِ. قالَ: لَمْ أرْوِ منَ الشِّعرِ بَيْتًا. قالَ الرَّجلُ: عَجَبًا، همْ يقولُونَ إنَّ العُمْيانَ صنَادِيقُ العِلْمِ، قالَ الأعْمَى: مَا هٰذَا منَ العَجَبِ، أمَا رأيْتَ صُنْدُوقًا فارِغًا؟.

* * *

[الديك والكلب وانتقاض وضوء الثعلب]

قيلَ: تَرَافَقَ ديكٌ وكلبٌ في الطَّريقِ، فأمْسَى عليْهِمُ اللَّيْلُ، فأقْبلاَ علَى شجَرَةٍ، فطَلَعَ الدِّيكُ فنامَ في أعْلَى الشَّجرَةِ، ورَقَدَ الكلبُ في أصْلِهَا. فلمّا كانَ وقْتُ السَّحَرِ صَفَّقَ الدِّيكَ بجنَاحَيْهِ وصاحَ علَى عَادَتِهِ. فسَمِعَهُ ثعْلَبٌ هنَاكَ فأقْبلَ سرِيعًا. فرَأى الدِّيكَ فوْقَ الشَّجرَةِ، فرفَعَ رَأْسَهُ إليْهِ وقالَ: انْزِلْ حتَّى نُصَلِّيَ جماعَةً، قالَ: نعَمْ، ولٰكِنِّي أحبُّ أنْ تُنَبِّهَ الإمامَ. فقالَ الثّعلبُ: وَأينَ الإِمَامُ؟ قالَ: ترَاهُ نَائمًا خلْفَ الشّجرَةِ، فنظرَ وإذَا بِكَلْبٍ نائم كالأسَدِ، فوَلَّى الثّعْلبُ هارِبًا. فقالَ لهُ الدِّيكُ: تعَالَ حتّى تُصَلِّيَ جماعَةً. فقالَ: انتقَضَ وُضُوئي، فَانْتَظِرْ حتّى أُجَدِّدَهُ وأحْضُرَ.

[سقاية اللبن بالمبولة]

وقيلَ: وقفَ رجلٌ علَى بَابِ دارٍ بالكُوفَةِ، فاستَسْقَى المَاءَ، فخرَجَتْ إليْهِ جَارِيَةٌ بكوزٍ فيهِ لبَنٌ، فشربَ ثمَّ قالَ: ألَيْسَ يقالُ عنْ أهلِ الكُوفَةِ إنّهُمْ بُخَلاَءُ؟ فقالَتِ الجَارِيةُ: إنّهُ كانَ وقعَ فيهِ وَزَغَةٌ؛ فرَمَى الرَّجلُ الكُوزَ فكسَرَهُ، فقالَتِ الجَارِيَةُ: يَا رَجلُ، أنتَ مَجْنُونٌ تَكْسِرُ مِبْوَلَةَ سِتِّي؟

وحُكيَ أنَّ بعضَ الفُقرَاءِ وقفَ علَى بَابِ نَحْويٍّ فقرَعَهُ، فقالَ النَّحْويُّ: مَنْ بالبَابِ؟ فقالَ: سَائِلٌ، فقالَ: يَنْصَرِفُ، فقالَ: اسْمِي أحْمَدُ، فقالَ النَّحْوِيُّ لِغُلامهِ: أعْطِ سيبَوَيْهِ كِسْرةً.

وكتبَ أحدُ الظُّرفَاءِ إلى القَاضِي: مَاذَا يقُولُ القَاضِي ـ أيَّدَهُ اللّهُ ـ في رَجُلٍ سَمَّى ولدَهُ مُدَامًا، وكنَّاهُ أبَا النَّدَامَى، وسَمَّى بِنْتَهُ الرَّاحَ، وكنَّاهَا أُمَّ

الأفْراحِ، وسَمَّى عَبْدَهُ الشَّرابَ، وكنَّاهُ أبَا الإطْرَابِ، وسمَّى ولِيدتَهُ القَهْوةَ، وكنَّاهَا أُمَّ النَّشْوَةِ، أيُنْهَى عنْ حمَاقَتِهِ، أمْ يُؤدَّبُ على خَلاَعَتِهِ؟

فأجابَ القَاضِي: لَوْ نُعِتَ هٰذَا لأبي حَنِيفَةَ لأقْعدَهُ خَلِيفَةً، وعقدَ لهُ رَايَةً، وقاتَلَ تحْتَهَا منْ خَلفِ رَايَةٍ. ولوْ علِمْنَا مكانَهُ لقَبَّلْنَا أرْكانَهُ. فَإنْ أتْبَعَ هٰذِهِ الأسْمَاءَ أفْعَالاً، وهٰذهِ الكُنَى اسْتِعْمالاً، عَلِمْنَا أنّهُ أحْيَا دَوْلةَ المُجُونِ فبَايَعْنَاهُ وشَايَعْنَاهُ، وإنْ تكُنْ أسْماءَ سمَّاهَا مَا لَهُ بهَا منْ سُلْطَانٍ خلَعْنَا طاعَتَهُ، وفرَّقْنَا جماعَتَهُ، فنَحْنُ إلى إمَامٍ فعَّالٍ أحْوَجُ مِنَّا إلى إمَامٍ قوّالٍ.

وَكانَ أحدُ الشُّبَّانِ يُنفِقُ وقتَهُ في مُعانَاةِ الأدَبِ، والتَّمَرُّنِ علَى نَظْم الشِّعْرِ. وكانَ أبُوهُ حدَّادًا فَقِيرًا فلامَهُ وقالَ لهُ: يَا ولَدِي، نَحْنُ فُقراءَ ولاَ طاقَةَ لنَا بالزَّيْتِ الَّذِي نُضَيِّعُهُ في السَّهَرِ. فاتّفقَ أنَّ هٰذَا الشّابَّ نظمَ قصِيدَةً ومدحَ بهَا أحدَ الملُوكِ فأعْطَاهُ ثَلاثِمائَةِ دِينَارٍ، فجاءَ إلى أبيهِ وهوَ جَالِسٌ في حَانُوتهِ، مُكِبٌّ علَى صَنْعَتهِ فوَضَعَهَا في حِجْرِهِ، وقالَ: خُذْ هٰذهِ وَابْتَعْ بهَا زَيْتًا.

* * *

[دواء للسمنة]

قيلَ: كانَ أحدُ الملُوكِ مُفْرِطًا في السِّمَن لاَ يَسْتَطِيعُ أنْ يتحرَّكَ منْ مكانِهِ. فجَمَعَ الأطِبّاءَ وطلبَ منْهُمْ أنْ يصِفُوا لهُ دوَاءً لإزَالَةِ السُّمْنَةِ، فعَجَزوا عنْ ذٰلكَ. وذاتَ يوْم جاءَهُ رَجلٌ عَاقِلٌ فعرَضَ عليْهِ المَلِكُ أنْ يُعَالِجَهُ. فقالَ: أصْلحَ اللّهُ المَلِكَ، أنَا طَبيبٌ مُنَجِّمٌ، دَعْنِي حَتَّى أنظُرَ اللَّيْلةَ في طَالعِكَ لأرَى أيَّ دوَاءٍ يُوَافِقُهُ.

فلمَّا كانَ الصَّباحُ، قالَ: أيُّهَا المَلِكُ، إنِّي أطلُبُ الأمَانَ. فأمَّنَهُ، فقالَ: رَأيْتُ طَالِعَكَ يدُلُّ علَى أنَّهُ لمْ يَبْقَ منْ عُمْرِكَ غيْرُ شهْرٍ وَاحِدٍ، فإنِ اختَرْتَ عالَجْتُكَ وإنِ أرَدْتَ بيَانَ ذٰلِكَ فاحْبِسْنِي عِنْدَكَ، فإنْ كانَ لِقَوْلِي حقِيقَةٌ فَخَلِّ عنِّي، وإلاّ فعَاقِبْنِي.

فحَبَسَهُ المَلِكُ، ثمَّ أمرَ بِرَفْعِ الملاَهِي وانقَطَعَ عنْ مُقابَلَةِ النَّاسِ، وخلاَ

وَحْدَهُ مُغْتَمًّا. وكُلَّمَا انسلَخَ يومٌ ازدَادَ هَمًّا وغَمًّا حتَّى هَزِلَ وخفَّ لحْمُه وزَالَتْ سُمْنَتُهُ. وفِي نِهايَةِ الشَّهْرِ بعثَ إلَى المُنَجِّم فأخْرجَهُ منَ السِّجنِ، وقالَ لهُ: مَاذَا ترَى الآنَ؟ فقالَ: أعَزَّ اللّهُ المَلِكَ، أنَا أهْوَنُ علَى اللّهِ منْ أنْ أعلَمَ الغَيْبَ. وَاللّهِ إنِّي لاَ أعلَمُ مِقْدارَ عُمْرِي، فكيْفَ أعلَمُ مقدَارَ عُمْرِكَ؟ ولٰكِنْ لمْ يكُنْ عِنْدِي دوَاءٌ إلاَّ الغَمَّ والهَمَّ ولمْ أعْرِفْ وسِيلَةً لإدْخَالِ الحُزْنِ والغَمِّ والهَمِّ علَى نَفْسِ المَلِكِ إلاَّ هٰذهِ الوَسيلَةَ، فلجَأْتُ إليْهَا، وقدْ نجحَتْ، وعُوفِيتَ أيُّهَا الملِكُ. فارْتَاحَ المَلِكُ لِمَا سَمِعَ وأحْسنَ جزَاءهُ.

ومنْ لطائفِ المَنْقُولِ أنّ الوَزِيرَ أبَا مُحمّدٍ المُهَلَّبِيّ كانَ في أوَائلِ أيَّامهِ يُعَانِي البُؤْسَ والفَقْرَ والحِرْمانَ. فسافَرَ ذاتَ يوْم إلَى إحْدَى الجِهَاتِ، وقدِ اشْتَهَتْ نفسُهُ اللَّحْمَ، ولَمْ يكُنْ عِنْدَهُ منَ المَالِ مَا يُمَكِّنُهُ منْ شِرَائهِ. فأخذَ يقُولُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ:

ألاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأشْتَرِيهِ ... فَهٰذَا الْعَيْشُ مَا لاَ خَيْرَ فيهِ
ألاَ مَوْتٌ لَذِيذ الطَّعْمِ يَأْتِي ... يُخَلِّصُنِي مِنَ الْعَيْشِ الكَرِيهِ
إذَا أبصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ ... وَدَدْتُ لَوْ أنَّنِي فِيمَا يَلِيهِ
ألاَ رَحِمَ المُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ ... تَصَدَّقَ بِالْوَفَاءِ عَلَى أخِيهِ

[صدقة بـ ٧٠٠ ضعف]

وكانَ لهُ رَفِيقٌ، فلمّا سَمِعَهُ يقولُ هٰذَا حَنَّ لهُ وعَطَفَ عليْهِ، واشْترَى قَليلاً منَ اللَّحمِ وطبَخَهُ ودعَاهُ إلَى تَنَاوُلِه.

فلمَّا وَلِيَ الوَزَارةَ، كانَ رَفِيقُهُ هٰذَا قدْ ضاقَتْ بهِ الأحْوَالُ، فقَصَدَهُ برُقْعةٍ جاءَ فيهَا:

ألاَ قُلْ لِلْوَزِيرِ فَدَتْهُ نَفْسِي ... مَقَالَ مُذَكِّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ
أتَذْكُرُ إذْ تَقُولُ لِضِيقِ عَيْشٍ ... ألاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأشْتَرِيهِ؟

فلمّا وقفَ عليْهَا تذَكَّرَ أيَّامَهُ المَاضِيةَ، وهَزَّهُ الكرَمُ، فأمرَ لهُ بِسَبْعِمائَةِ

دِرْهَمٍ وردَّ إليْهِ رُقْعَتَهُ بعدَ أنْ كتبَ تَحْتَ الأبْيَاتِ:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] ثُمَّ خلعَ عليْهِ وأسْندَ إليْهِ عمَلاً يَرْتَزِقُ منْهُ.

* * *

[خفي حنين]

وذَكَرُوا في شَرْحِ المَثَلِ السَّائرِ «رَجعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ» أنَّ حُنَيْنَ كانَ إسْكافِيًّا يَسْكنُ مَدِينةَ الحِيرَة. فذَهَبَ إليْهِ أعْرَابيٌّ لِيَشْتَرِيَ منهُ خُفَّيْنِ وأخذَ الأعْرَابيُّ يُسَاوِمُ حُنَيْنَ مُدَّةً طوِيلَةً وأخيرًا انصرَفَ دُونَ شِرَاءٍ. فَاغْتاظَ الإسْكافِيُّ وصَمَّمَ علَى الانْتِقَام منَ الأعْرَابيِّ. فحَمَلَ الخُفَّيْنِ وسَارَ إلَى الطَّرِيقِ الّتِي كانَ منَ المُؤكَّدِ أنَّ الأعْرَابيَّ سَيَسْلُكُهَا في انْصِرافِهِ منَ الحِيرَةِ. فعَلَّقَ خُفًّا في شَجرَةٍ ثُمَّ مشَى مسافَةً وألْقَى الخُفَّ الآخَرَ في الطَّرِيقِ، واخْتبَأ في مَوْضِعٍ بحَيْثُ لاَ يراهُ أحدٌ.

فجاءَ الأعْرَابيُّ ونظرَ إلى الخُفِّ المُعَلَّقِ في الشَّجرَةِ وقالَ: مَا أشْبَهَهُ بِخُفِّ حُنيْن، لوْ كانَ مَعَهُ آخرُ لتكَلَّفْتُ أخْذَهُ. وسارَ فرَأى الخُفَّ الآخَرَ مَطْرُوحًا فنزَلَ وعقَلَ بَعِيرَهُ، وأخذَ الخُفَّ ورَجعَ إلَى الشَّجرَةِ ليَأْخُذَ الأوَّلَ. وحِينئِذٍ خرَجَ حُنَيْنُ منْ مَخْبَئِهِ فأخذَ البَعِيرَ وهرَبَ. وعَادَ الأعْرَابيُّ فلَمْ يَجِدْ بَعِيرَهُ، فرَجعَ إلَى دِيارهِ بخُفَّيْ حُنَيْن، فذَهَبَتْ هٰذهِ الحَادِثَةُ مَثَلاً.

* * *

كتبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ إلَى أحدِ عُمَّالهِ لِيَجْمَعَ بَيْنَ إيَاسِ بنِ مُعَاوِيةَ والقَاسِمِ بنِ رَبيعةَ، ثُمَّ يَخْتارُ لوَظِيفَةِ القضَاءِ أعْلَمَهُمَا بالشّرْعِ. فأرْسلَ إلَيْهِمَا الوَالِي وكانَ كُلٌّ منْهُمَا يُريدُ أنْ يتهَرَّبَ منْ هٰذهِ الوَظِيفَةِ. فقالَ إيَاسُ للْوَالِي: سَلْ عَنِّي وعَنْهُ الفَقِيهَينِ: الحَسَنَ البَصْرِيَّ، وابْنَ سِيرِينَ. وَكانَ أبُو القَاسِمِ يتَرَدَّدُ علَى هٰذَيْنِ الفَقِيهَيْنِ، فهُمَا يَعْرِفانِهِ مَعْرِفةً جَيِّدةً في حِينِ أنَّ إيَاسَ لَمْ

يكُنْ لهُ بهِما أدْنَى مَعْرِفةٍ. وقدْ أرَادَ إياسُ بهٰذهِ النَّصِيحَةِ أنْ تكُونَ النَّتِيجَةُ في صَالحِهِ، فيُعْفَى منَ التَّعْيينِ، ويَخْتَصُّ بهِ أبُو القَاسِمِ.

فأدْرَكَ أبُو القَاسمِ مَا يَهْدِفُ إلَيْهِ إيَاسُ، فقالَ: لاَ تسَلْ عَنِّي ولاَ عَنْهُ، فوَاللّهِ الَّذِي لاَ إلٰهَ إلاَّ هوَ إنّ إياسَ بنَ مُعاوِيةَ أفْقَهُ منِّي وأعْلَمُ بالقَضَاءِ. فإنْ كُنْتُ كَاذِبًا فلاَ يجُوزُ أنْ تُوَلِّيَنِي القَضَاءَ وأنَا كَاذِبٌ. وَإنْ كُنْتُ صَادِقًا فيَنْبَغِي أنْ تَقْبَلَ قوْلِي.

فقالَ إيَاسُ: أيُّهَا الأمِيرُ، إنّكَ جِئْتَ برَجُلٍ وَقَفْتَ بهِ علَى حافَةِ جهنَّمَ، فنَجَّى نفسَهُ بيَمِينٍ كَاذِبَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللّهَ تعَالَى منْهَا، ويَنْجُو ممَّا يَخَافُ.

فقالَ الْوَالِي: أمَّا إذْ فَهِمْتَهَا فأنْتَ لهَا، وعَيَّنَهُ قَاضِيًا.

* * *

وحُكِيَ أنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ أرِقَ ذَاتَ ليْلَةٍ أرَقًا شَدِيدًا. فقالَ لوَزِيرِهِ جَعْفَرِ بنِ يَحْيى البَرْمَكِيّ: إنِّي أرِقْتُ في هٰذهِ اللّيْلَةِ وضاقَ صَدْرِي، ولاَ أعْرِفُ مَاذَا أصْنَعُ؟ وَكانَ خَادِمُهُ مَسْرُورٌ وَاقِفًا أمَامَهُ، فضَحِكَ. فقالَ لهُ الرَّشِيدُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ أسْتِهْزَاءً بِي أم اسْتِخْفَافًا؟ فقالَ: وقَرَابَتِكَ منْ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ﷺ، مَا فعَلْتُ ذٰلِكَ عَمْدًا، ولٰكِنْ خرَجْتُ بالأمْسِ أتمَشَّى بِظاهِرِ القَصْرِ إلى أنْ جِئْتُ إلى جَانبِ دِجْلةَ، فوَجَدْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ، فوقَفْتُ فرَأيْتُ رَجُلاً وَاقِفًا يُضْحِكُ النَّاسَ يُقالُ لهُ «ابْنُ المُغَازِلِي» فتذَكَّرْتُ الآنَ شَيْئًا منْ كلاَمِهِ فضَحِكْتُ، والعَفو يَا أمِيرَ المُؤْمنِينَ.

فقالَ لهُ الرَّشِيدُ: ائْتنِي بهِ السَّاعةَ، فخرَجَ مَسْرُورٌ مُسْرِعًا إلى أنْ جاءَ إلى ابْنِ المُغَازلِي، فقالَ لهُ: أجِبْ أمِيرَ المُؤْمنِينَ. فقالَ: سَمْعًا وطاعَةً. فقالَ لهُ مَسْرُورٌ: علَى شَرْطِ أنّهُ إذَا أنْعَمَ عليْكَ بِشَيءٍ يكُونُ لكَ منْهُ الرُّبْعُ والبَقِيَّةُ لِي. فقالَ لهُ: بَلْ اجْعَلْ لِي النِّصْفَ ولكَ النِّصْف، فأبَى، فقالَ: الثُّلُثَ ولَكَ الثُّلُثانِ، فأجابَهُ مَسْرُورٌ إلى ذٰلِكَ بعدَ جُهْدٍ عَظِيم.

فلمّا دَخَلَ علَى الرَّشيدِ سَلّمَ فأبْلَغَ وأحْسَنَ، ووقَفَ بَيْنَ يدَيْهِ. فقالَ لهُ

الرَّشِيدُ: إنْ أنتَ أضْحَكْتَنِي أعْطَيْتُكَ خَمْسَمائَةِ دِينَارٍ، وإنْ لمْ تُضحِكْني ضَرَبْتُكَ بهٰذَا الكُرْباجِ ثلاثَ ضَرَبَاتٍ. فوَقَفَ ابنُ المُغَازِليّ، وأخذَ يتكلَّمُ ويَأْتِي بِأفْعَالٍ عَجِيبَةٍ وحرَكَاتٍ غَرِيبَةٍ تُضْحِكُ الجُلْمُودَ، فلَمْ يَضْحَكِ الرَّشِيدُ، ولَمْ يَبْتَسِمْ، فتعَجَّبَ ابنُ المُغَازِليّ وضَجِرَ وخافَ. فقالَ لهُ الرَّشِيدُ: الآنَ تَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ، ثمَّ ضربهُ ضَرْبَةً عَنِيفَةً، فصرَخَ الرَّجُلُ صَرْخَةً هَائِلَةً. وتذَكَّرَ الشَّرْطَ الّذِي شرَطَهُ علَيْهِ مَسْرُورٌ، فقالَ: العَفْو يَا أمِيرَ المُؤْمنِينَ، اسْمَعْ مِنِّي كلِمَتَيْنِ. قالَ: قُلْ مَا بَدَا لَكَ. قالَ: إنَّ مَسْرُورًا شَرَطَ علَيَّ شَرْطًا، واتَّفَقْتُ أنَا وَإيَّاهُ علَى مصْلَحَةٍ وهُوَ أنّ مَا حَصَلَ لِي منَ الصَّدقَاتِ يكُونُ لهُ فيهِ الثُّلُثَانِ وَلِي فيهِ الثُّلُثُ، ومَا أجَابَني إلى ذٰلِكَ إلاَّ بعدَ جُهْدٍ عَظِيم. وقدْ شَرَطَ علَيَّ أمِيرُ المُؤْمنِينَ ثلاثَ ضَرَبَاتٍ، فنَصِيبي منْهَا وَاحِدَةٌ، ونَصِيبُهُ منْهَا اثْنتَانِ، وقدْ أخَذْتُ نَصِيبي وبَقِيَ نَصِيبُهُ.

فضَحِكَ الرَّشيدُ ودَعَا مَسْرُورًا فضرَبَهُ، فصاحَ وقالَ: يَا أميرَ المُؤْمنِينَ قدْ وهَبْتُ لهُ مَا بَقِي، فضَحِكَ الرَّشيدُ وأمرَ لهُما بألْفِ دِينَار، فأخذَ كلُّ وَاحِدٍ منْهُمَا خَمْسَمائَةٍ.

* * *

وبَنَى بعضُ المُغَفَّلِينَ نِصْفَ دَارٍ، وبَنَى رَجلٌ آخَرُ النِّصْفَ الثَّاني. فقالَ المُغَفَّلُ يَوْمًا: قدْ عَوّلْتُ علَى بَيْعِ النِّصْفِ الَّذِي لِي وأشْترِي بِهِ النِّصْفَ الآخَرَ لِتَكْمُلَ لِي الدَّارُ كُلُّهَا.

ووقَفَ سَائِلٌ بِقَوْم. فقالَ: إنِّي جَائِعٌ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ. فقَالَ: جَرِّبُونِي بِرِطْلَيْنِ منَ الخُبْزِ ورِطْلَيْنِ منَ اللّحْم.

ووقَفَ سَائِلٌ علَى بَابٍ، فقَالُوا لهُ: يَرْزُقُكَ اللّهُ. فقَالَ: كِسْرةً. قَالُوا: مَا نَقْدِرُ عليْهَا. قالَ: فقَلِيلٌ منْ بُرٍّ أوْ فُولٍ أوْ شَعِيرٍ، قَالُوا: لاَ نَقْدِرُ علَيْهِ. قالَ: قِطْعَةُ دُهْنٍ أوْ قَلِيلٌ منَ الزَّيْتِ أوِ اللّبَنِ. قالُوا: لاَ نَجِدُهُ. قالَ: فشَرْبَةُ مَاءٍ. قالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ. قالَ: فمَا جُلُوسُكُمْ هٰهُنَا، قُومُوا فَاسْألُوا، فَأنْتُمْ أحَقُّ مِنِّي بالسُّؤالِ.

قيلَ لِمُؤذِّنٍ: إنّ أذَانَكَ لاَ يُسْمَعُ، فيَا حبَّذَا لوْ رَفَعْتَ صَوْتَكَ. فقالَ: إنِّي أسْمَعُ صَوْتِي من مَسِيرَةِ مِيلٍ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: رأَيْتُ مُؤذِّنًا أذّنَ ثُمّ انطلَقَ يَجْرِي، فقِيلَ لهُ: إلى أيْنَ؟ فقالَ أُحِبُّ أنْ أسْمَعَ أذَانِي أيْنَ بَلَغَ. وشُوهِدَ مُؤذِّنٌ يُؤذِّنُ منْ وَرَقَةٍ، فقِيلَ لهُ: أمَا تحْفَظُ الأذَانَ؟ فقَالَ: سَلُوا القَاضِيَ. فأتَوْهُ، فقَالُوا: السَّلاَمُ علَيْكُمْ، فأخْرَجَ دَفترًا وتصَفَّحَهُ، وقَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ، فعَذَرُوا المُؤذِّنَ.

وحُكِيَ أنَّ رَجُلاً أصَابَهُ الفَقْرُ، فزَوَّرَ كِتَابًا منْ أبي الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ الفُرَاتِ وزيرِ الخَلِيفَةِ المُقْتَدِرِ باللّهِ العَبَّاسِيِّ إلى وَالِي مِصْرَ، يتضَمَّنُ المُبالغَةَ في الوَصَايَا، وزِيادَةَ الإكْرَامِ وعَمَلَ المصَالحِ. فلمَّا دخَلَ مِصْرَ وَاجْتمَعَ بالوَالِي ودَفَعَ إليْهِ الخِطَابَ، ارتَابَ الوَالِي في أمْرِهِ لِتَغَيُّرِ لَفْظِ الخِطَابِ عَمَّا جرَتْ بهِ العَادَةُ. فرَاعَاهُ مُرَاعَاةً قَرِيبَةً، ووصلَهُ صِلَةً قَلِيلَةً، وحبسَهُ عِنْدَهُ على وَعْدٍ وعدَهُ بهِ. ثُمَّ كتبَ إلى ابْنِ الفُرَاتِ يَذْكُرُ الكتَابَ الّذِي وردَ عليْهِ وأنْفذَهُ بعَيْنِهِ.

فلمّا وقفَ ابنُ الفُرَاتِ علَى الكِتَابِ عرَفَ الرَّجُلَ، وذكَرَ ما كَانَ عليْهِ منَ الحُرْمَةِ، ومَا لهُ منَ الحُقُوقِ القَدِيمَةِ عليْهِ، فعَرَضَهُ علَى كُتَّابهِ وعَرَّفَهُمْ حقِيقة الموضوعِ وأبْدَى أمامَهُمْ دَهْشتَهُ مِمَّا حدَثَ، وسأَلَهُمْ رَأْيَهُمْ فيمَا يَجِبُ أنْ يتَّخِذَهُ مَع مثْلِ هٰذَا الرَّجُلِ.

فقالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ أنْ يُؤدَّبَ، وقالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ قَطْعُ إبْهَامِهِ. وقالَ أجْمَلُهُمْ مَحضرًا: يُكْشَفُ للْوَالِي عنْ أمْرِهِ، ويُطْلَبُ منْهُ أنْ يَطْرُدَهُ شَرَّ طِرْدَةٍ.

فقالَ ابنُ الفُرَاتِ: مَا أبْعَدَكُمْ منَ الخَيْرِ! رَجُلٌ توَسَّلَ بنَا وحَملَ مشقَّةَ السَّفرِ إلَى مِصرَ، وأمَّلَ الخَيْرَ بِجَاهِنَا والانْتِسَابَ إليْنَا، يكُونُ حَالُهُ عنْدَ أحْسَنِكُمْ نظَرًا تكذِيبَ ظَنِّهِ، وتَخْيِيبَ سَعْيِهِ! وَاللّهِ لاَ كانَ هٰذَا أبَدًا. ثُمَّ أخذَ القَلَمَ ووَقَّعَ علَى الكِتَابِ المُزَوَّرِ: هٰذَا كِتَابِي ولَسْتُ أعْلَمُ لِمَ أنكَرْتَ أمْرَهُ، وَاعْتَرَضَتْكَ فيهِ شُبْهَةٌ، ولَيْسَ كُلُّ مَنْ يخْدِمُنَا نَعْرِفُهُ، وهٰذَا رَجُلٌ خَدَمَنِي فِيما

مضَى، فأحْسِنْ إليْهِ وأكْرِمْهُ غايَةَ الإِكْرَامِ.

وبَعْدَ مُدَّةٍ طويلةٍ، دخلَ رَجُلٌ علَى ابْنِ الفُرَاتِ وأخذَ يُقَبِّلُ يدَيْهِ، ويَدْعُو لهُ، ويُثْنِي عليْهِ ويَبْكِي. فقالَ لهُ ابْنُ الفُرَاتِ: مَنْ أنْتَ بَارَكَ اللّٰهُ فِيكَ؟ قالَ: صَاحِبُ الكِتَابِ المُزَوَّرِ إلَى أمِيرِ مِصْرَ الَّذِي صَحَّحَهُ كَرَمُ الوَزِيرِ بِفَضْلِهِ. فضَحِكَ ابْنُ الفُرَاتِ، وقالَ لهُ: كَمْ وَصَلَ إليْكَ منْهُ؟ قالَ: أعْطَانِي عِشْرِينَ ألْفَ دِينَارٍ. فقَالَ: الحَمْدُ لِلّٰهِ علَى صَلاَحِ حَالِكَ. ثمَّ اخْتبرَهُ فوَجَدَهُ كَاتِبًا سَدِيدًا، فعَيَّنَهُ في إحْدَى الوَظَائِفِ.

* * *

وقَعَ نَحْوِيٌّ في كَنِيفٍ فجاءَ كَنَّاسٌ لِيُخْرِجَهُ فصاحَ بهِ الكَنَّاسُ لِيَعْلَمَ أهُوَ حَيٌّ أمْ لاَ؟ فقالَ لهُ النَّحْوِيُّ: اُطْلُبْ لِي حَبْلاً دَقِيقًا، وشُدَّنِي شَدًّا وَثِيقًا، واجْذِبْنِي جَذْبًا رَقِيقًا. فقالَ لهُ الكَنَّاسُ: امْرَأتِي طَالِقٌ إنْ أخْرَجْتُكَ، وتَرَكَهُ وَانصرَفَ.

وقالَ الجَاحِظُ: مَرَرْتُ بِمُعَلِّمِ صِبْيَانٍ وعِنْدَهُ عصًا طوِيلَةٌ، وعَصًا قَصِيرَةٌ، وصَوْلَجَانٌ، وكُرَةٌ وطَبْلٌ وبُوقٌ. فقُلْتُ: مَا هٰذِهِ؟ قالَ: عِنْدِي صِغَارٌ أوْبَاشٌ، فأقُولُ لأحدِهِمْ: اِقْرَأْ لَوْحَكَ، فيُصَفِّرُ لِي بفَمِهِ، فأضْرِبُهُ بالعَصَا القَصِيرَةِ، فيتَأخَّرُ فأضْرِبُهُ بالعَصَا الطَّوِيلَةِ، فيَفِرُّ منْ بَيْنِ يدَيَّ، فأضَعُ الكُرَةَ في الصَّوْلَجَانِ، وأضْرِبُهُ فأبْطَحُهُ، فيقُومُ إلَيَّ الصِّغارُ كُلُّهُمْ بالألْوَاحِ، فأجْعَلُ الطَّبْلَ فِي عُنُقِي، والبُوقَ فِي فَمِي، وأضْرِبُ الطَّبْلَ وأنفُخُ فِي البُوقِ، فإذَا سَمِعَ أهلُ الدَّرْبِ ذٰلِكَ أسْرَعُوا إلَيَّ وخَلَّصُونِي.

وقالَ الجَاحِظُ أيْضًا: مرَرْتُ علَى خَرِبَةٍ فَإذَا بهَا مُعَلِّمٌ وهُوَ يَنْبَحُ نُبَاحَ الكِلاَبِ، فوقَفْتُ أنْظرُ إليْهِ فَإذَا بِصَبِيٍّ قدْ خرَجَ منْ دَارٍ فقبَضَ علَيْهِ المُعَلِّمُ، وجَعَلَ يلْطِمُهُ ويَسُبُّهُ، فقُلْتُ: عرِّفْنِي خبرَهُ. فقالَ: هٰذَا صَبِيٌّ لَئِيمٌ يَكْرَهُ التَّعْلِيمَ ويَهْرُبُ ويَدْخُلُ الدَّارَ ولاَ يَخْرُجُ، ولهُ كَلْبٌ يَلْعَبُ بهِ، فَإذَا سَمِعَ صَوْتِي ظَنَّ أنَّهُ صوْتُ الكَلْبِ فيَخْرُجُ فأُمْسِكُهُ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: رأيْتُ مُعَلِّمًا وهُوَ يُصَلِّي العَصْرَ، فلمّا رَكَعَ أدْخَلَ رَأْسَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ونَظَرَ إلَى الصِّغَارِ وهُمْ يَلْعَبُونَ، وقالَ: يَا ٱبنَ البَقَّالِ، قدْ رَأيْتُ الَّذِي عَمِلْتَ وسَوْفَ أُكَافِئُكَ إذَا فرَغْتُ منَ الصَّلاةِ.

وقالَ الجَاحِظُ: ألَّفْتُ كِتَابًا فِي نوَادِرِ المُعَلِّمِينَ ومَا هُمْ علَيْهِ منَ التَّغَفُّلِ. ثُمَّ رَجَعْتُ عَنْ ذٰلِكَ وعَزَمْتُ علَى تَقْطِيعِ ذٰلِكَ الكِتَابِ، فدخَلْتُ يَوْمًا مَدِينَةً فوَجَدْتُ فيهَا مُعَلِّمًا في هَيْئَةٍ حسَنَةٍ فسَلَّمَ علَيْهِ فرَدَّ علَيَّ أحْسَنَ رَدٍّ، ورَحَّبَ بِي، فجَلَسْتُ عِنْدَهُ وبَاحَثْتُهُ فِي القُرْآنِ فإذَا هُوَ مَاهِرٌ فيهِ، ثُمَّ فَاتَحْتُهُ في الْفِقهِ والنَّحْوِ وعِلْمِ المَعْقُولِ وأشْعَارِ العَرَبِ، فَإِذَا هُوَ كَامِلُ الآدَابِ. فقُلْتُ: هٰذَا وَاللّهِ مِمَّا يُقَوِّي عَزْمِي علَى تَقْطِيعِ الكِتَابِ.

قالَ: فكُنتُ أخْتَلِفُ إلَيْهِ وأزُورُهُ. فجئتُ يَوْمًا لزِيَارتِهِ فَإذَا بالكُتَّابِ مُغْلَقٌ ولَمْ أجِدْهُ. فسَألْتُ عَنْهُ، فقِيلَ: ماتَ لهُ مَيِّتٌ فحَزِنَ علَيْهِ وجَلَسَ فِي بَيْتِهِ للعَزَاءِ. فذَهَبْتُ إلَى بَيْتِهِ وطرَقْتُ البَابَ فخرَجَتْ إلَيَّ جَارِيَةٌ وقَالَتْ: مَا تُرِيدُ؟ قُلْتُ: سَيِّدَكِ. فدَخَلَتْ وخرَجَتْ، وقالَتْ: بِاسْمِ اللّهِ، فدَخَلْتُ إلَيْهِ وَإذَا بهِ جَالِسٌ. فقُلْتُ: عَظَّمَ اللّهُ أجْرَكَ، لقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، فعَلَيْكَ بالصَّبْرِ، ثُمَّ قُلْتُ لهُ: هٰذَا الَّذِي تُوُفِّيَ ولَدُكَ؟ قالَ: لاَ، قلْتُ: فوَالِدُكَ؟ قالَ: لاَ، قُلْتُ: فأخُوكَ؟ قالَ: لاَ، قُلْتُ: فزَوْجَتُكَ؟ قالَ: لاَ، فقُلْتُ: ومَا هُوَ مِنْكَ؟ قالَ: حَبِيبَتِي. فقُلْتُ فِي نفْسِي: هٰذهِ أوَّلُ المنَاحِسِ، فقُلْتُ: سُبْحَانَ اللّهِ، النِّسَاءُ كَثِيرٌ، وسَتَجِدُ غَيْرَهَا. فقَالَ: أتَظُنُّ أنِّي رَأيْتُهَا؟ قُلْتُ: وهٰذِهِ مَنْحَسَةٌ ثَانِيَةٌ. ثمَّ قُلْتُ: وكَيْفَ عَشِقْتَ مَنْ لمْ ترَ؟ فقالَ: ٱعْلَمْ أنِّي كُنْتُ جَالِسًا في هٰذَا المكَانِ وأنَا أنْظُرُ منَ الطَّاقِ، فرَأيْتُ رَجُلاً علَيْهِ بُرْدٌ وهُوَ يَقُولُ:

يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكِ اللّهُ مَكْرُمَةً ... رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادِي أيْنَمَا كَانَا

لاَ تَأْخُذِينَ فُؤَادِي تَلْعَبِينَ بِهِ ... فَكَيْفَ يُلْعِبُ بِالإنْسَانِ إنْسَانَا

فقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْلاَ أنّ أُمَّ عَمْرٍو هٰذهِ مَا فِي الدُّنْيَا أحْسَنُ منْهَا مَا قِيلَ

فيهَا هذَا الشِّعْر، فعَشِقْتُهَا. فلمَّا كانَ مُنْذُ يَوْمَيْنِ مرَّ ذٰلِكَ الرَّجُلُ بِعَيْنِهِ وهُوَ يقُولُ:

لَقَدْ ذَهَبَ الحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الحِمَارُ

فعَلِمْتُ أنَّهَا مَاتَتْ، فحَزِنْتُ وأغْلَقْتُ المكتَبَ وجلَسْتُ فِي الدَّارِ. فقُلْتُ: يَا هٰذَا، إنِّي كُنتُ أَلَّفتُ كِتَابًا فِي نوَادِرِكُمْ مَعْشرَ المُعَلِّمِينَ وكُنْتُ حينَ صَاحَبْتُكَ عزَمْتُ علَى تقْطِيعِهِ، وَالآنَ قدْ قَوَّيْتَ عَزْمِي علَى إبْقَائهِ، وأوَّلُ مَا أبْدَأُ بكَ إنْ شَاءَ اللّهُ تعَالَى.

المزاح والظرف(*)

قالَ اللّهُ تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

وكانَ رَجُلٌ يُجَالِسُ أصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ويُحَدِّثُهُمْ، فَإذَا أكْثَرُوا وثَقُلَ علَيْهِ الحَدِيثُ، قالَ: إنَّ الأُذُنَ مَجَّاجَةٌ، وإنّ القُلُوبَ حَمِضَةٌ، هَاتُوا منْ أشْعَارِكُمْ وحَدِيثِكُمْ.

وقالَ أبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: إنِّي لأسْتَجِمُّ نَفْسِي بِشَيْءٍ منَ البَاطِلِ كرَاهَةَ أنْ أُحَمِّلهَا منَ الحَقِّ مَا يُمِلُّهَا.

وكانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَمْزَحُ ولاَ يقُولُ إلاّ حَقًّا. فَمِنْ مَزْحِهِ أنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ احْمِلْنِي علَى جَمَلٍ؛ فقالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: لاَ أحْمِلُكَ إلاّ علَى وَلَدِ النَّاقَةِ. فقالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنَّهُ لاَ يُطِيقُنِي، فقَالَ لهُ النَّاسُ: وَيْحَكَ! وهَلِ الجَمَلُ إلاّ ولَدُ النَّاقَةِ!

وقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لامْرَأةٍ منَ الأنصَارِ: اْلحَقِي زَوْجَكِ ففِي عَيْنَيْهِ

(*) المستطرف ٢/ ٢٦٣، أخبار الظرفاء والمتماجنين لابن الجوزي.

بيَاضٌ، فسَعَتْ إلى زَوْجِهَا مَرْعُوبَةً، فقالَ لهَا: مَا دهَاكِ؟ قالَتْ: إنّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لِي: إنّ في عَيْنَيْكَ بَيَاضًا، فقالَ: نَعَمْ وَاللّهِ وسوَادًا.

وأَتَتْهُ أَيْضًا عَجُوزٌ أنْصَارِيّةٌ، فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ، ادْعُ اللّهَ لِي أن يُدْخِلَنِي الجَنّةَ، فقَالَ لهَا: يَا أُمَّ فُلاَنٍ، إنّ الجَنّةَ لاَ يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ، فوَلّتِ المَرْأةُ تَبْكِي، فتَبسَّمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وقالَ لهَا: أمَا قرَأْتِ قوْلَهُ تعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧].

وقالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: سَابَقْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فسَبَقْتُهُ، فلمَّا كَبرَ لَحْمِي سَابَقْتُهُ فسبَقَنِي، فضرَبَ بِكَتِفِي، وقالَ: هٰذِهِ بِتِلْكَ. وعَنْهَا أيْضًا؛ قالَتْ: كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدْخُلُ وأنَا أَلْعَبُ معَ صُوَيْحِبَاتِي ولاَ يَعِيبُ علَيَّ. وسُئِلَ أحَدُهُمْ: هلْ كانَ أصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَضْحَكُونَ؟ قالَ: نعَمْ، والإِيمَانُ في قُلُوبِهِمْ مِثْلُ الجِبالِ الرَّوَاسِي.

* * *

وقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ لإِحْدَى الجَوارِي: خَلَقَنِي خَالِقُ الخَيْرِ، وخلَقَكِ خالِقُ الشَّرِّ، فبَكَتِ الجَارِيَةُ، فقالَ عُمَرُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكِ فَإنّ اللّهَ خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ.

ووُصِفَ رَجُلٌ عنْدَ أحدِ الحُكمَاءِ بأنّهُ جِدٌّ كلُّهُ، فقالَ الحَكِيمُ: أعَانَ علَى نَفْسِه وقَصَّرَ لهَا طُولَ المَدَى ولَوْ فكَّهَا بالانْتِقَالِ منْ حَالٍ إلى حَالٍ، لَنَفّسَ عنْهَا ضَيِّقَ العُقَدِ، ورَجَعَ إلى الْجِدِّ بنَشَاطٍ. وقالَ حَكِيمٌ: لاَ بَأْسَ بِالمُزَاحِ مَا لَمْ يكُنْ سَفَهًا.

وقيلَ إنّ يَحْيَى بنَ زكَرِيّا لَقِيَ عِيسَى عليْهِ السَّلاَم، فقالَ: مَا لِي أرَاكَ لاهِيًا كأنّكَ آمِنٌ؟! فقالَ لهُ عِيسَى: مَا لِي أرَاكَ عَابِسًا كأنّكَ آيِسٌ؟! فقَالاَ: لاَ نَبْرَحُ حتّى يَنْزِلَ علَيْنَا الوَحْيُ. فأوْحَى اللّهُ إليْهِمَا: إنّ أحَبَّكُمَا إليَّ أحْسَنُكُمَا ظَنًّا بي. ويُرْوَى أنّ أحبَّكُمَا إليَّ الطّلْقُ البَسَّامُ.

وقالَ هارُونُ الرَّشِيد: النَّوَادِرُ تَشْحَذُ الأذْهَانَ وتَفْتِقُ الآذَانَ.

وقالَ آخَرُ: لاَ يُحِبُّ المُلَحَ إلاَّ ذُكْرَانُ الرِّجَالِ، ولاَ يَكْرَهُها إلاّ مُؤَنَّثُوهُمْ.

وقالَ حَكِيمٌ: النّفْسُ تَمَلُّ منْ مُلازَمَةِ الجِدِّ وتَرْتَاحُ إلَى المُباحِ مِنَ اللَّهْوِ.

وقالَ أحدُ الشُّعرَاءِ:

أُرَوِّحُ القَلْبَ بِبَعْضِ الهَزْلِ ... تجَاهُلاً مِنِّي بِغَيْرِ جَهْلِ
أمْزَحُ فيهِ مَزْحَ أهْلِ الفَضْلِ ... وَالمَزْحُ أحْيَانًا جِلاَءُ العَقْلِ

وقالَ آخَرُ:

إنّ الصَّدِيقَ يُرِيدُ بَسْطَكَ مازِحًا ... فإذَا رَأى مِنْكَ المَلاَلَ يُقَصِّرُ
وَتَرَى العَدُوَّ إذَا تَيَقَّنَ أنّهُ ... يُؤْذِيكَ بِالمَزْحِ العَنِيفِ يُكَثِّرُ

* * *

وكانَ نُعَيْمانُ الصَّحَابيُّ منْ أوْلَعِ النَّاسِ بالمُزَاحِ والضّحِكِ. قيلَ إنّهُ يَدْخُلُ الجَنّة وهُوَ يَضْحَكُ. فمِنْ مُزَاحِهِ أنَّهُ مَرّ يَوْمًا بِمَخْرمَةَ بنِ نَوْفَل الزُّهْرِيِّ وهُوَ ضَريرٌ، فقالَ لهُ: قُدْنِي حتَّى أبُولَ، فأخذَهُ بِيَدِهِ حتَّى أتَى بهِ إلى المَسْجِدِ، فأجْلَسَه في مُؤخَّرِهِ، فصَاحَ بهِ النَّاسُ: إنكَ في المَسْجِدِ. فقالَ: مَنْ قَادَنِي؟ قَالُوا: نُعَيْمَانَ. قالَ: لِلّهِ علَيَّ نَذْرٌ أنْ أضْرِبَهُ بِعَصَايَ هٰذِهِ إنْ وجَدْتُهُ، فبَلَغَ ذٰلِكَ نُعَيْمانَ، فجَاءَ إلَيْهِ وقالَ لهُ: يَا أبَا المُنَوّرِ، هلْ لكَ في نُعيْمانَ؟ قالَ: نعَمْ؛ قالَ: هَا هُوَ قَائمٌ يُصَلِّي، وأخذَ بيَدِهِ، وجَاءَ بِهِ إلَى عُثمانَ بنِ عَفّانَ وهُوَ يُصَلِّي، وقالَ: هٰذَا نُعيْمانُ، فعَلاَهُ بِعَصَاهُ، فصَاحَ النَّاسُ: أمِيرُ المُؤْمنِينَ. فقالَ: مَنْ قادَنِي؟ قالُوا: نُعيْمانُ. فقَالَ: وَاللّهِ لاَ تعَرَّضْتُ لهُ بِسُوءٍ بَعْدَهَا.

وقالَ أحَدُهُمْ: كَانَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ يَقُصُّ علَيْنَا حَتَّى يُبْكِينَا، ورُبَّمَا لاَ يقُومُ حتَّى يُضْحِكَنَا. وكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى تَاجَ الوَعْظِ يَعِظُ النَّاسَ ويَقُصُّ علَيْهِمْ منَ القَصَصِ مَا يُبْكِيهِمْ، ثمَّ لاَ يَتْرُكُهُمْ حتَّى يُفَرِّجَ عَنْهُمُ الهُمُومَ ويُضْحِكَهُمْ.

فمِنْ لطَائفِهِ: أنّهُ حُكيَ يَوْمًا بعدَ أنْ فَرَغَ منَ الوَعْظِ؛ قالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يتكَلَّمُونَ في التَّصْحِيفِ وكُنْتُ لاَ أعْرِفُهُ، ففَكَّرْتُ في أنْ أتعَلَّمَهُ، فدَخَلْتُ سُوقَ الكُتُبِيّةِ واشْتَرَيْتُ كِتَابًا في التَّصْحيفِ: فأوَّلُ مَا تصَفَّحْتُهُ وجَدْتُ فيهِ «سِكْبَاج» تَصْحِيفُهُ «بِكْ تَاج» فرَمَيْتُ الكِتَابَ منْ يَدِي وحَلَفْتُ أنْ لاَ أشْتَغِلَ بهِ أبَدًا. فضَحِكَ النَّاسُ حتّى غُشِيَ عليْهِمْ.

* * *

ودخلَ أحَدُهُمْ علَى عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ فوَجَدَهُ يتَأوَّهُ. فقالَ: يَا أمِيرَ المُؤمنِينَ، لوْ أدْخَلْتُ علَيْكَ مَنْ يُؤْنِسُكَ بأحَادِيثِ العَرَبِ ويُبَاسِطُكَ اسْتَرَحْتَ. فقالَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ لَهْوٍ. فقالَ: مَا الَّذِي تَشْكُوهُ يَا أمِيرَ المُؤمنِينَ؟ قالَ: هَاجَ بِي عِرْقُ النِّسَا في لَيْلَتِي هَذهِ فبلغَ مِنِّي مَا ترَى. فقالَ: إنّ رَجُلاً اسْمُهُ بُدَيْح قدْ عالَجَ أُناسًا كَثِيرِينَ منْ هٰذَا المرَضِ عنْ طَرِيقِ رُقْيَةٍ خَاصَّةٍ يتْلُوهَا علَى مواضِعِ الألَمِ. فقالَ عَبْدُ المَلِكِ ائْتُونِي بهِ. فلمَّا مَثَلَ يَدَيْهِ قالَ لهُ: يَا بُدَيْح عَالِجْ لِي رِجْلِي، فوَضَعَ يدَهُ علَيْهَا وجعَلَ يَقُولُ مَا لاَ يُسْمَعُ. فقالَ عَبْدُ المَلِكِ: قدْ وَجَدْتُ رَاحَةً بهٰذهِ الرُّقْيَةِ، أيْنَ فُلانَةُ؟ ائْتُونِي بهَا لِتَكْتُبهَا لِئلاَّ يَهيجَ بيَ الوَجَعُ باللَّيْلِ. فقالَ بُدَيْح: الطَّلاَقُ يَلْزَمُنِي مَا أكْتُبُهَا إلاَّ بِتَعْجِيلِ جَائزَتِي، فأمَرَ لهُ بأرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَم. فقالَ: يَا أمِيرَ المُؤمنِينَ، الطّلاَقُ يَلْزَمُنِي مَا أكْتُبُهَا حتَّى تُحْمَلَ جَائزَتِي إلَى بَيْتي، قالَ: تُحْمَلُ، فحُمِلَتْ. فقالَ: يَا أمِيرَ المُؤمنِينَ، الطَّلاَقُ يَلْزَمُنِي مَا رَقَيْتُ رِجْلَكَ إلاَّ مُبَاسَطَةً بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

ألاَ إنَّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أصْبَحَتْ عَلَى الْبُعْدِ مِنِّي ذَنْبَ غَيْرِيَ تَنْقُمُ

فقالَ: وَيْلَكَ! مَاذَا تقُولُ؟ فقالَ: الطَّلاَقُ يلزَمُنِي مَا رَقَيْتكَ إلاّ بهَا، فقَالَ: اكْتُمْهَا علَيَّ. فقالَ: كَيْفَ وقدْ سَارَتْ بهَا الرُّكْبَانُ إلَى أخِيكَ بمِصْرَ! فضَحِكَ عَبْدُ المَلِكِ ضَحِكًا شَدِيدًا، وأعْجَبَهُ هٰذَا البَسْطُ.

* * *

وقالَ الأصْمَعِيُّ: مَرَرْتُ بِكَنَّاسٍ يَكْنِسُ كَنِيفًا وهوَ يُغَنِّي ويَقُولُ:

أَضَاعُونِي وَأيَّ فَتًى أضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

فقلْتُ لهُ: أمَّا سِدَادُ الثَّغْرِ فلاَ عِلْمَ لنَا كَيْفَ أنْتَ فيهِ، وأمَّا سِدَادُ الكُنُفِ فمَعلُومٌ. قالَ الأَصْمَعِيُّ: وكُنْتُ حَدِيثَ السِّنِّ فأرَدْتُ أنْ أعْبَثَ بهِ، فأعْرَضَ عَنِّي لحظَاتٍ، ثُمَّ أقْبَلَ علَيَّ وأنْشَدَ:

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إنَّنِي إنْ أَهَنْتُهَا ... وَحَقِّكَ لَمْ تُكْرَمْ عَلَى أحَدٍ بَعْدِي

فقُلْتُ: وأيُّ كرَامَةٍ حصَلَتْ لهَا مِنْكَ، ومَا يكُونُ مِنَ الهوَانِ أكثَرَ مِمّا أهَنْتَها بهِ؟ فقالَ: بَلْ لاَ وَاللّهِ؛ مِنَ الهوَانِ مَا هُوَ أكْثَرُ وأعْظَمُ ممَّا أنَا فيهِ.

فقُلْتُ لهُ: ومَا هُوَ؟ فقالَ: الحَاجَةُ إلَيْكَ وَإلى أمْثالِكَ.

فقالَ: فَانْصَرَفْتُ وأنَا أخْزَى النَّاسِ.

* * *

وقيلَ: كَانَ لأبي حَنِيفةَ جَارٌ إسْكافٌ بالكُوفَةِ يَعْملُ نهارَهُ أجْمَعَ. فإذَا أقْبَلَ اللَّيْلُ رَجَعَ إلى مَنْزلِهِ بِلَحْمٍ وسَمَكٍ، فيَطْبُخُ اللّحْمَ ويَشْوِي السَّمَك، فإذَا دَبَّ فيهِ السُّكْرُ أنْشدَ:

أَضَاعُونِي وَأيَّ فَتًى أضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

ولاَ يزَالُ يَشْرَبُ ويُردِّدُ البيتَ إلى أنْ يَغْلِبَهُ السُّكْرُ ويَنَامَ. وَكانَ أبُو حَنِيفَةَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، ويَسْمَعُ حَدِيثَهُ وَإنْشَادَهُ فقَعَدَ صَوْتَهُ بَعْضَ اللَّيَالِي فسألَ عَنْهُ، فقِيلَ أخَذَهُ العَسَسُ منذُ ثلاثَةِ أيَّامٍ وهُوَ مَحْبُوسٌ.

فصَلَّى الإمَامُ الفَجْرَ ورَكِبَ بَغْلَتَهُ ومَشَى وَاستَأْذَنَ علَى الأمِيرِ، فقَالَ: ائْذَنُوا لهُ، وأقْبِلُوا بهِ رَاكِبًا حتَّى يطَأَ البِسَاطَ. فلَمّا دَخَلَ علَى الأمِيرِ أجْلسَهُ مكانَهُ، وقالَ: مَا حَاجَةُ الإمَامِ؟ فقَالَ: لِي جَارٌ إسْكَافٌ أخَذَهُ الْعَسَسُ منذُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ فتَأْمُرُ بتَخْلِيَتِهِ؟ فقَالَ: نَعَمْ، وكلُّ مَنْ أُخِذَ منذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إلى يَوْمِنا هٰذَا.

ثمَّ رَكِبَ الإِمَامُ وتَبِعَهُ جَارُهُ الإسْكَافُ. فلمّا وصلَ دارَهُ قالَ لهُ: أتُرَانا

أضَعْناكَ؟ قالَ: لاَ، بلْ حَفِظْتَ ورَعَيْتَ جزَاكَ اللّهُ خَيْرًا. وحَلَفَ الرَّجُلُ ألاَّ يَشْرَبَ خَمْرًا بَعْدَ ذٰلِكَ اليَوْمِ.

* * *

وكانَ أحدُ الأُدبَاءِ قدْ أُصِيبَ بجرَبٍ، فدَهَنَ جِسْمَهُ بالكِبْرِيتِ، فكتَبَ إلَيْهِ شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ بِالظّرْفِ:

أيُّـهَـا الـسَّـيِّـدُ الأدِيـبُ دُعَـاءَ مِـنْ مُـحِـبٍّ خَـالٍ عَـنِ الـتّـنْـكِـيـتِ
أنْـتَ شَـيْـخٌ وَقَـدْ قَـرُبْـتَ مِـنَ الـنَّـا رِ فَـكَـيْـفَ ادَّهَـنْـتَ بِـالْـكَـبْـرِيـتِ!؟

وحُكِيَ أنّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَلّى رَجُلاً عَمَلاً، فبَلَغَهُ أنّهُ قالَ:

اْسْـقِـنِـي شَـرْبَـةً أَلَـذُّ عَـلَـيْـهَـا وَاسْـقِ بِـالـلّـهِ مِـثْـلَـهَـا ابْـنَ هِـشَـامِ

فأرْسلَ عُمَرُ يَسْتَدْعيهِ، وعَلِمَ الرَّجُلُ بِالحَالِ، فضَمَّ إلَيْهِ بَيْتًا آخَرَ. فلمَّا قَدِمَ على عُمَرَ، قالَ لهُ: ألَسْتَ القَائِلَ:

اْسْـقِـنِـي شَـرْبَـةً أَلَـذُّ عَـلَـيْـهَـا وَاسْـقِ بِـالـلّـهِ مِـثْـلَـهَـا ابْـنَ هِـشَـامِ

قالَ: نعَمْ يَا أمِيرَ المُؤْمنِينَ، إنّ لِهَذَا البَيْتِ ثَانيًا وهُوَ:

عَـسَـلاً بَـارِدًا بِـمَـاءِ سَـحَـابٍ إنَّـنـي لا أُحِـبُّ شُـرْبَ الـمُـدَامِ

فقالَ عُمَرُ: اللّهَ! اللّهَ! اْرْجِعْ إلى عَمَلِكَ.

قالَ المُتوَكِّلُ يَوْمًا لِجُلسَائِهِ، أخَذَ المُسْلِمُونَ علَى عُثْمانَ أشْيَاءَ منْهَا أنّ الإمَامَ أبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ هَبَطَ عنْ مَقام النَّبيِّ ﷺ درَجَةً منْ درجَاتِ المِنْبَرِ. ولمّا قامَ عُمَرُ هَبَطَ دَرَجَةً دُونَ درجَةِ أبي بَكْرٍ. وصَعِدَ عُثمانُ إلى ذِرْوَةِ المِنْبرِ فقالَ لهُ أحدُ الحَاضِرينَ: مَا أحَدٌ أعْظَمَ مِنّةً علَيْكَ منْ عُثْمانَ يَا أمِيرَ المُؤْمنِينَ. قالَ: وكَيْفَ وَيْلَكَ! قالَ: لأنّهُ صَعِدَ ذِرْوَةَ المِنْبَرِ، ولَوْ أنّهُ كُلَّما قَامَ خَلِيفةٌ نَزَلَ درجَةً ونزَلَ عُثْمان كمَنْ تقدَّمَهُ كُنْتَ أنْتَ تَخْطُبُنَا منْ بِئْرٍ. فضَحِكَ المُتوَكلُ ومَنْ حَوْلَهُ.

وَاخْتصَمَتْ بَنُو طُفَاوَةَ وبنُو رَاسِبٍ في رجُلٍ ادَّعَى الفَرِيقَانِ أنّهُ مِنْهُمْ. فذَهَبُوا يُحَكِّمُونَ أحدَ الظُّرفَاءِ. فقالَ لَهُمْ: يُلْقَى في البَحْرِ فإنْ طفَا فَهُوَ منْ طُفَاوَةَ، وَإنْ رَسَبَ فَهُوَ منْ رَاسِبٍ. فقالَ الرَّجُلُ: إنْ كانَ الحُكْمُ هَكَذَا فقَدْ زَهِدْتُ في الطَّائِفَتَيْنِ.

ولمّا ماتَ المَهْدِيُّ اجْتَمَعَ النّاسُ في مَسْجِدِ بَغْدَادَ، فقَامَ رَجُلٌ فَاعْتقدَ النّاسُ أنّهُ سيَقْرَأُ علَيْهِمْ كِتَابَ النَّعْيِ، ولٰكنّهُ رفعَ صَوْتَهُ قَائِلاً:

مَــاتَ الْــخَــلِــيــفَــةُ أيُّــهَــا الــثَّــقَــلاَنِ

فقالَ الحَاضِرُونَ: هٰذَا أشْعَرُ النّاسِ، فإنّهُ نَعَى الخَلِيفَةَ إلى الإنْسِ والْجنِّ فِي نِصْفِ بَيْتٍ، ومَدُّوا أبْصارَهُمْ وأسْماعَهُمْ إليْهِ، فقَالَ:

فَــكَــأنّــنِــي أفْــطَــرْتُ فــي رَمَــضَــان

فضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ في المَسْجِدِ.

* * *

اخْتلفَ الرَّشِيدُ والخَيْزُرَانُ علَى الفالُوذَجِ واللُّوزِينْجَ[١] أيُّهُما أطْيَبُ. فحَضَرَ أحدُ القُضَاةِ فأرادَ الرَّشِيدُ أنْ يَعْرِفَ رَأْيَهُ، فقالَ: يَا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لاَ يُقْضَى علَى غَائِبٍ. فأمرَ الرَّشِيدُ بإحْضَارِهِمَا، فأكَلَ القَاضِي حتَّى شَبِعَ ثُمَّ قَالَ: اصْطَلَحَ الخَصْمَانِ يَا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فضَحِكَ الرَّشِيدُ وأمرَ لهُ بألْفِ دِينَارٍ.

وقالَ حَكِيمٌ: كَثْرَةُ المزَاحِ تُذْهِبُ المُرُوءةَ. وكَثْرَةُ الضَّحِكِ تُفْقِدُ الهَيْبَةَ، ومَنْ لَزِمَ شَيْئًا عُرِفَ بهِ. وقالَ: تَجَنَّبْ سُوءَ المُزَاحِ ونَكَدَ الهَزْلِ فإنَّهُمَا بَابَانِ إذَا فُتِحَا لَمْ يُغْلَقَا إلاَّ بعْدَ غَمٍّ.

وقالَ آخَرُ: لِكُلِّ شَيْءٍ بَذْرٌ وبَذْرُ العدَاوَةِ المُزاحُ. وقالَ آخَرُ: الإفْرَاطُ

(١) الفالوذج واللوزينج: نوعان من الحلوى.

في المُزَاحِ يُوغِرُ الصُّدُورَ.

وقالَ أحدُ الشُّعرَاءِ:

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ المُزَاحَ فَإِنَّهُ يُجَرِّي عَلَيْكَ الطِّفْلَ وَالرَّجُلَ النَّذْلاَ
وَيُذْهِبُ مَاءَ الوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ وَيُورِثُ بَعْدَ العِزِّ صَاحِبَهُ ذُلاً

* * *

ومِمَّا كَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في مَعْرِضِ المُزَاحِ «مَدَاسُ أبي القَاسِمِ» فقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ كانَ بِبَغْدَادَ شَخْصٌ يُعْرَفُ بِأبي القَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ صَاحِبَ نَوَادِرَ وحِكَايَاتٍ. وكانَ لهُ مَدَاسٌ مَضَتْ عليْهِ أعْوَامٌ، وكُلَّما انقطَعَ منْهُ مَوْضِعٌ جعلَ عليْهِ رُقْعَةً إلى أنْ صَارَ في غَايَةِ الثِّقَلِ وصَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ، فيُقَالُ: «أثْقَلُ مِنْ مَدَاسِ أبي القَاسِمِ». فاتَّفَقَ أنَهُ دخلَ سُوقَ الزُّجَاجِ فقَالَ لهُ سِمْسَارٌ: يَا أبَا القَاسِمِ، قدْ وصَلَ تَاجِرٌ منْ حَلَبٍ ومَعَهُ حِمْلُ زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قدْ كَسَدَ فَابْتَعْهُ منهُ، وأنَا أبيعُهُ لَكَ بَعْدَ مُدّةٍ بمَكْسَبِ المِثْلِ مِثْلَيْنِ. فَابْتَاعَهُ بسِتِّينَ دِينَارًا.

ثُمَّ دخلَ سُوقَ العَطَّارِينَ فقالَ لهُ سِمْسَارٌ آخَرُ: قدْ ورَدَ تَاجِرٌ مِنْ نَصِيبِينَ بمَاءِ وَرْدٍ في غَايَةِ الحُسْنِ والرُّخْصِ؛ فابْتَعْهُ منْهُ وَأنَا أبيعُهُ لكَ بِفائِدَةٍ كَبِيرَةٍ؛ فَابْتاعَهُ بسِتِّينَ دِينارًا أُخْرَى، ثمَّ جعَلَهُ في الزُّجَاجِ المُذَهَّبِ، ووضَعَهُ علَى رَفٍّ في صَدْرِ البَيْتِ.

وَفي أحَدِ الأَيَّام ذَهَبَ إلى الحَمَّام لَيْلاً. فقالَ لهُ بَعْضُ أصْدِقَائهِ: يَا أبَا القاسمِ، أشْتَهِي أنْ تُغَيِّرَ مداسَكَ فَإِنّهُ في غَايَةِ القُبْحِ، وأنْتَ ذُو مَال. فقَالَ: السَّمْعُ والطَّاعَةُ. ولمَّا خرَجَ منَ الحَمامِ ولَبِسَ ثِيابَهُ وجدَ إلى جَانِبِ مداسهِ مدَاسًا جَدِيدًا فَلبِسَهُ ومَضَى إلى بَيْتِهِ.

وكانَ القَاضِي دَخَلَ الحَمَّامَ يَغْتَسِلُ فَفَقَدَ مدَاسَهُ. فقالَ: الَّذي لَبسَ مَدَاسِي مَا تَرَكَ عِوَضَهُ شَيْئًا؟ فوَجَدُوا مدَاسَ أبي القَاسِمِ فإنّهُ مَعْرُوفٌ فكبَسُوا بَيْتَهُ، فلَقُوا مدَاسَ القَاضِي عِنْدَهُ، فأخَذُوهُ منْهُ وسَاقُوهُ إلى الوَالِي فأمَرَ بِضَرْبِهِ وحَبْسِهِ، وفَرَضَ علَيْهِ غَرَامَةً.

فلمَّا خرجَ منَ الحَبْسِ أخذَ المدَاسَ وألْقَاهُ في دِجْلَةَ فغَاصَ في المَاءِ، فرَمَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ شَبَكَةً فطَلَعَ فِيهَا المدَاسُ. فقالَ: هٰذَا مَدَاسُ أبي القَاسِمِ، والظَّاهِرُ أنَّهُ سَقَطَ مِنْهُ. فحَمَلَهُ إلى بَيْتِ أبي القَاسِمِ فلَمْ يَجِدْهُ فرمَاهُ منَ الطَّاقِ إلى بَيْتِهِ فسَقَطَ علَى الرَّفِّ الَّذِي عليْهِ الزُّجَاجُ فتبَدَّدَ مَاءُ الوَرْدِ وانكَسَرَ الزُّجَاجُ. فلمَّا رَأى أبُو القَاسِمِ ذٰلِكَ لطَمَ وَجْهَهُ وصَاحَ: وَافقْرَاهُ، وَافَقْرِي بهٰذَا المدَاسِ.

ثمَّ قامَ يَحْفُرُ لهُ في اللَّيْلِ حُفْرَةً، فسَمعَ الجِيرَانُ صَوْتَ الحَفْرِ؛ فظَنُّوا أنَّهُ نَقْبٌ فشكَوْهُ إلى الوَالِي، فأرْسلَ إليْهِ مَنِ اعْتقَلَهُ. وقالَ لهُ: تَنْقُبُ علَى النَّاسِ حَائِطَهُمْ! اسْجُنُوهُ، ولَمْ يَخْرُجْ منَ السِّجْنِ إلاّ بَعْدَ دَفْعِ غرَامَةٍ. ثمَّ أخذَ المدَاسَ ورَمَاهُ في مُسْتَرَاحِ الخَانِ فسَدَّ قَصَبَةَ المُسْتَرَاحِ وفَاضَ، فكَشَفَ العُمَّالُ ذٰلِكَ حتَّى وَقَفُوا علَى مَوْضِعِ السَّدِّ، فوَجَدُوا مدَاسَ أبي القَاسِمِ، فحَمَلُوهُ إلَى الْوَالِي وحَكَوْا لهُ مَا وقَعَ؛ فقَالَ غَرِّمُوهُ جُمْلةَ النَّفقَاتِ. فقالَ: لَنْ أُفَارِقَ هٰذَا المدَاسَ وغَسَلَهُ ووضَعَهُ علَى سَطْحِ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَجِفَّ.

فرَآهُ كلْبٌ فظَنَّهُ رِمَّةً فحَمَلَهُ وعَبَرَ بهِ إلى سَطْحٍ آخَرَ، فسَقَطَ علَى امْرَأةٍ حَامِلٍ فارْتَجَفَتْ وأسْقطَتْ ولَدًا ذكَرًا، فنَظَرُوا مَا السَّبَبُ، فَإذَا مدَاسُ أبي القَاسِمِ، فرُفعَ الأمْرُ إلى الحَاكم فأوْجَبَ عليْهِ دَفْعَ تَعْوِيضٍ. وكانَتِ النَّتِيجَةُ أنَّ المِسْكِينَ فقَدَ كلَّ مَا يَمْلِكُ وَضَاقَتِ الدُّنْيَا في وَجْهِهِ، فحَمَلَ المدَاسَ وذَهَبَ بهِ إلَى القَاضِي. والتمَسَ منْهُ أنْ يَكْتُبَ لهُ شَهَادَةً بأنَّهُ بَرِيءٌ منْ هٰذَا المدَاسِ ومِمَّا قدْ يَحْدُثُ بسَبَبِهِ، وسَلَّمَهُ للْقَاضِي ليَتَصَرَّفَ فيهِ. فأجابَهُ القَاضِي إلى طَلَبِهِ، وبِذٰلِكَ انتَهَتْ قِصَّةُ هذَا المدَاسِ.

* * *

وقالُوا الظَّرفُ يكونُ في صَبَاحَةِ الوَجْهِ، ورَشَاقَةِ القَدِّ، ونظافَةِ الجِسْمِ والثَّوْبِ وبَلاَغَةِ اللِّسَانِ، وَعُذُوبَةِ المَنْطِقِ، وطِيبِ الرَّائحةِ، وخِفَّةِ الحَرَكةِ، وقُوَّةِ الذِّهْنِ، وملاَحَةِ الفُكاهَةِ والمُزَاحِ. ويَكُونُ في الكرَمِ والجُودِ والعَفْوِ وغَيْرِ ذٰلِكَ منَ الخِصَالِ اللَّطِيفَةِ.

وكأنَّ الظَّرْفَ مَأْخُوذٌ منَ الظَّرْفِ الَّذِي هوَ الوِعَاءُ. فكأنَّهُ وِعاءٌ لِكُلِّ لَطِيفٍ. وقدْ يُقَالُ ظَرِيفٌ لِمَنْ حصَلَ فيهِ بَعْضُ هٰذِهِ الخِصَالِ.

قالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا كانَ اللِّصُّ ظَرِيفًا لَمْ يُقْطَعْ. يُرِيدُ أَنَّهُ يُدَافِعُ عنْ نَفْسِهِ بِبلاَغَتِهِ ويَحْتَجُّ بمَا يُسْقِطُ الحَدَّ.

وقالَ حكيمٌ: الظّرْفُ جَوْدَةُ الكَلاَمِ وبَلاَغَتُهُ.

وقالَ آخرُ: الظّرِيفُ الحَسَنُ الوَجْهِ وَاللِّسَانِ. وقدْ يُقَالُ الظَّرْفُ في اللِّبَاسِ وهُوَ تَخَيُّرُ المُسْتَحْسَنِ اللاَّئقِ بِذٰلِكَ اللاَّبِسِ. وقالَ بَعْضُهُمْ: الظّرْفُ تَرْكُ مَا لَكَ. وأَدَاءُ مَا عَلَيْكَ.

حُكِيَ أَنَّ رَجُلاً تقدَّمَ إلى القَاضِي هُوَ وزَوْجَتُهُ. فقَالَ: خَاصَمَتْنِي وقَالَتْ: أَنَا أَظْرَفُ مِنْكَ، فقُلْتُ: إِنْ كُنْتِ أَظْرَفَ منِّي فأَنْتِ طالِقٌ ثَلاثًا. فقالَ القَاضِي: الظّرْفُ صِفَاتٌ تُذْكَرُ. فلْيَذْكُرْ كلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مَا يرَى أَنَّهُ تفرَّدَ بِهِ. فقالَ الرَّجلُ: مُرْهَا فَلْتَصِفْ نَفْسَهَا. فقالَتْ: وَاللّهِ لاَ أَعْرِفُ لِنَفْسِي حَالاً أَتفرَّدُ بهَا تُوجِبُ كَوْنِي مُقَدَّمَةً على غَيْرِي في حُدُودِ الظّرْفِ.

فقالَ الزَّوْجُ: قدْ سَبَقَتْنِي بجَمِيعِ حُدُودِ الظّرْفِ بهَذَا القَوْلِ؛ وأَرَاهَا قدْ حُرِّمَتْ علَيَّ لِكَوْنِهَا أَظْرَفَ.

فقالَ القَاضِي: كَذَا عِنْدِي الحُكْمُ.

وحَكَى بَعْضُهُمْ: دخَلْنَا جماعَةً إِلَى المَارَسْتَانِ. فرَأَيْنَا فيهِ فَتًى مُصَابًا فوَلِعْنَا بهِ وأَتْعَبْنَاهُ. فصَاحَ: انْظُرُوا إلى شُعُورٍ مُطَرَّزَةٍ وأَجْسَادٍ مُعَطَّرَةٍ، قدْ جَعَلُوا الوَلَعَ بِضاعَةً، والسُّخْفَ صِناعَةً، وجَانَبُوا العِلْمَ رَأْسًا. فقُلْنَا لهُ: أَتُحْسِنُ العِلْمَ؟ قالَ: إِي وَاللّهِ، إِنِّي لأُحْسِنُ عِلْمًا جَمًّا. قُلْنا: مَنِ السَّخِيُّ؟ قالَ: الذِي رَزَقَ أَمْثالَكُمْ وأَنتُمْ لاَ تُسَاوُونَ قُوتَ يَوْمٍ. فضَحِكْنَا منْهُ وقُلْنَا: مَنْ أَقَلُّ النَّاسِ شُكْرًا؟ قالَ: مَنْ عُوفِيَ منْ بَلِيَّةٍ، ثُمَّ رَآهَا في غَيْرِهِ فترَكَ الاعْتِبَارَ والشُّكْرَ إِلَى الطِّيبَةِ وَاللَّهْوِ. فقالَ لهُ قَائِلٌ: مَا الظّرْفُ؟ قالَ: خِلاَفُ مَا أَنتُمْ علَيْهِ.

قالَ حكِيمٌ: حُمَّى الرُّوحِ النَّظَرُ إلى الثُّقَلاَءِ. دخَلَ بعضُ الثُّقلاَءِ عنْدَ أحدِ العُلمَاءِ فقَدَّمَ لهُمْ طعَامًا كَثِيرًا فأكَلُوهُ ولَمْ يَشْبَعُوا. فنَهضَ وأحْضرَ لهُمْ عَلَفَ حِمَارِهِ وقالَ لهُمْ: قدَّمْتُ لكُمْ قُوتِي وقُوتَ عِيَالِي فمَا شَبِعْتُمْ، ولَمْ يَبْقَ عِنْدِي سِوَى قُوتِ حِمَارِي فكلُوهُ إنْ شِئْتُمْ.

وجَاءَ رجُلٌ إلَى القَاضِي فقالَ لهُ: إنَّ الشَّيْطانَ يَأتِينِي فيَقُولُ: إنَّكَ قدْ طَلَّقْتَ امْرَأتَكَ فيُشَكِّكُنِي. فقالَ القَاضِي: أولَيْسَ قدْ طلَّقْتَهَا؟ قالَ: لاَ. قالَ: ألَمْ تَأْتِنِي أمْس فتُطَلِّقُها عِنْدِي؟ فقالَ: وَاللّهِ مَا جِئْتُكَ إلاَّ اليَوْمَ، ولاَ طَلَّقْتُهَا بِوَجْهٍ منَ الوُجُوهِ. قالَ القَاضِي: فَاحْلِفْ للشَّيْطَانِ كمَا حلَفْتَ لِي وَأنْتَ بخَيْرٍ.

* * *

كانَ أحدُ الأُدبَاءِ قدْ أعْطَى خُفَّهُ إلى إسْكَافٍ لِيُصْلِحَهُ، فأهْمَلَهُ الإِسْكَافُ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَكانَ صَاحِبُهُ يَمُرُّ عليْهِ كلَّ يَوْمٍ ليَأْخُذَ خُفَّهُ. فإذَا رآهُ الإِسْكَافُ قَادِمًا منْ بَعِيدٍ، أخذَ الخُفَّ وغَمَسَهُ في المَاءِ لِيُوهِمَ الرَّجُلَ أنَّهُ يَقُومُ بإِصْلاَحِهِ. فقالَ لهُ الأدِيبُ ذَاتَ يَوْمٍ: إنِّي أعْطَيْتُكَ الخُفَّ لتُصْلِحَهُ لاَ لِتُعَلِّمَهُ السِّباحَة.

وقالَ أحدُ الوُزرَاءِ: جِئْتُ منْ دَارِ السُّلْطَانِ ضَجِرًا منْ أمْرٍ عَرَضَ لِي، فقالَ لِي رَجلٌ: منْ أيْنَ أقْبلْتَ. فقُلْتُ: منْ لَعْنَةِ اللّهِ. فقَالَ: رَدَّ اللّهُ عَلَيْكَ غُرْبتَكَ.

وقالَ أحَدُهُمْ: لَقِيتُ بُهْلُولَ المَجْنُونَ وهُوَ يَأْكلُ في السُّوقِ. فقُلْتُ لهُ: يَا بُهْلُولُ، أتُجَالِسُ الأمرَاءَ وتَأْكلُ في السُّوقِ؟ فقالَ: رُوِيَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنّهُ قالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» وَلَقِيَنِي الجُوعُ وخُبْزِي في كُمِّي فمَا أمْكنَنِي أُمَاطِلُهُ.

ومَرَّ بُهْلُولٌ بِسُوقِ البَزَّازِينَ فرَأى قَوْمًا مُجْتَمعِينَ علَى بَابِ دُكَّانٍ قدْ نُقِبَ فنظَرَ فيهِ وقَالَ: أمَا تَعْلَمُونَ مَنْ عَمَلَ هٰذَا؟ قَالُوا: لاَ. فقالَ: أنَا أعْلَمُ، فقَالُوا: رُبَّمَا يكونُ قدْ رَأى الفَاعِلَ ولَمْ يَهْتمَّ بهِ اللِّصُّ لاعْتِقَادِهِ أنّهُ مَجْنُونٌ. فتلَطّفُوا بهِ حتَّى يُدِلّكُمْ عليْهِ. فقَالُوا لهُ: خَبِّرْنَا يَا بُهْلُولُ مَنْ نَقَبَ الدُّكّانَ؟ قَالَ: أنَا جَوْعَان، فأحْضَرُوا لهُ طَعَامًا شَهِيًّا وفَاكِهَةً وحَلْوَاءَ. فلمَّا أكلَ وشَبعَ

قَامَ فنظَرَ فِي النّقْبِ وقالَ: هٰذَا مِنْ عَمَلِ اللُّصُوصِ.

وقالَ أحَدُهُمْ: مرَرْتُ بسَائلٍ وهُوَ يقولُ: مِسْكِينًا ضَرِيرًا، فدَفَعْتُ لهُ دِرْهمًا وقلْتُ لهُ: لِمَ نَصَبْتَ؟ فقَالَ: بإضْمَارِ ارْحَمُوا.

وصَحِبَ مَجُوسِيٌّ قَدَرِيًا. فقالَ لهُ القَدَرِيُّ: مَا لكَ لاَ تُسْلِمُ؟ قالَ: حَتَّى يُرِيدَ اللّهُ. قالَ: قدْ أرَادَ ذٰلِكَ ولٰكِنَّ الشَّيْطانَ لاَ يُرِيدُ. قالَ: فَأنَا مَعَ أقْوَاهُمَا.

وجَاءَ رَجُلٌ إلَى أحَدِ الفُقَهَاءِ وقالَ لهُ: إنِّي أغْتَمِسُ في النَّهْرِ غَمْستَيْنِ وَثلاَثًا ولاَ أتَيَقّنُ أنّهُ قدْ عَمَّنِي المَاءُ ولاَ أنّي قدْ تطَهَّرْتُ. فقالَ لهُ: لاَ تُصَلِّ، قيلَ لهُ: كَيْفَ قُلْتَ هٰذَا؟ قالَ: لأنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قالَ: «رُفِعَ القَلَمُ عَنِ المَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ». ومَنْ يَنْغَمِسُ في النَّهْرِ مَرَّتَيْنِ وثَلاثًا، ويَظُنُّ أنّهُ مَا اغْتَسَلَ فهُوَ مَجْنُونٌ.

قالَ رجُلٌ لابْنِهِ: اذْهَبْ فاشْتَرِ لنَا حَبْلاً يكُونُ طُولُهُ ثَلاَثِينَ ذِراعًا. فسَارَ إلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، ثُمَّ رَجَعَ وسَألَ وَالِدَهُ: في عَرْضِ كَمْ؟ فقَالَ: في عَرْضِ مُصِيبَتِي فِيكَ.

ودخَلَ قَوْمٌ منْ بَنِي تَيْمِ اللّهِ علَى مَجْنُونٍ منْ بَنِي أسَدٍ فأكْثَرُوا العَبَثَ بهِ. فقالَ لهُمْ: يَا بَنِي تَيْمِ اللّهِ، مَا أعْلَمُ قَوْمًا خَيْرًا مِنْكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ؟ قالَ: بَنُو أسَدٍ لَيْسَ فيهِمْ مَجْنُونٌ غَيْرِي قدْ قَيَّدُونِي، وأنْتُمْ كُلُّكُمْ مجَانِينَ ولَيْسَ فِيكُمْ مُقَيَّدٌ.

وسُقِيَ رجُلٌ مَاءً بَارِدًا، ثُمَّ عادَ فطَلَبَ مَاءً فسُقِيَ مَاءً حَارًا. فقالَ: لَعَلَّ مِيَاهَكُمْ تَعْتَرِيهَا الحُمَّى.

كَانَ أحدُ النَّاسِ يَأكُلُ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَقِيلَ لهُ: لِمَاذَا لاَ تَنْتَظِرُ حتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ؟ قالَ: لَعَنَنِي اللّهِ إنِ انْتَظَرْتُ غَائِبًا منْ وراءِ سَمَرْقَنْدَ، لاَ أدْرِي مَاذَا يَحْدُثُ لهُ في الطَّرِيقِ.

وحَكَى أحَدُهُمْ: كَانَ سبَبُ خُرُوجِي منَ البَصْرَةِ وانْتِقَالِي عنْهَا أنِّي مرَرْتُ بِسُوقِ النَّخَاسِينَ يَوْمًا، فرأيْتُ غُلاَمًا يُنَادَى عليْهِ وقدْ بَلَغَ ثلاَثِينَ دِينَارًا

وهُوَ يُسَاوِي ثَلاثمائةِ دِينَارٍ. فاشْتَرَيْتُهُ، وكُنْتُ أَبْنِي دارًا، فدَفَعْتُ إلَيْهِ عِشْرِينَ دِينَارًا علَى أنْ يُنْفِقَهَا علَى الصُّنَّاعِ، فجَاءَنِي بَعْدَ أيَّامٍ يَسِيرَةٍ فقَالَ: قدْ نَفِدَتِ النَّفَقَةُ. قُلْتُ: هَاتِ حِسَابَكَ، فرَفَعَ حِسَابًا بِعَشَرَةِ دَنَانِيرَ. قُلْتُ: أيْنَ البَاقِي؟ قالَ: اشْتَرَيْتُ بهِ ثَوْبًا. قلْتُ: ومَنْ أمرَكَ بهٰذَا؟ قالَ: يَا مَوْلاَيَ لاَ تَعْجَلْ، فَإنَّ أهْلَ المُرُوءاتِ والأقْدَارِ لاَ يَعِيبُونَ علَى غِلْمَانِهِمْ إذَا فَعَلُوا فِعْلاً يَعُودُ بالزَّيْنِ علَى مَوَالِيهِمْ، فقُلْتُ في نَفْسِي أنَا اشْتَرَيْتُ الأصْمَعِيَّ ولَمْ أعْلَمْ.

قالَ: وَكانَتْ في نَفْسِي امْرَأةٌ أرَدْتُ أنْ أتزَوَّجَهَا سِرًّا منْ ابْنَةِ عَمِّي، فقُلْتُ لهُ يَوْمًا: أفِيكَ خَيْرٌ؟ قالَ: أي لَعَمْرِي. فأطْلَعْتُهُ علَى الخَبَرِ. فقَالَ: أنَا نِعْمَ العَوْنُ لَكَ، فتزَوَّجْتُ ودفَعْتُ إلَيْهِ دِينَارًا وقُلْتُ لهُ: اشْترِ لنَا كَذَا وكَذَا، ويَكُونُ فِيما تَشْتَرِيهِ سَمَكٌ هَازِبيٌّ فمَضَى ورَجَعَ وقَدِ اشْتَرَى مَا أرَدْتُ إلاّ أنّهُ اشْتَرَى سَمَكًا مَارْمَاهِيًا. فقُلْتُ: ألَيْسَ أمَرْتُكَ أنْ تَشْتَرِيَ هَازِبِيًّا؟ قالَ: بَلَى، وَلٰكِنَّنِي رَأيْتُ بُقْرَاطَ يقُولُ: إنّ الهَازِبيَّ يُوَلِّدُ السَّوْدَاءَ، ويَصِفُ المَارْمَاهِيَّ ويقُولُ إنّهُ أقَلُّ غَائِلةً. فقُلتُ: أنَا لمْ أعْلَمْ أنّي اشتَرَيْتُ جَالِينُوسَ؛ وقُمْتُ إلَيْهِ فضرَبْتُهُ عَشَرَ مقَارِعَ. فلمَّا فرَغْتُ منْ ضَرْبِهِ أمْسَكَنِي وتَنَاوَلَ المِقْرَعَةَ وضَرَبَنِي سَبْعَ مَقَارِعَ، وقَالَ يَا مَوْلاَيَ: الأدَبُ ثَلاَثٌ، والسَّبْعُ زِيَادَةٌ منْ عِنْدِي، ولِذٰلِكَ قِصَاصٌ فضَرَبْتُكَ هٰذهِ السَّبْعَ خَوْفًا علَيْكَ منَ القِصَاصِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

فغَاظَنِي جِدًّا فرَمَيْتُهُ فشَجَجْتُهُ، فمَضَى منْ وَقْتِهِ إلى ابْنَةِ عَمِّي فقَالَ لهَا: يَا مَوْلاَتِي، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» وأنَا أُعْلِمُكِ أنَّ مَوْلاَيَ قدْ تزَوَّجَ وَاسْتَكْتَمَني. فلمَّا قُلْتُ لهُ: لاَ بُدَّ منْ إعْلاَمِ مَوْلاَتِي ضرَبَنِي بالمَقَارِعِ وشَجَّنِي. قالَ الرَّجُلُ: فمنَعَتْني بِنْتُ عَمِّي منْ دُخُولِ الدَّارِ، وحالَتْ بَيْني وبَيْنَ مَا فِيهَا، فلَمْ أرَ الأمْرَ يَصْلُحُ إلاّ بأنْ طَلَّقْتُ المَرْأةَ الَّتِي تزوَّجْتُهَا، فصَلَحَ أمْرِي معَ ابْنَةِ عَمِّي، وعزَمْتُ على أنْ أعْتِقَ هٰذَا الغُلاَمَ لأسْتَرِيحَ منْهُ. فلَمَّا أعْتَقْتُهُ لَزِمَنِي وقَالَ: الآنَ وَجَبَ حَقُّكَ علَيَّ، ثمَّ إنّهُ أرَادَ الحَجَّ فجَهَّزْتُهُ وزَوَّدْتُهُ وخرَجَ فغَابَ عَلَيَّ عِشْرِينَ يَوْمًا، ثمَّ رَجَعَ فقُلْتُ لهُ: لِمَ رَجَعْتَ؟ قالَ: قُطِعَ الطَّرِيقُ وفَكَّرْتُ فإذَا اللّهُ تَعَالَى يقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ

حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وكُنْتُ غيرَ مُسْتَطِيعٍ، وفكّرتُ فإذَا حقُّكَ عليَّ أَوْجَبُ، فرَجَعْتُ.

ثُمَّ أرادَ الغَزْوَ فجَهَّزْتُهُ، فلمَّا غابَ عَنِّي بِعْتُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ بالبَصْرَةِ منْ عَقَارٍ وغَيْرِهِ، وخرَجْتُ خَوْفًا منْ أنْ يرْجِعَ إليَّ.

* * *

وقالَ رجُلٌ: أَشْتَهِي أنْ أَرَى الشَّيْطَانَ، فَقِيلَ لهُ: انْظُرْ في المِرْآةِ.

وقالَ رَجلٌ لِبَعْضِ الظِّرَافِ: قدْ لدَغَتْني عَقْرَبٌ، فهَلْ عِنْدَكَ لِهٰذَا دَوَاءٌ؟ فقَالَ: الصِّيَاحُ إِلَى الصَّبَاحِ.

وقالَ ظَرِيفٌ لآخَرَ: كَيْفَ حَالُكَ؟ قالَ: إِنِّي مَرِيضٌ مِنْ دمَامِيلَ قدْ خَرَجَتْ في أقْبَحِ المَوَاضِعِ. فقالَ لهُ الظَّرِيفُ: مَا أرَى في وَجْهِكَ مِنْهَا شَيْئًا.

وقالَ أحدُ القُصَّاصِ: إذَا مَاتَ عَبْدٌ وهُوَ سَكْرَانُ دُفِنَ وهُوَ سَكْرَانُ، وَحُشِرَ وهُوَ سَكْرَانُ. فقَالَ رَجُلٌ منَ الحَاضرِينَ: هٰذَا وَاللّٰهِ ـ نَبِيذٌ جَيِّدٌ ـ يُسَاوِي الكأْسُ منْهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا.

نوادر أبي العيناء(١) ومخاطباته(٢)

حمله بعضُ الوزراء على دابَّةٍ، فانتظَر علَفَها، فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير هذه الدابة حَملْتَنِي عليه أو حملتَهُ عليَّ.

قال له المتوكل يومًا: إلى كم تمدحُ الناسَ وتذمُّهم؟ فقال: ما أحسنُوا وأساؤوا؛ فقد رضي الله عن عبدٍ فمدحَهُ؛ فقال: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: الآية ٣٠] وغضب على آخر فزَنَّاه. قال: «ويلك أيزَنِّي الله أحدًا»؟ قال:

---

(١) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، ولد سنة ١٩١ هـ، أديب فصيح، من ظرفاء العالم ومن أسرع الناس جوابًا، اشتهر بنوادره، كاتب شاعر، ولكنه خبيث اللسان، كف بصره في الأربعين، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧ هـ (الأعلام ٦/ ٣٣٤).

(٢) نثر الدر للآبي ٢/ ١٣١ ـ ١٥٥.

نعم. قال الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القَلَم: الآية ١٣]، والزَّنيمُ: الدخيلُ في القوم وليس منهُم.

وقال أبو العَينَاء: قال لي المتوكل يومًا: هل رأيتَ طالبيًا قطُّ، حَسَنَ الوجه؟ قلت: نعم، رأيتُ ببغدادَ منذُ ثلاثينَ سنةً واحدًا. قال: تجده كان يؤاجر وكنت أنتَ تقودُ عليه. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد بلغ هذا من فراغِي، أدَعُ الموالِي مع كثرتِهِم وأقود على الغرباء. فقال المتوكل للفتح: أردت أن اشتفِيَ منهم فاشتفَى لهم مني.

قال: وقال لي يومًا: لا تكثر الوقيعةَ في الناس. فقلت: إنَّ لي في بصري شغلاً عن ذلك. فقال: ذاك أشد لحقْدِك على أهل العافية.

وقال له يومًا المتوكل: إنَّ سعيد بن عبد الملك يضحكُ منك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾ [المطفّفِين: الآية ٢٩].

وقال يومًا بحضرته لخراشة: ابنُ كم أنت؟ قال: ابن نَيِّفٍ وخمسين. قال أبو العيناء: زَانيةً.

ودخل يومًا إلى ابن ثَوَابة؛ فقال: بلغني ما خاطبتَ به أمس أبا الصقر، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنَّه لم يجد عِرْضًا فيضعَه، ولا مجدًا فيهدمَه، وبعد فإنه عافَ لحمَكَ أنْ يأكله، وسَهِكَ دمَك أن يسفِكَه. فقال: ما أنتَ والكلام يا مُكدي[1]؟ فقال أبو العيناء: لا تنكر على ابن ثمانين، وقد ذهبَ بصرُه، وجفاه سلطانُه، أنْ يعوِّلَ على إخوانه، فيأخذَ من أموالهم، ولكن أشدُّ من هذا من يستنزلُ ماءَ أصلاب الرجال، يستفرغُه في جوفه؛ فيقْطَعُ أرزاقَهم، ويُعظِم إجرامهم.

فقال ابنُ ثوابة: ما تشاجر اثنان إلاَّ غلب ألأمُهما. فقال له: بها غلبتَ أبا الصقر.

---

(١) المكدي: الشحاذ.

وقال ثوابة يومًا: كَتَبتُ أنفاس الرجالِ. قال: حيث كانوا وراء ظهرك.

وقال له يومًا نجَاحُ بن سَلَمة: ما ظهورُكَ وقد خرجَ توقيعُ أمير المؤمنين في الزنادقة؟ فقال: نستدفعُ الله عنكَ وعن أصهارك.

ودخل على عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعبُ بالشِّطْرنج، فقال: في أي الحيِّزين أنْتَ؟ فقال: في حيِّز الأمير أيده الله.

وغُلب عبيدُ الله فقال: يا أبَا العيناء؛ قد غُلبنا، وقد أصابك من النَّدب خمسون رطْلاً ثلجًا. فكن أنتَ في حيلتها. قال: فقام ومضى إلى ابن ثوابة، وقال: إن الأمير يدعوك؛ فلما دخلا قال: أيَّد الله الأمير، قد جئتُك بجبل همذان ومَاسَبَذان، فخُذْ منه ما شئت.

وقال يومًا لولد حجاج بن هارون: في أي باب أنت من النحو؟ قال: في باب الفاعل والمفعول. فقال: أنتَ في باب أبويكَ إذًا.

ومرَّ على دار عدو له؛ فقال: ما خبَرُ أبي محمد؟ فقالوا: كما تحبُّ. قال: فما بالي لا أسمعُ الرنَّة والصُّراخَ؟.

ووعده ابن المدبِّر بدَابَّةٍ، فلما طالبه قال: أخافُ أن أحملك عليه فتقطعَني ولا أراك. فقال: عِدْني أن تضُمَّ إليه حمارًا لأواظبَ مقْتضِيًا.

ووعده أنْ يحمله على بَغل، فلقيهُ في الطريق؛ فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ قال: أصبحتُ بلا بَغْلٍ؛ فضحك من قوله، وبعثهُ إليه.

وحمله بعضُهم على دابَّةٍ، فاشتَراها ابنُ الرجل منهُ بثمنٍ أخَّره، ولقيه بعدَ أيامٍ؛ فقال: كيف أنتَ يا أبا العيناء؟ قال: بخيرٍ يا مَنْ أبُوه يحمل وهو يُرْجِل.

وقالت له قَيْنَة: هَبْ لي خاتمَكَ أذكرْكَ به. فقال: اذكُريني بالمنْع.

وقالت له قَيْنَةَ: أنتَ أيضًا يا أعمى! فقال لها: ما أستعينُ على وجهك بشيءٍ أصلح من العمى.

وقال لصاعدٍ: أنتَ خيرٌ من رسول الله فقال: ويلَك! كيفَ؟ قال: إنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩]؛ وأنت فظ ولسنا نَنْفَضُّ.

وقال له ابن السِّكِّيت يومًا: تُراكَ أحطتَ بما لم أُحِطْ به. قال: ما أنكرت؛ فوالله لقد قال الهدهُدُ، وهو أخسُّ طائرٍ لسليمانَ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النّمل: الآية ٢٢].

وقال: ـ وقُدِّمَ إلى مائدةٍ ـ عليها أبو هفَّان وأبو العيناء ـ فالوذج، فقال أبو هفَّان: لهذه أحَرُّ من مكانك في جهنم. فقال أبو العيناء: إن كانت هذه حارَّةً فبرِّدْهَا بشعرِك.

وقال له صاعدٌ يومًا: ما الذي أخَّرَكَ عنا؟ قال: بُنَيَّتي. قال: وكيفَ؟ قال: قالت: يا أبَهْ؛ قد كنت تغدُو من عندنا فتأتي بالخِلعة السَّرِيَّة، والجائزةِ السنيَّة، ثم أنتَ الآن تغدُو مُسْدِفًا، وترجعُ مُعتمًا، فإلى من؟ قلت: إلى أبي العلاء ذي الوزارتين. قالت: أيُعطِيكَ؟ قلتُ: لا. قالت: أيُشَفِّعك؟ قلت: لا. قالت: أفيرفَع مَجلسَك؟ قلت: لا. فقالت: يا أبَهْ، ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريَم: الآية ٤٢].

وقال له عُبيدُ الله بن سُليمان: إنَّ الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء أكثرُها تصنيفُ الورَّاقين، وأكاذيبُهم قال: ولِمَ لا يكذبون على الوزير أيده الله.

وقال له محمد بنُ مكرَّم: لهممتُ أنْ آمر غُلامي بدَوْسِ بطنك. فقال: الذي تخلفه على عيالك إذا ركبتَ، أو الذي تحمِله على ظهركَ إذا نزلت؟.

وقال يومًا لقَيْنةٍ: كم تَعُدِّين؟ قالت: ثلاثين سنة. قال: أنتِ ابنةُ ثلاثينَ سنةً مُنذ ثلاثينَ سنة.

وقيل له: إلى مَن تختلفُ اليومَ؟ قال: إلى من يُخْتَلَفُ عليه.

وأكل عنده سائلٌ فأكثر؛ فقال: يا هذَا أطعمناكَ رحمةً فصَيَّرتَنَا رحمَةً.

وقال له بعض مَن ناظره: أبلعني ريقي؛ فقال: قد أبلَعْتَكَ دجلةَ والفُرَات.

وقيل له: ما تقولُ في ابني وهب؟ قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: الآية ١٢] سليمانُ أفضل. قيل: وكيفَ؟ قال: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المُلك: الآية ٢٢].

وقيل له: ما تقول في محمد بن مكرَّم والعباس بن رُستم؟ قال: هما الخَمرُ والْميسرُ وإِثْمُهُمَا أكْبَرُ من نَفْعهمَا.

وقال يومًا لرجل دخل منَ النصرانية في الإسلام: أتشربُ الخمر؟ قال: بلَى. قال: لقد أصبتَ عين الرأي، إذ دخلتَ في عِزَّةِ هذه الدعوة، وثَبتَّ على شرائط تلْكَ النِّحلَة.

ولما استُوزرَ صاعد بعقب دخوله من النصرانية في الإسلام صار أبو العيناء إلى بابه، فقيلَ: يُصلِّي. فعادَ فقيل: يصلِّي. فقال: معذورٌ لكلِّ جديدٍ لذَّة.

وقال يومًا لرجل سلَّمَ عليه: من أنتَ؟. قال: رجلٌ من ولدِ آدم. قال: ادنُ مني عانِقْني، فما ظننتُ أنه بقِيَ من هذا النَّسلِ أحَد.

وقال له أحمدُ بن سعيدٍ الباهليّ: إني أصبتُ لباهلَة فضيلةً لا تُوجَد في سائر العرب. قال: وما هي؟ قال: لا يُصابُ فيهم دَعِيٌّ. فقال: لأنه ليس فوقَهُم من يقْبلُهم، ولا دُونهم أحدٌ فينزلُون إليه.

وحضره يومًا ابنُ مكرَّم فأخذَ يُؤذيه؛ فقال له ابن مكرَّم: الساعةَ والله أنصرفُ. فقال: ما رأيتُ من يتهدَّدُ بالعافية غيرَك.

وقال له يومًا ما يعرِّض به: كم عَددُ المكْدينَ بالبصرة؟ قال: مثل عدد البغَّائين ببغداد.

وقدم ابن مكرَّم من سفر، فقال له أبو العيناء: ما أهديت لي؟. قال: قدمتُ في خُفٍّ. قال: لو قدمتَ في خفٍّ لخلَّفْتَ نفسكَ.

وقال له ابن مكرَّم: مذهبي الجمعُ بين الصَّلاتَين. قال: صدقتَ، ولكن تجمعُ بينهما بالتَّرك.

وقال له ابنُ بذْرٍ يومًا وهو على بابه: أهذا المنزل؟ قال: نعم، فإن أردتَ أنْ ترى سوءَ أثرِكَ فانزِل.

قال له أبو الجمَّاز: كيف ترى غنائِي؟ قال: كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٩].

ولقي أبا الحمار يومًا على حمار صغير؛ فقال: لقد ساءني حين اضطركَ الدهرُ إلى ركوبِ أصغرِ أولادك.

وقال له يومًا: هل تذكر سالفَ معاشرتِنا؟ قال: إذْ تُغَنِّينَا ونحن نستعفيك.

وقال لعليِّ بن الجَهْم: إنما تُبغِضُ عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان يقتل الفاعل والمفعولَ، وأنتَ أحدُهما. قال له: يا مخنَّث. فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: الآية ٧٨].

وقيل لهُ: إنَّ ابنَ نوح النَّصرانيَّ عاتِبٌ عليكَ؛ فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٢٠].

وقال له بعضُهم: إني لا أرتضِي نيَّتَك. فقال: أجل؛ لأني أعتقد الإسلام.

وقال له عُبيد الله بن يحيىٰ بن سليمانَ: اعذرني، فإني مشغولٌ. فقال: إذا فرغتَ لم أحْتَجْ إليكَ.

وسُلِّم نجاح بن سلَمة إلى موسى بن عبد الملك ليستَأديه مالاً، فتلفَ في المطالبة؛ فلقي بعضُ الرؤساء أبا العيناء، وقال له: ما عندك من خبر

نجاح؟ قال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: الآية ١٥]؛ فبلغت كلمتهُ موسى بن عبد الملك؛ فلقيه فقال: أبِي تُولع؟ والله لأُقوِّمنَّك. فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القَصَص: الآية ١٩].

وقال يومًا لابن مكرَّم: ألستُ عَفيفًا؟ قال: بلى، ولكنَّكَ عفيفُ الفرج زَاني الحُرم. فقال: إنما ذاك منْذُ تَزَوجتُ بأُمك. وغداه ابن مكرَّم؛ فقدم إليه عُراقًا، فلما جسَّه قال: قِدْرُكم هذه طبخت بالشِّطرنج.

وقَدَّم إليه يومًا قِدرًا فوجدها كثيرةَ العظام؛ فقال: هذه قدرٌ أم قبر؟.

وأخبر أنَّ ابنه أعتق عبده؛ فقال: إنْ جاز له هذا فليطلق على أمه الزانية.

وقال له رجلٌ من بني هاشم: بلغني أنك بَغَّاء. قال: ولم أنكرتَ ذَاكَ مع قولِ رسولِ الله ﷺ: «مَوْلَى القومِ منهُم»؟. قال: إنك دعيٌّ فينا. قال: بغائِي صحَّح نَسبِي فيكُم.

وسأل الجاحظ كتابًا إلى محمد بن عبد الملك في شفاعة لصاحبٍ له؛ فكتب الكتابَ، وناوَلَهُ الرجلَ، فعاد به إلى أبي العيناء، وقال: قد أسْعفَ. قال: فهل قرأته؟ قال: لا؛ لأنه مختوم. قال: ويحك، فَضُّ طينةٍ أولى من حَمل ظِنَّةٍ، لا يكون صحيفة المتَلَمِّس؛ فَفَضَّ الكتاب؛ فإذا فيه: مُوصِل كتابي سألَني فيه أبو العيناء، وقد عرفْتَ سفَهَهُ وبذاء لسانه، وما أراهُ لمعروفكَ أهلاً، فإن أحسنْتَ إليه فلا تحسُبْهُ عليَّ يدًا، وإن لم تُحسِنْ لم أعتَدهُ عليك ذنبًا والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظِ. وقال له: قد قرأتُ الكتابَ يا أبا عثمان، فخجل الجاحظُ، وقال: يا أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به. قال: فإذا بلغك أنَّ صاحبي قد شتمك فاعلم أنه علامتهُ فيمن شكر معروفه.

وأكل عند ابن مكرَّم، فسُقِيَ على المائدة ثلاثَ شرباتٍ باردة، ثم استسقى فسقى شَربةً حارة؛ فقال: لعل مُزَمَّلتكم تعتريها حُمى الرِّبْع.

وممّن انتصف من أبي العيناء محمد بن مكرم، فإنه صادفَه ساجدًا وهو يقولُ: يا ربِّ سائلُك ببابك. فقال: تمتَنَّ على الله بِأنك سائِلُه وأنْتَ سائل كلِّ باب!!.

وسمع محمد بن مكرم رجلاً يقولُ: منْ ذهب بصرُه قلَّت حيلتُه. فقال له: ما أغفلَك عن أبي العيناء!.

ووُلد لأبي العيناء ابنٌ؛ فأَهدى إليه حجرًا. يريد قول النبيّ ﷺ: «وَلِلعاهِرِ الحجْرُ».

ومنهم العباس بن رستم؛ فإنه قال يومًا لأبي العيناء: أنا أكْفَرُ منك. فقال: ولِمَ؟ قال: لأنك تكفُر ومعك خفيرٌ مثلُ عبيدِ الله بن يحيىٰ وابن أبي دواد، وأنا أكفر بلا خفارة.

صحب رجُلٌ مفلسٌ جماعةً فقسموا له قسمة، فاشتَرى دابَّةً وكُسوةً، فكان إذا حلفَ يقولُ: وإلاَّ فدابَّتي حبيسٌ وثيابي صدَقة. ثم قسموا له قسمة أخرى؛ فاشترى دارًا وخادمًا، فكان إذا حلف يقول: وإلاَّ فدابتي حبيسٌ وثيابي صدقةٌ وغلامي حرٌّ، وداري مقْبرةٌ. فقال أبو العيناء: طالت أيمانه ابن الزانية.

كان لمحمد بن مكرَّم غلامٌ يتعَشَّقه، وكان يُرمَى به؛ فدخل أبو العيناء يومًا إليه؟، فقال له: يا أبا العيناء، أما ترى غلامي سديفًا[1] مع إكرامي له، وفعلي به ومحبتي له، وكثرة ما أصِلُه به من الأموال، وينتفعُ بجاهي، ولا يشكر لي ذلك، ولا تظهر عليه النعمة، ولا يُرى عنده دينارٌ ولا درهم!. قال أبو العيناء: نعم يا سيدي كَسبُ الكنَّاسين لا يكون له بركة.

وقال له أبو علي البصير يومًا: ويلك إن لم تغْضَب لي بالصناعة فاغضب لي وتعصَّب بالْعمَى!؛ فقال أبو العيناء: كذبتَ يا عاضَّ بَظْر أمه. أنا من عُميان الحمير، وأنت من عُميان العصا.

---

(١) السديف: المغتم والمهتم.

وقال الكافي له: كيف أكتب «اللؤم»، بلام أو لامين؟ فقال: صوِّر نفسك.

ودخل إلى المتوكِّل، فقُدِّم إليه طعام؛ فغمَس أبو العيناء لقمته في خَلٍّ كان حامضًا، فأكلها وتأذَّى بالحموضة، وفطن المتوكل فجعل يضْحك فقال: لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد مَحتِ الإيمان من قَلْبي.

وقال له السِّنْدِيّ: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال: انظر في المرآة.

قال أبو العيناء: رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلَّها ركعتين ركعتين؛ فقلتُ: يا محمد، ما هذا الذي أراك تفعله؟ قال: عزمتُ وحياتك على الخروج إلى قُم إلى عند أبي.

قيل لأبي العيناء: لم اتخذتَ خادمين أسودين؟ فقال: أما أسودان فلئلا أُتَّهَم بهما، وأما خادمَان فلئَلاَّ يُتَّهَمَا بي.

ونظر إلى رجل قبيح الوجه؛ فقال: كأنما خُلق هذا الرجلُ ليعلمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم.

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمال السلطانية؛ فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ، فالتفت أبو العيناء إلى مَن كان معه فقال: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المَائدة: الآية ٤٢].

وقيل: ابنُ كم أنت؟ فقال: قبضة، يعني: ثلاثًا وتسعين.

وقيل له: كيف حمْدُك لفلان؟ فقال أحمده للُؤْم الزمان، فأمَّا عن حسن اختيار فلا.

وقال أبو العيناء: قلتُ لغلام ابن مكرَّم ـ ومعه دراهم ـ: من أين لك هذه الدراهم؟ فقال: ألِيَ تقول هذا ودارُ الضَّرب في سراويلي؟.

قال ابن مكرم لأبي العيناء: أحسَبُك لا تَصُوم شهر رمضان!. فقال: ويحَك!. وتدعُني امرأتُك أنْ أصوم.

قال أبو العيناء: مررتُ يومًا في دربٍ بسُرَّ من رأى. فقال لي غلامٌ: يا مولاي؛ في الدرب حَمَلٌ سمين، والدربُ خالٍ، فأمرتُهُ أن يأْخذه، وغطيتُه بطيلساني، وصِرْتُ به إلى منزلي؛ فلما كان الغدُ جاءتني رقْعَةٌ من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها: جُعلْت فداك، ضاع لنا بالأمس في الدرب حَمَل؛ فأخبرني صبيانُ دَربنا أنك أنْتَ سرقته؛ فتأْمر بردِّه متفضِّلاً.

قال أبو العيناء: فكتبتُ إليه: يا سبحان الله ما أعجب هذا الأمر مشايخ دربنا يزعمونَ أنك بغَّاءٌ وأُكذِّبهم أنا، ولا أُصدقهم، وتصدقُ أنْتَ صبيانَ دربكم أني أنَا سرقتُ الحَمَل!.

قال: فسكت وما عاودني بشيء.

قال أبو العيناء: أنا أؤاكل الناس منذُ ثلاثينَ سنة، ما آثرني إنسانٌ على نَفْسِه بباذنجانةٍ مَضيرة قط.

وأكل مرة ديكبراكة، وغَسلَ يده عدة مرات فلم تنق؛ فقال: كادت هذه القدر أن تكون نسبًا وصِهْرًا.

قال يومًا لابن ثَوابة: إذا شَهِدتْ على الناس ألسِنَتُهُم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون شَهد عليك أَنْتَنُ عُضْوٍ فيك.

قال بعضُ الهاشميين لأبي العيناء: بلغني أنَّك تخَبأُ العَصَا. قال: وهو ذا تدعونها تظهرُ حتى أخبأَها أنا!.

ودقَّ عليه إنسانٌ البابَ فقال: من هذا؟ قال: أنا. قال: هذا والدقُّ سَواء.

وقال أبو العيناء: أُدخل على المتوكل رجلٌ قد تنبأَ؛ فقال له: ما علامة نبوَّتك؟ قال: أن يدفَعَ إليَّ أحدُكم امرأتَه؛ فإني أُحبلها في الحال. فقال يا أبَا العيناء: هل لك أن تعطيَهُ بعض الأهل؟ فقلت: إنَّما يعطِيه من كفر به؛ فضحك وخلاَّه.

ولقيه رجُلٌ من إخوانه فقال له: أطال الله بقاءك، وأدام عزَّك وتأْييدك وسعادتَك، فقال أبو العيناء: هذا العنوانُ، فكتابُ من أنت؟.

وقال له يومًا عُبيد الله بن يحيىٰ الوَزير ـ في أمر شُهِدَ عليه فيه بشهادةٍ؛ فقال أبو العيناء: لو كان هذَا في غير دولتِك لتمنيتُ له دولتكَ. فقال: إن الشهود عليك كثيرٌ. قال: أكثرُ منهم الذينَ شهدُوا عليك بإغلاء السِّعر والزيادة فيه؛ فإن صدَّقْتَهُم عليَّ فصدِّقْهُم عليك.

وقال له يومًا: أعزَّ الله الوزير نحنُ في عُطْلَتِكَ مرحومون، وفي وزارتِكَ محرومُون. ويوم القيامة كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ.

ولما تَقَطَّر بعُبيدِ الله فَرَسُه قال أبو العيناء: قتل الجوادُ الجوادَ[1].

واستَجفَى بعضُ الرؤساء أبا العيناء؛ فقال له: أنا والله على بابِك أوجدُ من الكذبِ على أبوابِ بني خاقان.

وصار يومًا إلى باب عُبيد الله فقال له سعدٌ حاجِبُه: هو مشغول يا أبا عبد الله فقال: ففي شغله أُريدُ لقاءه. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال له: رزقكم الله العوْدَ إلى البيت الحرام وانصرف. فقال سعد: دعا علينَا لعنَهُ اللهُ، والله إن كنَّا بمكةَ إلاَّ حيثُ نفينا.

قال أبو العيناء، هنأْت عُبيد الله بن يحيىٰ يومًا بالعيد، ودعوتُ له دعاءً طويلاً؛ فقال لي الحسن بن مخلد: حسبُك يا أبا عبد الله فقلت: يا أبا الحسن، أعزَّك الله إن أبا محمد يَسْتَثْقل الدعاء لأنه لا يثقُ بالمدعوّ.

وقال له عُبيد الله ما دعاك إلى الوقيعة في موسى بن عبد الملك بحضرةِ أمير المؤمنين؟ فقال: إني والله ما استعذَبتُ الوقيعةَ فيه حتى ذممت لك سريرتَهُ.

ودخل عليه يومًا وعنده نجاح بن سلمة، وأحمد بن إسرائيل وهما

(١) الجواد الأولى: هو الفرس، والثانية: الكريم.

يُسارَّانِهِ؛ فقال: يا أبا الحسن: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: الآية ١٤]؛ فقال نجاحُ: كذبتَ يا عدوَّ الله فقال: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٧].

ودخل إلى نجاح بن سلمة؛ فقال: لا تُدَنِّس حصيرَ صلاتِي قبحكَ الله فقال أبو العيناء له: لا. ولكن مُتَمرَّغُ فِسقك.

وسقط نجاحٌ عن دابَّته؛ فوثبت إليهِ إبراهيمُ بن عتابٍ، فأخذَهُ من الأرضِ؛ فقال أبو العيناء: يا أبا الفضل، لَمِيتَةٌ مُجهِزة أصلَحُ من عافيةٍ على يدِ ابن عتَّاب.

وقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ والله من المُمْلِقينَ الذين لا يَطْمَعُ فيهم نَجاحُ بن سَلمة.

وقال يومًا لابن ثَوابة: يحتاجُ عقلُكَ إلى صمتٍ يستُرهُ، ونطقُك إلى عَقْلٍ يسدِّدُه.

وقال له ابن مكرَّم: كان ابنُ الكلبي صاحبُ البريد يحبُّ أن يَشُمَّ الخَرَاءَ فقال: لو رآك لترشَّفَك.

وقال ابن مكرَّم يومًا: ما في الدنيا أعقَلُ من القَحبة؛ لأنها تُطعَم أطايبَ الطعام، وتُسقَى ألذَّ الشراب وتأْخذُ دراهم وتتلذَّذ. فقال له أبو العيناء: فكيفَ عقلُ والدتك؟ قال: أحمق من دُغَة(١) يا عاضَّ كذا.

وعرضت له حاجةٌ إلى بُغَا، فلقيه، فقال: أَلْقَ الفتح بن خاقان فلقِيه فوعده، ثم لقيه فَوعده؛ فلما كان في المرة الثالثةِ ألقَاه على سبيل ضجرٍ فقال: أما علمتَ أنَّ منْ طالَب السلطانَ احتاجَ إلى ثلاث خلال؟ فقال: وما هُنَّ؟ أعز الله الأمير. قال: عقلٌ وصبرٌ ومالٌ. فقال أبو العيناء: لو كان لي

(١) انظر مجمع الأمثال ٢/ ١٩٣.

عقلٌ لعقلتُ عن الله أمرَه ونَهْيَه، ولو كان لي صبرٌ لصبرتُ منتظرًا لرزقي أنْ يأتيني، ولو كان لي مالٌ لاستغنيتُ به عن تأْمِيل الأمير، والوقوفِ ببابه.

وسأل أحمد بن صالح حاجةً فوعده، ثم اقتضاهُ إياها فقال: حالَ دونها هذا المطرُ والوحلُ؛ فقال أبو العيناء: فحاجتي إذًا صَيْفِيّة.

ودخل على عبد الرحمٰن بن خاقان ـ وكان شاتيًا ـ فقال له عبد الرحمٰن: كيف ترى هذا البردَ يا أبا عبد الله فقال: تأْبَى نُعماكَ أنْ أجدَه.

وكان بحَضْرَة عبيدِ الله بن سليمان؛ فأقبل الطائي فعَرَفَ مجيئه، فقال: هذا رجُلٌ إذا رضِيَ عِشْنا في نوافِل فَضْله، وإذا غضب تقوَّتْنا بقايَا برِّه.

وسأل إبراهيم بن ميمون حاجةً فدفعَهُ عنها، واعتذَر إليه وأعلمه أنه قد صَدقَهُ؛ فقال له: قد والله سرَّنِي صِدقُك؛ لِعَوَزِ الصدقِ عنْك، فَمن صِدقهُ حرمانٌ فكيفَ يكونُ كذبُه؟.

وقال لبعضهم: أعطيتَنِي برَّك تفاريق، وعقوقَكَ جُملة!.

وقال: رأيتُ حمَّالاً قد حمل على رأسِه شيئًا بنصفِ درهم؛ فلما أراد الرجوع اكترَى إلى ذلك الموضع حِمَارًا بأربعةِ دوَانيق.

وقال له رجلٌ: كان أبوكَ أكمل منك؛ فقال: إنَّ أبِي كنتُ أنَا به، ولم يكُ بِي، فهو أولَى بالكمال مني.

وقال في رجُلَين فسد ما بينهما: تَنَازَعا ثوبَ العقوقِ، متى صدعاه صدعَ الزجاجة ما لها من جابر.

قال: قال لي المتوكل: امضِ إلى موسى بن عبد الملك. واعتذر، ولا تعرِّفه أنّي وجَّهتُك. فقلت له: تستكتمُني بحضْرة ألفٍ؟ قال: إنما عليك أن تنفِّذَ كمَا تُؤمر به. قلت: وعليَّ أن أحترسَ مِمَّا أخافُ منه.

وقال له المتوكل: أكانَ أبوكَ مثلَك في البيان؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لو رأيتَه لرأيتَ عبدًا لك لا ترضاني عبدًا له.

ووعده أبو الصقر شيئًا وقال له: غَدًا؛ فقال أبو العيناء: إن الدهر كله غد، فهل عندكَ موعد مخلّى من المَعَاريضِ؟. قال له رجلٌ قد حضر: قد استعمل المعاريضَ قومٌ صالحون: حدَّثَنا فلانٌ عن فلانٍ...، فقال أبو العيناء: من هذا المتحدثُ في حِرْمانِنا بالأسانيد؟.

ودَاس رجلٌ نبْتًا له وقال: باسم الله فقال: لم ترضَ بذبحها حتى تَذْكِيَتها.

وداس آخر يده، وقال: باسم الله فقال: البقرةُ تُذْبح ويقول ذابحُها: باسم الله.

وشكا إليه رجلٌ ابنَه؛ فقال أبو العيناء: لقد دخلَ في العَدد وخرج من العُدد.

ولقيَه بعضُ الكتاب في السَّحَر؛ فقال له متعجِّبًا منه ومن بُكوره: يا أبا عبد الله أتبكرُ في مثلِ هذا الوقت؟ فقال: أتشاركني في الفعْل، وتفردني في المتعجَّب؟.

ودخل على محمد بن عبد الملك، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافِه؛ فقال: إن من حقِّ نعمهِ أن تجعَل البسْطَةَ لأهل الحاجةِ إليك، فإنَّ من أُوحِش انقبَضَ عن المسألة، وبكثرةِ المسألة مع النُّجح يدومُ السرور. فقال له محمد: أمَا إني أعرِفكَ فُضُوليًا كثير الكلام وأمر به إلى الحبس؛ فكتب إليه:

قد علمتَ أنَّ الحبسَ لم يكن من جُرم تقدَّمَ إليك، ولكن أحبَبْتَ أن تُريني مقدارَ قُدرتك عليَّ؛ لأنَّ كلَّ جديدٍ يُستلَذّ، ولا بأْسَ أن تُرينَا من عفوكَ حسبَ ما أريتنَا من قدرتِك.

فأمر بإطلاقه، ثم لقيهُ بعد أيام، فقال: يا أبا العيناء، ما تزورُنا حسبَ نيتِنَا فيك؟. فقال: أمَّا نيتُك فمتأكِّدَة، ولكن أرى أن الذي جدَّد الاستبطاء فراغُ حبْسِكَ، فأحببتَ أن تشغَله بي.

واعترضه يومًا أحمد بن سعيد، فسلَّم عليهِ؛ فقال أبو العيناء: من أنتَ؟

قال: أحمدُ بن سعيد؛ فقال: إني بك لَعارف، ولكن عهدي بصوتِك يرتفعُ إليَّ من أسفل، فما له ينحدر عليَّ من عُلُو؟ قال: لأني راكب. قال: لا إلٰه إلا الله لعهدِي بك وأنت في طِمْرِيْن لو أقسمتَ على الله في رغيفٍ لأعضّك بما تكرَه.

وقال يومًا لعبيد الله بن سليمان: إلى كم يرفعُني الوزير، ولا يرفع بي رأسًا؟.

وقال له يومًا: كيف حالُك؟ فقال: أنتَ الحال، فإذا صلحْتَ صَلُحتُ.

وقربه يومًا؛ فقال: تقريبُ الوليِّ وحرمانُ العدو.

وقيل له: أتشربُ النبيذ؟ فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٠].

وقال يومًا لعُبيد الله بن يحيىٰ: أيها الوزير، قد برَّح بي حُجَّابُك؛ فقال له: ارفق. فقال: لو رفق بي فِعْلُك رَفق بِك قولي.

وقال يومًا لعيسى بن فرخانْشَاه، وقد بالغ أحمد بن المدبر: أتبالغه، وشَطْرُ اسمك عنِيٌّ، وما بقي فَثُلُثَا مُسِيّ؟.

وقيل له: لا تعجل، فإنَّ العَجلةَ من الشَّيطان؛ فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: الآية ٨٤].

قال ابنُ وَثَّاب لأبي العيناء يومًا: أنا والله أُحبُّك بكلِّيتي. فقال أبو العيناء: إلا عضوٌ واحدٌ مِنْكَ أيَّدَكَ الله فبلغ ذلك ابنُ أبي دُؤاد، فقال: قد وفِّق في التحديد عليه.

وقال: أنا أوَّلُ من أظهرَ العُقُوقَ بالبَصرة. قال لي أبي: يا بني؛ إن الله قَرَن طاعتَه بطاعتي؛ فقال: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمَان: الآية ١٤]. فقلت: يا أبَتِ إنَّ الله ائتمنني عليك، ولم يأتَمِنْك عليَّ؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسرَاء: الآية ٣١].

وقبَّل يد سليمانَ بن وهب؛ فقال: أنا أرفعُك عن هذا. فقال أبو العيناء: أترفعُني عمَّا يرتفع الناسُ إليه؟.

وقيل له: ما تقولُ في مالك بن طَوق؟ فقال: لو كان في زمانِ بني إسرائيل، ثم نزلت آيةُ البَقرةِ ما ذَبحوا غَيره.

وقال لبعض الكتَّاب: والله ما هو إلا أن يُزيلك القَدَر عن القُدْرة حتى تحصلَ على المذَمَّة والحسرة.

وقال: فُلِج بعضُ المجَّان، فرأيتُه وهو يأكل سَمكًا ولبنًا، فعاتبتُه على ذلك؛ فقال: آمنُ ما يكونُ الطريقُ إذا قُطع.

وقال: ما لقَى إبليسُ مِنَ المُبَلِّغِين! كلَّما نَسُوا لعنُوه.

ودخل على المتوكل وهو يبني الجعفَرِيّ؛ فقال له: يا أبا العيناء؛ كيف ترى دارَنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الناسُ يبنون الدورَ في الدنيا، وأنت تبني الدنيا في دارِك.

وسأله المتوكل عن ميمون بن إبراهيم صاحب البريد؛ فقال: يد تسرق، واستٌ تضرط، مثلُه مثل يهوديٍّ سرق نصف جِزْيته، فله إقدامٌ بما أدَّى، وإحجامٌ بما أبقى، إساءتُه عمدٌ، وإحسانُه تكلّف.

وتكلم ابنُ ثوابة يومًا فتقعَّر ثم لحن؛ فقال له أبو العيناء: تقعَّرت حتى خفتُك، ثم تكشفت حتى عِفتُك.

وقال له أبو الصَّقْر: ما أخَّرَك عنا؟ قال: سُرقَ حماري، وكرهتُ منَّة العواري، وذِلَّة المُكاري.

قال يومًا لجارية مغنية: أنا أشتهي أن أنيكك، قالت: ذاك يوم عماك. قال: يا ستِّي؛ فالساعة بالنقد فقد سبق الشَّرطُ ـ يعني: العمى.

قال: قلتُ لغلامي وقد رأيتُ في السوق مشجبًا: اشتَرِ لنا هذا المشجب. فقال: يا سيدي فما تلبسُ إذا ألقيتَ ثيابك على المشْجب؟.

بات أبو العيناء عند ابن مكرم، فجعل ابن مكرم يَفْسُو عليه، فقام أبو العيناء وصعد السرير، فارتفع إليه فُساؤه، فصعد السطح فبلغَتْهُ رائحته، فقال: يا ابن الفاعلة، ما فساؤك إلا دعوةُ مظلوم.

وذكر أبو العيناء للعباسِ بن رستم. فقال: ليس تهضمُه معدتِي، وتَأدَّى[1] ذلك إلى أبي العيناء؛ فقال: قُلْ له: إن كان من تُحِبُّ يجبُ أن تهضمَه معدتُك فيجب أن تكونَ قد سلحت أباك وأُمك منذ ثلاثين سنةً.

وكان أبو العيناء في مجلس، وإلى جنبه مُغَنٍّ باردٌ، فأَقبل على أبي العيناء وقال: يا سيدي كم بيننا وبين الشتاء؟ قال: هذه المِسْوَرَة. دعا أبو العيناء بعضَ أصدقائه، فقال: أتوضَّأُ وأجيئُك. فقال: أخشى ألاّ ترجعَ إِنْ ذهبتَ تتوضأ. قال: ولم؟ قال: لأنَّك كما أنْتَ وضوء.

وقال له يومًا ابن مكرم: يا أبا العيناء، كلُّ شيء لكَ من الناس حتى أولادُك.

وقال أبو العيناء في ابن مكرم: هو إذا غزا فمطيَّةُ جُندِه، وإذا قَفَل فظعينَةُ عبده.

أهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كيرينجات، وكتب عليها: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٦] فردَّها وكتبَ عليها: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [القَصَص: الآية ١٣].

وقال لرجل: ما بالُ الأحمق يُرزقُ والأديب يُحرَم؟ فقال: إنَّ هذه الدنيا لدارُ اختبارٍ، فأحبَّ الرَّازِقُ أن يعلِّمَهم أنَّ الأُمورَ ليست إليهم.

وقال أبو العيناء: غَلاَّتُ السَّواد كلها تباع بكف المودح فهلا اكتفى منْ ذلك بنَقر يسير.

قيل له: كيف تركتَ فلانًا مع قومه؟ قال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ

---

(١) تأدّى القول إليه: انتهى إليه ووصل.

ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٢٠].

وقال له أبو عليٍّ البصير: في أيِّ وقت وُلدتَ؟ قال: قبل طلوع الشمس، قال: لذلكَ خرجتَ سائلاً؛ لأنه وقتُ انتشارِ السؤالِ.

وقال أبو العيناء لرئيسٍ كان عنده وهو يخفض كلامه: كأنك قد طُفِّل بك في منزلك.

وقَدَّم إليه ابنُ مكرم جَنْبَ شواءٍ. قال: ليس هذا جنبًا، هذا شريحةُ قصب.

وذكر ولد عيسى بن موسى، فقال: كأن آنُفَهُم قبورٌ نُصِبَتْ على غير القبلة.

ودخل على إسماعيل القاضي، وجعل يردُّ عليه إذا غلط، اسم رجلٍ وكنيةَ آخر، فقال له بعضُ مَنْ حضر: أتردُّ على القاضي أعزَّه الله؟، كأنك أحطتَ بما لم يُحِطْ به، فقال: نعم، لم لا أَرُدُّ على القاضي؟، وقد ردَّ الهدهُدُ على سليمانَ؛ فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النَّمل: الآية ٢٢] وأنا أعلَمُ مِن الهُدهد، وسليمانُ أعلمُ مِن القاضي.

وقال رجل: ما أنْتَن إبطك! قال: نلقَاك ـ أعزك الله ـ بما يُشبهك.

وقال له رجلٌ من ولد سعيدِ بن مسلم: إنَّ أبي يبغضك. فقال: يا بني؛ إنَّ لي أُسوةً بآل محمد ﷺ.

وقال لرجل: والله ما فيكَ من العقل شيءٌ إلا مقدارَ ما تجبُ به الحجةُ عليكَ، والنَّارُ لكَ.

قال أبو العيناء: وُصِفت الحمَّامات بحضرة ابن عتابٍ، فقال: دَعُوني مِنْ هذا. ما قامت النساءُ عن حمامٍ أطيبَ من حمامِ أصحابِ الخَنَا.

قال المتوكلُ: لولا ذهاب بَصرِ أبي العيناء لأردتُ منادمتَه، وبلغه ذلك، فقال: قولُوا له: إنِّي إن أُعفيتُ من قراءة نقوش الخواتم، ورُؤية الأهلّة

صلحتُ لغير ذلك. وأُنهي ذلك إلى المتوكلِ فضحك وأمرَ بمنادمتهِ.

قال أبو العيناء: سمعتُ جارًا لي أحمقَ وهو يقول لجارٍ له: والله لهممتُ أنْ أُوَكِّلَ بكَ مَنْ يصفعُ رقبتَك، ويُخرِجُ هذه الجفون من أقصى حجرِ بخراسانَ.

ودخل إلى ابن مكرمٍ؛ فقال له: كيف أنتَ؟ قال: كما تحبُّ؛ فقال: فلم أنت مطْلَق؟.

ومن رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن

كتب إلى أبي الوليد بن أبي داود: جُعلتُ فداك، مسَّنَا وأهلنا الضرُّ، وبضاعتُنَا المودةُ والشكرُ؛ فإنْ تعطنا أكنْ كما قال الشاعر: [البسيط]

أنا الشِّهابُ الذي يحمِي ديارَكُمُ لا يَخْمُدُ الدهرَ إلاَّ ضوءُه يقِدُ

وإن لم تفعل فلسنا مِمَّنْ يلْمِزُكَ في الصَّدَقَاتِ؛ ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٨].

قال ابن مكرَّم: مَنْ زعم أن عبدَ الحميدِ أكتبُ من أبي العيناءِ إذا أحسَّ بكرمٍ أو شَرع في طمعٍ فقد وهِم.

كتب إلى عُبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمدُ، وهما مطالبان بمالٍ، يبيعيان له ما يملكان من عقار وأثاثٍ، وعبدٍ وأمَةٍ. وأُعطِي بخادمٍ أسودَ لعبيدِ الله خمسون دينارًا؛ فكتب إليه أبو العيناء.

قد علمتَ ـ أطال الله بقاءَك ـ أنَّ الكريم المنكوبَ أجدَى على الأحرار من اللئيم الموفورِ؛ لأن اللئيمَ يزيدُ مع النعمةِ لؤمًا، ولا تزيدُ محنةُ الكريم إلاَّ كرمًا، هذا مُتكلٌ على رَازقه، وهذا يسيءُ الظن بخالقه. وعبدُك إلى مِلْكِ كافورٍ فقيرٌ، وثمنُه على ما اتَّصل بِهِ يسير؛ فإن سمحتَ فتلكَ منك عادتي، وإنْ أمرتَ بأخذِ ثمنِهِ فمالُكَ منه مَادَّتي. أدام الله لنا دولتَك، واستقبل بالنعمةِ نكبتَك، وأدام عِزَّكَ وكرامتكَ.

فوهب الخادم إليه.

قال أبو العيناء: قال ملكٌ لبَنِيه: صِفُوا لي شَهواتِكم من النساء. فقال الأكبر: تُعجبُنِي القُدودُ والخُدودُ والنهودُ. وقال الأوسط: تُعجبُني الأطرافُ والأعطافُ والأردافُ. وقال الأصغر: تُعجبني الشعورُ والثغورُ والنحورُ.

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رَباح خلَّة ومودة وصداقةٌ قديمة؛ فلما نُكِبَ مع الكتّاب في أول خلافة الواثق أنشأَ أبو العيناء كلامًا حكاه عن بعضِ الأعراب؛ فلما وصلَ إلى الواثِق وقُرِىء عليه. قال: واضِعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيمَ بنَ رباح، وكان أحدُ أسبابِ الرِّضا عنه. ونسخةُ الكلام: قال:

لقيتُ أعرابيًا من أهلِ البادية، فقلتُ: ما عِندكَ من خَبر البلادِ؟ قال: قتلَ أرضًا عالِمُها. قلتُ: فما عندَكَ من خبرِ الخليفةِ؟ قال: تبحبَح في عزّةٍ فضربَ بِجرانِه، وأخذ الدِّرهم من مِصره، وأرعفَ كل قلم خيانته.

قلتُ: فما عِندكَ من خَبر ابن أبي دُؤاد؟ قال: عُضْلَةٌ لا تُطاق، وجَنْدلَةٌ لا تُرام، يُنْتَحى بالمدى لنَحرِهِ فتحور، وتُنْصبُ له الحبائلُ حتى يقول: الآنَ، ثم يَضْبِرُ[1] ضِبْرَةَ الذئب، ويتَملَّسُ تَمَلُّسَ الضَّب، والخليفةُ يحنُو عليه، والعراق يأخذُ بضَبْعَيْه.

قلتُ: فما عندك من خبر عُمر بن فَرج؟ فقال: ضُخامٌ حِضَجْر[2] وغضوبٌ هِزبرٌ، قد أهَدَفَه القومُ لبغْيهم، وانتَضَوْا له عن قِسِيِّهِمْ، وأخْرِ لهُ بمثلِ مصرعِ مَنْ يصرعُ منهم!.

قلت: فما عندكَ من خبر ابن الزياتِ؟ قال: ذاكَ رجلٌ وسِعَ الورى بِشرِّه، وبطن بالأُمور خبرهُ. فله في كل يومٍ صريعٌ لا تظهرُ فيه آثارُ مِخلبِ

---

(١) يضبر: يثب. والضبر أصله نوع من سير الفرس.

(٢) الحضجر: العظيم البطن الواسعة.

ولا نابٍ، إلا بتسديدِ الرأي.

قلت: فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح؟ قال: ذاك رجلٌ أوبقهُ كَرمُه، وإنْ يفُزْ للكرام قِدحٌ فأَحرِ بمنجاته، ومعه دُعاءٌ لا يخذُلُه، وفوقَه خليفةٌ لا يظْلِمُه.

قلت: فما عندك من خبر نجاح بن سلَمة؟ قال: لا درُّه من خافِضِ أوتادٍ، يقدُ كأنَّهُ لهبُ نارٍ، له في الفيْنَةِ بعد الفينة جِلْسة عند الخليفةِ كحُسْوةِ طائر، أو كخِلْسةِ سارق، يقومُ عنها، وقد أفادَ نِعمًا، وأوقَعَ نِقَمًا.

قلت: فما عندك من خبر الفضل بن مروان؟ قال: ذاك رجلٌ حُشِر بعدما قُبِر، فله نشرةُ الأحياء، وفيه خفوتُ الموتى.

قلت: فما عندك من خبر أبي الوزير فقال: إخالهُ كبش الزنادِقة. ألا ترى أنَّ الخليفةَ إذا أهمله خَضِم فرتَع، حتى إذا أمَر بنقْضِهِ أمطر فأمرع؟.

قلت: فما عندَكَ من خبرِ أحمدَ بن الخصيب؟ فقال: أحمدُ أكَلَ إكْلة نَهَم؛ فأخلفَ خِلْفَة بَشَم.

قلتُ: فما عندكَ من خبر المعلَّى بنِ أيوب؟ قال: ذاك رجلٌ قُدَّ مِن صَخْرة، فصبرُه صبرُها، ومَسُّهُ مسُّها.

قلتُ: فما عندك من خبر أحمد بن إسرائيل؟ قال: كتومٌ غرورٌ، وجَلْدٌ صبورٌ، له جلد نَمِر، كلَّما قَدُّوا له إهابًا أنشأ الله له إهابًا.

قلتُ: فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب؟ قال: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: الآية ٢١].

قلتُ: فما عندكَ من خبرِ سليمانَ بن وَهب؟ فقال: ذَاك رجلٌ اتَّخَذَه السلطانُ أخًا، فاتَّخَذَ نفسَهُ للسلطانِ عبْدًا.

قلتُ: فما عندكَ من خبر أخيهِ الحسن؟ فَقَال: شد ما استَنْوَقَتْ مسألتُك! ذاك حرمةٌ حُبِستْ بجريرةِ المجرمِ، ليس في القوم في خلٍّ ولا

خَمرٍ، هيْهَات[١]: [الخفيف]

كُتِبَ الحَبْسُ والخَرَاجُ عليهم وعَلَى المُحصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

قال: قلتُ: أين منزلُك فأؤُمك؟ قال: ما لي منزلٌ. إنما أستترُ في الليلِ إذا الْتَبس، وأظهر في النهار إذا تنَفّس.

وهذا كلامٌ لأبي العيناء، نسبهُ إلى جماعةً من كتاب الحضرة وغيرهم في ذم أحمدَ بن الخَصيب وزير المستعين، قال:

ذكر عند أبي العباس محمدِ بن عبدِ الله بن طاهر أحمدُ بن الخصيب؛ فقال: ما زال يَخْرِقُ ولا يرقَع، وما زِلتُ منذ ارتفَع، أتذكَّر الذي فيه وقَع.

وذَكَر بُغَا؛ فقال: أبطَرَتْهُ النعمةُ، فعاجَلَتْهُ النقمة.

وذكر جعفرُ بنُ عبد الواحدِ فقال: أحسنُ حسناتِهِ سيئةٌ، وأصغرُ سيئاتِهِ كبيرة.

وذكر هارون بن عيسى فقال: كانت دولتُه دولة المجانينِ خرجتْ من الدنيا والدين.

وذكرَ عبدُ اللهِ بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بأُتْرجَّة، فقال: بَعُد من الشرفِ فتحامَل عليه، وقرُب مِن ضلٍّ فمال إليه.

وذكر إسحـٰق بن إبراهيم المصعبي؛ فقال: ما كان أتمَّ شِرَّتَه[٢]، إن دنوتَ منه غرَّك، وإن بعدتَ منه ضَرَّك.

وذكره وصيف فقال: ترك العقلاءَ على يأسٍ من مرتَبَتِه، والجهال على رجاءٍ لدرجتِه.

---

(١) مأخوذ من البيت:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الذيولِ

والبيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٥٩.

(٢) الشِرَّة: الجهل والتعدي.

وذكرهُ موسى بن بُغا؛ فقال: لولا أنَّ القدر يُغشِي البصر ما نَهى بينَنَا ولا أمر.

وذكره صالح بن وصيف؛ فقال: تجبَّر وتكبَّر وتذمَّر ودبَّرَ فدمَّر.

وذكره سليمان بن يحيىٰ فقال: لم تتمَّ له نعمة؛ لأنه لم تكن في الخيرِ همة.

وذكره الفضل بن عباس فقال: إن لم يكن تاريخَ البلاءِ فما أعظم البلوى!.

وذكره الفضل بن مروان قال: فما أجهل مَنْ يستجهلهُ! أو لم يخبر بأمر يجهله؟.

وذكر عيسى بن فرخانشاه؛ فقال: أعقلُ منه مجنون، وأحسن منه معلوم.

وذكره إسحٰقُ بن منصورٍ؛ فقال: لو طلب العافية لوجدها، ما أدبرتْ عنه حتى أدبر عنها.

وذكره الحسن بن مخلد، فقال: لئن كان دخلَ مَدْخلاً لا يشبهُه لقد خرجَ مَخْرجًا يُشبهه.

وذكرهُ أحمدُ بن إسرائيل؛ فقال: كُنَّا إذا عصيناهُ عرضْنَا بأنفسنا، وإذا أطَعْنَاه فسد تدبيرُنا.

وذكره داودُ بن محمد الطوسي. فقال: ما أحسنَ قط إلا غلطًا، ولا أساء إلا تعمدًا.

وذكره المُعلَّى، فقال: ما أعجبَ ما نَكِب! ونعمتُه أعجبُ من نكبتِه.

وذكره ميمون بن إبراهيم، فقال: لو تأمَّل رجلٌ أفعالَه فاجتنَبها، لاستغنى عنِ الآداب أنْ يطْلبها.

وذكره ابنُ أبي الشوارب، فقال: كان يحمدُ المحسنينَ، ويجتنبُ أفعالَهم، ويذمُّ المسيئينَ، ويعملُ أعمالَهم.

وذكره خالد بن صبيح، فقال: هو كما قال فلانٌ: ملأ يساره سلحًا، وبسط يمينه سطْحًا، وقال: انظرُوا في سطحِي، وإلا لطَّختُكم بسلْحِي.

وذكره شجاعُ بن القاسم، فقال: الحزمُ ما فعلنَا، ولو لم نعاجلْه لعَاجَلَنا.

وذكره داود بن الجراح، فقال: كان لا يرضَى أحدًا ولا يرضاه أحد، فضرُّوه إذ لم يرضَوه، ولم يضرَّهم إذ لم يرضهم.

وذكره أحمدُ بن صالحٍ، فقال: كان لا يغتمُّ إلا لما فاتهُ من الشرِّ ولا يُسرُّ إلا بما فاتَه من الخير.

وذكره محمد بن نحاح، فقال: لئن كانت النعمةُ عظمتْ على قومٍ خرجتْ عنهم، لقد عظمتْ المصيبةُ على قومٍ نزلتْ فيهم.

وذكره علي بن يحيىٰ، فقال: لم يكن له أولٌ يرجع إليه، ولا آخِرٌ يُعوَّل عليه، ولا عقلٌ فيذكر عاقلٌ لديه.

وذكره علي بن الحسن الإسكاف، فقال: كان الجاهلُ يغبِطُنا بتكرمتِه، والعاقلُ يرحمُنا من سوءِ عشرتِه.

وذكره ابن محمد بن فيروزٍ، فقال: حظٌّ في السحاب، وعقلٌ في الترابِ.

وذكره محمد بن موسى بن شاكر المنجم، فقال: قبحه الله إن ذكرتَ له ذَا فضلٍ تَنَقَّصَه لما فيه من ضِدِّه، أو ذكرتَ ذَا نقص تولاَّه لما فيه من شكله.

وذكره يزيد المهلبي، فقال: كانت يدُه تمنع، ونفسُه لا تشبع، ويَرْتع ولا يُرتع.

وذكره ابنُ طالوتٍ، فقال: كان العقلُ مأسورًا في سلطانه، فلما سيَّره أطلق من لسانه.

وذكره محمد بن علي بن عصمة، فقال: ما كان أقربَ وليَّه مما يكره، وعدوَّه مما يحب!.

وذكره ابن جبل؛ فقال: ما زال ينقصُ ولا يزيد، ويتوعَّد حتى حلّ به الوعيد.

وذكره عبدُ الله بن محمدٍ؛ فقال: لو أقام لسِرْنا؛ فأما إذ سار فقد أقمنا.

وذكره ابن حمدون؛ فقال: لئن فضحتْهُ القدرة لقد جمَّلته النكبة.

وذكره ابن أبي الأصبَع، فقال: ما علمتُ خدمة الشياطين، إلا أيسر من خدمة المجانين؛ كان غضبُه علينا إذا أطعناه أشدَّ من غضبه إذا خالفناه.

وذكره إبراهيمُ بن رباح؛ فقال: كان لا يَفهم ولا يُفهِم، وينقُضُ ما يُبرم.

وذكره سعيدُ بن حميدٍ فقال: كان إذا أصاب أحجمَ، وإذا أخطأ صمَّم.

وذكره سعيد بن عبد الملك، فقال: كان يخافهُ الناصح، ولا يأْمنُه الغاشُّ، ولا يبالي أن يراه الله مُسيئًا.

وقال المتوكل يومًا لأبي العيناء: كيف شربُك النبيذ؟ قال: أعجزُ عن قليله، وأفتضحُ عند كثيرهِ. فقال: دَع هذا عنك ونادمنا. فقال: يا أمير المؤمنين إن أجهلَ الناسِ من جهلَ نفسه، ومهما جهلتُ من الأمر فلن أجهل نفسي، أنا امرؤُ محجوب، والمحجوبُ مخطوفٌ؟ إشارتُه، ملحودٌ بصرهُ، وينظرُ إلى مَن لا ينظرُ إليه؛ وكل من في مجلِسك يخدُمك، وأنا أحتاجُ أنْ أُخْدَم، وأُخرى، فلستُ آمنُ أن تنظرَ إلي بعينِ غضبان وقلبك راضٍ، أو بعينِ راضٍ وقلبك غضبان، ومتى لم أميزْ بينَ هاتين هلكت. ولم أقل هذا جهْلاً بما لي في المجلس من الفائدةِ؛ فأختار العافيةَ على التَّعرضِ للبلية.

قال أبو العيناء، قال لي المتوكل يومًا: بلغني أنك رافِضِي. فقلت:

ألدينِ أم لِدُنيا؟ فإن أكُ للدين ترفَّضْتُ فأبوك مُسْتنزلُ الغيث، وإن أكُ للدنيا ففي يَدِكَ خزائنُ الأرضِ. وكيف أكون رافِضِيًّا، وأنا مولاك، ومولدِي البَصرة، وأُستاذِي الأصمعي، وجيراني باهلة؟ فقال: إن ابن سعدانَ زعم ذلكَ. قلت: ومن ابنُ سعدان؟ والله ما يُفرِّقُ بين الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع؛ إنما ذاكَ حاملُ دِرَّة، ومعلِّم صِبية، وآخذٌ على كتاب الله أجرة. قال: لا تقل؛ فإنه مؤدِّبُ المؤيد. قال: قلت: يا أمير المؤمنين: لم يؤدبه حِسبةً، إنما أدَّبه بأُجرة، فإذا أعطيتهُ حقَّهُ فقد قضيت ذِمامه.

عزَّى أبو العيناء ابنَ الرِّضا رضي الله عنهما عن ابنِه؛ فقال له: أنتَ تجلُّ عن وصيتِنا، ونحن نقلُّ عن عِظتِك. وفي علم الله ما كفَاك، وفي ثواب الله ما عزَّاك.

وكتب إلى عُبيد الله بن سليمان: أنا وولدي وعيالي زرعٌ من زَرعك؛ إن سقيتَه رَاع وزَكَا، وإن جَفوتَه ذَبل وذَوَى. وقد مسَّني منك جَفَاءٌ بعد بِرٍّ، وإغفالٌ بعد تَعَهُّد، حتى شمَتَ عدوٌّ، وتكلم حاسد، ولعبَت بي ظنونُ رِجَال[(١)]: [الرمل]

وشـــديـــدٌ عـــادةٌ مـــنـــتـــزعـــة

وعزَّاه عن أبيه، فقال: عقِمَ والله البيان، وخرست الأقلامُ، ووهى النظام.

وكتب إلى عيسى بن فرخانشاه: أنا أحمد الله على ما تأتَّت إليه أحوالُك؛ ولئن كانت أخطأتْ فيك النعمةُ، لقد أصابتْ فيك النقمةُ، ولئن أبدتِ الأيامُ مقابِحَها بالإقبال عليك، لقد أظهرتْ محاسنَها بالانصرافِ عنك.

وكتب إلى صديق له تولى ناحية:

---

(١) صدره:

لا تـهـنـي بـعـد إكـرامـك لـي

والبيت لأبي الأسود الدؤلي في ملحق ديوانه ص ٣٥٠، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٣/ ١٩٥.

أما بعد؛ فإنِّي لا أعظُك بموعظةِ الله؛ لأنك غنيٌّ عنها، ولا أُرغِّبك في الآخرة؛ لمعرفتي بزُهدِك فيها. ولكنني أقول كما قال الشاعر(١): [الطويل]

أحارِبن عمرٍ قد ولِيتَ ولايةً فكن جُرذًا فيها تخونُ وتسرِقُ

وكاثِرْ تميمًا بالغنَى، إنَّ للغنَى لسانًا بهِ المرءُ الهيُوبةُ ينطِقُ

واعلم أنَّ الخيانةَ فِطنة، والأمانةَ خُرق، والجمع كَيسٌ، والمنعَ صرامة، وليست كلَّ يوم ولايةٌ، فاذكر أيامَ العُطلة، ولا تحقِرَنَّ صغيرًا، فمن الذَّودِ إلى الذَّودِ إبل، والولايةُ رقدةٌ، فتَنَبَّه قبل أن تُنَبَّهَ، وأخو السلطانِ أعمَى، عن قليل سوفَ يُبصر. وما هذه الوصيةُ التي أوصى بهَا يعقوبُ بنيه، ولكني رأيت الحزم أخذَ العاجِل، وتَركَ الآجل.

وكتب إلى عيسى بن فرخانشاه: أصبحتُ منك بينَ أمرين عجيبين، إن غبتَ عنا ـ ولا يُغيِّبَنَّكَ الله ـ لزمَنَا الخوف، واستخفَّ بنَا النَّاس، ولاحظُونا بالوَعِيد، وسدُّوا علينا أبوابَ المنافع؛ فإذا ظهرتَ ففقرٌ حاضر، وأمَلٌ كاذبٌ، وحِرمانٌ شامل، كنتُ أسألكَ كذا فاستكثرته، وما ظننتُك تستكثر. هذا الولي مؤمل بي إليك، فكيف لولدكَ الذي غُذِّي بنعمتك وتخرَّج في دواوينِك، فوالله ما كانَ أملٌ سِواك، ولا خطرَ من مكارهِ الدنيا شيءٌ فأخطرتك بقلبي إلاَّ هانَ وخفَّ عندِي.

وكتب إلى بعضهم: نحن أعزَّ الله الأمير إذا سألنا الناس كفَّ الأذَى سألناك بَذْلَ الندى، وإذا سألناهم العدلَ، سألناكَ الفضل، وإذا سررناهم ببسطِ العذر سررناك باستِدعاءِ البرِّ.

(١) البيت الأول لأنس بن زنيم في ديوانه ص ١١٤، ولسان العرب (سرق)، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٩٦، وله أو لأنس بن أبي أنيس في الدرر ٣/ ٥٤، ولأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص ١٧٧، والعقد الفريد ٣/ ٦٠، ولأنس بن أبي أنيس أو لابن أبي إياس الديلي، أو لأبي الأسود الدؤلي في أمالي المرتضى ١/ ٣٨٤، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/ ٤٤، وشرح الأشموني ٢/ ٤٦٩، وهمع الهوامع ١/ ١٨٣.

وكتب في فصل: قد آمن الله خائِفَك مِنْ ظُلْمك، وسائلَك من بُخْلِك، والعائذَ بك من مالِك، والمستزيدَ لك من علمِك، وإن الله لم يزل يعطيك إذا أعطيتَ، ويزيدُك إذا زدتَ.

أخبرنا الصاحبُ ـ رحمة الله عليه ـ أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل قال: أخبرنا أبو العيناء، وقال مرة أخرى أحمد بن خلف قال أبو العيناء: أتيت عبد الله بن داود الخريبي؛ فقال: ما جاء بك؟ فقلت: طلبُ الحديث، قال: اذهب فتحفَّظ القرآن، قلت: قد حفظتُ القرآن. قال: فاقرأ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٧١]. قال: فقرأتُ العشر، قال: فاذهب الآنَ وتعلم الفرائض. قال: قلت: قد تعلَّمت الجَدَّ والصُّلب والكبد، قال: فأيُّما أقربُ إليكَ: ابنُ أخيكَ أو ابنُ عمِّك؟ قال: قلت: ابنُ أخِي، قال: ولِمَ؟ قلت: لأنَّ أخِي من أبي، وعمِّي من جدِّي. قال: اذهب الآن وتعلم العربية. قلتُ: علَّمت ذاكَ قبل هذين. قال: فلِمَ؟ قال عمرُ بن الخطاب: يا لله، يا لِلمسلمين. قال: قلت فَتَحَ تلك للاستغاثة، وكسرَ هذه للاستنصار. قال: لو حدثتُ أحدًا حدثتك.

سبَّ رجلٌ من العلوية أبا العيناء، فقال له أبو العيناء: ما أحوجَ شرفك إلى مَنْ يصونُه حتى تكونَ فوقَ مَنْ أنتَ دُونَه.

وكتب إلى بَعضِهم: ثقتِي بكَ تمنعُني من استبطائِك، وعِلمِي بشغلك يدعوني إلى إذْكارك. ولستُ آمَنُ مع استحكام ثِقَتِي بطَوْلِك، والمعرفةِ بعلوِّ همّتِك احترام الأجل فإن الآجالَ آفاتُ الآمالِ، فسحَ الله في أجلِك، وبلغك منتهى أملك.

نوادر مزبد(١)(٢)

صبَّ مزبَدٌ يومًا الماءَ على نفسه، فسألَتْه امرأتُه عن ذلك؛ فقال:

---

(١) هو مزبد المديني ضُرب به المثل في الهزل، (انظر: المقابسات ص ٥٠، فوات الوفيات ٢/ ٣٠٣، التبصير ص ١٢٧٥).

(٢) نثر الدر للآبي ٢/١٥٦ ـ ١٦٦.

«جلدتُ عُمَيْرة»، ثم رآها بعد أيام تصُبُّ الماء على نفسِها فسألها فقالت: «جلدتُ عميرةَ فجلَدتْني».

أخذه بعضُ الولاة وقد اتَّهمه بالشرب، فاستنْكَهَه، فلم يجد منه رائحةً، فقال: قيِّؤه. قال: منْ يضمنُ عَشَائي أصلحك الله؟.

قيل له مرة ـ وقد أفحش في كلامه ـ: أمْلِ على كَاتِبَيْكَ خَيْرًا. قال: أكرهُ أنْ أخلِط عليهما.

وادَّعى رجل عليه شيئًا، وقدَّمه إلى القاضي، فأنكره، وسألَهُ إقامة البينة؛ فقال: ليس لي بينةٌ. قال: فأستحلِفُه لك؟ قال: وَمَا يمينُ مزبِّد أصلحك الله فقال مزبد: ابعث، أصلَحك الله إلى ابن أبي ذئب فاستحلِفُه له.

وتناولَ رجلٌ من لحيتهِ شيئًا، فسكتَ عنه، وكانَ الرجلُ قبيحَ الوجه، فقال: ويحك لم لا تدعُو لي؟ فقال: كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه. وقيل له: أيسرُّك أن هذه الجُبَّةَ لك؟ قال: نعم، وأُضربُ عشرين سوطًا. قيل: ولم تقولُ ذلك؟ قال: لأنَّهُ لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ.

وأتاه أصحابٌ له يومًا؛ فقالوا له: يا أبا إسحٰق؛ هل لك في الخروج بنا إلى العَقِيق، وإلى قُباء، وإلى أُحد ناحيةَ قبور الشهداء؛ فإن يومَنَا كما ترى يوم طيِّب. قال: اليومُ يوم الأربعاء ولستُ أبرحُ من منزلي. قالوا: وما تكرهُ؟ يوم الأربعاءِ فيهِ وُلِدَ يونسُ بن متى عليه السلام. قال: بأبي وأمي أنتم فقدِ التَقَمهُ الحوتُ. قالوا: فهو اليوم الذي نُصِرَ فيه النبيُّ عليه السلام يومَ الأحزاب. قال: أجل، ولكنْ بعدَ إذْ زَاغتِ الأبصارُ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرُ، وظنُّوا بالله الظنونَ.

أردف مُزَبِّد رجلاً على بغلةٍ، فلما استوى الرجل قال: اللهم أنْزِلْنَا مُنْزِلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيرُ المُنْزِلِينَ؛ فقال مزبِّدُ: اللهم قَنِّعهُ حربةً، يسألُ ربَّه منزلاً مباركًا وهو بين استي واست البَغْلَة.

استأْذن مُزَبد على بعض البخلاء وقد أُهدِي له تين في أولِ أوَانه، فلما أحسَّ بدخوله تناول الطبق، فوضعه تحت السرير، وبقيتْ يدُه معلَّقة، ثم قال لمزبِّد: ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال: يا سيدي؛ مررت السَّاعة ببابِ فلان، فسمعتُ جاريته تقرأُ لحنًا ما سمعتُ قطُّ أحسنَ منه، فَلِمَا علمتُ من شدة محبتِك للقرآن، وسماعك للألحان، حفِظتُه، وجئتُ لأقرأه عليك.

قال: فهاته، فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التِّين: الآيتان ١، ٢].

فقال: ويلك! أين التِّينُ؟ قال: تحتَ السرير!!

هبَّتْ ريحٌ شديدة، فصاح الناسُ: القيامةَ، القيامةَ. فقال مزبِّد: هذه قيامةٌ على الرِّيق بلا دابَّةِ الأرض والدجَّال ولا القائم.

ونظر يومًا إلى مغربيٍّ أسودَ وهو ينيك غلامًا رُوميًا، فقال: كأن أيره في استه كُرَاع عَنْز في صَحن أرز. مرض مرة، فعاده رجل وقال له: احتَمِ. فقال: يا هذا؛ أنا ما أقدر على شيءٍ إلا على الأماني أن أحتمِيَ منهَا.

ورأى مزبِّدًا رجلٌ بالرَّها، وعليه جبَّة خزٍّ، وكان قد خرج إليها فحسُنت حالهُ، وقال: يا مزبد؛ هَبْ لي هذه الجُبَّة. فقال: ما أملكُ غيرها، فقال الرجل: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: الآية ٩] فقال: وَالله أرحم بعباده أن يُنَزِّل هذه الآيَةَ بالرَّها، في كانونَ وكانون، وإنما نزلتْ بالحجاز في حزيرانَ وتمُّوز.

قيل له ـ وقد اشترى حمارًا ـ: ما في هذا الحمار عَيبٌ إلا أنهُ ناقصُ النفَسِ بليدٌ يحتاج إلى عَصًا. قال: إنما كنتُ أغتَمُّ لو كانَ يَحْتاجُ إلى بَزْمَاوَرد[1]. فأما العصا فإنها سَهل.

---

(١) البزماورد: طعام من بيض ولحم، فارسي معرب.

احتاج مزَبِّدٌ أن يبيع جُبته لسوء حاله، فنادى عليها المنادي، فلم يطلب بشيءٍ؛ فقال: مزبِّد: ما كنتُ أعلمُ أني كنت عُريانًا إلى الساعة.

وقع بينه وبين رجل كلامٌ! فقال له الرجلُ: تكلمُني وقد نِـ. . .ـتُ أمك فرجَع مزبِّد إلى أمه، فقال لها: يا أُمَّه، تعرفين بلبل؟ قالت: أبو علية؟ قال: نا. . .ـكِ يشهدُ الله. . . أنا أسألك عن اسمِهِ، فتجيبنَّنِي عن كُنيتِه.

قيل لمزبِّد: لم لا تكون كفُلانٍ؟ ـ يعني رجلاً موسرًا ـ فقال: بأبي أنتم، كيف أتشبَّه بمن يضرط ويُشمَّت، وأَعطِسُ فأُلْطَم.

ونظر إلى رجل كثيرِ شَعرِ الوجهِ؛ فقال له: يا هذا؛ خَنْدِقْ على وجهك لا يتحوَّل رأسًا.

وقال له رجلٍ: مَنْ شجَّك هـٰهنا؟ ـ وأشار إلى استه ـ قال: الذي شجَّ أُمَّك في موضعين.

ودخل بيته، وبين رِجلَي امرأتِهِ رجل ينـ. . .ـها وباب الدارِ مفتوح؛ فقال: سبحان الله أنتِ على هذه الحال والبابُ مفتوحٌ؟ أليس لو دخل غيري كانت الفَضِيحة.

ونظر يومًا إلى امرأته تصعد في درجة؛ فقال: أنتِ الطلاق إن صعدتِ، وأنت الطلاق إن وقفتِ، وأنت الطلاق إن نزلتِ. فرَمت بنفسها من حيث بلغتْ. فقال لها: فداك أبي وأُمي! إن مات مالكٌ احتاجَ إليك أهلُ المدينةِ في أحكامهم.

وسكر يومًا؛ فقالت امرأتهُ: أسأَل الله أن يُبغِّضَ النبيذَ إليكَ. فقال: والفتيتَ إليك.

ورُئي مع امرأةٍ يكلِّمها؛ فقيل: ما تُريدُ منها؟ قال: أُناظرُها في مسألة من النكاح.

وقيل له: ما نقولُ في القبلة؟ قال: السِّبابُ قَبل اللِّطام.

ونظروا إليه وبين يديه نبيذ أسود؛ فقالوا له: ما نبيذُك هذا؟ قال: أمَا ترون ظُلمةَ الحلال فيه؟

واشترى مرةً جاريةٍ فسُئِلَ عنها، فقال: فيها خلَّتَان من خلالِ الجنة: بردٌ وسعة.

وقال مرة: إنَّ أخي يلقى الله منذ ثلاثين سنة بصحيفتِهِ مملوءةً خمرًا، وهو لم يشرب منها جُرعة؛ فقيل له: كيف ذلك؟ قال: هو منذُ ثلاثين سنة يبكِّر كل يوم في طلب الخَمر، فلا يجدُ إليها سبيلاً لفَاقَتِه، وعَزمُه صحيح على شربها لَوْ وجدها.

قيل له: ما بالُ حمارك يتبلدُ إذا توجه نحو المنزل، وحُمُر الناس إلى منازِلها أسرع؟ قال: لأنه يعرف سوءَ المنقلَب.

دخل يومًا على قينة وهي تغنِّي[1]: [الخفيف]

عـادا قـلـبـي مـن الـطـويـلـة عـادا

وإنما هو عِيد. فقال مُزَبد: وثمود، فإن الله لم يفرق بينهما.

وقيل له: أيُولد لابن ثمانينَ؟ قال: نَعَم. إذا كان له جارٌ ابنُ ثلاثينَ.

واتَّهمه رجل بشيءٍ، فاعتذر إليه، وقال: إن كنتُ فعلتُ هذا فمسخنِي الله كلبًا أنهسُ عَرَاقيبَ الملائكةِ في الموقف.

وقالت امرأةُ مُزبِّد ـ وكانت حُبلى، ونظرتْ إلى قُبح وجههِ ـ: الويلُ لي إن كان الذي في بطنِي يُشْبهكَ؛ فقال لها: الويل لي إنْ كان الذي في بطنِكِ لا يشبهُني.

---

(١) يروى البيت بتمامه:

عـاد قـلـبي مـن الـطـويـلـه عـيدُ   واعـتـراني مـن حـبـهـا تـسـهـيـدُ

والبيت بلا نسبة في لسان العرب (عود)، (طول)، وتاج العروس (عود)، وتهذيب اللغة ٣/ ١٣٢.

لقي مُزَبِّد رجلاً، فقال له: مَنْ أنتَ؟ قال: قرشي والحمد لله؛ فقال مُزَبِّد: الحمدُ للهِ في هذا الموضِع ريبة.

سمع مزبدٌ رجلاً يقول عن ابن عباسٍ: «مَنْ نَوى حجةً وعاقه عائق كُتِبت له». فقال مُزَبد: ما خرج العامَ كلَّه كراءٌ أرخصُ من هذا.

وقيل له: ما ورثتْ أختُك عن زوجها؟ فقال: أربعةَ أشهرٍ وعشْرًا.

أسلم نصراني، وفعل في الإسلام فعلاً قبيحًا؛ فقال مُزَبد: انظروا إلى هذا الذي أسخطَ المسيحَ، ولم يُرضِ محمدًا.

دُفع مرَّةٍ إلى والي مكة، وقد أفطر في شهر رمضان؛ فقال له الوالي: يا عدوَّ الله تُفْطِر في شهر رمضان! قال: أنت أمَرتَنِي بذلك. قال: هذا شرٌّ، كيف أمرتُك؟ وَيلك. قال: حدثْت عن ابن عباسٍ: أنه من صامَ يوم عرفةَ عَدَل صومهُ سنة، وقد صُمتُه. فضحك الوالي وخَلاَّه.

واعتلَّ علةً، وأشرف منها إلى الهلاك، وأراد أنْ يُوصي، فدعا بعض أوليائِه، وأوصى إليه، وكتب كتاب وصيته، وأمر للوصيِّ بشيءٍ؛ فلما فرغ من الكتابة رآه مُزَبِّدٌ وهو يُتْرِب الكِتَاب؛ فقال وهو على تلك الحال: نعم يا سيدي، فهو أقضى للحاجة.

ونظر إلى قوم مكتَّفين يُذْهَب بهم إلى السجن؛ فقال: ما قصَّةُ هؤلاءِ؟ قالوا: خيرٌ. قال: إن كان خيرًا فاكتِفُوني معهم.

وطلب مِنْ دَارِه بعض جيرانه مِلْعقةً، فقال: ليت لنا ما نأْكله بالأصابع.

وجلس يومًا يأْكل السمَك والجبنَ وقال: ومن أين يعلَمُ السمك وهو ميتٌ أني أكلت الجبن؟ وخاصم مرة امرأتَه، وأراد أن يُطلِّقها؛ فقالت له: اذكر طُولَ الصحبة. قال: والله ما لكِ عندي ذنبٌ غيره.

وقال يومًا لامرأته: اتخذي لي قَريصًا فقد اشتهيتُه. قالت: فأين حوائجهُ؟ قال: فلا حصر البرد لفقده حتى ننظر في باقي الحوائج.

وحضر مع محبُوبٍ مجلسًا فعربدُوا عليهما، فقام محبوبٌ يقاتلهم، ويفتري عليهم؛ فقال مُزبد: اسكت يا أخي، فإنَّ القومَ سكارى، يذهبُ شتمُنا ضياعًا.

ومرت به امرأةٌ قبيحة؛ فقال: لعنها الله كأنَّ وجهَها وجهُ إنسانٍ رأى شيئًا فزع منه.

وهبَّتْ بالمدينة ريحٌ صرصر، أنكرها الناس وفزعوا؛ فجعل مزبِّدٌ يدقُّ أبواب جيرانه ويقول: لا تعجلوا بالتوبة؛ فإنما هي ـ وحياتِكم ـ زوبعة، وسوف تنكشف الساعة.

ونام مرةً بالمسجد، فدخل رجلٌ فصلّى، فلما فرغ قال: يا رب؛ أنا أُصلي وهذا نائم.

فقال مزبِّد: يا ابن أُم؛ سل ربَّك حاجتَك. ولا تُحرِّشْه علينا.

وقالت له امرأته مرةً: قد تمزَّقَ خُفي، ولا يتهيَّأ لي أن أخرج. قال لها: أيما أحبُّ إليكِ؟ أن تشتري خُفًا أو أنيـ. . ـكِ الليلة أربعة. قالت: هذا الخَلِق يتهيأ أن يُدافع به الوقت.

وكانت ليلةُ الفِطر مرةً، فعلا مزبِّد منارةَ مسجدِ رسول الله ـ ﷺ ـ ثم نادى: ألا سمع سامعٌ، إنا قد شرَّدنا رمضان، فمن آوَاه فقد برئت منه الذِّمةُ. فسمعه الوالي؛ فضربه مائةَ سوطٍ؛ فقال: ما أُبالي! ما كنتُ لأدع لذتها.

وكانت بالمدينة جاريةٌ، يقال لها: بَصْبَص، مغنِّية، يجتمع الأشراف عند مولاها لسماع غنائها، فاجتمع عندها يومًا محمد بن عيسى الجعفري، وعبد الله بن مصعب الزُبيري، في جماعة مِن أشرافِ المدينة، فتذاكروا أمرَ مُزبِّد وبُخلَه، فقالت بَصْبصُ: أنا آخذ لكم منه درهمًا. فقال لها مولاها: أنتِ حرةٌ إن لم أشتر لك مِخْنَقَةً بمائة دينار إن فعلْتِ هذا، وأشتري لك مع ذلك ثوب وشيٍ بمائة دينار، وأجعل لك مجلسًا بالعقيق أنحرُ فيه بدَنَة لم تُركب،

ولم تُقَتَّب. فقالت: جيء به، وارفع الغيرة عني. قال: أنْت حرةٌ إن منعتك منه ولو رأيتُه قد رفع رِجلَيك، ولا عاديتُه على ذلك إن حصلتِ منه الدرهمَ؛ فقال عبد الله بن مصعب: أنا لكم به زعيم.

قال عبد الله فصلَّيتُ الغداةَ في مسجد المدينة، فإذا أنا به قد أقبل؛ فقلت: أبا إسحٰق؛ أما تحبُّ أن ترى بصْبَص؟ فقال: بلى والله امرأتهُ طالق إن لم يكن الله ساخطًا علي في أمرِها فقد جفَتْني، وإلاَّ فأنَا أسأله منذ سنةٍ أنْ ألقاها فلا تُجيبني.

فقلتُ: إذا صليتَ العصر فأْتِنِي هٰهنا. فقال: امرأتُه طالق إن برِح يومَه من هٰهنا إلى العصر.

قال: فتصرفْتُ في حوائجي حتى فاتتِ العصر، فدخلتُ المسجدَ فوجدته؛ فأخذتُ بيده فأتيتُهم به، وأكل القوم، وشربوا حتى صليتُ العتَمة، ثم تساكروا وتناوَمُوا.

فأقبلتْ بَصْبص على مُزَبِّد؛ فقالت له: يا أبا إسحٰق؛ كأني ـ والله ـ في نفسك تشتهي أن أُغنيَكَ الساعة(١): [الهزج]

لقد رحلُوا الجمالَ لِيهـ ـربُوا منا فلم يَئِلُوا

قال لها: امرأتُه طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ. فغنته إياه فقالت له: أي أبا إسحٰق كأني بك تشتهي أن أقومَ من مجلسي فأجلِسَ إلى جنبكِ، فتُدخِلَ يدَكَ في جلبابي، فتقرصَ عكَنِي قرصاتٍ وأغنيك:

قالت وأبثَثْتُها وجدِي فَبُحْتُ بِهِ

فقال لها: امرأتُه طالق إن لم تكونِي تعلمينَ ما في الأرحام. وما تكسبهُ الأنفس غدًا، وبأي أرضٍ تموت. قالتْ: نعم؛ فقام فجلس إلى جنبها وأدخلَ

(١) البيت للحكم بن عبدل في تجريد الأغاني ص ٣٠٦.

يده في جلبابِها، وقرصها وغنَّتْ له.

ثم قالت: برح الخفاء. أنا أعلمُ أنك تشتهي أن تُقبِّلني شقَّ التين، وأُغنيك هزجًا: [الهزج]

أنـا أبـصـرتُ بـالـلـيـلِ غـلامًـا حـسـنَ الـدَّلِّ
كـغـصـنِ الـبـانِ قـد أصْـبَـحَ مَـسْـقِـيًّـا مـن الـطـلِّ

فقال: امرأته طالقٌ إن لم تكوني نبيةً مرسلةً فقبَّلها، وغنَّته.

ثم قالت: يا أبا إسحـٰق ما رأيتَ قط أنذلَ من هؤلاء؟ يدعونَك، ويُخْرِجُوني إليك، ولا يشترون لنا ريحانًا بدرهم، هلم دِرهمًا نشتري به ريحانًا. فوثب وصاحَ: واحرباه أي زانية! أخطأت استُك الحُفْرَة، انقطعَ والله عنك الوحيُ الذي كان يُوحي إليك، ووثب من عندها وجلس ناحية. فَعَطْعط بها القوم، وعلموا أنَّ حيلتَها لم تنفُذ عليه، وعادوا لمجلسهم، وخرج مزبِّد من عندهم فلم يعُد إليهم.

وقيل لمُزبِّد: أيسرُّكَ أن يكون عندَكَ قنينةُ شرَاب؟ فقال: يا ابن أم؛ ومن يسرُّهُ دخولُ النار بالمجانِ.

وضعت امرأتُه المنخلَ على فراشه، فجاء، فلما رآه تعلقَ بوتدِ كان في داره، فقالت امرأتُه: ما هذا؟ قال: وجدتُ المنخل في موضعِي، فصرت في موضعه.

قالت امرأةُ مزبِّدِ لجارةٍ لها: يا أُختي؛ كيف صارَ الرجلُ يتزوجُ بأربعةٍ، ويملكُ من الإماءِ ما يشاء، والمرأةُ لا تتزوجُ إلا واحدًا! ولا تستبد بمملوكٍ؟ قالت لها: يا حبيبتي؛ قومٌ الأنبياءُ منهم، والخلفاءُ منهم، والقضاةُ منهم، والشرطُ منهم، تحكَّموا فينا كما شاؤوا، وحكموا لأنفسهم بما أرادوا.

قال مُزبِّد: جاءني صديقٌ لي فقال: ألا تسألُ فلانًا التاجرَ أن يقرضني مائة درهم؟ على رهنٍ وثيقٍ، فإني بضيق، مُنقطع بي، فقلت: إنه يفعل، فما

الرهن؟ قال: اكتب لي على نفسي بالقذف، وأشهد العدول، فإنْ وفيتهُ حقَّه وقت المحل، وإلاَّ استعدى عليَّ، وأقامَ البينة بأني قذفته، حتى أُحَدَّ حدَّ القاذف. فقلتُ له: يا أخي؛ هذا رهنٌ تقلُّ رغبةُ التجار فيه.

كان لمُزبِّد غلام، وكان إذا بعثه في حاجةٍ جعل بينه وبينه علامة، أن يكون إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإن كان عاد بالنُّجح قال: حنطة، وإن لم يقض الحاجة قال: شعير. فبعثه يومًا في حاجةٍ، فلما انصرف قال: حنطةٌ أم شعير؟ قال: خرا. قال: ويلك! وكيف ذلك؟ قال: لأنهم لم يقضُوا الحاجة، وضربُوني وشتموك.

صلى مزبِّد ذات يوم في منزله، وجعل يدعو في دُبر صلاته، وسمعته امرأتُه. فقال: اللهم أصلِيني. فقالت: أما هذا يا رب فلا تشركني فيه. فقال: يا فاعلة، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: الآية ٢٢].

وسمع رجلاً يقول لآخر: إذا استقبلك الكلب في الليل فاقرأ:

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٣٣] فقال مُزبد: الوجهُ عندي أن يكون معك عصًا أو حجر، فليس كلُّ كلبٍ يحفظ القرآن.

ووقع بينه وبين امرأته خصومةٌ، فحلف: لا يجتمع رأسي ورأسُك على مخدة سنةً؛ فلما طال ذلك عليه قال: نقتنعُ باجتماع الأرجلِ إلى وقت حلولِ الأجل.

وغضب عليه بعضُ الوُلاة وأمر بحَلْق لحيته؛ فقال له الحجَّام: انفخْ فمك حتى أحلقَ. قال: يا ابنَ الفاعلة؛ أمَرَك أن تحلق لحيتي أو تُعلمني الزَّمر؟

واشتهت امرأته فالوذَجا، فقال: ما أيسر ما طلبتِ! عندنا من آلته أربعةُ أشياء، وبقي شيئان تحتالين فيهما أنت. قالت: وما الذي عندنا؟ قال:

الطِّنْجير والإسطام[١] والنار والماء. وبقي: الدهن والعَسل؛ وهُمَا عليك.

وسُئل يومًا عن عدد أولاده، فقال: عهد الله في رقبته إن لم تكن امرأته تلد أكثر مما ينيـ. . .ـها.

قال يومًا: قد عزمتُ في هذه السنةِ على الحج، وأصلحتُ أكثر ما أحتاجُ إليه، قالوا: وما الذي أصلحتَ؟ قال: تحفَّظتُ التلبية.

وقيل له: كيف حبُّك لأبي بكر وعمر؟ قال: ما ترك الطعامُ في قلبي حبًّا لأحد.

ودخل على بعض العلوية؛ فجعل يعبث به ويُؤْذيه، فتنفَّس مُزبِّد الصّعَدَاء وقال: صلوات الله على المسيح، أصحابُه منه في راحة. لم يخلف عليهم ولدًا يؤذيهم.

وجاء غَريمٌ له يومًا يطالبه بحَقٍّ له؛ فقال له: ليس لك اليومَ عندي شيء، وحشره الله كَلبًا عقورًا ينهشُ عَرَاقيبَ الناس في الموقف، ولو علقْتَه من الثُّريا بِزُغبة قثَّاءةٍ ما أعطيتُكَ اليَومَ شيئًا.

باع جاريةً على أنها طباخةٌ، ولم تُحسن شيئًا فرُدَّت، فلم يقبَلْها، وقُدِّم إلى القاضي، وطُولب بأنْ يحلف أنه ملكها وكانت تطبخ وتُحسن فاندفع وحلف بيمينٍ غليظةٍ أنه دفع إليها جرادَةً فطبختْ منها خمسةَ ألوانٍ وفصلت منها شريحتَين بالقديدِ سوى الجنب، فإنها شوَتْه. فضحكَ مَنْ حضر، وأيِس خصومُه من الوصول منه إلى شيءٍ فخلَّوه.

وقالت له امرأتُه في خصومةٍ بينهما: يا مُفْلس، يا قَرنَان[٢]. قال: إنْ صدقتِ فواحدةٌ من الله والأُخرى منك.

وقيل له: كم كانت سنُّك أيام قتل عثمان؟ فقال: كنت أولَ ما قاذفت.

---

(١) الإسطام: المسعر الذي يحرّك به النار.

(٢) القرنان: الديوث المشارك في قرينته.

جمع مزبِّد بين رجل وعشيقته في منزله، فعابثَها ساعة، ثم أراد أن يمدَّ يدَه إليها، فقالت: ليس هذا موضعَه، وسمع مزبِّدٌ قولهَا فقال: يا زانية، فأين موضعُه؟ بين الركن والمقام؟ أم بين القَبرِ والمنبر؟ والله ما بُنيَت هذه الدارُ إلا للقحابِ والقوَّادات، ولا دُفعَ ثمن خشبها إلاَّ من القمارِ، فأيُّ موضع للزنى أحقُّ منها؟.

وشكا إليه رجلُ سوءَ خُلُق امرأته؛ فقال له مزبِّد: بَخِّرْها بمثلثة. يريد: الطلاق.

وقيل له: صَومُ يوم عرفة يعدل صَومَ سنة. فصام إلى الظُّهر ثم أفطَر فقال: يكفيني صومُ نصف سنةٍ فيه شهر رمضان.

قيل لمُزبِّد وقد عضَّه كلب: إن أردتَ أن يسكن فأطْعِم الكلبَ الثريد، فقال: إذًا لا يبقَى في الدنيا كلبٌ إلاَّ جاءني وعضني.

وقيل له: إن النبيّ عليه السلام قال: «إذَا رَأيتَ شخصًا بالليل فَكُنْ بالإقْدَامِ عَلَيه أولى منْهُ عَلَيك» قال: أخاف أنْ يكون قد سَمع هذا الحديث فأقع فيما أكره.

كان مزبِّدٌ الغاضري في حبس محمد بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ حين ظهر بالمدينة؛ فلما أمسَى في الليلة التي قُتل محمدٌ في صبيحتها وجعل يقول: معنا علم الغيب. قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما في الدنيا قومٌ يعرفون آجَالَهم غيرنا، إذا أصبحنَا جاءت.

وقيل له: قد بيَّض الناسُ جميعًا في سائر الآفاق. فقال: وما ينفعُنا من ذلك؟ وهذا عيسى بن موسى بعُقوبنا، اعملوا على أن الدنيا كلها زُبدة. قال: فبهذا سمِّي مُزَبِّدًا.

كان لامرأة مزبِّد صديقٌ فضربها وشجَّها، ودخل مزبِّد فرآها على تلكَ الحال؛ فقال لها: ما لك ويْلَك؟ قالت: سقطت من الدرجةِ، فقال لها مزبد: أنت طالقٌ، إنك لو سقطت من بنات نَعش ما أصابكِ هذا كلُّه.

زُفَّت إلى مزبِّد امرأةٌ قبيحة، فجاءت إليه الماشطة، فقالت: بأي شيءٍ تُصبِّحُها؟ قال: بالطلاق.

دُفع مزبِّد إلى والي المدينة ومعه زقٌّ، فأمر بضَربه، فقال: لم تضربُني؟ قال: لأنَّ معك آلةَ الخمر. قال: وأنت ـ أعزَّك الله ـ معك آلةُ الزِّنى.

وجلس مرة على الطريق يَبُول وهو سَكْران، وعليه طيلسان خَلق، فمرَّ به رجلٌ فأخذ طيلسانَه؛ فالتفت إليه مزبِّد وقال: يا بني، صُرِف عنك السوء.

وقال مُزبِّد لرجل: كم تعلفُ حمارك؟ قال: نَخْرةً بالغداةِ، ونخرة بالعشي؛ فقال: اتَّق الله لا تخْمَر عليك.

دُفع مزبِّد في ذَنْبٍ إلى الوالي؛ فضربه خمسةً وسبعينَ سوطًا، ثم ظهر له براءةُ ساحته، فأحضره واستحلَّه، فقال مزبِّد: لا، ولكن تقاصُّني بها كلَّما أذنَبتُ ذنبًا، فكان يَسحَبُ كل مرة إذا أذنب بعشرةٍ ومثلها إلى أن نفدت وفضل عليه شيء.

وقال مزبِّدٌ يومًا: مجالسةُ العضاة[١] الحُمْرِ التي لا ورَقَ لها خيرٌ من مُجَالسة الناس اليوم. لم يبقَ إلاَّ ظُروفٌ قد عُصِرَتْ أرواحهم فأخْرِجَت، وليس في أجسادهم أرواح، أطُوفُ نهاري أجمع ما أرَى إلا ظرفًا. فقال له إنسان: قد بقيَتْ في الناس بقيةٌ. فقال مُزبد: تلك البقية مثلث البلح ثلاثة في ثفروقٍ[٢].

نوادر أبي الحارث جُمَّين[٣][٤]

قيل له: ما تقولُ في فالوذجة؟ قال: والله لو أنَّ موسى لَقِيَ فرعونَ

---

(١) العضاة: كل شجر ذي شوك.
(٢) الثفروق: قمع التمر.
(٣) أبو الحارث جميّن: من المشهورين بالمزاح والنوادر، (انظر التبصير ص ١٢٧٥، المشتبه في أسماء الرجال ص ٢٥٢)، وفي القاموس المحيط (جمن): أبو الحارث جُمَّين، كقُبَّيط، المديني ضبطه المحدثون بالنون، والصواب بالزاي المعجمة (جميز)، أنشد أبو بكر بن مقسم:

إنّ أبـا الـحـارث جـمَّـيـزا　　　قـد أُوتـي الـحـكـمـة والـمـيـزا

(٤) نثر الدر للآبي ٢/١٦٧ ـ ١٧٠.

بفالوذجةٍ لآمن، ولكنه لقيَه بعَصا.

وقيل له يومًا: ما تشتهي؟ فقال: نَشيشَ مِقْلاةٍ بين غليان قِدرٍ على رائحة شِوَاءٍ.

وكان لا يأكل الباذنجانَ، فكايده محمد بن يحيىٰ واتخذَ ألوانَه كلَّها بباذنجان؛ فجعل كلما قدم لون فرابهُ الباذنجانُ فيه توقَّاه، وأقبل على الخبز والملح؛ فلما عطش قال: يا غلامُ، اسقِني ماءً ليس فيه باذنجان.

وكتب يومًا إلى صديق له:

أُوصيكَ بتقوى الله إلاَّ أن تَرَى غير ذلك خيرًا منه.

وقيل له: سبقْتَ ببرذونك هذا قط؟ قال: بلَى، مرة، دخلنَا زقاقًا لا منفذَ له وكُنت آخر القوم؛ فلما رجعنا كنتُ أولَ الموكب.

ودخل جماعة من إخوانِهِ، فاشتهَوا عليه لونًا يطبخهُ لهم، فدنا أحدُهم من القدرِ ليذوقَها، وأخرج قطعة لحم وأكلهَا، وفعل كلُّ واحد منهم كذلك؛ فقال أحدهم: هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لا أدرِي ما هو؟ فقال أبو الحارثِ: أنا أعلمُ، هو ذا تحتاج إلى اللحم.

وحكى دِعبلٌ قال: بلغنِي أنَّ أبا الحارثِ قد فُلج، فاغتممتُ لظرفه وملاحته، فصِرتُ إليه فوجدتُه في عافية؛ فحمدتُ الله وسألتُه عن خبره؟ فقال: دخلتُ الحمَّام وأكلتُ السمك، ودعوتُ المزيِّنَ فأخذ شعري، فظَن الفالج لما رأى المزينَ عندي أني احتجَمت؛ فلما علمَ أنه أخذَ من شعرِي تركني وانصرف.

ونظر يومًا إلى بِرْذون يُسْتَقى عليه، فقال[1]: [الطويل]

---

(١) عجزه:

ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعلِ

والبيت لمنقر بن فروة المنقري في البيان والتبيين ٣/ ٢٢٨، وبلا نسبة في البيان والتبيين ٢/ ١٠٣.

وَمَا الـمـرءُ إلا حـيـثُ يَـجـعَـلُ نـفـسَـهُ

لو أن هذا همْلَجَ(١) ما كان هذا.

وأكل يومًا مع الرؤساء بيضًا مسلوقًا، فجعل يأكل الصفْرةَ، وينحِّي البياض إلى بين يدي أبي الحارث عبثًا به؛ فقال لما طال ذلك عليه ـ وتنفَّس الصعداء ـ: سقى الله روح العجَّة فما أعْدَلهَا.

ودخل إلى بعضِ أصدقائه يومًا، فقال له: ما تشتهي؟ قال: أما اليوم فماء حِصْرِم، وأما غدًا فهَرِيسة.

قال بعضهم: دخلتُ على جمَّين أعوده من مرضٍ به، فقلت له: ما تَشتهي؟ فقال: أعْيُنَ الرقباءِ، وألْسُنَ الوشاة، وأكبادَ الحُسَّاد.

مرَّ رجلٌ بِه فسلَّم عليه بسوطِه، فلم يرد عليه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: سلَّم علي بالإيماء، فرددتُ عليه بالضميرِ.

وسأله يحيىٰ بن خالد عن مائدة ابنه؛ فقال: أمَّا مائدتُه فمن نصفِ كسرةٍ، وأمَّا صِحافهُ فمنقورَةٌ من قشورِ حبِّ الخشخاش، وما بين الرغيفِ والرغيفِ مَدُّ البصر، وما بين اللونِ واللونِ فَتْرةُ ما بين نبيٍّ ونبيٍّ. قال: فمن يحضرُها؟ قال: خلقٌ كثيرٌ من الكرامِ الكاتبين. قال: فيأكل معه أحد؟ قال: نعم، الذِّبَّان. قال: سوءة له هذا، فثوبك مخرق وأنت بفنائه يطور، فلو رقعتَ قميصَك! قال: ما أقْدِر على إبرة، قال: هو يعطيك، قال: والله لو ملك بيتًا من بغداد إلى النوبةِ مملوءًا إبرًا من كل إبرةٍ خَيطٌ، ثم جاء جبريلُ وميكائيل ومعهما يعقوبُ النبيّ عليه السلام يسألونه إبرة يخيط بها يوسف قميصه الذي قُدَّ من دُبُرٍ ما أعطاهم!.

وجاء إليه رجل يسألُه شيئًا، وقال: قد قُطعَ عليَّ الطريق. قال: فعليَّ إذًا قطع الطريق.

---

(١) همْلج: أسرع في سيره.

ولَقِيَه رجلٌ ـ وقد تعلَّقَ به غلام ـ فقال: يا أبا الحارث؛ مَنْ هذا؟ قال: هذا غلام الفضل بن يحيىٰ، كنتُ عند مولَى هذا أمس، فقدَّم إلينا مائدةً عليها رغيفانِ عُمِلا من نصف خشخاشة سوى ما ذهبَ عند النَّحت، وثَريدة في سكرُجةٍ، وخَبِيصة في مِسعَط، فتنفستُ الصعداء فدخل الخوانُ وما عليه في أنفِي، فمولاهُ يطالبني بالقيمةِ. قال الرجل: استغفر الله مما تقول، فأومأ إلى غلامٍ معه وقال: غُلامِي هذا حُرٌّ إن لم يكن لَو أنَّ عصفورًا وقع على بعض قشورِ ذلك الخشخاش الذي عُمِل منه ذلكَ، لما رضي مولى هذا حتى يُؤتى بذلك العصفور مشويًا بين رغيفين والرغيفَان من عند العصفور. ثم قال: وعليَّ المَشْيُ إلى بيت الله الحرام، إذا عطشتُ بالقَرعَاء رجعتُ إلى دجلة العَوراء حتى أشرب منها ماءً، لو أنَّ مولَى هذا كلِّف في يوم قائظٍ شديدِ الحر أنْ يصعدَ على سُلَّم من زبد، حتى يلتقطَ كواكب بنات نعشٍ كوكبًا كوكبًا؛ لكان ذلك أسهل عليه من أن يشمَّ شامُّ تلك الثريدة، أو يذرق ذائقٌ تلك الخَبِيصة.

فقال الرجل: عليك لعنةُ الله وعليَّ إن سمعتُ منك شيئًا بعد هذا.

وقيل له وهو على نَبيذ: كُل من هذا الطين السيرانِيِّ فإنه نظيف؛ فقال: ومتى بلغك أنَّ في بطني وَكَفًا.

وقيل له: ما تغذَّيتَ عند فلان؟ قال: لا، ولكنني مررتُ ببابه وهو يتغذَّى. قيل: وكيف علمتَ ذلك؟ قال: رأيت غلمانَه ببابه، بأيديهم قسيُّ البنادقِ يرمون الطيرَ في الهواء.

وقال له الرشيد: لم لا تدخلُ إلى محمد بن يحيىٰ؟ فقال: أدخلُ والله يا أمير المؤمنين، وأنا أكْسَى منَ الكعبة، وأخرجُ وأنا أعرَى من الحجر الأسود. قيل لأبي الحارث: ما تقولُ في جُوذاب[1] بطٍّ في يوم صائف؟ قال: نعم، في يوم من أيام تموز في حمام حارٍّ بمِنى.

(١) الجوذاب: طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبندق.

قيل لجمَّين ـ وقد رأى سوداء قبيحة ـ: ابتلاك الله بحبِّها قال: يا بغيض، لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحُور العين، ولكن ابتلاك الله بأن تكونَ في بيتكَ وأنت تبغضها.

وقال له الرشيد: اللوزينج أطيبُ أم الفالوذج؟ قال: أحضِرْهُما يا أمير المؤمنين، فأُحضرا، فجعل يأْكلُ من هذا وهذا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كلما أردتُ أن أشهد لأحدهما غمزنِي الآخر بحاجبه.

قال بَصرِيٌ لجمين: يأْتينا المدُّ والجزرُ في كل يوم مرتين. قال: يستأْذنُ الله في هلاككم مرتين، وكأن قد.

ورأوا عليه جبَّةً قد تخرقت، فقيل له: ما هذا؟ قال: غنَّتْ بقولِ الشاعر: [المنسرح]

لـقـا فـؤادي، لـقـد بـلـى جـزعًـا   قـطَّـعـه الـبـيـنُ والـهَـوَى قِـطَـعـا

ثم قيل له بعد ذلك: كيف تُغنِّي جبتُك؟ فقال: قد كانت تُغَنِّي، وقد صارت تلطُم في مأْتم.

ودعته امرأةٌ كان يحبُّها، فجعلت تحادِثُه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فِدَاءك، لا أسمعُ للغداء ذِكْرًا. قالت له: أما تستحي! أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلني الله فداءك، لو أنَّ جميلاً وبُثينة قعدا ساعةً لا يأكلان شيئًا لَبَزَقَ كل منهما في وجه صاحبه.

نوادر الجمَّازُ[1][2]

قال الجمَّازُ لأبي شراعة: كيف تجِدُك؟ قال: أجدني وقيذًا[3] من

(١) الجمّاز: هو أبو عبد الله محمد بن عمرو الجماز، من أهل البصرة، شاعر صاحب مقطعات، كان خبيث اللسان ماجنًا، وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر، توفي سنة ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل (معجم الشعراء ص ٣٧٤).

(٢) نثر الدر للآبي ٢/ ١٧١/ ١٧٥.

(٣) الوقيذ: المريض المشرف على الموت.

دماميل قد ظهرت في أقبحِ المَوَاضع. قال: ما أرى في وَجهِك منها شيئًا.

قال بعضُ إخوان الجمَّاز ـ وقد دخل إليه وهو يطبخُ قِدرًا ـ: لا إلـٰه إلا الله ما أعجب الرزق! فقال الجماز: أعجبُ منه الحرمان. امرأتُهُ طالق إن ذُقْتَها.

وقال له السهريّ: وُلِد لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار المنقوش. فقال الجمَّاز: لاعِن أُمَّهْ.

صلَّى رجلٌ صلاةً خفيفة؛ فقال له الجمَّاز: لو رآك العجاج لسُرَّ بك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ صلاتك رجز.

وتغدَّى عند إنسان هاشمي ومرَّ الغلام بصَحْفَةٍ؛ فقطر منها شيءٌ على ثوب الجمَّاز، فقال الهاشمي: يا غلام؛ اغسل ثوبَه. فقال الجمَّاز: دعه، فمرَقتكم لا تدسم الثَّوبَ.

وسمع محبوسًا يقول: اللهم احفظني؛ فقال: قُلِ اللهمَّ ضيِّعني حتى تنفلت.

وقالت له امرأته في يوم غائم: ما يطيبُ في هذا اليوم؟ فقال: الطلاق.

أدخل يومًا غلامًا إلى منزله، فلما خرج ادَّعى أنه هو فعل بالجماز، فبلغه ذلك؛ فقال: قد حُرِّمَ اللوَاط إلاَّ بوَليٍّ وشاهدين.

ودخل مع صاحبٍ له إلى قُثَم بن جعفر؛ فتغدَّيَا عنده وتحدثا، وأراد قُثَم أن يقيل، فدعا غلامًا رُوميًا وضيئًا فقال: قف هـٰهنا، فقال الجمَّاز لصاحبه: قم بنا نعرُج. قال: إلى أين؟ قال: إلى السماء، فقد نزلت ملائكة الليل.

رأى رجلٌ من ولد عبيد الله بن زياد كأن النبيَّ وعليًا وفاطمة ـ عليهم السلام ـ في داره، فصامَ وتصدَّقَ تبركًا برؤياه، وقصَّها والجمَّازُ حاضِر؛ فقال: أتدري لم جاؤُوك؟ قال: لا. قال: جاؤُوك ليشكرُوكَ على فعل أبيك بابنهم، فانخذل الرجلُ ودَّ أنه لم يذكر من ذلك شيئًا.

وذكر يومًا رجلاً قام من عنده؛ فقال: كأنَّ قيامَه من عندنا سقوطُ جمرةٍ من الشِّتاء.

وقيل له: ما بقي من شهوتِك للنساء؟ فقال: القيادةُ عليهن.

قال الجمَّاز: رأيتُ عجوزًا تسأل وتقول: مَنْ تَصَدَّقَ علينا بكسرةٍ أطعمهُ الله من طيباتِ باب الطَّاق.

وقال: قلتُ لرجلٍ: قد زادَ سعرُ الدقيق؛ فقال: أنا لا أُبالي لأني أشتري الخبز.

قال: قلتُ لرجلٍ رَمِد العين: بأي شيءٍ تُداوي عينيك؟ فقال: بالقرآن ودعاء الوالدة. قلتُ: اجعل معهما شيئًا يُقال له: العَنْزرُوت[1].

قال: رأيتُ بالكوفة رجلاً وقف على بقَّال فأخرج إليه رغيفًا صحيحًا؛ فقال: أعطني كِسرًا، وبصَرفِهِ جزَرًا.

وقال: حُرِّمَ النبيذُ على ثلاثة عشر نفسًا: على من غنَّى الخطأ، واتَّكأ على اليمنى، وأكثر أكْلَ النُّقل، وكسر الزجاج، وسرق الريحان، وبلَّ ما بين يديه، وطلب العَشاء، وقطع البَمّ[2]، وحبس أولَّ قدح، وأكثَر الحديث، وامتخطَ في منديل الشراب، وباتَ في موضع لا يحتمل المبيت.

طالب الجمَّازُ امرأتَه بالجماع، فقالت: أنا حائض، وتحرَّكت فضرطت؛ فقال لها: قد حرمتِنَا خير حرِّكِ، فاكفينا شَرَّ استِك.

قال ابنُ عمار: تذاكرنا ضيقَ المنازل، فقال الجمَّاز: كنَّا على نبيذٍ لنا، فكان أحَدُنا إذا دخل الكنيف، وجاء القدحُ، مدَّ يدَه إلى السَّاقي فناوله إيَّاه...

قال الجمَّازُ: مررتُ بنجادٍ ـ في قنطرة البردان طويل اللحية ـ وامرأته

(١) العنزروت: نوع من الصمغ، فارسي معرب.
(٢) البمّ: من أوتار العود، وهو أغلظها.

تُطالبه بشيء لها عنده وهو يقول: رحمَك الله متاعُكِ جافٌ ويحتاجُ إلى حشوٍ كثير، وأنت من العجلةِ تمشين على أربع.

أملى خالد بن الحارث أحاديث حميد عن أنس، فكانت نسختُه فيها سقط. وكان الجماز يستَملي عليه، فقال خالد: حدّثنا حميدٌ عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ. هكَذَا في نسختي، وهو رسول الله إن شاء الله فقال الجمَّازُ: حدثكم حميدُ بنُ أنس قال: قال رسول الله ﷺ. وشَكَّ أبو عثمان في الله فقال خالد: كذبت يا عدوَّ الله ما شككتُ في اللهِ، وتضاحَكَ أهلُ المجلس، وأصلحت النسخة.

وكان يأكلُ عند سعيد بن سَلْم على مائدةٍ دون مائدته، فإذا رفع من مائدة سعيدٍ شيء وضعَ على المائدةِ التي عليها الجماز؛ فالتفت الجمَّاز؛ فقال: يا أبا عمرو، وهذه عَصبَةٌ لتلك، كما يقال: وما بقيَ فللعصبة.

وقال له المتوكل: أي شيء أهديتَ لي يومَ العيد؟ قال: حلقةَ رأسي.

وأدخل يومًا غلامًا، فلما بطَحَه فسَا فَسْوةً منكرةً. فقال الجمَّاز: ويلك! هو ذا، تُذَرِّي مِنْ قبل أن نَدْرُس.

ودخل عليه ثقيلٌ يعودُه من مَرَضِه؛ فلما نهض قال للجمَّاز: تَأْمُر بشيءٍ. قال: نعم بِتَرْكِ العَودَة.

وقال لرجل: ما أخَّرك عنَّا؟ فقال: أصابتْني خلْفَة؛ فقال الجمَّاز: ما أبين الخلفة في وجهك.

شَهَّى جعفرُ بن سليمانَ أصحابَه؛ فتَشَهَّى كلُّ إنسان منهم جنسًا من الطعام؛ فقال للجمَّاز: فأنت ما تشتهي؟ قال: أنْ يصحَّ ما اشتهَوا.

وسأل يومًا غلامًا، وأدخَله مسجدًا؛ فلما فرغ منه أقبل المؤذِّنُ، فقام الجمَّاز، وخري في المحراب؛ فقال المؤذن: يا عدو الله أعلم على أنك فَجَرتَ بالغلام في المسجد؛ لأنه ليس لك بيت. ما حجَّتك في أن قذَّرتَ بالمحراب؟ قال: علمتُ أنه يشهدُ عليَّ يوم القيامة، فأحببتُ أن أجعَله

خصمي لئلا تُقبَل شهادتُه عليَّ.

ودفع إلى القصَّار قميصًا ليغسلَه، فضيقه، وردَّ عليه قميصًا صغيرًا؛ فقال: ليس هذا قميصِي. قال: بلى هو قميصك ولكنه توَّزِي وفي كل غسلةٍ يتقلَّص ويقصر؛ فقال الجماز: فأحب أنْ تعرفني في كم غسلةٍ يصيرُ القميص زِرًّا؟.

وقيل له: لم تقصر شعرك؟ قال: أليس قليل ما أجيء به كثيرًا في جَنْب ما يُعطونني.

وحضر دعوةَ بعضِ الناس فجعل ربُّ البيت يدخل ويخرج ويقولُ: عندنا سكباجةٌ تَطير طيرانًا، عندنا قليَّةٌ تطيرُ في السَّماء، فلما طال ذلك على الجمَّاز وجاع قال: يا سيدي، أُحبُّ أن تخرج لي رغيفًا مقصوصَ الجناح إلى أن تقعَ ألوانُك الطيارات.

ونظر إلى غلام؛ فقال: هذا كان من المُطَفِّفين. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كانَ إذا ناكه الواحد، وكان وقتُ الفراغ، فَرَّج بين فخذيه.

ووجد مع غلام في موضع خالٍ، وقد حلاً سراويلَهما، فقيل له: ما تصنع؟ قال: نتخاير بالتكك.

قال الجمَّاز: اجتزت ببابِ دارٍ وصاحبُ الدار يقاتُل امرأته ويقول: لأحملنَّ عليك اليومَ مائة رجل، فجلس شيخ كان خلفي على البابِ ينتظر؛ فلما طالَ دقَّ البابَ وقال: تريدُ أن تحملَ على هذه القحبة أو أنصرف.

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه؛ فقال له الجمَّاز: وما تستحسنُ منه؟ فوالله إنَّ فيه لخصالاً لو كانت إحداهنَّ في الحمار لرُدَّ بها، قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن[١]، ويمنعُ من الدبيب، ويدلُّ على اللصوص، ويسخن من الماء، ويخرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويُزْهِم اللحم.

---

(١) الروازن: جمع روزن، وهي الكوة في حائط البيت.

كان المتوكل يُحدِّث عن الجمَّاز؛ فكتبَ في حَمْلِه، فلما دخل عليه لم يقع الموقعَ الذي ظنّه؛ فقال المتوكل: تكلم فإني أُريد أن أستبرِئَك. فقال الجمَّاز: بحيضةٍ أو بحيضتين؛ فضحكت الجماعة.

وقال له الفتح: قد كلَّمتُ أمِيرَ المؤمنين فيكَ حتى ولاَّكَ جزيرة القرودِ، فقال له الجمَّاز: أفَلَسْتَ في السمع والطاعةِ أصلحك الله فحُصِرَ الفَتْحُ وسكت.

فقال له بعضُ مَنْ حضر: إنَّ أميرَ المؤمنين يريد أن يهبَ لك جاريةً. فقال: ليس مثلي مَنْ غَرَّم نفسه، ولا كذَب عندَ أمير المؤمنين. إن أرادتْنِي أن أقودَ عليها، وإلاَّ فما لها عندي شيء؛ فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، وأخذها وانحدر؛ فمات فرحاً.

وقال له بعضُ ولدِ المتوكل في هذ المجلس: يا شيخ، ألا تستحي مما تقول؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: حتى أرى من يُسْتَحيَا منه.

رُئِيَ الجمَّاز يَنِـ. . .ـكُ غلامًا خلفَ الدرب من قيامٍ؛ فقيل له: إيش تعمل؟ قال: هوذا، أُبصر أنَا أطولُ أم هو!.

نوادر المجانين[1]

قال مجنونٌ ـ ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة ـ: أيها الناس: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨]. فقال له مجنونٌ آخر: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: الآية ١١٤].

وكان بُهلول[2] من مَجَانين الكوفة، وكان يتشيع؛ فقال له إسحٰق بن الصبَّاح: أكثر الله في الشيعة مثلك. قال: بل أكثر الله في المُرجِئةِ مثلي،

---

(١) نثر الدر للآبي ٢/ ١٧٦ ـ ١٨٧.

(٢) هو بهلول بن عمرو الصيرفي، الكوفي المجنون، استقدمه الرشيد وغيره ليسمع نوادره، توفي سنة ١٩٠ هـ (فوات الوفيات ١/ ١٥٣).

وأكثر في الشيعة مثلك.

ومرَّ موسَى بن أبي الروقاء، فنادَاه صبَّاحٌ الموسوس: يا ابْنَ أبي الرَّوقاء أسمَنْتَ برذَوْنَك، وهَزَلت دِينَك، أما والله إنَّ أمامك لعقبةً لا يجوزها إلا المخِفُّ فحَبَس موسى برذونَه؛ فقيل له: هذا صباحٌ الموسوس. قال: ما هو بموسوس؟.

قال ثُمَامة: قال لي مجنون مرةً: يا ثُمامة، تزعم أنتَ أنَّ الاستطاعةَ إليك؟ قلت: نَعَم. قال: فإن كنتَ صادِقًا فاخْرَ ولا تَبُل.

وقف رجلٌ على بُهلول؛ فقال له: تعرفُني؟ فقال بُهلول: إي واللهِ، وأنْسِبُك نسبة الكمْأة، لا أصلٌ ثابتٌ، ولا فرعٌ نابِت.

ودعا الرشيدُ بُهلولاً ليضحكَ منه؛ فلما دخلَ دعَا له بمائدةٍ فقُدِّمَ عليها خبزٌ وَحْدَه، فولى بُهلولٌ هاربًا؛ فقال له: إلى أين؟ قال: أجيئكُم يوم الأضحى، فعسى أن يكون عندكم لحمٌ.

أخرجَ بلال بن أبي بُردَة من حَبسِه مجنونًا يمازِحُه، فقال له: أتَدرِي لم أخرجتك؟ قال: لا. قال: لأسخَرَ منك. قال: إنَّ المسلمينَ حكَّمُوا حكَمَين فسخر أحدُهما بالآخر.

قال المُبرِّد: دخلتُ يومًا دَيْر هِزْقِل، فرأيتُ في صَحنِ الدارِ مجنونًا، فدلَعْتُ لِسَاني في وَجهه، فنظر إلى السماء، وقال: الحمدُ والشكرُ مَن حلُّوا ومن ربطُوا.

قال بعضُهم: رأيتُ بحمصٍ مجنونًا يقول: يا قوم، مَن يتعلمُ: «لا أدري»؟ يا هذا، تعلم: «لا أدري»؛ فإنَّك إذا قلتَ: «لا أدري» علَّموك حتى تَدْري وإذا قلتَ: «أدري» سألوكَ حتى لا تدري.

رمى بُهلولٌ رجلاً فشجَّه؛ فقدِّم إلى الوالِي، فقال له: لم رميتَ هذا؟ قال: ما رميته ولكنَّه دخل تحت رميتي.

وقال بُهلولٌ يومًا: أنا والله أشتهِي من فالوذج ومن سِرقين، فقالوا: والله لنبصرنَّه كيف يأكل، فاشتروا له الفالوذجَ، وأحضروا السرقين؛ فأقبل على الفالوذج واكتسحه، وترك السرقين، فقالوا له: لِمَ تركتَ هذا؟ قال: أقولُ لكم، أنا ـ والله ـ يقعُ لي أنه مسمومٌ، من شاء منكم يأكل ربعَ رطلٍ حتى آكلَ أنَا الباقي.

وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة مَلْساء، فقال: مَن يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد؟ فعجبَ الناسُ وأعطَوه، فأحرزَه، ثم قال: هاتُوا سلَّمًا. قالوا: ما كان السلم في الشرط. قال: وكانَ بلا سلم في الشرط؟

ووقف بُهلول على رَجُل، وقال: خبِّرنِي عن قول الشاعر(١): [الطويل]

وإذَا نَـبَـا بِـكَ مَـنْـزلٌ فَـتَـحـوَّلِ ...

كيفَ هو عندك؟ قال: جيدٌ. قال: فإن كنت في الحبس فكيف تَتَحول؟ قال: فانقطع الرجلُ، فقال بهلول: الصوابُ قولُ غيره(٢): [الكامل]

إذا كُـنـتَ فـي دارٍ يـسـوءُكَ أهـلُـهـا ... ولـم تـكُ مَـكْـبُـولاً بـهـا فـتـحـوَّلِ

أُصيب إسحٰقُ بن محمد بن الصبَّاح الكندي بابنٍ له، فجزع؛ فدخل أهلُ الكوفة يعزُّونه، ودخل فيهم بُهلول؛ فقال: أيسرُّكَ أنه بقيَ وأنه مثلي؟ قال: لا واللهِ، وإنها لتعزية!.

قال بعضُهم: جاءنا جُعَيفران في سُوقِ أصحاب اللؤلُؤ، فوهب له إنسانٌ حبةً من الحبِّ الصغار؛ فقال له رجل: أتبيعها بطسوج؟، فقال: إن كان

---

(١) صدره:

واحـذر مـحـلَّ الـسـوء لا تـحـلُـلْ بـه

والبيت لعبد قيس بن خفاف البرجمي في لسان العرب (كرب)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٥/ ٤٨٥، وأساس البلاغة (نبو)، وتاج العروس (نبا)، ولسان العرب (نبا).

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (كبل)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٢٦١، وتاج العروس (كبل).

بطسُّوجٍ بادرونا فنعم.

هرب مجنون من الصبيان، ودخل دهليزًا، وأغلقَ الباب في وجوههم وجلس؛ فخرج إليه صاحبُ الدار، فقال: لِمَ دخلتَ دَارِي؟ قال: من أيدي هؤلاء أولاد الزنى. فدخل صاحبُ الدار، وأخرج طبقًا عليه رُطبٌ كثير، فجلس المجنون يأكل، والصبيان يصيحون على الباب؛ فأخرج المجنونُ رأسه إلى صاحب الدار، فقال: بابٌ بَاطِنُه فيهِ الرَّحمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قبلِه الْعَذَابُ.

قيل لمجنون كان بالبَصرَةِ: عُد لنا مجانينَ البصرة. قال: كلفتموني شطَطًا، أنا على عَدِّ عقلائِهم أقْدَر.

كان ببغداد مجنونٌ يلبس فَروةً مقلوبة، فإذا قيل له في ذلك قال: لو علمَ الله أنَّ الصوفَ إلى داخل أجودُ عمَلَ الصوف إلى داخل.

قال الفزَاري: رأيتُ مجنونًا يسوِّي رأس سكران، ويقول له: يؤيؤ، والله لا أفلحت أبدًا.

قيل لمجنون: أين المولِد؟ قال: المولد البصرة، والمنشأ دَيْرُ هِزْقِل.

شدَّ مجنونٌ على رجل بالبَصرَةِ، فأخذه الرجل فضربه. فقال الناس: إنه مجنون، وجعل المجنون يقول مِنْ تحتِهِ: ويحكم أفْهموه.

قيل لمجنون: أيسرُّك أن تُصلَبَ في صلاح هذه الأُمة؟ قال: لا، ولكن يسرني أنْ تُصلَبَ الأُمةُ في صلاحِي.

قال داود المصاب لصديق له: رأيتُ البارحةَ رُؤيَا نِصفُها حق، ونصفها باطل، رأيتُ كأني قد حمَلْتُ على عاتقي بَدْرَة، فمن ثقلها خريت فانتبهتُ فرأيتُ الخرا، ولم أر البدرة.

سمع مجنونٌ رجلاً يقولُ: اللهم لا تأْخُذْنَا على غفلة. فقال: إذًا لا يَأْخُذك أبدًا.

قال بعضُهم: كان بالشام مجنونٌ يُستطْرَفُ حديثُه، قال: رأيته يومًا وقد رفع رأسَه إلى السماء وهو يقول: الناسُ كذَا يعملون، وهذيانٌ كثير. قيل له: ما تقول؟ ويحك. قال: أُعاتبُ ربي. قيلَ: فكذا يخاطَبُ الله!. قال: قلتُ له: بدلَ ما خَلقْت مائةً وجوَّعتَهم لو كنت تخلق عشرةً وتشبعهم لكانَ خيرًا.

جاء مجنونٌ إلى يزيد بن هارون، فقال له: يا أبا خالد؛ أليس النبيّ ﷺ قال: «لَولاَ أنَّ الكلابَ أُمَّةٌ من الأُمم لأمرتُ بقتلها، ولكنِ اقْتُلُوا منْها كلَّ أسوَدَ بهيم» قال يزيد: نعم. فقال المجنونُ: أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: الآية ٢٤]. فمَنْ نذيرُ الكلاب؟ قال: فتحيَّر يزيد في جوابه. فقال له المجنون: تحبُّ يا أبا خالد أن أُعرِّفَكِ نذير الكلاب؟ قال: نعم، فأخذ حجرًا فرمَى به كلبًا بالقرب منه؛ فعدا الكلبُ يَعْوي وَينْبح؛ فقال: يا أبا خالد؛ الحجرُ نذير الكلاب.

سأل بعضُ الولاة عن أبي نصر الهروي ليعبِّر له رُؤيَا رآها، فقيل له: هو بمَرْو يأوِي الصحراء؛ فبعث إليه، فأُتِيَ به؛ فقال: إني رأيتُ كأنَّ في كُمي عصافير؛ فجعلت تُفلتُ واحدةً واحدة، وتطير؛ فلما كان آخرُ عصفورةٍ كادت تفلت، فحبستُها.

قال المجنون: أكلتَ عدسيةً، فبت تضرطُ ليلتَك؛ فلما كان آخرُها أردت أن تسلَح فحبستَه. فقال الوَالِي: اسكت قبحَك الله قال: هوَ والله ما قلت. فلما خرج قال الرجلُ: والله ما أخطأ شيئًا.

رُئِيَ بهلُول مغمومًا يبكي، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: كيفَ لا أبكي؟ وقد جاءَ الشتاءُ وليس لي جُبة. فقيل له: لا تَبكِ؛ فإن الله لا يدَعُك بلا جُبة. قال: بلى والله عامَ أولٍ تركني بلا جُبة ولا سراويلَ، وأخافُ أن يدعَني العام بلا جُبة ولا سراويلَ ولا قلنسوة.

قال بعضُهم: مررتُ يومًا ببهلول، وهو يأكل فُرنيةَ حُوَّارَى مع دجاجة،

فقلتُ له: يا بهلول؛ أطعمْني مما تأْكل، فقال: ليس هذا لي ـ وحياتِك ـ هذا دفعتْه إليَّ أُمُّ جعفرٍ آكُله لها.

نظر رجلٌ إلى جماعةٍ من المجّانِ حول مجنون، فقال له: ادخل إلى بعضِ المواضع حتى يتفرَّقُوا عنك. قال: إذا جاعُوا انصرفُوا.

قيل لبهلول: تَأْخذ درهمًا وتشتم فاطمة؟ قال: لا، ولكن هاتُوا نِصفَ درهمٍ حتى أشتمَ عائشة، وأزيدكم أباها.

كان الجهجاهُ مجنونًا، وكان يدَّعي الخلافةَ، فأُدخلَ على الرشيد، وعنده أبو يوسف القاضي، فقال: جعفر بن يحيىٰ كالهازىء به: هذا أميرُ الضَّراطين. يزعمُ أنه أمير المؤمنين. قال: لو كنت كذلك كنت أوسع إمْرةً مِن صاحبك؛ لأنَّ الضراطَ عامٌّ، والإيمان خاصٌّ.

قال له الرشيدُ: لأضربنَّك بالسِّيَاطِ حتى تُقر بالزندقة. قال: فإذا أقررتُ ترى قتلي؟ قال: نعم، قال: فالتفتَ إلى أبي يوسف، وقال: يا يعقوب؛ ليس لصاحِبنَا فِقْهٌ.

قيل لبهلول: أيكفي اثنينِ رأْسٌ واحد؟ قال: إذا كان أحدُهما نائمًا.

وحضر مجلسًا فيه قوم يتذاكرونَ الحديثَ، فروَوْا عن عائشةَ أنَّها قالت: لو أدركتُ ليلةَ القدرِ ما سألت ربي إلاَّ العفْوَ والعافيةَ. فقال بهلول: والظفرَ بعليٍّ يومَ الجمل.

وحُكِيَ أنَّ صاحب المارستان أتاه يقدح فيه دواء، وقال له: اشرب يا ابن الزانية؛ فقال: هاتِ حتى أشربه والله أعلمُ أنك أحقُّ به مني.

ولما حُمل إلى المارستان سأل الناسَ أن يأْذَنُوا له في أن يُلِمَّ بِبَيْتِهِ، ويوصي أهلَه بشيءٍ، فمنعوه، فقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾ [يس: الآية ٥٠].

وقيل له: ما تَشْتَهي من الفاكهةِ الرطبة؟. قال: لحمٌ. قيل: فمن

اليابسةِ؟ قال: قديدٌ، قيل: فمن الشرابِ؟. قال: مَرقة. قيل: فمن السَّماع؟. قال: نَشِيشُ المقَالي.

قال قوم لمجنون بالبصرة أديب: عِظْنَا، وهم يهزَؤُون به؛ فقال: هذه قصورُهم، وهذهِ قبورُهم. فأبكاهم.

قال أبو العيناء: حضرت أبا دينارٍ وأبا لقمان الممرورين يتناظرانِ عند ابن أبي دُؤَاد؛ فقال أبو لقمان لأبِي دينار: من أفضل الناسِ بعد رسول الله ﷺ؟ فقال أبو دينار: أبو بكر الصديق. فقال أبو لقمان: أمُّ الكاذب زَانية. قال ابن أبي دؤاد: هذا كلام قد انتهى إلى آخره.

كان بُهلولٌ يجمعُ ما يُوهب عند مولاة لَهُ مِنْ كِنْدة، وكانت له كالأُمّ، وربما أخفَى عنها شيئًا ودَفنَه، فجاءَ يومًا بعشرةِ دراهم كانتْ معه إلى خربة فدفنَها فيها، ولمحه رجلٌ؛ فلما خرجَ بُهلولٌ ذهبَ الرجل فأخذَ الدراهم، وعاد بهلول فلم يجِدها. وقد كان رأي الرجلَ يوم دفنها فعلم أنه صاحبه، فجاء إليه فقال: اعلم يا أخي أنَّ لي دراهمَ مدفونة في مواضع كثيرةٍ متفرقة، وأريد أنْ أجمعَها في موضعٍ دفَنْتُ فيه في هذِه الأيام عشرةَ دراهم؛ فإنَّه أحرزُ من كل موضع، فاحسب بالله كم تبلغ جُملَتُها. قال: هاتِ. قال: خُذ عشرينَ درهمًا في موضع كذا، وخمسين في موضع كذا، حتى طرحَ عليه مقدارَ ثلاثمائة درهم. ثم قام من بين يدَيه ومَرَّ؛ فقال الرجل في نفسهِ: الصوابُ أن أردَّ العشرة إلى موضعِها، حتى يجمعَ إليها هذهِ الجملة ثم آخذَها، فردها. وجاء بهلول فدخل الخَرِبة، وأخذ العشرة، وخرى مكانَها، وغطَّاهُ بالتراب ومرَّ، وكان الرجل مترصدًا لبهلول وقتَ دخوله وخروجه؛ فلما خرج مرَّ بالعجلةِ، فكشف عن الموضع، وتلوَّثت يدُه بالخرا، ولم يجد شيئًا، وفطِنَ لحيلَة بهلول عليه. ثم إنَّ بهلولاً عاد إليه بعد يومين فقال: احسب يا سيدي؛ عشرين درهمًا، وخمسة عشر درهمًا، وعشرةَ دراهم، وشمَّ يدك. فوثب الرجل ليضربَه، وعَدَا بُهلول.

وولي بعض بني هاشم الكوفةَ، فلما صعد المنبر قال: الحمد لله، وارتِج عليه، فجعل يكرِّرُ ذلك؛ فقال بهلول: الذي ابتلانَا بكَ.

وجاز بهلول بسُوق البزَّازين، فرأى قومًا مُستجمعِين على باب دكان ينظرونَ إلى نقبٍ قد نُقِبَ على بعضهم، فاطَّلع في النَّقب، ثم قال: وكلكم لا تعلمُون ذَا مِنْ عملِ مَنْ؟ قالوا: لا. قال: فإني أعلم. فقال الناس: هذا مجنونٌ يراهم بالليل ولا يتحاشَونَه، فأنعِمُوا له القول لعله يخبرُ بذلك. فسألوه أن يخبرهم. فقال: إني جائع، فهاتوا أربعةَ أرطال رقاقٍ ورأسين، فأحضروا ذلكَ وأكل، فلما استوفى قال: هو ذا أشتهي شيئًا حُلوًا، فأحضروا له رطلين فالوذج فأكله، وفرغ منه وقام وتأمَّل النقب، ثم قال: كأنكم الساعةَ لستم تعلمون هذا مِن عَمَلِ مَن؟ قالوا: لا. قال: هذا من عمل اللصوص لا شكَّ. وعَدَا.

ولع الصبيان بعيناوة، وصاحوا عليه، ورموه، فهرب منهم فاستقبلته امرأةٌ معها صبيٌّ صغير، فدنا منها ولطم الطفل لطمةً كادت تأْتي عليه، فقالت المرأة: قطعت يدك! إيش أذْنب هذا إليك. قال: يا قحبة؛ هذا يكونُ غدًا شرًّا من هؤلاء الكَشَاخِنَة[1].

ركب الهادي يومًا، فنظر إلى مجنون يُلَقَّب بكِسرة؛ ويرمِي من يقول هذا اللقب، ويعمل العجائبَ؛ فأمر بحَملِه إلى الدار، فقال له: لم تشتمُ الناسَ إذا قالوا لك: كِسرة؟ قال: ولِمَ تضرب الأعناق إذا قيل لك: موسى اطبق؟ قال: أنا لا أغضب من هذا. قال: فصِح أنت بي ثلاثَ مراتٍ، وأصيح مرتين فننظر مَنْ يحرد. قال: قد رَضِيت. فقال الهادي: يا كِسرة؛ يا كسرة. ثلاث مرات، وطوَّلها، فلم يلتفت المجنونُ، ولم يتحرك ولم يحرد، ثم صاح: يا موسى اطبق. فلم يتحرَّك الهادي، فقال المجنون: ما يتغافل إلا مَنْ أُمهُ قحبة. فحرِدَ الهادِي، ودعا بالنِّطْع والسَّيف، فقال المجنون: كيف

(١) الكشاخنة: جمع كشخان، وهو الديوث.

رأيتَ؟ كان المجنونُ واحدًا، صِرنا اثنين. وأنا أيضًا هكذا؛ لو قالوا: يا كسرة؛ يا رغيف. ألف سنة ما باليتُ، ولكن كذا يقولون لي إذا تغافَلْت. فضحك الهادي وأمر له بجائزة.

قال بعضُهم: رأيت مجنونَين قد رُفعا إلى بعض أصحاب الشرط، وقد تواثبا وتخاصما؛ فقال لأحدهما: لِمَ فعلت هذا؟ قال: لأنه وثب عليَّ وشجَّني؛ فقال: لم بدأْتَه بالرَّفْس، ومددتَ خصيته، قال: يا ولَدَ النجس من بَينِ الأمراء؛ بهذا اللباسِ الذي عليه لا تكفيه فردُ خصية؟.

ونظروا إلى ماني الموسوس[(١)] يأكل تمرًا، ويبتلع نواه، فقيل: لم لا ترمي بالنوَى؟ قال: هكذا وزنوه عليَّ.

قيل لبهلول: يقع في الطفشيل[(٢)] قتٌّ؟ قال: نعم، إذا كان للبقْل.

وكتب مجنون إلى آخر.

بسم الله الرحمن الرحيم

وأمتع بك؛ كتبتُ إليكَ ودجلة تطفحُ، وسفنُ الموصلِ تنحدر، وما يزداد الصبيانُ إلا لَعنة، والحجر إلاَّ قلةً؛ فلا تنم إلا وعندَ رأسِكَ حجران، وكن كما قال الأول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]. وإياكَ والموتَ فإنه طعامُ سوءٍ. وكتبتُ لأربعَ عشر يومًا بقيت إلى عاشوراء الأول سنة افتصدَ عجيف.

كان بمكةَ رجلٌ يُرمى بأنه لقيطٌ، ولا يعرف له أب، وكان موسِرًا،

---

(١) ماني الموسوس: هو محمد بن القاسم، أبو الحسن، المعروف بماني الموسوس، شاعر، من أهل مصر، كان من أظرف الناس وألطفهم، رحل إلى بغداد في أيام المتوكل العباسي، فكانت له فيها أخبار، توفي سنة ٢٤٥ هـ (انظر: الأغاني ٢٠/ ٨٥، الوافي بالوفيات ٣٤٦/٤، تاريخ بغداد ٣/ ١٦٩، فوات الوفيات ٢/ ٢٦٢).

(٢) الطفشيل: كذا في الأصل، بتقديم الشين على الياء، والصحيح: الطفيشل، بتقديم الياء على الشين، وهو نوع من المرق.

وكان بها مجنونٌ يقصدُه كثيرًا فيبرُّه ويحسنُ إليه، فجاء المجنون يومًا، فرآه قاعدًا محزونًا مُنقَبضًا؛ فقال: جُعِلْتُ فِداك! مالك كذا؟ قال: لا شيء. قال المجنون: بلى، قد عرفتُ، ترى ليس بمكة ولد زنًى غيرك! هم أكثرُ من ذاك فلا تغتم.

قيل لمجنون: لِم صار الدينارُ خيرًا من الدرهم، والدرهمُ خيرًا من الفلس؟ قال: لأنَّ الفلسَ ثلاثةُ أحرف، والدرهمَ أربعةُ أحرف، والدينارَ خمسةُ أحرف.

ولي العلاءُ بن عمرو بلادَ سارية، وكان جائرًا فأصاب الناسَ القحطُ، وأمسكتِ السماءُ قطرَها؛ فخرجوا يستَسقون، وصعد العلاء المنبر؛ فقال في دعائه: اللهم ارفع عنا البلاءَ والغلاءَ. فوثب معتوهٌ كان بها فقال: والعلاءَ؛ فإنَّه شرٌّ من الغلاءِ، وأغلظُ من البلاء. فضحك الناس، وخجل العلاءُ وانصرف.

ودخل داود المصاب بُستانًا، فتعلقت بثوبه شوكةٌ، فالتفتَ وقال: والله لولا أنكِ بهيمةٌ لكسرتُ أنفَك.

قال بعضُهم: مررت بعليان المجنون، وهو جالسٌ في محلةِ بني ضبة، فقلت له: يا أبا الحسن؛ منْ أفضل عندك؟ أبو بكرٍ أم علي؟ فقال: أمَّا في بني ضبة فأبو بكر.

حجَّ موسى بن عيسى ببهلول معه، فأقبل موسى يدعُو عند البيت ويتضرَّع، وبُهلول يقول: لاَ لَبَّيك ولا سعديك! فقال له ابنُه العباس: ويلك تقول هذا القولَ للأميرِ في مثلِ هذا الموقف! قال: أقول له ما أعلم أن الله يقولُ له.

قيل لبهلول: عُدَّ لنا مجانينَ البصرة. قال: هذا يكثرُ ويبعدُ جدًّا، ولكن إن أردتُم عَدَدتُ لكم عقلاءهم.

سأل بعضهم أبا لقمان الممرور عن الجُزْء الذي لا يتجزأ ما هو؟ فقال:

الجزءُ الذي لا يتجزَّأ هو عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له: وليس في الأرض لا يتجزَّأ غيرَه. قال: بلى، حمزةُ جزءٌ لا يتجزَّأ، وجعفرٌ جزءٌ لا يتجزَّأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعُمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمرُ يتجزَّأ، وعثمانُ يتجزأُ مرتين، وطلحةُ يتجزَّأ مرتين. قال: فما تقول في معاوية؟ قال: معاويةُ جُزْء لا يَتجزَّأ ولا يُتجزأ.

قيل لأبي زيد المجنون: ما العِشق؟ قال: نيكٌ كله.

قيل لمجنون: ما فعلتَ حتى ضربك الصِّبيان؟ قال[1]: [الطويل]

وإنَّ امْرءًا يُمسِي ويُصْبِح سالمًا   من الناسِ إلاَّ ما جنَى لسَعِيدُ

لما ماتَ والدُ بهلول خلف ستمائة درهم، فحظَر عليها القاضي، فجاءه يومًا، وقال: أيُّها القاضي؛ ادفع إليَّ مائةَ درهم، حتى أقعد في الحلقات فإن أحسنتُ أن أتجرّبها دفعتَ إليَّ الباقي. فدفع إليه ذلك، فذهب وأتلفه وعاد إلى مجلس القاضِي. وقال: إني قد أتلفتُ المائةَ، فتفضل بردِّها فقد أسأتَ إذ دفعتَ إليَّ ذلك، ولم يثبُتْ عندك رشِدي. فقال القاضي: صدقْتَ، والتزمَ المائة في ماله.

كان مجنونٌ يُؤذيه الصبيان، فقال له رجلٌ: تريدُ أنْ أطردَهم عنك؟ فقال: نعم، وتنطرد أيضًا معهم.

قال مجنونٌ: ليس في الدنيا أجلُّ مني، لا أُحاسب في الدنيا ولا في الآخرة.

قال الرشيدُ لبهلول: من أحبُّ الناس إليك؟ فقال: من أشْبَع بطني. فقال: أنا أشبعُك، فهل تحبُّني؟ قال: الحبُّ بالنَّسيئةِ لا يكون.

كان مجنونٌ يختلفُ إلى المآتم، ويدعُو، ورَسْمُه أن يُعطَى درهمين،

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في عيون الأخبار ٢/ ١٢، وليس في ديوانه، ولرجل من بني قريع في ديوان الحماسة ٢/ ١٣.

فاتفق أنَّ آل الزبرقان لم يَمُتْ منهم أحدٌ سنين كثيرة، ثم ماتَ منهم واحد فحضر المجنون، وأُعطِي درهمًا واحدًا. فقال: مِنْ كثرةِ ما تموتونَ حتى نقَصتم رسمي.

وكان مجنونٌ آخر يحضرُ المآتِمَ، ورسمُه أن يعطي ثلاثة أرغفة فحضر يومًا بعض المواضع وأعطي ستة أرغفة؛ فلما أراد أن يخرج قال لأصحاب التعزية: اذكُرُوا أنه قد بقيَ لكم عليَّ ميتٌ آخر.

قال: لما ضُمَّت المدينةُ إلى الحجاجِ مع مكة خرج إليها؛ فبينا هو يسير إذ قال لأصحابه: تأخَّرُوا حتى أُحدثَ نفسي؛ فتأخَّرُوا. ومضى على حماره حتى انتهى إلى مَبْقَلة، فإذا رجلٌ جالسٌ على شَفِيرِ بئرٍ، فوقف عليه فقال: ما يقولُ الناسُ في أميرِهم؟. فقال: يقولون: ظالِمٌ متعدٍّ ملعونٌ. قال الحجاج: أتعرفنِي؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج. قال الرجلُ: أتعرفنِي أنت؟ قال: لا. قال: أنا مولَى بني ثور، أُصرع في كل شهرٍ ثلاثةَ أيام، اليوم أولها وأشدُّها؛ فضحك الحجاج ولم يتمالك، ومضَى، ولحقه الناس.

قيل لبُهلول: أتأكلُ في السوق وأنت تُجالس جعفر بن محمد رضي الله عنه؟ قال: حدّثني مالكٌ عن نافع عن ابن عمر أنَّ النبيّ ﷺ قال: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ» لقيني الجوعُ، والخبزُ في كميّ؛ فكرهتُ أن أمطله.

ورئي في مقبرة؛ فقيل له: هلاً خالطتَ الناس؟ فقال: إني بين قوم إنْ حضرتُ لم يُؤْذونِي، وإن غبتُ لم يَغْتابُوني. قيل له: فادعُ الله، فإنَّ الناس في ضر وشِدة من الغلاء. فقال: ومَا عليَّ من ذلك، ولو بلغت الحبةُ دينارًا، وإنما عليَّ أن أعبُدَ الله كما أمرني، وعليه أن يرزُقني كما وعدني.

قيل لبهلولٍ: وُزن أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بالأُمةِ فرجحا. فقال: كان بالميزان غبن.

وجاء بهلولٌ فوقف بحِذَاء حَفْص بن غياثٍ القاضي، فقال: هوذا، أجِدُ البردَ في قدمي ورَأسي. فأمر له بقلَنْسُوَةٍ وخُفَّين. فلما كان اليوم الثاني وقف

بُهلول بحِذَائه؛ فقال له: ما لك؟ قال: جزَى الله القاضي عن الأطراف خيرًا؛ فأمر له بقميصٍ وسراويلٍ.

جاءت امرأةُ دندانَ المجنونِ إلى القاضِي؛ فقالت: أصلحك الله إنه يُجيعُني ويضرِبني! قال القاضي: ما تقُول؟ قال دندان: أما الضرب فنعم، وأما الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثًا إن لم تجيء معي إلى منزلِي مع أصحابك أيها القاضي، فقال لأصحابه: قومُوا بنا لا يَحنث. فقام القاضي، وذهب معه، فلما دخل جاء به إلى مَزْبلة فيها رَجيعٌ عظيم، فقال: أصلحَك الله هذا يخرجُ مِنْ بطن جائعٍ؟ قال: أخزاك الله فإنك أحمق. قال: أحمقُ مني منْ أطاع المجانين.

كان بُهلول يومًا جالسًا والصبيانُ يؤذُونه وهو يقولُ: لا حول ولا قوة إلا بالله يُعيدُه مِرَارًا، فلما طال أذَاهم له أخذَ عصاه وقال: حَمِيَ الوطيس، وطابتِ الحَربُ، وأنا على بيِّنةٍ من رَبِّي. ثم حمل عليهم وهو يقول[1]: [الوافر]

أشُدّ على الكتيبةِ لا أُبالي ... أفيها كان حَتْفي أم سِوَاها

فتساقط الصبيانُ بعضُهم على بعض، وتهارَبُوا، فقال: هُزِم القوم وولَّوا الدبر. أمرنا أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ ألاَّ نتبعَ مُوَلِّيًا، ولا نُدَفِّفَ على جريح، ثم رجع وجلس وطرح عَصَاه، وقال[2]: [الطويل]

فأَلْقَتْ عَصَاها واستقرَّ بِها النَّوَى ... كما قرَّ عينًا بالإيَاب المُسافِرُ

وقفده[3] رجلٌ كانت قد أرضعتْه امرأةٌ يقال لها مجيبة، وكانت رعناء،

(١) البيت للعباس بن مرداس في خزانة الأدب ٤٣٨/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٥٨، وبلا نسبة في الإنصاف ٢٩٦/١.

(٢) البيت لمعقر بن أوس بن حمار في الاشتقاق ص ٤٨١، ولسان العرب (نوى)، وله أو لعبد ربه السلمي أو لسليم بن ثمامة الحنفي في لسان العرب (عصا)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٦/ ٤١٣، ١٧/٧، ورصف المباني ص ٤٨.

(٣) قفده: صنعه.

فقال بهلولٌ: كيف لا تكونُ أعرنَ، وقد أرضعتكَ مُجيبة؟ فوالله لقد كانت تزق لي الفَرْخَ فأرى الرعونةَ في طيرانه!.

وقف رجلٌ على بهلول، فقال له: قد وقفتَ أنْتَ هٰهنا، والأميرُ يُعطي المجانينَ كلَّ واحد درهمين، فقال بُهلول: فاعرض عليَّ درهميك.

قال الفضل بن يحيىٰ لجعيفران المجنون: لِم لا تصيرُ إليَّ؟ فقال: أنت بَحرٌ ولا أُحسِنُ أن أسبح، فوصَله بمالٍ.

قيل لبهلول: ما تقولُ في رَجُل ماتَ وخلَّف أُمًّا وزوجة وبنتًا؟ فقال: للأُم الثكلُ، وللابنة اليتمُ، وللزوجة الحرب، وما بقي فللعصَبة.

وقال له الرشيد: أبو بكر وعمرُ خير من عليٍّ، فقال واحدٌ: لا يجوز بإزاء اثنين، ولكن عليٌّ والعباسُ خيرٌ من أبي بكر وعُمر.

قال بعضُهم: رأيتُ شيخًا قد سكر وسقط وسط الطريق، وهو ينخر، ومجنون واقفٌ على رأسه يقول: يا مخذول، تسكر وتنخر؟ ما تركت للصلح موضعًا.

نوادر البخلاء(١)

قال بعضُهم لبخيل: لم لا تدعوني يومًا؟ قال: لأنك جيِّدُ المضغ، سريعُ البَلْع، إذا أكلتَ لقمة هيَّأْت أُخرى. قال: فتريدُ مني إذا أكلت لقمة أن أُصلِّي ركعتين، ثم أعود إلى الثانية؟.

دخل واحدٌ إلى بعضِهم وهو يأْكل، ومعه آخر؛ فقال للدَّاخِل: تعال كُلْ. قال: قد تغدَّيت. فقال: هذا أيضًا زعم أنه تغدَّى.

ودخل آخرُ على بعضِهم وبين يديه طبق عليه تين؛ فلما أحسّ بالدَّاخل غطَّى الطبق بذَيله، وأدخَل رأسه في جيبه، وقال للدَّاخل: كن أنتَ في

(١) نثر الدر للآبي ٢/١٨٨ ـ ٢٠١.

الحجرة الأُخرى حتى أفرغَ من بخوري.

أكل ابن المدبِّر يومًا عند ابن الفيَّاض، فقُدِّمت جوذابة في نهاية الجودة، وأمعن ابن المدبِّر فيها؛ فلم يصبر ابن الفيَّاضِ حتى قال له: أليسَ زعمتَ أنك لستَ صاحبَ جوذاب؟

قال بعضُهم: حضرتُ مائدة بعضهم فضربَ ربُّ البيت يده إلى رغيف، ثم قال: يقولون خُبزي صِغار. أي: أخو قحبة. يتمُّ من هذا رغيفًا؟

وقال بعضُ المبخَّلين لرجلٍ على مائدته: اكسر ذلك الرَّغيف. فقال: دعهُ يبتلي به غيري.

دعا بخيلٌ قومًا، واتَّخذ لهم طعامًا، فلما جلسُوا يأكلون وهو قائم يخدُمهم، وأمعنُوا في الأكلِ جعل صاحبُ البيت يتلُو فيما بينه وبين نفسه: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ١٢].

وكان جعفرُ بن سليمان بخيلاً على الطعام، فرُفِعَت المائدة من بين يديه وعليها دجاجة، فوثب عليها بعضُ بنيه وأكل منها، وأُعيدتْ عليه من غد؛ فلما رآها وقد أُكِلَ منها شيء. قال: من هذا الذي تعاطى فعَقر؟ قالوا: ابنُكَ فلان. فقطع أرزاقَ بنيه كلِّهم، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه: أفتهْلكُنَا بما فعل السفهاء منَّا، فأمر بردِّ نِصفِ أرزاقهم.

وقف واحدٌ على الحُطيئة ليستَقْرِيَه فمنعه، فقال: إنَّ الرمضاء قد أحرقت قدميَّ. قال: بُلْ عليهما تبردا. قال: وما عندكَ غير هذا؟ قال: بلى، هراوةٌ من أرزن معَجَّرة. قال: إني ضيف. قال: للضيفان أعدَدْتها.

قال أبو الأسود الدُّؤلي ـ وكان بخيلاً ـ: لو أطعنَا المساكينَ في أموالِنا كُنا أسوأ حالاً منْهم.

قال الجاحظ: حدَّثني بعضُ أصحابنا قال: كنا منطلقين إلى رجلٍ من كبار أهلِ العسكر، وقد كان لبْثُنا عنده يطولُ؛ فقال له بعضُنا: إن رأيتَ أن تجعل لنا أمارة إذا ظَهَرتْ خفَّفْنَا، ولم نُتْعِبك بالقُعود، فقد قال

أصحابُ معاوِيَة مثلَ الذي قلنا لك؛ فقال: أمارةُ ذلكَ إذا قلتُ: إذا شئتُم. وقال أصحابُ يزيد مثلَ ذلك، فقال: إذا قلتُ: على بركةِ الله وقيل لعبد الملك؛ فقال: إذا ألقيتُ الخيزرانةَ من يدي، فأيَّ شيء تجعل لنا أصلحَك الله فقال: إذا قلتُ: يا غلام، الفداء.

نظر الكِنْدي إلى رجل يكسِرُ دِرهمًا صحيحًا؛ فقال: ويحك! لا تُفرِّقْ بين الله ورسوله.

قال جحظة: دخلتُ وأنا في بقايا عِلَّةٍ على كاتب، فقدم إلينا مَضيرة، فأمعنت فيها، فقال: جُعلت فداكَ، أنتَ عليل، وبَدنُك نحيل، واللبن يستحيل، فقلت: والعظيم الجليل لا تركتُ منها كثيرة ولا قليل، وحسبُنا الله ونعم الوكيل.

قال رجلٌ من أهل المدينة: أتيتُ صاحب بُرٍّ، وكان بخيلاً؛ فقلت له: هَب لي فَلْسًا. قال: ليس معِي. قلتُ: فهب لي مِن هذا البُرِّ ما أشرب به ماء. قال: فأعطاني خمسَ حبّات؛ فقلت له: لا يسقيني الشاربُ بها ماءً؛ فقال: احمل عليه كما حملت علي.

كان يُعمل لمعاويةَ لونٌ من المخِّ، لا يشاركه فيه أحد، فأُتِي به فضرب عبد الله بن جعفر بيده فيه، وقال: إنما أردت به أُنْسَك يا أميرَ المؤمنين. قال: ما آنستَنِي! ثم استَحْيَا؛ فأرسل إليه عشرة آلاف؛ فقال عبد الله كم في هذه من لَون مُخ؟.

وقال لرجلٍ واكَلَهُ: ارفق بيدك؛ فقال له: وأنت فاغضُضْ بصَرك.

قيل لبعضهم: كيف سخاءُ فلانٍ؟ قال: عَينُه دولابُ اللقم في أيدي الأضياف.

تغدَّى أعرابيٌّ عند معاوية؛ فنظر معاوية إلى شَعْرةٍ في لُقْمته؛ فقال: يا أعرابي خذِ الشعرةَ من لُقْمتك؛ فقال: وإنكَ لتُراعيني حتى تبصرَ الشعرةَ في لُقْمتي، والله لا أكلتُ معك أبدًا.

كان خالد بن صفوان بخيلاً، فحدث ذَارع من أهل البصرة قال: دعاني خالدٌ فقسمتُ له مالاً، وأقمتُ حسابَه، فلما كان عند الظهر دعا بالغداء فجاؤوه بدجَاجةٍ، وجاؤوني بزيتونٍ وبصَل؛ فقال: تشتهي أن تأكل من هذه الدجاجة؟ فقلتُ: وما عليك لو أكلتُ منها؟ قال: إذا كنت أنا وأنتَ في مالي سواء فما ينفعني مالِي؟.

وقال آخر: كنتُ عند رجلٍ من جِلَّة الناس، فقدمت له زينجة رطبة، فأكل واحدةٍ وأكلتُ واحدة، ثم أكل أُخرى وأكلتُ أُخرى؛ فالتفتَ إليَّ؛ فقال: إذا أكلت كما آكلُ فأين فَضْلُ المالك؟.

أُكِلَ عند بخيل، وأمعنوا في الأكل، وأراد أن يقطعهم؛ فقال: ليس هذا أكل من يريدُ أنْ يتعشَّى.

حقن عمر بن يزيد الأسدِي بحقنةٍ فيها دُهن؛ فلما حركه بطنُه كرهَ أن يذهبَ الدهنُ ضياعًا، فدعا بطَستٍ وجلس عليه، ثم قال: صَفُّوا هذا الدهنَ فإنه يصلح للسِّراج.

وأوصى بعضُهم ابنَه؛ فقال: كُن مع الناسِ كلاعِب الشِّطْرنج يحفظُ شيئَه.

كان بالكوفةِ رجلٌ من المُصلِحين ـ وهذا لقبُ المقدَّمين منهم في اللؤم ـ فبلغه أنَّ بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدَّمًا في شَأْنِه، فقام الكوفيُّ، وصارَ إلى البصرة ليَلْقَى صاحبَه، فلما قدم عليه قال له: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا مصلحٌ من أهل الكوفة، وقد بلغني خَبَرُك، فرحَّب به، وأدخله البيت وأجلسَه، وأخذ قطعة ومرَّ ليشتري له شيئًا يأكله، فلما خرج إلى السوق دَنا من البقال؛ فقال: عندك خبز؟ فقال: عندي خبزٌ كأنَّه السمنُ؛ فقال المصلحُ في نفسه: لِمَ لا أشترِي ما نعته به؟ فذهب إلى آخرَ، وقال: أعندك سمن؟ فقال: عندي سمنٌ كأنَّه الزَّيت؛ فقال في نفسه: أذهبُ فآخذُ ما نعته به، فذهب إلى بقَّالٍ آخر؛ فقال: عندك زيت؟

قال: عندي زيت كأنه الماء، فقال في نفسه: عندِي والله راويةُ ماء. فرجع إلى البيتِ، وأخذ الماء في غضَارة وقدمه إلى الكوفيّ وقال: كُل هذا، فإنه نعتُ النَّعت، فقال الكوفي: أنا أشهدُ أنكم أحذقُ بالإصلاح منَّا بِألفِ دَرجة.

قال مزبِّدٌ: أهل الكوفة إذا عَتق عندهم التنور دقُّوه وجعلوهُ في الفتيت.

قال بعضهم: بتُّ عند رجلٍ من أهل الكوفة. وهو من المُوسِرين المعروفين بحُسنِ الحال، ولهُ صِبيان نيامٌ بحيث أراهم، فرأيتُه في الليل يقومُ فيقلِبُهم من جنب إلى جنب؛ فلما أصبحنا قلت له: رأيتكَ يا أبا جعفر البارِحَة تفعلُ كيت وكيت. قال: نعم، هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامونَ على اليسار، فيُمرِيهم الطعام فيصبحون جياعًا، فأنا أقْلبُهم من اليسار إلى اليمين؛ لئلا ينهضِمَ ما أكلوه سريعًا.

قال بعضهم: دخلتُ الكوفة فسمعتُ امرأةً تقول: يا أبا جعفر الدقاق، حَسِيبُك الله ـ وقد اجتمَع الناس عليهما ـ فقال الدقاق: ما لَكِ؟ قالت: أعطيتني كيلجةَ دقيقٍ ما جاء منها إلا ثمانون رغيفًا. قال: يا مُسرفة، إذا كنتِ تخبزين رُغفانًا مثل الأرحبة فأيُّ ذنب لي؟.

وقال بعضهم: رأيتُ بالكوفة سائلاً يتصدَّق، ومعه مِنهزَة، فقلتُ له: ما هذه؟ قال: أصيدُ بها الكسرَ. قال: وإذا هو كلَّما رموا إليه بكسرةٍ من تلك الرَّوازين طارت بها الريحُ، فتلقَّاها بالمنهزة.

قال آخرُ: رأيتُ بالكوفة صبيًّا ومعه قُرصة، وهو يكسر لقمةً لقمةً، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض الحيطان يخرج منه دُخانٌ، ويأْكلها. قال: فبقيتُ أتعجَّبُ منه، إذ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَره؛ فقال الصبي: هؤلاء قد طبخُوا سِكباجة حامضةً كثيرة التوابل؛ فأنا أتأدَّم برائحتها. قال: فصفَعَهُ أبوه صفعَةً صلبة كاد يقطع بها رأسَه وقال: تريدُ تُعوِّد نفسكَ من اليوم ألاَّ تأْكل خبزًا إلا بأدم.

انتقل قَصَّابٌ من بغداد إلى الكوفة، وفتح بها دُكانًا، وذبح شاةً سمينة، وقعد من غدوة إلى العصر لم يبع شيئًا، ولم يقف عليه أحدٌ؛ فلما كان العصرُ إذا هو بعجوزٍ معها زَبِيل نُخَالة؛ فقالت له: يا ابني، أعطني بهذه النخالة لحمًا، وقطِّعه بحياتك تقطيعًا حسنًا. قال: فحَرِد البغدادي، وقال: لعن الله بلدًا يُباع فيه اللحم بالنُّخالة. فولَّت العجوز مُتَعجِّبةً منه وهي تقولُ: ويلٌ لي! هذا بغداديٌّ صلف، لا يَبيع إلا بالنَّوَى.

قال: ورأيتُ صبيةً قد وقفت على بقَّال بالكوفة، وأخرجت إليه رغيف شعير، وقالت له: قالت أُختي: أبدل هذا الرغيف بالكِسَر وأعطها بصَرْفه جَزَرًا.

قال بعضُهم: احتجتُ بالكوفة إلى دقيق الحُوَّارَى، فسألتُ عنه وعن موضعه. فقالوا: لا تصيبُهُ إلا عند الصَّيادلة، يبيعونه للدماميل.

وقال آخر: كنتُ عند صديقٍ لي بالكوفة، فإذا بجاريةِ أُمِّه قد جاءت ومعها كوزٌ فارغ؛ فقالت: تقولُ أمُّك إنَّ يومنا يومٌ شديد الحر. فاملأ لي هذا الكوز من مزمَّلَتِكم؛ فقال لها: كذبتِ، فإنَّ أُمي أعقلُ من أن تبعث كوزًا فارغًا. اذهبي واملئي الكوزَ من ماء حُبِّكم، حتى نَصُبَّه في حُبِّنا، ثم نملأه من المزَّمَلة، حتى يكون شيءٌ بشيءٍ.

قال ورأيتُ واحدًا بالكوفة قد دنا من بقَّالٍ وأعطاه مقدارَ حبة. وقال: أعطِني بهذا جُبْنًا؛ فقال له البقالُ: شمَّه وانصرف، ويبقَى عليك طَسُّوج.

نزل بكوفيٍّ ضَيفٌ، فقال لجاريتَه: يا جارية، أصلحي لضيفنا فالوذجًا. قالت الجاريةُ: ليس عندنا شيء. قال: ويلك! فهاتي قطيفةَ إبريسم[1] حتى ينام.

قال الضيفُ: يا سيدي، فليس بين الفالوذجِ والقطيفةِ رغيفٌ وقليلُ جنٍ؟.

---

(١) الإبرسيم: الحرير.

وقال آخر: رأيتُ كوفيًا يُخاصِمُ جارًا له ويقاتلُه، فقلت: ما قِصَّتكما؟ فقال أحدهما: زارني زَائرٌ، فتشهَّى عليَّ رُؤوسًا، فأطعمتُه، وأخذتُ العظام؛ فرميتُ بها على باب دَارِي أتجمَّلُ بها، وأكبِتُ العدوَّ، فجاء هذا، وأخذَها من باب داري، وجعلها على باب دارِه.

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدةٌ عجوز: فقيل لها: كم يُجرِي عليك ابنُك؟ قالت: دِرهمًا في كل أضحى. قيل: يا سبحانَ الله درهم في كل أضحى! قالت: نعم، وربما أدخلَ الأضحَى في الأضحى.

وكان بعضُهم يأكل ومعه على المائدة ابنه وزوجتُه؛ فقال: لعن الله الزّحمة؛ فقال له ابنُه: يا أبه، تعنِيني؟ فليس هٰهنا غَيري وغيرُ أُمي. قال: أفترَىَ أعنِي نفسي؟.

خرج نفرٌ من أهل مَرْو في سفَر، وصبروا على تَركِ السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أبلغ ذلك إليهم، فاتفقوا على أن يخرجَ كلٌّ واحد منهم شيئًا للسراج، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطِيَ شيئًا؛ فكانوا إذا أسرجوا شدُّوا عينيه بمنديل إلى وقْتِ النوم ورفْع السراج.

حُكِي عن بعض البُخَلاء أنه قال: إذا رأيتُ الجبنَ على مائدةٍ رحمت صاحبها لكثرة ما يُؤكل من خُبزه.

ودعا آخرُ منهم على صاحبِهِ؛ فقال له: إن كنتَ كاذبًا فعشَّيتَ السكارى بِجُبن، فرأى أنه قد بالغَ في مُلاعنته والدعاء عليه.

عمل سَهْل بن هارون كتابًا مدحَ فيه البخلَ، وأهداهُ إلى الحسنِ بن سهلٍ، فوقَّع على ظهره: قد جعلنا ثوابَكَ عليه ما أمرتَ به فيه.

قال رجلٌ لغلام: بِكَم تعملُ معي؟ قال: بطعامي. قال له: أحسِن قليلاً. قال: فأصوم الاثنين والخميس.

قال أبو نواس: قلتُ لرجلٍ من البخلاء: لِمَ تأْكُلُ وحدك؟ فقال: ليس هذا سؤالاً، وإنما السؤال على مَنْ أكلَ مع الجماعة؛ لأن ذلك تكلفٌ وهذا هو الأصلُ.

قيل لرجل: من يحضرُ مائدةَ فلان؟ قال: الملائكة. قال: لم أُرِد هذا. مَنْ يأكل معه؟ قال: الذِّبان.

ومدح رجلٌ البخلَ؛ فقال: كفاكَ من كرمِ الملائكة أنه لم يُبلهم بالنفقة، وقولِ العيال: هات، هات.

قال دينارٌ الحجام: حجمت أبا جعفر المنصور في خلافته؛ فأعطاني أربعة دوانق فضة، وأخذتُ شَعْرَ سعيد بن أبي عروبة؛ فأمر لي بقَوْصرة[١] فارغة.

قال بعضُ البخلاء: فرحة السكرِ قلةُ الاحتشام، وفرحة الخُمار قلَّةُ الإنفاق.

وقال آخر: مَن كثرت نفقته كَثُر ندمُه، ومن كثر ندمه قلَّت دعواته.

قيل على مائدة بعض البخلاء: ما أحسن الأيدِي على المائدة! فقال صاحب المائدة: مقطعة!!.

قال الكندي: مِنْ ذُلِّ البذل أنك تقول: نعم. مطأْطِئًا رَأْسك، ومن عزِّ المنع أنك تقولُ: لا. رافعًا رأْسك.

اشترى كوفيٌّ مزادةَ ماءٍ برغيف؛ فقال لصاحبه: كيف ترى استرخاصي هذه المزادة؟ قال: فيها غلاءُ عُضَّة.

استسلف بعض الصيارفة مِنْ بقال كان على بابه درهمين وقيراطًا؛ فقضَاه بعد ستَّةِ أشهرٍ درهمين وثلاثَ حبات.

فقال البقَّالُ: سبحان الله ألا تستحي؟ أنْتَ ربُّ مائةِ ألف درهم، وأنا بقالٌ لا أملك مائة فلْس، تنقضني بعد هذه المدة الطويلة؛ فقال: ما توهمت منك ما ظهر لي من قلَّة معرفتكَ بالحساب. أسلفتَني - أبقاك الله - في الصيفِ دِرهمين وأربعَ شعيرات؛ فقضيتُك في الشتاء درهمين وثلاثَ شعيرات شتْوية

(١) القوصرة: وعاء من قصب يوضع فيه التمر.

نديَّةٍ أرزنَ من أربع شعيرات يابسةٍ صَيْفية، وما أشك أنَّ معك فضلاً.

دخل هشامُ بن عبد الملك حائِطًا له فيه أشجارُ فاكهة، ومعه أصحابُه، فجعلوا يأكلون منهُ، ويدعُون له بالبركة؛ فقال هشام: كيف يبارَك فيه وأنتم تأكلون؟ ثم قال: يا غلامُ. اقلع هذا واغرس مكانه الزَّيتون.

قال المنصور للوضين بن عطاء: ما عِيالك؟ قال: ثلاثُ بناتٍ والمرأة. قال؛ فقال: أربعٌ في بيتك! قال: فردَّد ذلكَ حتى ظننتُ أنه سيصلنِي. قال: ثم رفعَ رَأسَه؛ فقال: أنت أيسرُ العرب، أربعةُ مغازلَ تدور في بَيتِك.

أرسل مَرْوان بن أبي حَفْصة غلامَه بفَلْس وسكرجة يشتري له زيتًا؛ فلما جاء بالزيت استقَلَّه، وقال للغلام: خُنْتَني يا خبيث. قال الغلامُ: كيف أخونُك من فَلْس؟! قال: أخَذْتَ الفلسَ لنفسك، واستوهبتَ الزَّيتَ.

وكان مروانُ من أبخلِ الخَلْقِ: اجتاز مرةً بامرأةٍ من العرب، فأضافتْه؛ فقال لها: عليَّ إنْ وَهبَ لي أميرُ المؤمنين مائةَ ألفِ درهمٍ أن أهبَ لك درهمًا، فأعطاهُ سبعينَ ألفًا، فأعطاها أربعة دَوَانيق.

وسقَى إنسانٌ بخيلٌ ضيفًا له نبيذًا عتيقًا على الريق، فتأوَّهَ الرجل؛ فقيل له: لِمَ لا تتكلم؟ فقال: إن سكتُّ متُّ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيت.

وكان بعضُ البخلاء يأكلُ نصفَ الليل، فقيل له في ذلك، فقال: يبردُ الماء وينقمعُ الذُّباب، وآمن فجأةَ الدَّاخِل، وصرخة السائل، وصياح الصبيان.

دخل أبو الأسود الدُّؤلي السوقَ يشتري شيئًا، فقال الرجل: ادنُ أُقارِبْك؛ فقال: إنْ لم تُقارِبْني أنتَ باعَدْتُك أنا. قال: بكم؟ قال: طُلِبَ بكذا. قال: أراكَ تحدّث بخيرٍ قد فات.

شكا بعضُ البخلاء بُخلَه إلى بعض الحكماء؛ فقال له: ما أنت ببخيل؛ لأن البخيل هو الذي لا يُعطى مِن ماله شيئًا، ولستَ أيضًا بمتوسط الجودِ؛

لأن المتوسطَ هو الذي يُعطِي بعضَ ماله، ويمنعُ بعضه، ولكنك في غاية الجودِ؛ لأنك تريدُ أن تعطي مالك كله. يعني: أنه يدَعُه كلَّه لوارثه.

قال صعصعةُ: أكلتُ عند معاوية لقمة؛ فقام بها خطيبًا. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت آكلُ معه، فهيأ لقمةً ليتنا ولَها، وأغفلَها، فأخذتُها فسمعته بعد ذلك يقول في خطبته: أيها الناس، أجْمِلوا في الطَّلبِ فربُّ رافع لقمةٍ إلى فيه تناوَلها غيرُه.

استأْذَن جحظة على صديقٍ له مُبَخَّلٍ؛ فقال غلمانُه: هو محمومٌ؛ فقال لهم: كلُوا بين يديه حتى يعرق.

وقال جحظةُ: أكلتُ مع بخيلٍ مرة؛ فقال لي: يا هذا، ما رأيتُ أذلَّ من الرغيفِ في يَدِك.

أصاب أعرابيٌّ درهمًا في كناسة الكوفة؛ فقال: أبشر أيها الدرهم، وقرَّ قرارك فطالما خِيض فيك الغمَار، وقُطِعت فيك الأسفار، وتُعُرِّضَ فيك للنار.

أهلُ مَرْوٍ موصُوفون بالبخل، ومِن عادتهم إذا ترافقُوا في سفرٍ أن يشترِيَ كلُّ واحدٍ منهم قطعةَ لحم، ويشدَّها في خيطٍ، ويجمعونَ اللحم كلَّه في قدرٍ، ويصبُّون عليه الماءَ ويطبخونه، ويَمْسك كل واحدٍ منهم طرفَ الخيط الذي قد شده في لحمه، فإذا نضجت القدر جَرَّ كل واحد خيطه، وتفرَّد بأكل ما فيه، وتساعدوا على المَرقَة.

ويحكى أنَّ واحدًا منهم لم يخرج ثمن البرر للسراج؛ فشدُّوا عينه لئلا يرى السراج.

قال: ومِنْ طرائف أُمورهم أنهم يستعملون الخادم في ستةِ أعمالٍ في وقتٍ واحدٍ: تحملُ الصبي، وتشدُّ يد البربْند في صَدرِها، فتدورُ وتطحن وفي ظهرها سقاءُ تمخضُه باختلافها وحَرَكتها، وتدوسُ طعامًا قد أُلقي تحت رجليها، وتلقى الحنطةَ في الرَّحا، وتطردُ العصافير عن طعام قد وكِّلت به.

كان بعضُ البخلاء، إذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه، وفدَّاه واستبطاه، وقال: بأبي أنتَ وأمي. كم من أرضٍ قطعتَ، وكيسٍ خرقت، وكم من خاملٍ رفعتَ، وكم من رفيع أخملتَ! لك عندي ألا تعرى ولا تَضْحي، ثم يُلقيه في كيسِه ويقول: اسكن على اسم الله في مكانٍ لا تزولُ عنه، ولا تُزْعج منه.

ذكر ثمامة محمد بن الجهم، فقال: لم يُطمع أحدًا في ماله إلا ليشغلَه بالطمع فيه عن غيره، ولا شفعَ لصديقٍ، ولا تكلَّم في حاجةٍ إلا ليلقِّن المسؤولَ حجةَ منع، وليفتحَ على السائل باب حرمان.

تناول رجلٌ من بين يدي بعضِ الأمراء البخلاء بيضةً؛ فقال: خذها؛ فإنها بيضةُ العُقْر[1]، وحجبَه بعد ذلك.

قال الواقدي: خرجتُ أنا وابن أبي الزناد إلى بعض المواضع بالمدينة، ورجعنا نصفَ النهار في يوم صائفٍ؛ فقال: ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ! فإذا نحنُ بسعيدٍ مولى ابن أبي الزّناد؛ فقلت له: ابعث لنا شربة ماء؛ فقال: نعم وكرامة ـ اجلس ـ وبادَر مستعجلاً، فدخل الدار ومكثَ طويلاً، ثم خرج إلينا؛ فقال: تعودونَ العشيةَ إن شاء الله.

قال العتبيُّ: لو بُذلت الجنّة للأصمعي بدرهمٍ لاستنقص شيئًا.

سأل مُتكفِّفٌ الأصمعيّ؛ فقال: لا أرتضِي لك ما يحضُرني؛ فقال السائل: أنا أرضى به؛ فقال الأصمعي: هو، بُورِكَ فيك.

أعطى المنصور بعضهم شيئًا ثم ندم؛ فقال له: لا تنفق هذا المال واحتفظ به، وجعل يكرّر عليه ذلك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم القيامة؛ فضحك وخَلاَّه.

كان رجلٌ على طعام بعض البخلاء؛ فأخذ عُراقًا فلم يجد عليه لحمًا، فوضعه ليأخذَ غيره؛ فقال صاحبُ البيت: العب بمسِّك.

---

(١) بيضة العقر: بيضة يزعمون أن الديك يضعها مرة واحدة في العمر.

قال بعضُهم: فلان عينُه دولابُ لقَم أضيافه.

قال بعضُهم لغلامه: هاتِ الطعامَ وأغلق الباب؛ فقال الغلام: هذا خطَأ. أغْلق الباب، ثم أُقدمُ الطعام؛ فقال: أحسنت أنت حُرٌ.

قال أبو العيناء: أكلتُ مع بعضِ أمراء البصرة؛ فقُدِّم إلينا جَدْي سمينٌ، فضَرب القومُ بأيديهم إليه؛ فقال: ارفقوا به فإنه بهيمة.

أكل أعرابيٌّ مع أبي الأسود رُطبًا وأكثر، ومد يده أبو الأسودِ إلى رطبةٍ يأْخذها؛ فسبقه الأعرابيُّ إليها وأخذها فسقطت في التراب؛ فأخذها وجعل يمْسَحُها ويقول: لا أدَعُها للشيطان؛ فقال أبو الأسود: ولجبريل وميكائيل لو نَزَلا.

قال بعضُ الكوفيين: علامةُ نجابةِ الصبي في ثلاثٍ: عرامته، وجُبنه وبخله؛ فإنه لا يكونُ شديد العرامة إلاَّ مِن جودة نفسه، ولا يبخلُ إلاَّ من معرفته، ولا يجبنُ إلاَّ مِنْ عقْله.

كان زيدُ بن محمد بن زيد الداعِي مبخَّلاً؛ فلما أُسر بعد مقتل أبيه بجرجان، وحُمل إلى بُخارى وحُبِس مدةٍ، ثم أُفرِج عنه سعى به بعضُ أعدائه إلى السلطان؛ فقال: إنَّ زيدًا قد حدَّث نفسه بالخروج عليك والدّعاء إلى نفسه، وإثارة الفتنة؛ فقال أبو عبد الله الجَيْهانِي ـ وكان وزيرًا ـ: إنَّ زيدًا ما دام يبني الحمَّام من اللبِن والطين ببخارى لا يَسْمُو بنفسه إلى ذلك. وكان قد فعل ذلك مع عفونةِ أرضِ بخارى، وقلة ثباتِ الأبنية بها. فصدَّقوه وأمِنوا جانبه ولم يتعرضوا له.

سأل رجل أبا الأسود شيئًا فمنعَه؛ فقال له: يا أبا الأسود، ما أصبحت حاتميًا؛ فقال: بل أصبحتُ حاتميًا. أما سمعت حاتمًا يقول[١]: [الطويل]

أما وِيّ، إما مانِعٌ فمُبيِّنٌ   وإمَّا عطاءٌ لا يُنَهْنِههُ الزَّجْرُ

(١) البيت في ديوان حاتم الطائي ص ١٩٩.

كان أُحيحةُ بن الجُلاَح بخيلاً، فكان إذا هبَّت الصَّبا طلع من أُطْمِه[١]؛ فنظر إلى ناحيةَ هبُوبها، ثم يقول: هُبّي هبوبَك. قد أعددتُ لك ثلاثمائة وستين صاعًا من عجوة، أدفعُ إلى الوليدِ منها خمسَ تَمَرات فيردُّ عليَّ ثلاثًا لصلاَبتها.

كان خالد بن صَفْوان قد أجرى لولده في الشهر ثلاثين درهمًا؛ فكان يقول: إن الثلاثينَ لأعبثُ في المالِ من السُّوسِ في الصُّوفِ في الصيف.

عُذِل بعضُ البخلاء على بخله؛ فقال: يا قوم؛ هب الناسَ يلوموننا على التقصيرِ فيما بيننا وبينهم، ما بالُهم يلوموننا على التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا؟

سمعَ أبو الأسود رجلاً يقولُ: مَنْ يُعشِّي الجائعَ؟ فعشَّاه، ثم ذهب السَّائلُ ليخرجَ، فقال: هيهاتَ. على ألاَّ تُؤْذِيَ المسلمين الليلةَ؛ فوضع رجلَه في الأدهم، وقال: لا تُروِّع مسلمًا سائرًا الليلة.

ووقف على بابِه سائلٌ وهو يأكل؛ فقال: السلام عليكم. قال: كلمةٌ مَقُولة. قال: أدخُل؟ قال: وراءك أوسع. قال: إنَّ الرَّمضاء قد أحرقت رِجْلي. قال: بُلْ عليها. وأغْلَق دونه الباب.

وكان يمرُّ به فتًى، وأبو الأسودِ يأْكلُ على باب داره، فيدعُوه إلى الغداء فيتورَّك على دابته ويأكل وأبو الأسود على دكانٍ له صغير؛ فلما كثر ذلك دَسَّ إليه إنسانًا معه دَابَّة فيها حصى؛ فلما تورَّك الفتى ليأْكُلَ حرَّكَ الدَّابة فنفرت الدَّابة وسقط الفتى، فاندقَّتْ عنُقه.

أرسلت امرأةٌ مِنْ قومِ أبي الأسود ابنها إليه أن يعيرها القِدْرَ، ويُعلِمه أنَّ أُمَّه نذرت أن تجعلَ للحيِّ طعامًا؛ فقال أبو الأسود: سلُوها؛ فإن كانت قِدْرُنا دخلت في نذرِها، وإلا فلتطلب غيرها.

---

(١) الأطم: القصر، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربّع مسطّح.

وقف أعرابيٌّ على أبو الأسود وهو يتغدَّى، فسلَّم عليه، فردَّ عليه، ثم أقبل على الأكل، ولم يعرضْ عليه؛ فقال له الأعرابي: أمَا إني قد مررتُ بأهلك. قال: ذاك كان طريقَك. قال: هم صالحُون. قال: كذاك فارَقْتُهم. قال: وامرأتك حُبلى. قال: كذاك عهدتُها. قال: ولدتْ. قال: ما كان لهَا بدٌّ مِنْ أنْ تَلِد. قال: وُلدتْ غلامين. قال: كذاك كانت أُمُّها. قال: مات أحدُهما. قال: ما كانتْ تَقوى على إرضاع اثنين. قال: ثمَّ مات الآخر. قال: ما كان ليبقَى بعد أخيه. قال: وماتت الأُمُّ. قال: حزنًا على ولدها. قال: ما أطيَب طعامك! قال: ذلك حَدَاني على أكله. قال: أُفّ لك! ما ألأمك! قال: مَنْ شاء سبَّ صاحِبَه.

سأل رجلٌ يحيىٰ بن أكثم شيئًا؛ فقال: كيف أُعطيك وفيَّ أربع خلال: أنا تميميٌّ، ومولدي البُصرة، ومَنْشَئي بمَرو، وأنَا قَاضٍ.

وذكر بعضُهم أنه أكل معه، فأتوا بثريدة عظيمة؛ فلما أمعن فيه وجد في وسطِهَا قصعةً مكبوبة، والثريدُ فوقها.

وذكر بعضُ مَنْ كان ينادم بعض كبراءِ هذا الوقت. قال: أكلتُ معه من قصعة واحدةٍ؛ فكان الذي يليه من الثريد خبز حُوَّارِي، والذي يليني خبز خشْكَار[١].

قال أبو سهل الرَّازي القاضي: دخلتُ على يحيىٰ بن أكثم يومًا، والمائدةُ بين يديه، والغلامُ واقف؛ فقال لي: يا محمَّدُ، هذا غلامي، يأْتي عليَّ وقتٌ لا أدري ما اسمه؛ وهذا حدا سلم الحادِي بالمنصور في طريقِه إلى الحج؛ فحدا يومًا بقول الشاعر[٢]: [الرجز]

أغرّ بينَ حاجِبَيْهِ نورُهُ يَزينُه حياؤه وخِيرُه
ومِسكُهُ يشوبُه كافُورُه

---

(١) الخشكار: ما خشن من الطحين، فارسي معرب.

(٢) الرجز بلا نسبة في نهاية الأرب ٣/٣٠٨.

فطرب المنصورُ حتى ضربَ برِجله المحمل، ثم قال: يا ربيع؛ أعطِه نصفَ درهم؛ فقال سَلْم: نصفَ درهمٍ يا أميرَ المؤمنين؟! والله لقد حدوتُ لهشامٍ فأمر لي بثلاثين ألفَ درهم؛ فقال له المنصور: ما كان له أن يُعطيكَ ثلاثينَ ألفَ درهم من بيتِ مال المسلمينَ. يا ربيعُ، وكِّلْ به من يَستخرجُ منه هذا المال. قال الربيع: فما زلتُ أُسفِر بينهما حتى شَرط عليه ألاَّ يُلْزِمَه مؤونةً في خروجِه وقُفُوله، ويحدوَ لَهُ.

تزوَّجَ عَمرو بن حريث ابنة أسماء بن خارجة؛ فقالت له يومًا: ما أحسبُك وأبي تقرآن من كتابِ الله إلاَّ حرفيْن. قال: وما هُما؟ قالت: كان أبي يقرأ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبأ: الآية ٣٩] وأنتَ تقرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٧].

قال أبو العيناء: دعاني جارٌ إلى وليمةٍ، وكان بخيلاً، فرأيتُه يدورُ على المائدة ويتنفسُ الصُّعداء، ويقولُ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسَان: الآية ١٢].

قال محمد بن أبي المعافى: كان أبي مُتنحيًا عن المدينة، وكانت إلى جنبهِ مزرعةٌ فيها قثَّاء، وكنتُ صبيًّا قد ترعرعتُ؛ فجاءني من جيرانِنَا أقرانٌ لي، وكلمتُ أبِي ليهبَ لي درهمًا أشتري لهم به قثَّاء، فقال لي: أتعرفُ حال الدرهم؟ كان في حجرٍ في جبلٍ، فضُربَ بالمعاولِ حتى استُخْرج، ثم طُحن، ثم أُدخل القدور، وصُبَّ عليه الماء، وجُمع بالزئبق، ثم أُدخل النار فسُبِك، ثم أُخرج فضُرِبَ، وكُتب في أحَد شقَّيه: لا إلـه إلاَّ الله وفي الآخر: محمدٌ رسول الله ثم صُيِّر إلى أمير المؤمنينَ فأمَر بإدخالِه بيتَ ماله، وَوَكَّل به عُوج القلانِس، صُهْب السِّبَال، ثم وهبَه لجاريةٍ حسناء جميلة. وأنت والله أقبح من قِردِ، أو رَزَقه رجلاً شجاعًا، وأنتَ والله أجبن من صِفرِ، فهل ينبغي لك أن تَمَسَّ الدرهمَ إلاَّ بثوبٍ؟.

حكى بعضُهم أنه أكل على مائدةِ بعضِهم، قال: فطافَتْ علَينا هرةٌ

وصاحتْ، فألقيتُ إليها لُقمةً مِن حُوَّاري؛ فقال صاحبُ الدَّارِ: إن كان ولا بدَّ فمن الخُشْكار.

وذكر غيرُه أنه كان في دَعوةٍ بعض التجارِ المَيَاسير، فألقى للسنَّور لقمة خُبزٍ، ثم أراد أن يُثَنِّيها؛ فقال التاجر: دع، فليستِ الهرَّةُ لنا، إنما هي للجيران.

كان زيادُ بن عُبيد الله الحارثي على المدينة، وكان فيه جَفاءٌ وبخلٌ، فأهدى إليه كاتبٌ له سِلالاً فيها أطعمة، قد تَنَوَّق فيها، فوافَقَهُ وقد تغدى، فقال: ما هذا؟ قالوا: غذاءٌ بعث به الكاتب، فغضب وقال: يبعثُ أحدُهم ابنَ اللخناء بالشيء في غير وقته. يا خيثم بن مالك ـ يعني: صاحب الشرط ـ ادعُ أهل الصفَّة يأكلون هذا. فبعث خيثم الحرسَ يدعُون أهلَ الصفة. فقال الرسول الذي جاء بالسلال: أصْلحَ الله الأميرَ. لو أمرتَ بهذِه السلال تُفتح وينظُر إلى ما فيها. قال: اكشفُوها، فكُشِفت؛ فإذا طعامٌ حسنٌ مِنْ سمكٍ ودجاج وفراخٍ وجِدَاء، وأخْبِصة وحلوى؛ فقال: ارفعوا هذه السلال. قال: وجاء أهلُ الصفة؛ فقال: ما هذَا؟ قالوا: أهلُ الصُّفَّة، أمَر الأميرُ بإحضارهم؛ فقال: يا خيثم، اضربهم عشرةَ أسواط... فإنه بلغني أنهم يفْسونَ في مسجدِ رسول الله ﷺ.

كلام الشّطّار ومَن يجري مجراهم، ونوادرهم(١)

حكى بعضُهم أن شاطرًا افتخر. قال: فحفظتُ من كلامه:

أنا الموجُ الكدِر، أنا القُفل العَسِر، هذا وجهي إلى الآخرة، تَأْمُر بشيء؟ لك حاجة إلى مالكٍ خازِن النار؟ أنا النَّارُ، أنا العارُ، أنا الرحا إذا دار، أنا مشيتُ سُبُوعين بلا رَأس، لولا أني عليلٌ لنَخَرتُ نخرة نصفُها صاعقة ونِصفُها زلزلة. أضعُك في جيبي، وأنساكَ حتى تعفن الساعة، أقطعُ رَأْسك

(١) نثر الدر للآبي ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٩.

وأجعلُهُ زرَّ قميصي، أو أستنشقُك فَلا أعطسُك إلاَّ في الجحيم، أو أشربُك فلا أبُولك إلاَّ على الصراطِ إذا صاح آدمُ: وامفقوداه. والِك لو كلَّمني الفيلُ لم يخرس، أو البحرُ لم ييبس، أو عضَّني الأسد لم يضرس، أو رآني نمروذٌ لم يتقدس. أصدقائي أكثرُ من خُوص البصرة، وخَردل مصر، وعدس الشام، وحصى الجزيرة، وشَوك القاطول، وحِنْطة الموصل وقصب البَطَائح، ونبق الأهواز، وزيتون فلسطين. وَالِك أنا أشرب الرمل أخرى صَخرًا، أبلع النوى أُخرى نخلاً. قال: وسمعت واعظًا منهم يقول: يا بنيَّ، لوطُوا؛ فإنَّ الناس يلوطُون، وازنوا؛ فإنَّ الناس يزنُون، وإياكم أن تُنا. . .وا؛ فوالله ما يسرني أنَّ رجلاً أومأ إلى استي بأير من خراسان، وأنه بُويعَ لي بالخلافة.

سمعتُ فقيهًا لهم يقول: سألتُ سابلويه الباقلاني: لم لا يجوز النـ. . .ـكُ بين الفِخذين؟ فقال: لأنه يكره الجمع بين الأختَين.

قال سعيد بن حميد: رأيتُ حارسًا يشكو إلى آخرْ واحدًا منهم خَبَّب غلامه؛ فأطال الشكاية، ثم تنفس الصعداء وأنشأ يقول:

كلما قلتُ قد رضي ... وتعشَّى وكل شي
جاء عمرو فخبَّبهْ ... وبقينا بغير شي

قال بعضُهم: مررتُ بباب الطَّاق، وحارِسان يأكلان، فمرَّ بهما حارسٌ آخر وخَلْفَه كلب؛ فقال أحدهما لصاحبه: رأيتَ مثلَ هذا الكلب؟ أجرش أبرش حسن الشَّيَة، أعزل الذَّنَب. فقال الآخر: لا ونورِ الله إنْ كان الكلبُ كلبَه، وإنما استعارهُ يتجمّل به.

قال بعضُهم: نزلتُ في معسكرٍ بإزاء قومٍ من الجند، ومعهم مغنٌ يتغنَّى بالعجائبِ، سمعته يغني: [الرمل]

مَنْ لقلبٍ مَا يُفيقُ من ألمٍ ... هائمًا يهذي بخرَّازِ الأدَمْ

قال: فطرِب أحدُهم وقال: وَيلاه سنةٌ. وَحَاتِك، ألِمنَ الشِّعر؟ سيدي. قال: للخنساء. قال: ومن الخنساء؟ قال: فتى من الأنباء.

قال بعضُهم: رأيتُ يومًا مُكاريًا ـ وهو عُريان ـ وعليه سراويلُ خِلقٌ متمزقٌ وفيه تكَّة تساوي دينارًا؛ فقلتُ: لو بِعتَ هذه التكَّة! فقال: لا تَفْعل يا شاطر مُرُوَّة الرجل تكَّتُه.

قال: ورأيتُ واحدًا منهم وقد قام في جماعةٍ من أصحابه؛ فقال: يا فتيان هو ذا، أشربُ وأسقيكم؛ فقال له واحد منهم: اشربْ فديتُك كلَّنا، واسقِ أيَّ بعضنا شِئت.

قال: ورأيت شاطرًا وقد وقف على قبر شاطر؛ فقال: رحمك الله أبا لاش. كنتَ واللهِ ـ ما علمتُ ـ حادَّ السكين، فارِهَ الصديق، إن نقبتَ فَجُرَذٌ، وإن تسلقْت فسِنَّور، وإن استلبت فحِدأة، وإن ضُربت فأرَضٌ، وإن شربت فَحُبٌ، ولكنكَ اليوم وقعتَ في زاوِية سوء.

قيل لبعض الشُّطار: كلما شهد شاهد قبلتَ شهادتَه؟ قال: لا حتى أعلم أنه ابتُلي فصبر، وأنه لا يخبِّبُ على الأصدقاء، ولا يسرقُ الجيران.

وقال بعضُهم: إنَّ الله تبارك وتعالى كان أرحم بالفتيان أن يجعَل الناسَ كلهم فتيانًا؛ فإنه لا يجوز لفتّى أن يسرقَ متاعَ فتى، ولا يخبِّبَ صديق فتى، ولا يطلب أثر فتى إلاَّ أن يكون الغلامُ هو الذي يريده، ونحن لا بدَّ لنا من مال نُنْفِقُه، وصديق نتَّخذُه، فلو كان الناس كلُّهم فتيانًا هلكنا.

ضرب حارسٌ أُمه، فعُوتب على ذلك؛ فقال: قد قلتُ لها عشرين مرة، وهذه الثالثة: إذا كنتُ سكرانَ فلا تكلِّميني، فإنَّ الشيطانَ نارٌ يرتعد!.

وذكر بعضُهم أنه حضر مجلسًا فيه غلام وَضِيء الوجه أديب، وهناك شابٌ مخنجر اللِّحية، فأخذ الغُلام تفَّاحة، فعبثَ بها ساعةً، ثم حيًّا بها الفتى الشاطر، فلم ينهنه أن أكلها والغلامُ ينظر إليه؛ فقال الغلام: سوءةً لك ولومًا، أتأْكل التحيات؟ فقال: إي واللهِ، والصلوات الطيبات.

قال بعضُهم: كنتُ في بيت قمري الخبني، ودخل عليه صاحبٌ له، فأبلغه عن آخر من أصحابه أنه زنَّاه؛ فاغْتَاظ، وجعل يلعنُه؛ فقلنا له: زنِّه كما

زنَّاك أو اسكت. قال: أنا لا أُزنِّيه، ولا أكون سفيهًا، ولكني أرجو أن يُزنِّيَه الله من فوقِ سبع سمٰوات.

قال: سمعتُ حارسًا يقول: أنا أنيـ. . .ـكُ أُمَّ من زعمَ أن النارَ في النوم ليس هي سلطانٌ عُزِلْتُ، فرأيت في النوم كأن النار أحرقت كوخي، وشرائحَ عملي حتى لم تترك لي قصبَةً؛ ففزعت فلم أصبح حسنًا، حتى سمعتُ دقَّ الباب فإذا نوفيل المصلحي قد وضع في يدِي المزراق، ومقود قلادة قرطاس، وخاتم طين بتسَلُّم العمل، فإنَّ الملك عقيم.

قال بعضُهم: كان لي صديقٌ يقامر، وكنتُ أُوَبِّخُه وألومه أبدًا على ذلك؛ فأتاني يومًا وقال: يا أبا فلان. تقول لي: لا تُقَامر. قد رهنتُ والله منديلي الذي اشتريتُه بثلاثة عشر درهمًا على عشرين درهمًا، وهذا يا أبا فلان ربح عظيم.

قال بعضُهم: سمعتُ بباب الطَّاق شيخًا من سفلة الناسِ يقول لآخر أسفلُ منه: ويحك يا محمد، لا تتعجب من ابنَيْ عفويه، أخوين أحدهم: مرعُوشي والآخر فضلي. قال له: وإيش في هذا ـ هو ذا ـ القرآن فيه جيّدٌ وفيه رَديءٌ. قال: ويحك، كيف يكون الرديء في القرآن؟ قال: نعم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] بألف دينار، وبجنبها ﴿تَبَّتْ﴾ [المَسَد: الآية ١] تساوي حبَّتَين أستغفر الله.

قال بعضُهم: قلتُ لشاطرٍ: فلانٌ ليس يعدُّك شيئًا؛ فقال: والله لو كنتُ ليس أنَا أنا، وأنا ابن من أنا منه لكنتُ أنَا أنا وأنَا ابن منْ أنا منه. فكيف؟ وأنا أنا وأنا ابن من أنا منه.

اختصمَ اثنان من الشُّطار إلى قاضٍ لهم، يقول كلٌّ واحد: أنا أفْتى منك؛ فقال القاضي لأحدهما: الخبيصُ أحبُّ إليك أم الفالوذج؟ فقال: الخبيصُ. وقال الآخر: الفالوذجُ. فحكم للذي فضَّل الفالوذج، فسُئِلَ عن

الحجة؛ فقال: لأنَّ الخبيص يُعملُ من السكَّر، والسكرُ من القَنْد[١]، والقندُ من القصب، والقصبُ يمصُّه الصبيان في الكتاتيب، والصبيانُ ليس لهم فتوة؛ والفالوذج يُعمل من العَسلِ، والعسلُ من الشُّهدِ، والشُّهدُ من النحل، والنحلُ يَأوِي الجبَل، والجبلُ يكون فيه الصعاليك، والصعاليك فتيان.

قال الجمّاز: رأيتُ شاطرًا وقف على جماعةٍ وقد جرَّد سِكِّينه وقال: مَن كَلَّم منكم حمدَان الغلام؟ فقال أحدُهم: أنا. قال: فلا حَسَنٌ ولا جميل. قال: فاجهد جهدك؛ فقال: خذلني الله لو كان غيركَ. قال: أنا غيرِي. قال: والله لو كان غير هذا الموضع. قال: فنحن بفرغانة. فردَّ صاحبُه السكينَ في قِرابه وقال: وَيحك، أنتَ طالب شَرٍّ فتيان باب الشام كلهم سعاتر[٢]. مالك كذا روش؟ أي: جدبة.

اجتمع أربعةُ نفرٍ من الشطَّارِ يقالُ لأحدهم: صحناة، ولآخر حرملة، وللثالث: غزون، وللرابع: طفشِيَّة، ومعهم غلام أمْرد يريد أن ينقَطِعَ إلى واحد منهم. وكل واحدٍ يطلبُه لنفسِه؛ فتحاكموا إلى شيخ منهم؛ فقال الشيخ: ليذكر كلُّ واحدٍ ما فعله، وما يقدرُ عليه حتى أخيِّرَ الغلام؛ فيصير إلى من أحبَّ؛ فقام صحناة؛ فقال:

والَ ٍأُمك، لو تَرانِي، ضبعُوني في عينِك، يا ابنَ العلاَّمة. أنا هامان أنا فرعون، أنا عاد، أنا الشيطانُ الأقلف، أنا الدبُّ الأكشف، أنا البغلُ الحَرُون، أنا الحربُ الزَّبُون، أنا الجمل الهائج، أنا الكركدنُّ المعالج، أنا الفيلُ المغتلم، أنا الدهرُ المصطلح، أنا العير الشارِدُ، أنا السبعُ الوارد، أنا سردابُ التضريب، أنا بوقُ الحرب، أنا طبلُ الشغب، محبوسٌ شرقي غربي، مضربٌ قائم نائم مبطوطُ الإليتين، معطَّل الدفَّتين. أبلغُ أسنةً أُخرى جواشنَ، لو ضربَ ربُّك عنقي ما متّ بعد سنة. وهذا حمدان فروجٌ في

---

(١) القند: عسل السكر.

(٢) السعاتر: جمع سعتري، وهو الشاطر.

حجريَ بالأمس، حتى جنى جنايةً رُزِقَ الطلب، وحملانُ ـ وبيته ـ ضربَ ألفًا فما عبس عسى ينطقُ أحد!!.

فقال حرملة: يا ابنَ الصفعان، أنا حُبِست في أجمةٍ، أكلتُ ما فيها من السباع، وجعلتُ الحشيشَ نُقلى، أنا طوْف الله الجائح في بحر قلزم. لو كلمني رجلٌ يعثُر بسباله لعقدتُ شَعْر أنفه إلى شعْرِ استهِ، وأديرُه حتى يشمَّ فساه، يابه القنفذ؛ لو كلمنِي رجلٌ لم ألكُمه لكمةً فأُبددَ عظامه، فلا تجتمعُ في شهر، لو كلَّمني رجلٌ لم أخرج أنفه وأحرزه في قربةٍ، وأصفعُه صفعة، فأبلع رأسه مع رطلين خرا. يابه الجرادة املأ عينَك مني والكَ وأنت زريقُ الجنى: طعامي الصبر، وريحاني الدَّم، ونقلي أدمغةُ الأفاعي. أنا أسَّستُ الشطارة، أنا بوَّبتُ العيارة. يا ابنَ الزارعة الفارشة الهارشة القلاشة النفاشة. من يتكلم؟ قولوا.

فقام غزون وقال: إيش تقول لي يا ابنَ الطبزدانة؟ أنا القَدر والجَذْر والممزوجُ بالضجر، أنا أبو إيوان كسرى، حولتُ المحابسَ والمطابقَ، وقطعتُ أكبادَ الخلائق، أنا أخْرِق الصفَّين، وأضرِب العسكرين، رفيقِي صياح الكلم، وجعفرُ ابنُ الكلْب، وموسى سَلْحة، وعيسى رُكبة، وكردويه الباقلاَّني.

وفروج السماط، ودكرويه المُكَاري. انْفونِي ـ ونور الله ـ إلى الشاش وفرغانة، ورُدُّونِي إلى: طنجة، وإفرنجة، وأندلس، وإفريقية. ابعثُوا بي إلى قاف، وخلف الروم وإلى السدِّ، وإلى يأْجوجَ ومأْجوجَ إلى موضع لم يبلغْ ذُو القرنين، ولم يعرفه الخِضْر، أنا شهدتُ الغُول عند نفاسها، وحملت جنازة الشيطانِ غير جبان، أنا فرعونُ ذو الأتاد. إنْ لم أقبضْ رُوحك مشيتُ سبْعةً بلا رأس، قُطِع ذَنَبي في كل كَرْم، قُطِعتْ عروقي بكل خِنْجَر، رُضَّت عظامي بكل مِنجل، لو نَخَرتُ نخرةً لخَرّتْ صوامعُ النصارى، وتحطمتْ قصورُ بني إسرائيل. لو عضَّني ـ ونور الله ـ الأسدُ لضَرِس، ولو كلمني إبليسُ لخرس، ولو رآني العفريتُ لخنَس.

قال طفشِيَّة: أنا قتلتُ ألْف، وجرحتُ ألف، وأنا في طلب ألف، يا ابنَ الخادمة، يتهيأُ لفرعون أخي القحبة أن يقطِّب في وجهي، أو يقومَ بقربي، أو يناظرني كلمةً وكلمة، رأسي مُدورة ولحيتي خنجريَّة، وسبالِي مِفْصَلي، واستي خرساء، وأنا مشهور في الآفاقِ بضرب الأعناق، لا يجوزُ عليَّ المِخْرَاق؛ أنا الربيعُ إذا قحط الناسُ، أنا العنَى إذا كثر الإفلاس، أنا أشهرُ من العيد، سلْ عني الحديد، وفي المطبقِ الجديد. البيضةُ منِيّ تسوى ألف، لو حضنت خرجَ منها ألف شيطان، أنا شققْتُ شدق النَّمِر، وصيَّرت على الأسد الإكاف، يا كلب انبح، أنا الشجرُ، أنا الأبحرُ، أنا تنّور يُسجَر، صديقُ صدِيقي، وزَورٌ من عنتَر، من الجلَنْدا، من كركرْ، من الأسد، من طاهر الأعورِ. إبليس إذ آنى قطَر. لو كلمني رجلٌ رأسه من نحاس، ورجليه من رصاص، أصفعه صفعةً فأصيّر أنفه في قفاه، أنا السهلُ الهاطل، أنا المقتُ الشاطر، أنا بلاَّعُ القناطر، إن لم ألْعب بك في الطَّبطاب(١)، وأُفَسِّيك فسو الصَّعوِ(٢) في الرِّطاب باسم شيطاني مستلاب، أنا أقسى من الحجر، وأهدى من القطاة، وأزهى من الغُراب، وأحذرُ من العَقعق، وأولعُ من الذباب، وألجُّ من الخنفساء، وأحدُّ من النورة وأغلى من الترياق، وأعزُّ من السم، وأمرُّ من العلقم، وأشهرُ من الزَّرافة.

أنا الموجُ الكدر، أنا القفل العسِر، رأسي سندان، نابِي سكين جزار، يدي مطرقة حدّاد: إيش تقول؟ صادقني وسل عني، أنا صعصعة الحي. أنا خيرٌ لك من غيري. هُو ذَا وجهِي إلى الآخرة، لك حاجةٌ إلى ربِّك؟ هو ذا أجدُ ريح الدم. إيش تَرَون؟ مَنْ ينطق؟.

فسكت القومُ، وبادر الغلام وأخذ بيده وصادقَه.

كان بمرو رجلٌ يتفتَّى ويتشطَّر، ولم يكن له يومٌ من أيام الفتيان قط ولا

---

(١) الطبطاب: جمع طبطابة، وهي عصا عريضة يلعب بها الكرة.
(٢) الصَّعْو: العصفور الصغير، وقيل: طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس.

فِتكةٌ من فتكاتِهم، إلى أن وقع بينَه وبين رجل قصَّارٍ ضعيفٍ شرٌ، فضربَه ضربًا وجيعًا وأذلَّه فكان يفتخرُ بذلك ويتطاولُ عند الفتيانِ به، فتأذَّى جيرانه بواحد قصّابٍ جلْد؛ فجاؤُوه وقالوا: فلان قد تأذَّينا به، فتكفُّ عنَّا شرَّه وتذلُّه. وتكفينَاه. فقال: لا أدرِي منْ فلان؟ ولكن إن شئتُم ضربتُ لكم القصّار وأنزلتُ كلَّ مكروه به.

وقع بين شاطرٍ وشِبْهِ له كلامٌ؛ فقال أحدهما للآخر: لولا أنك أكبر سِنًّا مني لجرَّحتُك، ثم مضى غَيرَ بعيد، فوقع بينه وبين آخر. فقال: والله لولا أنك أصغرُ مني لقاتلتُك، فقال له رفيقُه: يا ابنَ الزانية، متى يتفقُ لك توأمٌ تقاتله؟.

قال بعضُهم: مررتُ بواحدٍ وهو يقول: يا مَنْ أُمُّه زورق تسعُ ألف كرٍّ بالمعدل خردل.

قال بعضُهم: رأيتُ شاطرًا يضرب بالقلْس[1]، وهو ينظر إلى الأرض؛ فلما بلغ الضربُ مائةً قال له الوالي: ارفع رأْسَكَ. فقال: يا سيدي، بقِيَ رأسُها. قال: وما معنى: بَقي رأسُها؟ قال الجلاَّد: كنت أضربُه وهو يصوِّرُ برجله في الأرضِ بطَّةً وقد بقي رأسها.

قال إسحٰق بن إبراهيم الموصلي: دخلتُ على فتيانٍ من أهل المدينة يشربُون، وإذا هم متكئُون على كلابٍ كُرْدية؛ فقال بعضهم: هاتُوا وسادة لأبي محمد؛ فجاؤُوا بكلب؛ فلما اتكأت عليه قالوا: هاتوا له أيضًا مخدة؛ فجاؤُوا بجرو؛ فلما تناولوا الأقداحَ جاء غلامٌ وفي يده قدَّاحة يقدحُ في لحيةِ من يحبسُ القدح.

عُزلَ حارسُ ناحيةٍ؛ فجاء قومٌ إلى المعزولِ يتوجَّعون له؛ فقال بعضُهم: لو كان غريبًا عذرناه، وإنما العجبُ أنه أخوك؛ فقال: اعذُروه فإن الملكَ عقيقٌ، يريد عقيم.

(١) القلس: حبل غليظ من حبال السفن، أو حبل ضخم من الليف.

كان عثمانُ الخيّاط من كبارِ الفتيان والشطَّار؛ فقال: ما سرقتُ جارًا قط ولو كان عدوًّا، ولا سرقتُ كريمًا وأنا أعرفُه، ولا خُنْتُ مَنْ خانني، ولا كافأْتُ غدرًا بغدر، ولقد قَتَلْتُ بيدي أكثَر مِن مائة خَنَّاق ومُبنِّج؛ لأنهما لا يقتُلان ولا يسلُبان إلا عند وجوبِ الحُرمة، وعند الاسترسالِ والثِّقة.

وكان يُسمَّى الخياط لأنه نقبَ نقبًا فأخرج كلَّ شيءٍ كان في البيت، حتى دثار الدار صاحب الدار وشعارَه، ثم خرج وسدَّ النقب، وسوَّاه تسويةً كأنه خاطه أو رَفاه، فلُقِّب بالخيَّاط.

وكان سليمان بن طرادٍ منهم، وكان لا يقعدُ في دهليزهِ، ولا يشرب من جناحه، بل يصير في قَصْرٍ من قصور الأُبُلَّة، ولا يطَّلع في كوَّةٍ، ويأْمُر بذلك أصدقاءه وأصحابهُ، ويقول: إنْ تعوَّدتُم النظر إلى الماء والخروجَ إلى المتنزهات جرعتم من الحبس لم تدفعوا ضيمًا، ولم تكسبوا مالاً.

وكان يقول: لا يُعجبني الفَتَى يكونُ لحَّاظًا. وكان صاحبَ إطراقٍ.

وكان يقولُ: إياكم وفضولَ النظرِ، يدعو إلى فضولِ القول والعمل.

ومنهم بابويه، وكان شيخًا كبيرًا ذا رأْيٍ ونجدة، وصدق وأمانة، وهمَّةٍ بعيدة، وأنفةٍ شديدة.

وكان محبوسًا بعدَّة دماء فلما نقب حمير بن مالك السجن، وقام على باب النقْب يُشرِب الناس ويحميهم؛ ليستتمَّ الكرَامة، وجاء رسولُه إلى بابويه، فقال: أبو نعامة ينتظرك، وليس له همٌّ سِوَاك، وما بَرَدْت مسمارًا، ولا فككت حلقة، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج الناسُ حتى الضعفاء؛ فقال بابويه: ليس مثلي يخرجُ في الغِمار، وتدفع عنه الرجال. لم أُشاوَر ولم أُؤامر. ثم يقال لي الآن: كن كالظَّعينة، والأمة، والشيخ الفاني. والله لا أكونُ في الجنة تابعًا ذليلاً.

فلم يبرح، وخرج سائرُ الناس ـ وإجرامه وحده كإجرام الجميع ـ فلمَّا جاء الأميرُ ودخل السجن فلم ير فيه غيرَه قال للحرس: ما بالُ هذا؟ فقصُّوا

عليه القصَّة؛ فضحك وقال له: خُذ أي طريق شِئتَ؛ فقال بابويه: هذا عاقبةُ الصَّبر.

العي ومكاتبات الحمقى[(١)]

كتب بعض الرؤساء إلى وكيلٍ له في ضَيْعَةٍ: وقد وصلتِ النعاج، وهي: تسعُ نعاج. وتسعُ نعاجٍ نصفها أربعٌ ونصفٌ نعاج.

وكتب فلانُ ابن فلان في الوقتِ المؤرخ فيه.

قال بعضُهم: ما مِن شرٍّ من دَين؛ فقيل له: ولِمَ ذاك؟ قال: من جرَّاءِ يتعَلَّقون.

قال قاسم التَّمار في كلام له: بينهما كما بين السماء إلى قريبٍ من الأرض.

وقال أيضًا: لو رأيتَ إيوان كسرى كأنما رُفِعتْ عنه الأيدي أول من أمس.

وقال الجاحظُ: قال لي ابن بركة: يا أبا عثمان، لا تثقنَّ بقحبةٍ ولو كانت أُمَّك. قال: فلم أر تأديبًا قط أبعد من جميع الرشد من هذا.

قرأتُ لبعض كتاب الزمان في كتاب سلطان أنشان: مَا سمع قرعِي هذا. يريد: ما قَرعَ سمْعِي.

وبعضُ كتابِ الأُمراء يوقعُ في الصِّكاكِ والمناشير: اللهم ألبسنا العافية.

وكان بعضُ أكابر كُتَّاب عضد الدولة يوقعُ في الصُّكاك:

الحمدُ لله فتَّاح المغَاليق؛

فكتب بعضُ البغداديين تحت توقيعه:

(١) نثر الدر للآبي ٢/ ٢١٠ ـ ٢١٦.

شُربِي وشربُكَ مُذْ جِئْنا على الرِّيقِ.

تظلَّم أهلُ «قمّ» إلى عبد الله القمّي وزير ركن الدولة من أخيه ـ وكان واليهم ـ ورفعوا إليه رُقْعة؛ فوقَّع في قصتِهم: منْ دفع في أخي درهمًا دفعتُ فيه دينارًا؛ فإنَّ ودَى ودَى، وإنْ لا وَدَى خَرج من دَقِّه وجلده حتى ودَى؛ والسلام.

قال بعضُهم: جئتُ إلى كاتبٍ وسألتهُ كتابَ شفاعةٍ إلى بعضِ أصدقائهِ؛ فكتب: يجبُ أن تصونه وتَحُوطَه، وتردَّ عليه خُطوطَه. قال: فقلتُ: الرجُل لم يعرفْني قط، وليس معه شيءٌ من خطوطِي؛ فقال: إن أردت أن تأْخذَ الكتَاب فخُذه، وإلاَّ فإنِّي لا أُضيِّع سَجعِي.

قال بعضُهم: كتب إلى جامع الصيدلاني كتابًا؛ فكتب جوابه. وجعل عنوانه مني إلى ذاك الذي كتب إلي.

كتب ابن المتوكل إلى محمد بن عبيد الله يطلبُ فَهْدًا؛ فكتب إليه: نُحِرتُ عند مقام لاَ إلـٰهَ إلاَّ الله صلى الله على سيدي فديتُه، إنْ كان عندي مما طلبته وزن دنِقٍ فلا تظنَّ يا سيدي أني أبخلُ عليك بالقليل دون الكثيرِ فَضْلاً عن الكثير، والسلام.

وكتب معاويةُ بن مَرْوان ـ وكان مُحَمّقًا ـ إلى الوليد بن عبد الملك: قد بعثتُ إليك بقطيفةٍ حَمراءَ حمراءَ حمراءَ؛ فكتب في جوابه: قد وصلتْ، وأنت أحمقُ أحمقُ أحمقُ.

قال أبو العيناء: كتب بعضهم إلى صديقٍ له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وأمتعَ بك، حفظك الله وأتقى لك من النارِ سوء الحساب. كتبتُ إليك والدجلةُ تطفحُ، وسفنُ الموصل هـٰهنَا، والخبزُ رطلَيْن؛ فعليك بتقوى الله وإياك والموت؛ فإنه طعامُ سوءٍ، والسلام.

وكتب بعضُ الهاشميين إلى السِّنْدِي بن شاهك.

باسم الله وأمتَع بك: إنَّ أخَا خادمِي أخذَ رجلاً من الشُّرط بسببِ كلْب يقالُ له موسى، وموسى ليس عندنا يُدَاعى؛ فإن رأيت أنْ تأْمُرَ بسبيل تَخليته فعلت إنْ شاء الله.

وكتب بعضُ ولدِ المتوكل إلى أبي أحمد الموفَّق: أطال الله بقاءك يا عمي، وأدام عزّك وأبقاك: أنا ـ وحقّ النبيّ ﷺ ـ أُحبُّك أشدّ من المتوكل وأشد من والدي، ولا أحتشمُك أيضًا. وقد جابُوا لك مطبوخ من عُكْبَرَا، فأحبُّ أن تبعثَ إليّ منه خمسَ دِنان وإلا ثلاث خُماسيات، ولا تردّني فأحرد بحياتي.

وكتب بعضُ الهاشميين إلى عليّ بن يحيىٰ بن المنجِّم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أستوهبُ الله المكارهَ كلها فيك يا سيدي برحمته، وأحب يا سيدي أنتَ أن تسقيني زبيب نبيذٍ وعسلٍ، فإني عندي رجلٌ يشربُ المطبوخَ إنْ شاء الله.

وكتب إلى صديقٍ له: فدَتْكَ نفسي. أنا وحدي، والجوارِي عندي، وأنا وأبو إسحٰق وأبي العباس في البستان، موفقًا إن شاء الله.

وكتب إلى آخر يستعيرُ منه دابة: أردتُ الركوبَ في حاجةٍ إن شاء الله فكتب إليه الرجل: في حِفظ الله.

قال أبو العيناء: شكا بعضُ جيرانِ محمد بن عبيد الله بن المهدي إليه أذَى غِلْمانه للجيران؛ وسأله أنْ ينهاهُم فكتب إليه محمد: قبلَ كل شيء؛ فصحبَك الله أما لي بخيرٍ حين تشكو الغلمان بسبب الجيرانِ لم هم مملوكين. وكم ثمنُ دارك؟ لو كانت مثل قصر الخليفة حتَّى، لم أكن أمتنعُ من هبتَها لغلامك ولو خرجتُ عن دخول بغدادِ. إني والله لو كنت حارسَ الكلب إذا كنت غائبًا عنها. وأعوذ بالله لو كلمتُك عشر سنين؛ فانظر الآن أنت إليَّ،

عليَّ المشيُ إلى بيتِ اللهِ ـ أعني به الطلاق ـ وثلاثين حجةٌ أحرار لوجه الله وسبيلِي حُبسٌ في دوابِّ الله فعلت موفقًا إن شاء الله.

قال: وكتب زنقاح ـ وهو محمد بن أحمد بن علي بن المهدي ـ إلى طبيبه: ويلَك يا أبو حنا، وأتمَّ نعمته عليك قد شربت الدواء خمسين مقعدًا، المغْصُ والتقطيع يقتلان بطني، والرأس فلا تسل له مصدعًا بعصابةٍ مذ بعد أمس، فلا تؤخر احتباسك عنِّي. فسوف أعلم أني سأموت، وتبقى أنتَ بلا أنا. فعلتَ موفَّقًا إن شاء الله.

وكتب إلى صديقٍ له يطلبُ منه بخورًا.

شممتُ منك اليومَ ـ وحق الله عزَّك الله ـ رائحةً طيبةً وذلك وحياتك باطراح الحِشْمة موفقًا، إن شاء الله.

قال: وكتب آخرُ إلى أبيه من البصرة:

كتابي هذا ولم يحدث علينَا إلاَّ خير والحمد لله، إلاَّ أنَّ حائطنا وقع، فقتل أُمي وأُختي وجاريتنا، ونجوتُ أنا والسنَّور والحِمَارُ. فعلت إن شاء الله.

قال أبو العيناء: شكا بعضُ الكتاب في نكبته وكان قد وزّر فقال: أخذوا مالِي، وقلعوا أسناني إلاَّ أنَّ داري لم تبرح مكاني.

قال أبو هفَّان: سمعتُ بعض الحمقى يخاصِمُ امرأته، وفي جيرتهم أحمقُ آخر، فاطَّلع عليهم؛ فقال: يا هذا، اعمل مع هذه كما قال الله تعالى: «إما إمساكٌ بإيِش اسمه، وإما تسريحٌ بإيش يقال له»(١) فضحكت من حُسنِ بيانه.

وكتب آخرٌ إلى صديقٍ له يعزِّيه عن دابته:

بسم الله الرحمـٰن الرحيم. جعلني الله فِداك، بلغني منيتك بدابَّتك،

---

(١) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٩].

ولولا علةٌ نسيتُها لسرتُ إليك حتى أُعزِّيك في نفسي.

جاء رجُلٌ إلى الرَّشيد؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إني قد هجوتُ الرافضةَ. فقال: هات. فأنشده: [البسيط]

رغيفًا وسَمنًا وزيتونًا ومظلمة   من أن ينالوا من الشيخينِ طُغْيانَا

فقال: ويلك! فسِّره لي. قال: يا أمير المؤمنين، معك مائةُ ألفِ رجل من الجُنْد لا تعرفه، كيف أعرفُه أنا وحدي؟.

قال أبو عثمان: حدّثني مسعدة بن طارق قال: والله إنَّا لوقوفٌ على حدود دارِ فلان للقِسمة ـ ونحن في خصومةٍ ـ إذا أقبل سيدُ بني تميم وموسرهم، والذي يُصلي على جنائزِهم؛ فلما رأيناه مُقْبِلاً أمسكنا عن الكلام؛ فأقبل علينا؛ فقال: حدِّثوني عن هذه الدارِ هلْ ضَمَّ منها بعضٌ إلى بعضٍ أحدًا؟ قال مسعدة: فأنا منذ ستِّين سنة أفكِّر في كلامه، ما أدري ما عنى به.

كانت علامة أبي الحمار لما تقلَّد ديوانَ الخراج في سنة الفتنة، التي كان يوقعها في الصِّكاك: لا إلـه إلا الله ما أعجب ما نحن فيه! فكان بعضُ الكتَّاب بعد ذلك يقول: لا والله ما نحن إلاَّ في علامةِ أبي الحمار.

حُكِيَ عن حمزةَ بن نصر ـ مع جلالتهِ عند سلطانه، وموضعه من ولائه ـ: أنه دخل على امرأته، وعندها ثوبُ وشْي؛ فقالت له: كيف هذا الثوب؟ قال: بكم اشتريتِيه؟ قالت: بألف درهم. قال: قد ـ والله ـ وضَعُوا في استك مثل ذا، وأشار بكفِّه مقبوضة مع ساعدِه؛ فقالت: لم أزِن الثمن بعد. قال: فَخُصَاهم بعدُ في يدِك. قالت: فأُخْتُك قد اشترت شرًّا منه بألفين. قال: إنَّ أُختي تضرط من استٍ واسعة. قالت: ولكنَّ أُمّك عرض عليها فلم ترده. قال: لأن تلك في استها شعرة.

قال أحمد بن الطيب: هذا كلامُ الخرس أحسن منه.

قال أبو هفَّان: رأيت شيخًا بالكوفة قاعدًا على باب دار، وله زِيّ وهيئة

وفي الدار صُراخ. فقلت: يا شيخ، ما هذا الصراخ؟ فقال: هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المبضع شادَرْوانه فمات. يريد: بلغ المبضع شريانه.

وصف بعضُهم امرأةً؛ فقال: عينُها الأُخرى أكبرُ من عينها الأُخرى.

كتب بعضُ من وزر بالريِّ آنفًا كتابًا في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد - وكان قد حجَّ أبوه -: هذا الكتابُ يوصله فلانٌ ابن فلان، وهو والدي، وقديمُ الصحبة لي، واجبُ الحق عليّ، ولي بأمره عناية.

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد؛ على أنْ يشتري طعامًا من طعامهم في بعض البيادر؛ فقال لها: إني قد رأيتُ متاعك. فقالت هاشميةُ: قُل طعامك. قال: وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد خمّ وحمى. وقد صار مثل الجيفة. قالت: يا أبا طالب، أليس قد قلَّبت الشَّعِير، فأعطِنا ما شئت، وإن وجدتَه فاسِدًا.

ودخل أبو طالب هذا على المأْمون؛ فقال: كان أبوك يابا خيرًا لنا منك، وأنت يابَا ليس تعدُّنا، وليس تبعثُ إلينا، ونحن يابا تجَّارُك وجيرانُك. والمأْمون في كل ذلك يتبسَّمُ.

قال الجاحظُ: كتب رجلٌ إلى صديقٍ له: بلغني أنَّ في بُستانِك آسًا بَهمنيًّا فهَبْ لي أمرًا من أمر الله العظيم.

قال: وهو الذي قال: كان عياشٌ وثمامةُ حيٌّ يُعظمُني تعظيمًا ليس في الدنيا مثله.

فلما مات ثمامةُ صار ليس يُعظمُني تعظيمًا ليس في الدنيا مثله.

وكان ابنٌ لسعيد الجوهري يقول: صلَّى الله تبارك وتعالى على محمدٍ ﷺ.

وكان بالريّ وَرَّاقٌ حسن الخط، وكان إذا كتب اسم الله تعالى أو اسم النبيّ في القرآن أو الشعر كتبَ بعدهما ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع؛

فكان يكتب في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ـ عزَّ وجلّ ـ ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾ ـ ﷺ ـ ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٤].

وكان يكتبُ في الشعر(١): [الرمل]

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا ـ عَزَّ وجَلَّ ـ خَيرُ نَفَل
وبإذن الله ـ تبارك وتعالى ـ ريثي وعجل

ويكتب(٢): [الوافر]

هجوتَ محمدًا ـ ﷺ ـ فأجبت عنه
وعِنْد الله ـ تعالى ـ في ذاك الجزاء

وقال الجاحظُ قلتُ لنفيس غلامي: بعثتك إلى السوق في حاجةٍ فلم تقضِها؛ فقال: يا مولاي، أنا ناقةٌ من مرضِي، وليس في ركبتي دماغ.

وقال الجاحظُ: قال الحجاجُ لأبي الجهير الخراساني النخاس: أتبيع الدوابَّ المعيبة من جُندْ السلطان؟ فقال: شَرِيكاتُنا في هوازها وشريكاتنا في مَدائنها، وكما يجيء يكون. قال الحجاجُ: ما تقول؟ قال بعضُ من كان قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية يقولُ: شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن يبعثون إلينا هذه الدَّواب؛ فنحن نبيعُها على وجوهها.

قال ابن أبي فنن: طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن الخصيب بُخورًا؛ فكتب إليه: فدَتْك نفسي من السوء برحمته، كتابي إليك وأنا وحدي، والجواري عندي؛ فأمّا البخور فإنَّ أبا العباس في الحمام إنْ شاء الله.

---

(١) البيت فيه زيادة (عزّ وجلّ) و(تبارك وتعالى)، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ١٧٤، ولسان العرب (نفل)، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٦٤، وتاج العروس (نفل).

(٢) البيت فيه زيادة (ﷺ) في الشطر الأول، و(تعالى) في الشطر الثاني، والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٧٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧٤.

وكتب بعضُ الشيوخ الفُضَلاء إلى شيخ من العدول بالري نفقت بغلته: نُبِّئْتُ أنَّ الشيخَ قد ماتَ بغلته، هيهات هيهات.

وحسبُنَا الله ونعم الوكيل، والحمدُ لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمد نبيّه وعلى آله الطاهرين وسلَّم تسليمًا.

نوادر من النحو واللحن(١)

سمع رسولُ الله ﷺ رجُلاً قرأ، فلَحنَ، فقال: أرشدوا أخاكم.

قال الأَصْمَعِيُّ: قلتُ لأَبي مَهْديّة كيف تقولُ: لا طيبَ إلاّ المسكُ قال: فأَينَ أنت عن العنبر؟ قلتُ: فقل لا طيبَ إلا المسكُ والعنبر. فقال: أين أنت عن البان؟ قلتُ: قُلْ لاَ طِيبَ إلا المِسكُ والعنبرُ والبَانُ. قالَ: فأَيْنَ أنْت عن أدْهان مخمر(٢)؟ قال قلتُ: فقل لا طيبٌ إلا المسكُ والعنبر والبانُ وأدهانُ محمَر. قال: فأين أنت عن فارة(٣) الإبل صادرةً؟

عَمِل بعضُ النَّحْويين كتابًا في التَّصغير، وأهداهُ إلى رئيس كان يختلفُ إليه فَنَقَص عطَّيتَه، فصنَّف كتابًا في العطْف، وأهدَاهُ إليه، وكتبَ معه: رأيتُ بابَ التصغير قد صغَّرني عِنْد الوزير، وأرجُو أنْ يعطِفَهُ عليَّ بابُ العطفِ.

سمعت الصاحبَ ـ رحمهُ اللَّهُ ـ يقول: كان سببُ اتصال ابن قريعَةَ القاضي بالوزير أبي محمد المهلَّبي أن ابنَ قريعةَ كان قَيِّمَ رحًى له، فرفَع إليه حسابًا، فيه درهمان ودانقان، وحَبَّتان، فدعاهُ، وأنكرَ عليه الإعرابَ في الحساب.

فقال: أيُّها الوزيرُ، صارَ لي طَبْعًا، فلستُ أستطيع له دَفْعًا. فقال: أنا أُزيلُه عنك صَفْعًا. ثم استدناهُ بعد ذلك، وقرَّبَه.

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ١٧٦ ـ ١٨٣.

(٢) أدهان محمر: نوع من العشب طيب الرائحة.

(٣) الفأرة: المسك.

قال نحويٌّ لرجل: هل ينصرفُ إِسماعيلُ؟ قال: نعم، إِذا صلَّى العشاءَ فما قُعوده؟

وحكي أنَّ جماعةً عند محمد بن بحر اختلَفُوا في بناءِ سَراويل، فدخل البرقيُّ.

وقال: فيما كنتُم؟ قالُوا: في بناء سَراويلَ. فما عندَك فيه؟ قال: مثلُ ذراع البكْر أو أشدُّ.

قال النوشجَانُ: حضرتُ مجْلِسَ المبرَّدِ، فسمِعنا وَاحِدًا يقول: في حرامِ أصْبهان.

فقال أبُو العباس: هذا قد شتمَك عَلَى مذْهب قول الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

سمع ذو الرُّمة رجلاً يقول: على فُلان لعْنةَ اللَّهِ. فقال: لم يرْضَ بواحدة حتى شفَعَها بأُخْرَى. وذلك أنه لما سَمِعهُ مفتوحًا قدَّر أنَّه أرادَ التَّثنيةَ: لعنتَا الله.

قيل لرجل كان يكْثُر اللَّحنُ في كلامِه: لو كنتَ إِذا شككتَ في إِعراب حَرْف تخلصْت مِنه إِلى غيْره، مِنْ غير أنْ تُزيلَ المعنَى عن جهته كان الكلامُ واسِعًا عليك، فلَقِيَ رجلاً كانَ مشهورًا بالأدب، فأَراد أنْ يسأَله عنْ أخيه، وخَشِيَ أن يَلْحَن في مُخَاطَبَتِه، فذهبَ إِلى أنْ يتخلَّص عِنْد نفْسه إِلى الصَّواب. فقال: أخُوك، أخِيك، أخاك هَا هُنا؟ فقال له الرجلُ: لا، لُو، لِي، ما هو حاضرٌ.

وقف نحويٌّ على صاحب باذِنْجان، فقال له: كيف تبيعُ؟ قال: عِشرين بدانق. قال: ما عليك أن تقولَ: عشرون بدانق!! فقدَّر أنَّه يسْتزيدُه. فقالَ: ثلاثِين بدانق. فقال: وما عليكَ أن تقولَ: ثلاثون؟ فما زالاَ علَى ذلك إِلى أَن بَلَغَ تَسْعين. فقال: وما عليْكَ أنْ تقُولَ بتسعون؟ فقال: أراكَ تَدورُ على المائتون، وهذا ما لا يكون.

ومر نحويٌّ بقصَّاب ـ وهو يسْلُخ شاةً ـ فقال كيفَ المسْتطرَقُ إلى دزْب الرَّأسين؟ فقال القصَّابُ: اصبرْ قليلاً حتى يخرجَ الكرْشُ، وأدلَّك على الطَّريق.

وقدَّم نحويٌّ خَصْمًا له إلى القاضي، وقال له: لي عليكَ مائتان وخَمْسون درهمًا.

فقال لخَصْمه: ما تقول؟ فقال: أصلح اللَّهُ القاضِيَ، الطَّلاقُ لازمٌ له إنْ كان إلا ثَلاَثمائة. وإنَّما تَرك منها خمْسين ليُعلِمَ القاضيَ أنه نحْويٌّ.

وقدَّم آخر خصْمًا له إلى القاضي، وقال: لي عليه ديناران، صحيحان، جيِّدان. قال القاضي: ما تقولُ؟ قال: أعزَّ اللَّهُ القاضِيَ، هذا بغيضٌ. قال: بلَى. قال: فاضْفَعه؟

قال: إذنْ «تَزنُ». قال: لا أُبالي. قال القاضي: وأنا شريكُك. زنْ أنت (دينار) وأزِنُ أنا (دينار) وأضْفَعَه.

دقَّ رجل باب بعْضِ النحويين، فقال صاحبُ الدَّار: مَنْ ذا؟ قال: أنا الذي أبو عمرو الجصَّاص عقد طَاقَ بابِ هذه الدار. قال النَّحويُّ: ما أرى لك في صلَة الذي شيئًا. فانصرْفْ راشدًا.

قيلَ: النحوُ مُلْحُ العلم، ومتى اسْتُكْثِرَ مِن الملح في الطَّعام فَسَدَ.

سمع المازني قَرْقَرَةً مِنْ بَطنِ رجُل، فقال: هذه ضَرْطَةٌ مضْمَرَةٌ.

قيل لأَبي سعيد السِّيرافي: ما علامةُ النَّصب في عَمْرو. فقال: بُغْضُ علي بن أبي طالب. وأنشد ذو الرمة[1]: [الطويل]

وعينان قال الله كُونا فكانتا ... «فعُولان» بالألباب ما تَفْعل الخمر

فقال له عيسى بن عُمر: فَعُولَيْن. فقال ذو الرمة: لو سَلَحْتَ كان خيرًا

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٢١٣.

لك. أترى الله أمَرَهُما أن يسحرا.

مرَّ أبُو علقمة بأَغْلال قد كُتِبَ عليها رُبَّ سلِّم لأَبي فلان. فقال لأَصحابه: لا إِلٰه إِلا اللَّهُ يلحنُون ويربحون.

قال رجل للحسن البصري: يا بُو سعيد: أنا أفْسِي في ثوبي، وأصلِّي يجوزُ؟

قال: نَعَمْ. لا أكثرَ اللَّهُ في المسلمين مِثلكَ.

وجاء إِليه رجلٌ فقال: ما تقولُ في رجل ماتَ، وترك أبيه وأخيه؟ فقال له الحَسنُ: ترك أباهُ، وأخاه، فقال: فما لأَباه وأخاه، فقال الحسن فما لأَبيه وأخيه؟ فقال الرجلُ: إِني أراك كُلَّما طاوعتُك تخالفني.

قال سعيدُ بن سلم: دخلت على الرشيد فجَهدني، وملأَ قلبي، فلحن، فخفَّ على أمْره.

قال الزُّهري: أحْدثُ الناس مروءةً أحبُّ إِليَّ من طلب النحو.

سمع أبو عمرو أبا حنيفة يتكلَّم في الفِقه، ويلحَنُ، فاسْتحسن كلامه، واستقبحَ لحْنه.

فقال: إِنه لخطابٌ لوْ ساعَدهُ صواب. ثم قال لأَبي حنيفة: إِنك أحوجُ إِلى إِصلاح لسانِك مِن جميع الناس.

قال أبو سعيد السِّيرافي: سمعتُ نفطويه يقول: لحنُ الكُبراءِ النَّصبُ، ولحنُ الأَوساطِ الرَّفعُ، ولحنُ السَّفلةِ الكسْرُ.

دخل خالدُ بنُ صَفوان الحمام. وفيه رجلٌ مع ابنه ـ فأَرادَ أن يُعرِّف خالدًا بلاغته. فقال لابنه: يا بنيَّ؛ ابدأ «بيداك» وثنِّ «برجْلاك». ثم التفت إِلى خالد، فقال: يا أبا صَفوان؛ هذا كلامٌ قد ذهب أهلُه. فقال خالدٌ: هذا كلامٌ ما خلق الله لهُ أهلاً.

قال أبو هِفَّان: رأيت بعض الحَمْقى يقول لآخرَ: قدْ تعلمتُ النحوَ كلَّه

إلاَّ ثلاث مَسائل. قال: وما هي؟ قال: أبو فلان، وأبا فلان، وأبي فلان. قال: هذا سهْلٌ. أما أبو فُلان فالملوك، والأُمَراءِ والسَّلاطين، والقُضاة، وأمَّا أبا فلان فللبناة والتُّجار، والكُتَّاب. وأَمَّا أبي فلان فلِلسّفل والأَوْغاد.

قال السِّيرافي: رأيتُ رجلاً من المتكلِّمين ببغداد بلغ به نقصُه في معرفة العربية أنهُ قال في مجلس مشهور، بين جماعة حضور: إن العبْدَ مُضطرٌ، وإِنَّ اللَّه مُضطِرٌ. بكسر الطاءِ. ورعمَ أنَّ القائل: الله مضطرٌ كافرٌ.

قال رجلٌ للحسن البصري: إِن هذا الرّجُل قد زوَّج أُمَّه مِن رجل نبطيٍّ فقال له الرجلُ: يا بُو سعيد. هذا محروم. يريد (محَرَّم). فقال الحسنُ: كذا أشتهي أن تكون لغةُ مَن زوَّج أُمَّه.

قيل لأَعرابي: هذا قصرٌ. «بما» ارتفع. فقال: بالجصِّ والآجُرِّ.

مدح شاعرٌ طلحة صاحب البريد بأَصبهان، فلم يُثِبه. فقال: لو كنتُ مِن مدْحي بلا صفد لاكتلتُ مِن طلحةٍ كُرَين مِن خير. فقال له طلحةُ: لحنت، لأَنَّك صرفتَ طلحة، وطلحةُ لا ينصرف، فقال له: الذي لا ينصرفُ طلحةُ الطلحات، فأَما أنت فتبلغُ الصِّين بنفخة.

قيل لأَعرابي: كيف تقولُ: ضرب عبد الله زيد؟ فقال: كما قُلتَ. قيل: لِمَ؟ قال: لشرٌ أحسبه وقع بينهما.

قدِم رجلٌ على بعض الوُلاة، فقال له: مِن أين أقبلت؟ قال: مِن أَرْض اللَّهِ.

قال: وأين تُريد؟ قال: بيت اللَّهُ. قال: ومِمَّن أنت لا أُمَّ لك؟ قال: من «تيم» الله فأَمَر بوجىء عُنُقِه. فقال: بسم الله فقال: اتركوا ابن الخبيثةِ. فلو تركَ الرفع وقتًا تركهُ السَّاعة.

قال أبو العَيْناء: دخل رجلٌ إِلى عَليل: فقال له: لا إِلٰه إلاَّ اللَّهُ، وإِن شِئت لا إِلٰهٌ إِلاَّ اللَّهُ، والأُولى أحبُّ إِلى سيبويه[1]. فقال أبو العليل: حَرَمَني

---

(١) سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن =

اللَّهُ أجْرَه إن لم يكن مَشهدُك له أشدَّ عليَّ مِن موْته.

قال رجلٌ لآخر: تأمرُ «بشيئًا»؟ قال: بتقوى اللَّهِ، وإسقاطِ الألَف.

قال خلف قلتُ لأعرابيٍّ: أُلقِي عليْك بيتًا؟ قال: على نفسك فألْقِه.

قال رجلٌ من البَلديِّينَ لأعرابي ـ وأراد مَسْألته عن أهلِه ـ كيف «أهلِكَ؟ قال ـ بكسْر اللام. فقال الأعرابي: صَلْبًا. لأنه أجَابه على فهمِه، ولم يعلمْ أنه أرادَ المسألة عن أهله.

قال الجاحظ: قال بشر المريِّسي لجلسائه: قضى اللَّهُ لكم الحوائجَ على أحسن الوجوه، «وأهنؤُها». فقال له قاسِمٌ التَّمَّارُ: هذا على قولِه[1]: [المنسرح]

إنَّ سُلَيْمَى واللَّهُ يكلؤُها ضنَّت بشيء ما كان يرْزؤُها

فصار احتجاجُ قاسم أطيبَ مِن لحْن بشر.

وقال: قدَّم رجلٌ من النَّحويِّين رجُلاً إلى السُّلطان في دَين له عليه، فقال: أصلح اللَّهُ الأميرَ، لي عليه درهمان. فقال خصمه له: واللَّهِ ـ أصْلحك اللَّهُ ـ ثلاثةُ دراهمَ ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقِّه درهمًا.

وكان سابقٌ الأعمى يقرأ: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوَّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]. فكان ابنُ جَابان إذا لقيهُ قال: يا فاسقُ ما فعل الحرفُ الذي تُشركُ باللَّهِ فيه؟

قال: وقرأ مرةً: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١] بفتح تاء تنكحوا، فقال ابن جابان: وإِن آمنُوا لم نَنكحهم.

سمع أعرابي رجلاً يقول: أشهد أنَّ مُحمَّدًا رسولَ الله بالفتح فقال: يفعل ماذا؟

= كعب، سكن البصرة، وتوفي بمدينة ساوة سنة ١٧٧، له «الكتاب» في النحو مشهور. (كشف الظنون ٥/ ٨٠٢).

(١) البيت لإبراهيم بن حرمة في ديوانه ص ٥٥، وشرح شواهد المغني ص ٨٢٦، ومغني اللبيب ص ٣٨٨، ٣٩٦، وبلا نسبة في لسان العرب (كلأ).

قيل لأَعرابيٍّ: كيف تقولُ استخذيت أو استخزيت؟ فقال: لا أقولهما.
قيل: ولِمَ؟

قال: العربُ لا تَستخذِي.

سَكر هارون بن محمد بن عبد الملك ليلة بين يدي الموَفَّق، فقام لينْصَرف، فغلبهُ السُّكرُ، فقام في المضرب. فلما انصرف الناسُ جاء راشدٌ الحاجبُ، فأَنبههُ وقال: يا هارونُ انصرف.

فقال بسكره: هارونُ لا ينصرفُ. فسمع الموفَّق فقال: هارون لا ينصرفُ فتركه راشدٌ فلما أصبح الموفقُ وقف على أن هارون بات في مَضرَبَه. فقال: يا راشدٌ أيبيتُ في مضربي رجلٌ لا أعلم به؟ فقال: أنت أمَرْتني بهذا، قلتَ: هارونُ لا ينصرف. فقال: إنَّا لِلَّهِ ـ وضحِك ـ أردْتُ الإِعراب وظننت أنت غيْرهُ.

يقال: إنَّ يزيدَ بن المهلَّب كان فصيحًا لم يُؤخذ عليه زلَّةٌ في لفظ إلاَّ واحدةً، فإنَّه قال على المنبر ـ وذكرَ عبد الحميدِ بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب. فقال: وهذه الضَّبُعةُ العرْجاءُ. فاعتُدَّت عليه لحْنًا، لأَنَّ الأُنثى إنَّما يُقالُ لها الضَّبُع، ويقال للذكر الضَّبعَانُ.

قيل: كان خالد بن صفوان يدخُلُ على بلال بن أبي بُردة يحدِّثه، فيلحنُ. فلما كثُر ذلك على بلال قال لهُ: أتحدِّثني أحاديث الخلفاء، وتلحنُ لحن السِّتات. وكان خالدٌ بعْد ذلك يأْتي المسجدَ ويتعلَّمُ الإِعراب.

كان الشِّيْرَجيّ إمامًا من أئمة الحنبلية، اجتاز بمسجد فيه معْزًى فخرج عليه من نحْويّ بغيضٌ. فقال له الشِّيْرَجيُّ: مَن المُتوفَّى؟ فقال النَّحوي: اللَّهُ نبيِّه. وقال زنديقٌ: والله رفعُه إِلى صاحب الحَشر.

قرأ الوليد بنُ عبد الملك يومًا على المنبر: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٧] فقال عمر بن عبد العزيز: عليك.

سُئِل نحْويٌّ عن تصغير عُبَيْد الله فقال: لَيس في سَجْدتيِ السَّهو سَهوٌ.

وذُكر أنَّ معاويةَ قال: كيف أبو زيادٍ؟ فقالوا: ظريفٌ على أنه يلحنُ.

فقال: أو ليسَ ذاك أظرف له؟ أرادوا اللَّحن الذي هو الخطأ. وذهب معاويةُ إلى اللَّحن الذي هو الفطنةُ.

قالوا: كان سبب عَمل أبي الأَسود الدُّؤلي[١] النَّحْوَ هو أول من وضعهُ وقيل إنَّ أميرَ المؤمنين عليًا عليه السلام جعل له مِثالاً فبنى عليه واحْتذاه أن أبا الأَسود سمع رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينِۙ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٣] بالخفض. وسمع ابنته تقول: ما أطيبُ الرُّطب؟ وهي تُريد التَّعجب، وظنَّ أنها تريد الاستفهام، فعمل شيئًا من النَّحو، وعرضهُ على أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: ما أحسنَ هذا النحوَ الذي أخذتَ فيه فسُمِّي نحْوًا.

مرَّ الشعبيُّ بناس من الموالي يتذاكرون النَّحو، فقال: لئن أصْلحتموه إنَّكم لأَوَّلُ من أفسدَه.

ورُوي أن الحجاج قرأ: إنا مِن «المجرمون» مُنتقِمون[٢].

وكان محمَّد بنُ سليمان يقول في خُطبته: «إن الله وملائكتُه»[٣] برفع الملائكة. فقيل له في ذلك. قال: فخرِّجُوا لها وَجهًا، ولم يدَعِ الرَّفع.

قال بعضُهم: قلتُ لواحد مِن أين جئت؟ قال: مِن عند أهلُونا. قال: فقلتُ له: قل: أهلينا. قال: سبحان الله نعْدِل عن قول الله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١].

قدِم العُريانُ بنُ الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفَّظْ مِن مَسْلمةَ فإنه يقول: لأَن يُلقمني رجلٌ حجرًا أحبُّ إليَّ مِن أن يُسْمعني لحْنًا، فأَتاه العُريانُ

---

(١) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، واضع علم النحو، سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في خلافة علي، وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، وله شعر جيد، توفي سنة ٦٩ هـ. (الأعلام ٣/ ٢٢٦).

(٢) في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

(٣) في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، بفتح التاء.

ذات يوم، فسلَّم عليْهِ. فقال له مَسْلَمةُ: كمْ عطاءَك؟ فقال العرْيان ألْفين. فقال: كمْ عطاؤك؟

قال: ألفان. فقال: ما الذي دعاك إلى اللَّحن الأوَّل؟ فقال: لحن الأَمير، فكرهتُ أن أُعرِب، وأغْرَب فأَعرَبتُ. فاسْتحْسَن قوله، وزاد عطاءَه.

قال رجلٌ لآخر: ما فعل فُلان بحماره؟ قال: أنا بسرت بالباء. قال: وأنا أيضًا بسرتُ بالباء.

وقال أعرابي: كنت أظن أبا المهاجر رجلاً صالحًا، فإذا هو يلحنُ.

قال يونُس: كُنا ننظرُ إلى الشابِّ في المسجد الجامع بالبصرة يخطرْ بين السَّواري. فنقول: إما أن يكون قرشيًا أو نحْويًا.

قيل لبعض النحويين: ما تقول فيمن سَها في سَجْدتي السَّهو؟ فقال: ليس للتصغير تصغيرٌ.

نوادر المخنثين[١]

قال بعضُهم: شهدتُ مجْلسًا فيه قينةٌ تغنّي، فذهبت تتكلَّف صيحةً شديدةً فانقطعت. فصاحت من الخجلِ: اللصوصَ اللصوص. فقال لها مُخَنَّث كان في المجلس: واللَّهِ يا زانيةُ ما سُرق من البيت شيءٌ غيرُ حَلقِك.

استوهب رجلٌ من مخنَّث في الحمَّام خِطميًا[٢]، فمنعَه. فقال: سُبحان اللَّهُ!! تمنعني الخطميَّ وقفيزٌ منه بدرهم؟ فقال المخنّثُ: فأحسبْ حِسابك أنت على أربعة أقفزة بدرهم، كم يصيبك بلا شيء؟

قال جَحْظَة[٣]: فاخرَني بعضُ المخنّثين فقال: يا أبا الحسن، وفي الدُّنيا مثلُ المخنثين؟

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ١٨٤ ـ ١٩٥.

(٢) الخطمي: نبات يغسل به.

(٣) جحظة البرمكي: هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، المعروف بجحظة البرمكي، الأديب البغدادي، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ، من تصانيفه: «ديوان =

قلتُ: كيف؟ قال: إن حدَّثوا ضحكتُم، وإن غنُّوا أُطرِبْتمْ، وإن ناموا نكتُم.

قال المتوكل لعبادة: ما تقول في تطبيل سَلمان المخنَّث؟ قال: هو حسنٌ، ولكنَّه مثلُ الهيْضة[1] يأْتِي بأَكثرَ مما يُحتاجُ إليه.

سمع مخنَّثٌ أنَّ صَوْم عَرفةَ كفّارةُ سنة، فصام إِلى الظهر، ثم أفْطرَ، وقال: يكْفيني سِتَّةُ أشْهر.

قيل لآخرَ: تُناك في الاسْت؟ فقال: أوَ لِيَ موضعٌ آخرُ؟

وقيل لآخر: أمَا تَستحِي منْ أن تُناكَ؟ فقال: ذُوقوا، ثم لُومُوا.

ودخل مخنَّثٌ الحمَّام، فنظرَ إلى رجل طويلِ الخُصيتين، قصير الأَير، فقال: سخنتْ عينُك. الغِلاَلَة أطْولُ من القميص.

وسمع آخر قومًا يقولون: إنَّ من كَثْرة الحِجامة يعرضُ الارتعاش. وأخذ شَعره يومًا وارتعش، فقال: يا رب أخذتُ شَعري. لم أحتجم.

مرَّ عيسى بنُ موسى بعد أن خلعهُ المنصورُ ـ وكان وليَّ عهدٍ بعدَه وقدَّم المهديَّ عليه ـ بمخنَّثٍ.

فقال: إنسانٌ مَنْ هذا؟ قال المخنثُ: هذَا الذي كان غدًا فصار بعْد غد.

قيل لعبادة: مَنْ يضربُ علَى ابن أبي العَلاء؟ قال: ضِرْسه.

مرتْ امرأةٌ بمخنّث حسن الوجْه ـ ومعها ابنةٌ لها ـ فقالت: ليت لابنتي حسن وجْهك.

= شعره»، «فضائل السكباج»، «كتاب الطبيخ»، «كتاب الطنبوريين»، «كتاب ما شاهده مما جربه المنجمون فصح من الأحكام»، «كتاب ما جمعه من أمر المعتمد»، «كتاب المشاهدات»، «كتاب النديم». (كشف الظنون ٥/ ٥٩ ـ ٦٠).

(١) الهيضة: معاودة الهم والحزن، والمرضة بعد المرضة، والقياء.

قال: وطَلاقي. قالتْ: تَعِستَ. قال: فتأْخذين ما صَفا وتتركين ما كَدر؟

وصف مخنَّثٌ امرأةً فقال: كأن رَكَبَها دارةُ القمر، وكأَنَّ شفْريها أير حمار فَلوى.

سمع آخر رجلاً يقولُ: دعَا أبي أربعةَ أنفسٍ، وأنْفَق عليهم أرْبعمائة دينار، فقال: يا بنَ البَغِيضة لعلَّه ذَبحَ لهم مُغَنِّيتين، وزامرةً، وإِلاَّ فأَربعمائة في «أيْش» أنفقها؟

قال شيخٌ لقرقر المخنَّث: أبْو مَنْ أنت؟ قال: أم أحمد. فديتُك!

سمع شاهِكُ المخنَّثُ رجلاً يصفُ الكرَفْس، وأنَّه جيد لفتحْ السَّدد. فقال: لا كان الله لك. أنا إِلى سدِّ الفتح أحوج.

تاب مخنَّثٌ، فلقيه مخنثٌ آخرُ، فقال: يا أبا فلان: أيْش حَالُك؟ قال: قد تُبتُ.

قال: فمن أينَ مَعَاشُك؟ قال: بقيتْ لي فضيلةٌ من الكَسْب القَديم فأَنا أتمزَّزُ لها.

قال: إِذَا كانت نفقتُك مِنْ ذلك الكَسْب فلحم الخنْزير طريٌّ خيرٌ من قَدِيد.

رأى عبادة دابةَ مخارق ـ وهي تُقرْمِط مَشْيها ـ فقال: يا مخارقُ برذونُك هذا يمشي على استحياء.

عُرض على عبادة خادِمٌ فقال: أنا لا أركبُ سفينةً بغير دَقَل(١).

قُدِّم إِلى عبادةَ رغيفٌ يابسٌ، فقال: هذا نُسِج في أيام بني أمية ولكن بلا طراز.

---

(١) دقل السفينة: خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمدّ عليها الشّراع.

ضُربَ طويسٌ في الشَّراب فقيل له: كيْفَ كان جَلَدك على وقعُ السِّياطِ؟ قال: بلغني أنّي كنتُ صَبُوراً.

كان للمتوكل مضحكان مخنَّثان يقال لأَحدهما شعرةُ وللآخر بعْرة. فقال أحدهما لصاحبه: ما فعل فلانٌ في حاجتِك؟ قال: ما فتَّني ولا قَطعك.

ذُكِرت العراقُ لمخنَّث مِنْ أهل الشَّام، فقال: لَعَنَ اللَّهُ العِراقَ؛ لا يُشرَبُ ماؤها أو يصْلب، ولا يشربُ نَبيذها أو يضربَ.

قال الجمَّاز: مات مخنْث يقال له نُويْفل فرآهُ إِنسانٌ في النَّوم كأَنه يقول له: أيش خَبرك يا نُويْفلُ؟ فقال: لا تسأَلْ. فيقولُ له: إلى أين صِرتَ يا نويْفل؟ قال: إِلى النار. قال: ويْلك! فمن ينيكَكَ في النَّار؟ قال: ثمَّ يزيد بن معاوية ليس يُقصِّر في أمْري.

نظر مخنَّث إِلى رجل دَميم الوَجْه فقال: وجهُك هذا نموذَج جهنم. اخْرج إِلى الدنيا.

قال عبادة لمكار: نِكْنِي «يَخْت» أي يَخْت قال: وكيف ذاك؟ قال: تُدْخِلُه يابسًا فإِما أن يَنْدقَّ أيرك. وإِما أن ينشَقَّ استي.

كان لمخنّث جاريةٌ نفيسةٌ، فقالت له يومًا: ويْلك! مَنْ أبْلاني بك؟ فقال: من أبْلاك بحَرك، سوَّد وجهَهُ وشقَّ وَسطه، وقطع لسانَه، وجعل إِلى جانبه صُرَّةً له.

قال ابن قريعة كان لبعض المخنَّثين أير عظيم. فكان يقول: أشتهي من ينيكُنِي بأَيري.

وقيل لمخنّث: لا تتنوَّر[1]؟ قال: إِذا كثر الدَّغَل[2] أخذ الناس طريق الجادة.

قال آخر: الاسْتُ مِسَنُّ الأَير، والقبلة بريد النّيك.

(١) النُّورَةُ: الهناء، وحجر الكلس، وأخلاط من أملاح تستعمل لإزالة الشعر، وتنّور: تطلّى بها لإزالة الشعر.

(٢) الدَّغَل: الشجر الكثير الملتف.

نَظَرَ مخنّثٌ إلى مسجد صغير لطيف، فقال لآخر: أما تريد هذا المسجد. ما أملحَهُ، لا يصلح والله إلاَّ أن يُحْمل في السَّفر.

نظر مخنَّث إلى رجل مِنْ وَلدِ أبي موسى الأَشعري يَمْشي وهُو يتبخْتر، فقال: انظروا إلى مشيَةِ مَنْ خدَعَ أباه عمرُو بن العاص.

أصاب رجلاً الحُصْر. فقيل له: احتقن. قال: لو كان قَدْر حُمُّصةٍ ما قدرتُ عليه، فقال له مخنَّث كان حاضِرًا، لأنَّك ضيعْتَ نفسَك في صغرك.

تقرَّى مخنّث فأَتَى جبل لُكام على أن يتعبَّد فيه، فأَخذ زادَه وصَعد، وسار على سهل، فنفدَ زادُه وجلس وقد أعيَا فرفع رأسَه فإذا بينَه وبين الجبل مسافةٌ، وتطلَّع إلى أسْفلَ، فإذا هُو قد قطَع أكْثره، فنظر إلى الجبل وقال: واشماتتي بك في يوم أراك كالعِهْن المنْفُوش.

جلس قومٌ في مجْلس ومعهُم مخنّث وقال رجلٌ منهم: أنا أشْتهي كشْكيةً حَامِضَةً وضرط. فقال المخنثُ: قطع اللَّهُ ظهْرَ الكشْكِيَّةِ، ما أسْرَعَ ما تَنفُخُ البطنَ!

قال عبادة يومًا للمتوكِّل: قد عُمِل بي البارحةَ كذا وكذا دَفْعةً. فقال له المتوكِّل: ويْحكَ! أما أُعْييتَ؟ قال: إنَّما يعْيَا البريد لا الطَّريق.

ضُرِبَ مخنَّثٌ بالسِّياط فسَلَح. فقيلَ له في ذلك. فقال: وَيْلَكُم! فما ذي أدَّخِرهُ إذًا؟

قال: إذَا أرادَ المخنَّثُ أَنْ يعيبَ صاحبَه قال: لا واللَّهِ بَلَى ما أنْتَ بمخَنَّث ولا أنْتَ إلاَّ رجلٌ جيِّدٌ.

كان عبادةُ يُسمِّي السَّراويلَ مَقْطَرة الاسْت.

نظَرَ مُخَنَّثٌ إلى رجل يغْسلُ اسْتَه، ويَسْتَقْصِي جدًّا[١]. قالَ: عفَاكَ اللَّهُ! تُرِيدُ: «يُشْربُ» بها سَويقٌ؟

---

(١) يستقصي جدًا: أي يبالغ في النظافة.

كانَ بالمدينة مخنَّثٌ يُكنى أبا الخَزِّ، وكان مليحًا، فدَخَلَ عليْه لِصٌّ ليلةً، فجَمَعَ مَا وَجَدَ في بيْته، وأبُو الخَزِّ ينْظُرُ إليه، لا يجْترىءُ عَلَى أن يُكَلِّمُهُ، فَلمَّا أراد اللِّص الخُروجَ قال لهُ: فدَيتُكَ. ما اسمُكَ؟ قال: نافعٌ. قال: نافعٌ واللَّهِ لغيْري.

تلبَّس مُخَنَّثٌ، واحْتارَ، فقال له رجلٌ: إلى أيْنَ يا خرَا؟ قال: إلى شَاربك.

قال المتوكلُ يومًا لجُلَسَائِه: أتعلمونَ ما أوَّلُ ما عتَب المسلمون على عثمان؟ فقال أحدُهم: نعم يا أميرَ المؤمنين، إنه لمَّا قُبض النبيُّ عليه السلام قام أبو بكر علَى المنبر دون مَقام النبي عليه السلام بمرْقَاة[1]، ثم قام عمرُ دون مَقام أبي بكر بمرْقاة.

فلما وَلِيَ عثمانُ صَعد ذروةَ المنبر، فأَنكر المسلمون ذلك عليه، وكانوُا أرادوا مِنْه أنْ يَنزلَ عن مَقام عُمر بمَرْقاة. فقال عبادةُ: يا أميرَ المؤمنين ما أحدٌ أعْظَمُ مِنةً عليك، ولا أسْبَغ معروفًا مِن عُثمانَ. قال: وكيفَ ويْلك! قال: لأنَّه صعد ذِروةَ المنبر، فلو أنه كُلما قام خليفةٌ نزل عَنْ مقام من تقدَّمهُ مَرقاة كنتَ أنت تخطبُ علينا من بين جَلْوتِي.

دخل مخنّث ذات يوم نهرًا ليَغتسِل، فجاء قومٌ من آل أبي مُعَيط، وجعلوا يرمُونَه، وعرفَهُم، فقال: لا ترْموني فَلسْتُ بنبيٍّ.

نظر عبادة إلى زُنام الزامرِ يبكي على بِنْت له ماتتْ، فقال: قُطع ظَهْرك! كأَنك واللَّهِ مطبخ يَكِف.

وقال عبادة: كلُّ شَيء للرجلِ له معْنى إلا اللُّحى، والخُصَى.

وقال بعض المخَنَّثِين: إذا كان المغَنِّي باردًا فصاحبُ البيْتِ عليلُ القَفَا..

---

(١) المرقاة: الدرجة.

أُخِذ مخنثٌ في شيء، وأُحْضِرَ عند الوالي، فأَمر بضَرْبه، فصاح: يا سيِّدي. كذَبُوا واللَّهِ عليّ كما كَذبُوا على المُرِّي. قال: وكيف كَذَبُوا علَى المرِّي؟ قال: هو مِن البُرِّ؟ يقولون هو مِنَ الكامَخ فضَحِك الوالي، وخلاَّهُ.

وقيل لمخنَّث كان يتَّجر: لم لا تركبُ البحرَ فإِنَّ فيه الغِنَى والتَّمَوُّلَ؟ قال: يا غافِلُ. أنا أعْصِيهِ منذُ أربعين سنة؛ أذهبُ فأَضعُ يَدِي في يده.

اجتاز مخنَّثٌ بنائحةٍ جالسة على بابِ دار، فقال لها: ما جلوسُك ها هنا؟ قالت: خيرٌ. قال: لو كانَ خيْرًا كنتُ أنَا ها هُنا لا أنْت.

نظر مُخنَّث إِلى رجُل مُقيّد قد أُخْرِج للعَرْض، وهو ينظرُ إِلى غُلام أمْردَ فقال: العصفور في الفَخِّ وقلبُه في سوق العلَفِ.

قال سمسنة المخنَّثُ لرجل كان يكتب كتابًا إِلى معرفة لسمسنة: اقرئه سَلامي في كِتابِك. قال: قد فعلتُ. قال: فأَرني اسمي الذي يشبهُ الدابَّة التي تدخل الآذان.

ووصف مخنث الحرَّ، فقال: كأَنه أنُوشروان في صدْر الإِيوان، مكَوَّرٌ كأَنَّه سَنام ناقة صالح، موطَّأُ كأَنَّهُ أَلْيةُ كبْش إِبراهيمَ، غليظُ الشَّفتين، كأَنه شفةُ بقرة بني إِسرائيل.

لقي مخنّث آخر ليودِّعه، فقال: أحمدُ الله على بُعْد سفَرِك، وانقطاع أثَرك، وشِدَّة ضَرَرِك. فقال له: أنا أسْتودِعك العمَى. والضَّنَى، وانقطاع الرِّزق من السَّما.

وقال مخنثٌ لآخر: أرانِي اللَّهُ في وَجْهِك السَّاطور، وفي عَيْنيْكَ الكافُور، وفِي شقِّ استكَ النَّاسورَ.

وقال آخر: ضَحِكُ الحرُ يومَ الخِتَان ضحكُ النَّعجة بين الذِّئاب، ضِحكُ الدُّب بين الكِلاب، ضَحِكُ الرأس عند الرآسي، ضحك البغَايَة إِذا عزلتْها الدَّاية.

ومرَّ آخر بقاضٍ وهو يقولُ: إنَّ إسْرافيل مُلتقِم الصُّور، ينْظُر متى يُؤمَرُ بالنَّفخ.

فقال: إنَّا لِلَّهِ، إنْ عَطَسَ افْتضحْنا.

قال عَلاَّنُ شِذْق ـ وكان قبيحًا جدًّا: مررتُ بمخنَّث يغزلُ على حَائِط، فقال لي: مِنْ أَيْنَ أتيْت؟ قلتُ: مِن البَصْرَةِ. فقال: لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ! تغيَّر كُلُّ شيء حتى هذا! كانتْ القُرُود تُجلبُ مِن اليَمن. الآن تجيءُ مِن العِرَاق.

وحجّ مخنَّثٌ فرأى إنسانًا قبيحًا يَرْمِي بالجمار، فقال له المخنَّثُ: بأَبي أنْت. لستُ أشِيرُ عليك أنْ تعودَ إلى هذا المكان. قال: ولِمَ؟ ألستُ مسْلمًا؟ قال: بلى، ولكن لا أرى لك أن تبْخل على أهْل النار بهذا الوجْهِ.

نظرَ مخنّث إلى رجل قصِير على حِمار صَغير، فقال: هُما توْأمان.

وقال بعضُ المخنَّثين: كان لي أُسْتاذٌ مخنّثٌ يقالُ له زائدةُ، فمات، فرأيْتُه في النَّوم فقلتُ له: ما فعل اللَّهُ ربُّك بك؟ قال: أدْخلنِي النار. قلت: فمَنْ توْرُك(١) فيها؟

قال: هيهات! انقلبتْ المسْأَلةُ أنا «توْرُ» فِرعون.

غمز عبادة رجُلاً في درْب، ووقف له على باب دار، وجعَل الرجلُ يدفع فيه، فأَشْرفتْ عليه امرأةٌ، وصاحتْ: اللُّصوصَ. فرفع عبادةُ رأسَه إليها، وقال لها: يا بظْراءُ. النقْب في حَائطي أوْ حائطك!

قيل لمخنَّث: ما أقْبحَ استك! قال: تراها لا تصْلحُ للخرا!

ضرب عاملُ المدينة مخنَّثًا عَشْرَ درر، فضرَط إحْدى عَشَرة، فقال له: ويْلكَ! ضربْتك عشرًا، وتضرط إحْدى عَشرة؟ قال لَه: ويْلكَ أصْلحَكَ اللَّهُ، البدءُ كان منِّي، فضحِك، وخلاَّهُ.

---

(١) التور: الرسول بين القوم، وبهاء: التورة: الجارية ترسل بين العشاق.

قال بعضهم لمخنّث: لقد قمتُ إليك لأُدخِلنَّك مِن حيثُ خرجْتَ، فنظر إِلى نفْسه، وكان عظيمَ الجثَّةِ، ثم قال: يا أخي. إِنْ فعلتَ ذاك إِنَّك لرَفيق.

قيل لمخنّث: مَنْ تَرى يرغَبُ فيك مع قُبْحكَ؟ فقال: الحمارُ إِذا جاع أكَل المِكْنَسَة.

نظرَ رجلٌ إِلى أير ابنِه في الحمَّام ـ وهو كبيرٌ ـ فضربهُ، وقال: ما طالَ أيركَ إِلاَّ مِنْ كثْرةِ ما تُناك. فقال مخنثٌ كان معَهُ في الحمَّام: لا تَفْعَلْ، فلوْ كانَ هذا حقًّا لكانَ أيري وبَظر أُمّه قَدْ بَلَغَا مكةَ.

قال مخنثٌ لامرأة: لولا أنَّ الحق مُرٌّ لسأَلتُك عَنْ شيء. قالت: ما يغْضَبُ من الحقِّ إلاَّ أحمقُ، فَسَلْني يا بْنَ الفاجرةِ. فقال لها: لَمَ صار فمكِ بِالعرْضِ وحِركِ بالطُّولِ؟ قالت: اسكت يا بن الفَاجرة. قال: هذا مِمَّا كُنَّا فِيه.

ناك رجلٌ مخنثًا في بيْت فيه تِبْنٌ، وكان أيره يزْلِقُ مِنْ استِ المخنثِ ويَتلوَّثُ بالتِّبن، ويرُدُّه الرَّجلُ. فقالَ المخنّثُ؛ حَبِيبي. هو ذا نَيْكُكَ أو تَحشُو مَسُورةً؟

قيل لمخنث: كَمْ سِنُوك؟ قال: خمسٌ وتِسْعونَ. قيل: فلِمَ لا تتزوَّجُ؟ قال: ليْس في رجال هذا الزمانِ خيرٌ.

قيل لآخر: ما تحبُ في الثِّياب؟ قال: التِّكَّة. قيلَ: فمِنَ السِّلاح؟ قال: العَمُود. قيل: فمِن اللَّحْم؟ قال: العَصِيب. قيل: فمِن البُقُول؟ قال: القِثَّاء. قيل: فمن البَواردِ؟ قال: الهلْيون. قيل: فمن الفَاكهة؟ قال: المَوْزُ. قيل: فمن الحَلْواء؟ قال: الحلاقيم. قيل: فأَيُّ مَنازِلِ مكة أفضلُ؟ قال: ذات عِرْق. قيلَ: فمن خير الصَّحابة؟ قال: الزُّبير. قيل: فما أحْسنُ شيء في الإِنسان؟ قال: الأَير.

قال رجل لمخنّث: صِح لي بذلك المُجْتاز، فقالَ: وما اسمهُ؟ قال:

هِلالٌ. فجعل يناديه: يا رأسَ الشَّهر.

ضرب مخنَّثٌ يدَه إلى أير رجل، وجعل يَشْغلُه بالكلام، ثم قال لهُ في كلامه: مَنْ بقيَ مِنْ أهْل بيتك؟ فقال: هذَا الذَّي في يدك؟

تاب مخنّث، فلمَّا كانَ في بعض الأيَّام لَقِيَهُ مخنثٌ آخر، فقال له التَّائبُ: أمَا آن لك أن تتوبَ؟ ويلٌ مِنْ عَاصِم. قال: ومَنْ عاصمٌ؟ قال: خازنُ جهنَّم. قال: أُخَيي، لو تخنثت خَمْسينَ سَنةً أخرى كانَ أصْلح لك مِنْ أنْ تُزْجِفَ بالملائِكَة. متى عزلوا «ملِك» وولُّوا عاصِمَ؟

سمع مخنَّث طبيبًا يذكرُ الطبائع الأَربعَ، فقال: الطبائعُ الأربع عندنا: الأَكْلُ، والشُّربُ، وأن تنيك وتُنَاك.

جمع مخنّثٌ بين نفْسَيْن، فأُخذوا جميعًا، وأُفرج عنهُما، ورُفع المخنَّثُ إلى السلطان فسأَلهُ عن قِصَّتِه، فقال: هؤلاء وَجدُوا طائِرَيْن في قفص، فَخلُّوا الطائرين وحبسوا القَفَصَ.

نظر رجلٌ قبيح الوجه إلى المرآة، فقال: الحمدَ لله الذي أحْسَن خَلْقي فقال مخنثٌ حَضرَه: أمْ مَنْ يبهتُ ربَّهُ زانيةٌ.

رأى عبادة دينارَ بن عبدِ الله وقد ولِيَ مصر ـ فقال: يا فِرعونُ ارفع رأسك وانظر مَن نُدِب لمكانِك.

واشتكى مخنَّثٌ، ثم تماثل، فقيل له: كيف أنت؟ فقال: جاءتني العلَّةُ باقاتٍ وتجيئني العافيةُ طاقات.

سمع مخنّثٌ قول ابنة الخُسِّ لمَّا قيل لها: ما حملك على الزِّنى؟ فقالت: طولُ السَّواد وقُرْبُ الوسَاد. فقال المخنّث: وحبُّ السِّفاد.

سمع مخنّث رجلاً يقرأ قراءةً قبيحةً، فقال: أظنُّ أنَّ هذا القرآن هو الذي يزْعم ابنُ أبي دواد أنه مخلُوقٌ.

سمع مخنَّث رجلاً يقول: اللهم اجعَل الموتَ خيرَ غائب أنتظِرهُ.

فقال: إِذًا غيابُك غيابُ سوء.

قال المتوكل لعبادة: كَمْ سِنُّك؟ قال: واللَّهِ ما أعْرفُ الحِسَابَ، ولكن تعرفُ أنت عفْرويْه. قال: لا والله ومَنْ عَفرويه؟ قال: الذي يقولُ فيه القائل [الرجز]

* ضـراطُ عَـفـرويْـه بـلَـيـلٍ طـرقـا *

احسب الآن كيف شئت.

وتزوّجتْ أمُّ مخنثٍ، فلمَّا كان ليْلَة الزفاف جعل يتسمَّعُ عليهما، فلما سمعَ الحِسَّ. قال: يا أُمِّي. هُوَ ذَا تأْكلين وحْدَكِ لا هنَّأَكِ اللَّهُ.

قيل لمخنّث: كيف تَرى الدُّنيا؟ قال: مِثلنَا. نحْن يومًا عنْد الأَسْخياءِ، ويومًا عند البخلاء.

قالت امرأة لعبادة: اشتريتُ قَفيزًا بثلاثَة عَشَر درهمًا، كم يصِيبني بِثلاثة دَراهمَ؟ فقال: أنت طُولُكِ وعَرْضك لا تعرفين هذا! يصيبك قَفيزٌ إلا بعشرة دراهم.

دخل عبادة الحمامَ يومًا فرأى غلامًا كبيرَ الأَير، فبادر فقبضَ عليه، فقال الغلام، ما هذا. عافاكَ الله قال: أمَا سَمعت قول الشاعر[1]: [الوافر]

إذا مـا رَايـةٌ رُفِـعَـتْ لـمـجـدٍ تـلـقَّـاهـا عـرابَـةُ بـالـيـمـين

ألزَم المتوكلُ عبادةَ في يوم من شهر رمضان أنْ يقرأ في المُصْحَف، فقرأ وجعل يصحِّف، ويغْلطُ حتى بلغ إلى قوله: «وبشِّر المخْبتين»، فصحَّفَه وقال: وبَشِّر المخنَّثين فطردَه.

نظر مخنَّث إلى إنسان وَحش الخِلْقة، فقال: هذا نموذج جَهنَّمَ أُخْرجَ إلى الدنيا.

---

(١) البيت للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب)، (يمن)، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب)، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨.

طلب رجل منزلاً يكْتريه، فجاء إِلى باب دار ودَفعهُ، وقال: لكُمْ منزلٌ للكِرَاء؟ وإِذا في الدَّار مخنثٌ ـ وفوقَه رجلٌ ـ فصاح مِنْ تَحْتِه: أليسَ ترانَا بعْضَنا فوق بعض منْ ضِيق المكان؟ مِنْ أين لنا مَنزلٌ يُكْرَى؟

قال مخنّثٌ لآخَرَ: ذهبتِ الأُيور الباستانية التي كنا نَعْرِفُها. فقال ما ذَهبت الأُيُورُ ولكن اتّسَعْنا نحن.

رأى إِنسانٌ مخنثًا ينتِف لحيتَه، فقال له: ويلكَ، لأَيِّ شيء تنْتِفُ لحيتَكَ؟ فقال: يسُرُّك أَن مِثْلها في استِكَ؟ قال: لا. قال المخنّثُ: فشيءٌ تأنفُ لاستكَ منه، لا آنفُ لوجْهي منه؟

كان المتوكِّل على برْكة يصيدُ السَّمكَ ـ وعنده عبادةُ المخنثُ فتحرك المتوكِّل، فضرط، وقال لعبادة: اكتمها عليَّ فإِنَّك إِن ذكرْتَها ضربتُ عُنقَك. ودخل الفتحُ فقال: أيْش صدْتُم مِنَ الغَداة؟ فقال له عُبادةُ ما صِدنَا شيئًا، وما كان معَنا أيضًا أفْلتَ.

ركب المتوكِّل يومًا زَلاَلاً[(١)] ومعه جماعةٌ، فعصفَت الريحُ، وفزعَ الناسُ، فقال عبادة، يا أميرَ المؤمنين، أما كُنيزُ دُبَّةَ فإِنَّه لا يخافُ الغَرق، فقال المتوكِّلُ، وكيفَ ذاك؟

قال: لأَنه يسْبحُ على رَقٍّ، وكان كنيزٌ مخنَّثًا آدَر.

كان بعض ولد الفضل بن الربيع يتخنَّثُ، فوكَل به أَبُوه غُلامًا يمنعُه مِن نتْف لحْيته، فبات ليلة، فلما أصبح رآه منتوفَ اللحية، فقال أهلكْتني ـ والله ـ أيْـن لـحـيـتُـك؟ قـال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٩ ـ ٢٠].

قيل لمخنَّث: كيف تتهجَّى بكمرة؟ فقال: كاف، ميم، راء، هاء قالوا: هذه كَمرة[(٢)]. قال: كل إِنسان يتهجَّى ما يشْتهي.

---

(١) الزلال: نوع من السفن.

(٢) الكَمَرَةُ: محركة: رأس الذكر، والبكمرة: البسرة.

لقي الطائفُ ـ وكان ماجنًا ـ جماعةٌ من المخنثين، فقال: نيكُوا بَنِي الزَّواني، واضربُوا بني القُحَّاب، فقال مخنثٌ منهم: يا سيِّدي سَبقتْ رحمتُك غَضَبَك.

أُدْخلَ مخنثٌ على العُرْيان بن الهيثم ـ وهو أميرُ الكوفة ـ فقالُوا: إنه يَفعلُ ويصنَعُ. فقال له العريان: يا عدوَّ اللَّهِ، لِمَ تفعلُ هذا؟ قال: كذَبوا عليَّ ـ أيها الأَمير ـ كما كذَبوا عليكَ. فغضب العريانُ، واسْتوى جالسًا، وقال: وما قيلَ فيَّ؟ قال: يُسَمُّونك العريانَ وعليك عِشرون قطعةَ ثياب. فَضحكَ. وخَلاَّه.

قال مخنث: رمَضانُ بينَ شَوالٍ وشعْبانَ مخشلبةٌ بين دُرَّتين.

وقيل لمخنّث: ما الذي أفدت من التَّخنيث؟ قال: است مخرَّقة، واسمٌ قبيحٌ.

قال هيتُ المخنّثُ لعُمَرَ ابن أُمِّ سلمةَ: إن فتحَ الله عليكُم الطَّائِف فسلْ رسولَ الله ﷺ أن يهبَ لك بادنَةَ بنت غِيلان بن سلَمة، فإنها كحْلاءُ، سموعٌ، نَجْلاءُ، خُمْصَانةٌ، هَيْفاء، إنْ مشتْ تثنَّت، وإن جلَسَت تدنَّتْ، وإن تكلَّمتْ تغنَّت، تُقبِلُ بأَرفع، وتدبرُ بثمان، فخذَيْها كالإناء المكْفأ.

فَروِي أنَّ كلامَه بلغ رسولَ الله ﷺ، فمنع المخنَّثين من الدُّخول على النساء.

نظر مخنَّث إلى إنسان كبير الأنَف، قد أشرف على فمه. فقال: انظروا إليه كأن أنفه أير يتطلَّع في بئر الخلا.

نوادرُ اللاطةِ[1]

روادَ إنسانٌ متقرٌّ على الفُجور، فقالَ: ما تُعطيني؟ فقال: أستغفرُ لك

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/١٩٦ ـ ٢٠٢.

وأقرأ لك كل يوم آيات أعوِّذك بها، فقال الغلامُ [ ][1] اليوم عاجلاً. ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

رئي بعضُ اللاَّطة مع غلامٍ أسودَ، فقيل له في ذلك، قالَ: الأَسودُ طيبُ النَّكْهةِ ليِّنُ الأَفْخاذِ، مُلْتَهِبُ الجَوْف، رخيصُ الجِذْر، سريعُ الإِجابة لأَنك تدعوه لتنيكَه، فيظُن أنك دعوْتَه لينيكك.

قيل لبعض المتصوِّفةِ: أنت لُوطيٌّ. فقال: ما تقولُ في لصِّ لا يسرق هل يلزمه القطعُ؟

قال بعضهم: رأيت شيخًا يطاف به؟ وينادَى عليْه: هذا جزاءُ مَن يَلوطُ، والشيخُ يقولُ: بخ بخ لِواطٌ محْضٌ، لا زنًى، ولا سَرَقٌ.

قيل لشيخ لاَطَ: أَلا تَستحِي؟ فقال: أَسْتحِي وأَشْتهِي.

قال بعضهم: الغُلامُ استطاعةُ المعتزلةِ، لأَنه يصلحُ للضِّدين؛ يَفْعَلُ ويُفْعلُ به.

والمرأة استطاعةُ المُجبرةِ لا تصلح إِلاَّ لعمل واحد.

قيل لأَعرابي: ما تقولُ في نيك الغِلمان؟ فقَال: اغْربْ، قبَّحك اللَّهُ، واللَّهِ إِني لأَعارفُ الخَرا أنْ أمرَّ به، فكيفَ ألجُ عليه في وَكْره؟

وُجدَ شيخٌ في مسجد، وتحتَه صبيٌّ، فلما هجَم عليه عدَا الصَّبيُّ، وقام الشيخُ متأَسِّفًا وجعل ينظر إِلى متَاعِهِ ويقولُ [ ][2].

كان ببغدادَ لوطِيٌّ مُوسِرٌ، فكانَ إِذا جاءَ وقتُ الزكاة وزنَ زكاة مالِه، ووضَعهُ. فإِذَا حصَل عنده مؤاجرٌ وَزنَ جذْره منْهُ، وقال: ألكَ أمٌّ أوْ أختٌ تستحقُّ الزَّكاة؟ فيدْفَعهُ إِليه، ويقولُ: خذهَا مِنْ زَكاة مَالِي، وأعْطِني ما أُريده منْك تفضُّلاً.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

وكان بعض المؤاجرين يتحرَّجُ، فكان إذا أعطاهُ إنسانٌ جذْرَهُ أخْرج تُفاحَةً أو ما يشبهُهَا، وقال للرجل: قد اشتريتَ منّي هذا بهذِه الدَّرَاهم. فيقول اللُّوطيُّ: نعم.

فيقول: فأما الآنَ فَأُعطيك ما تريدُ من غَيْر جذْر.

قيل لواحد: لم فَضَّلتَ الغلام على الجاريةِ؟ قال: لأَنَّه في الطريق صاحب ومع الإخوان نديمٌ، وفي الخلْوة أهلٌ.

قال ابنُ قريعة القاضي: مررت بِشيخ قد خَرج من خَربة، وبيده أيرُه وهو يقول: ما أعجبَ أسبابَ النّيك؟ فقلتُ له: يا هذا، إنما يقالُ: ما أعجبَ أسبابَ الرزقَ؟ قال: خُذْ حديثي؛ دخلتُ هذا الخرابَ لأَبولَ، فأَنعَظْتُ فهممت أن أجْلِد عميرةَ[١]. فدخل صبيّان كالقمرين، فلم يرياني، وأخذا يتبادلان فقمت إِلى هذا فنكته، وإِلى هذا فنكته. وخرجتُ كما ترانيَ متعجّبًا بالله ما هذا بعجب؟ قلت: بلى والله انصرف لا حَفِظك الله.

جاؤوا إِلى أبي نُوَاسٍ بغلام مليحٍ، إلاّ أنه أعْرجُ، فقال: ما أصنعُ به وهو أعرجُ؟ فقال الغلامُ: إِنْ أرَدتني لأَن تضربَ عليَّ بالصَّوالجةِ فَلا أصلحُ لذلك وإِن أردتَني للنيك فقُم.

كتب رجلٌ إِلى غلام كلان يعشقُه: وضعتُ على الثَّرى خَدِّي لترضَى. فكتب إِليه الغلام: زنْ عشرة دَراهم، وضَعْ خدَّك على خدِّي.

وصفُوا غلامًا عِنْد بعض اللاطة، فقيل: هو فاسدٌ قال: في فَساده صَلاحِي.

نظر غلام في المرآة، فرأى لحيتَه قد بدتْ وقال: [ ][٢] فقال قَوَّادُه: [ ][٣].

---

(١) جلد عميرة: هي العادة السرية.
(٢) بياض في الأصل.
(٣) بياض في الأصل.

بعث المبرِّد غلامَه، وقال بحضرة الناس: امضِ فإِنْ رأيتَه فلا تقُلْ له، وإِن لَمْ ترَه فقل له، فذهب الغلامُ، ورجعَ، فقال: لم أره، فقلتُ له، فجاءَ فلَمْ يجىء، فسُئل الغلامُ بعد ذلك، فقال: أنْفذَني إِلى غُلام، فقال: إِن رأيت مولاَهُ فلا تقُلْ له شيئًا، وإِن لم تره فادْعُه. فذهبتُ فلم أرَ مَولاهُ، فقلتُ: فجاء المولَى، فلم يجىء الغلام.

أدخل ابنُ سَيَّابةَ غلامًا ليفسِقَ به، فقالَ له الغُلامُ: أنت ابنُ سَيَّابة الزنديقُ؟ قال: نعم. قال: أين الزَّندقةُ؟ ونوَّمَه، وأدخل عليه، ثم قال: يا بُنيَّ: [. . .][١].

قيل لأَبي نواس لِمَ تُؤْثر الغُلامَ الفحْل على الخصيِّ؟ فقال: لأَنَّ الغلام معه بيْذقان في وَسط الرُّقعةِ يدفع بهما الشَّاةَ.

قيل للوطيِّ: كيف رأيت فلانًا؟ لغلام كان يتعَاطَاهُ. فقال: يجعلُ البيذَقَ فِرْزَانًا.

غمزَ لوطيٌّ غلامًا، فقال الغلامُ: أنا لا أصلُحُ لما تريدُ. فقال اللوطيُّ: وأما أجعلُك بحيثُ تصلُح.

قال بعضهم: سمعتُ شيْخًا قد خرف بعد شطارة يقول: نكتُ غلامًا في دهليزي أمس فأَردتُ أنْ أدْخُل عليه، فقال لي: لا تفعلْ، فإِني مسحْتُ على خُفِّي، وأكرهُ أن ينتقض وُضوئي، فقلتُ: أنَّ نيك الغِلمان بين الفخذين لا ينقضُ وُضوءَهم.

وقال آخر: رأيتُ شيخًا مِنْ كبار الشُّطار، يمرُّ ومعهُ صَبيٌّ صَغيرٌ. فقلتُ: بلغْنا هذه الحالَ. فقال: يا سيِّدي، إِن الأَسَد إِذا كبرَ يَصيدُ الضفادِع.

وُجِدَ شيخ مع صبيٍّ خلْفَ كَرَب فقالوا له: يا شيخ. أما تَسْتحي وأنت رجلٌ عاقل؟ لم لا تحصِّن نفْسَك؟ فأَخرج مِنْ فيهِ قطعةً فيها قيراطٌ، وقال:

---

(١) بياض في الأصل.

واللَّهِ ما أملكُ غيْرها، وقد رضِي بها هذا الصَّبيُّ. فهل فيكم مَنْ يزوِّجُني بها حتى أتحصَّن؟

سأَل بعضُهم غلامًا، وأعطاه دِرْهمين، فأَراد أنْ يدْخل عليه، فامتنع وقال: لا أقْوى. فقال الرجل: قد خيَّرتُك في إِحدَى ثلاث ـ وكان يعْلم أن الغلام يذْهب مذهب الجَماعة ـ إِمَّا أن تردَّ الدِّرهمين، أو تدَعني أدخِلهُ، أو تقول: القرآنُ مخلوقٌ. قال الغلام: أما ردُّ شيءٍ من الدرهمين فلا سبيل إِليه، وأما القرآنُ فلو ضربْت عنُقي ما قلتُ إِنَّه مخْلوقٌ، وأما الثَّالثةُ فأَتحمّلُها [ ][1] فأُدخل عليه، وصاح الغلامُ وجعل يقول [ ][2].

صاح الصبيانُ بأَبي سعيد الخرزي: يا لوطيُّ يا لُوطي، فجعل يضحكُ فقيل له: يا شيخ. أمَا تستحي؟ يصيح بك الصبيانُ ـ وأنت تضْحكُ ـ؟ قال: فديتُك. إِذا صدقُوا أَيش يمكنني أن أقُول؟

غضب سعيد بن وهب يومًا على غلام له، فأَمَرَ به، فبطحَ، وكشف الثوب عنه ليضربه، وقال: يا بن الفاعلة. إِنَّما غرّتك استُك هذه حَتَّى اجترأتَ عليَّ هذه الجرْأَة، وسأُريك هوانها عليَّ. فقال الغلامُ: طالما غرَّتْك هذه الاستُ حتى اجترأتَ على اللَّه، وسوف ترى هوانك عليْه، قال سعيدٌ: فورد عليَّ مِنْ حالِه ما حيَّرني، وسقط السوطُ مِنْ يدي.

قسَم بعضُ الولاة بالمدينة قسْمًا في الزَّمنى، فأَتاهُ أبو خزيْمَة، فقال: أعطني فإِني زمِنٌ. قال: ما أرى بك زمَانةً، قال: بلى، قال: ما هِي؟ قال: أنا لُوطيٌّ. قال: نعم، إِنَّك لزمِنٌ من عقلك، وأعْطاه.

سئل ابنُ سيابة عن مؤاجر، فقال: [ ][3] وكان يقول: [نيك][4] وكان يترافق اثنان: أحدهما «يقود الصِّبيان الصغار، والآخر بالبالغين الكبار، وكلُّ واحد يعيبُ صاحبَه، ويعنِّفُه، حتى أُخِذ في بعض الأيَّام صَاحِبُ الصِّغار مع صبيٍّ، ورُفع إِلى السُّلطان فضُرب، وحَمل الصبيَّ على عاتِقِه ليطاف به في

---

(١) و(٢) و(٣) بياض في الأصل.

(٤) بياض في الأصل نحو ست كلمات.

البَلد، فلقيَهُ رفيقُه، وهُو على تلك الحال، فقال: قد كنتُ أنهاك عن الصِّغار حذرًا عليك مِنْ مثْل هذا، ولو كان كبيرًا لم يَنْكر كونُه معك في البيْتِ. فقال: اسكُتْ يا أحمقُ، فلو قبلتُ منك وكان مكان هذا الصَّغير ذاك الكبير، فكان يُدَقُّ عنقي بثقلِه.

وُجد آخرُ مع صبيٍّ في منارة المسْجد، وسَراويلاتُهما محلولةٌ، فقيل: ما هذا؟ فقال: أريد أن أُبدل تكَّتُه بتكَّتي.

قال بعضهم: إذا كان للغلام أير ضخمٌ فهو فخِذٌ ثالث.

قيل لبعضهم: اللُّوطُ إذا استحكمَ صَار حُلاقًا، قال: هذا مِنْ أراجيف الزُّناة.

قال بعضهم: نزل بي ضيف فنوَّمتُه في الدار، فوجدتُه في بعض الليل معي على السَّرير في البيت ينيكني، فقلتُ: ويْحك! لمَ دخلت البيت؟ قال: وجدتُ البرْدَ. قلتُ: فلم صعدتَ السريرَ؟ قال: من البراغيثِ. قلتُ: فلمَ تنيكني؟ قال: ليس هذا موضع المسأَلة.

دبَّ واحدٌ إلى غُلام، فانتبه الغُلامُ، وأخذ شيئًا فرمَاهُ به، وشجَّه. فلما أصْبحَ، قيل له، استعْدِ عليه. فقال: يا قوم أنيكُهم من غير أن أستأْذنَهم. ثم أسْتعدِي عليهم إذا ضربوني؟ هذا لا يجُوز.

كان غلامان يلعبان بالطيور، فقال أحدهما لصاحبه: إذا كان غدًا وتسابقْنا تنايكنا، قال صاحبه: وإن لم نتسابقْ لم نتنايك؟

قال الجاحظُ: كان بعضُ المؤاجرين يعْطي في الشَّمال بأَربعة دَراهم وفي الجنوب بدرْهمين فقيل له في ذلك. فقال: في الشمال الريحُ عَليَّ وفي الجنوب الريح معي.

أراد رجل أن ينيك غلامًا بين فخذيه، فصاح، وقال: لا [ ][1] أنا لا

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة واحدة.

أطيقُ «خارج».

نظر رجلٌ إلى غُلام وفي وجهه وجبينه أثرٌ، فقال له الغُلام ـ وقد أدْمَن النظرَ إليه: يسأَلُك اللَّهُ عن سوء ظَنِّك. قال: بل يسأَلُك عن سوء مصْرَعِك.

نظر بعضهم إلى غلام أمْردَ وهو يتكلَّم بِقحَّة، ورقاعة. فقال: هذا وجهُ من يشمُّ التراب.

أُخذ رجلٌ مع غلام، فرفع إلى صاحب الشُّرطة، فأَدَّبه، ثم وُجدَ بعدَ ذلك مع امرأة وعُوقب، وبعد ذلك مع مخنّث فأُدِّب، ثم وُجدَ في خربة ينيك أتانًا. فقال له صاحبُ الشُّرطة: ويلك! لم لا تُغمد أيرَك؟ قال: يا سيدي هذا غِمْده، ولكنْ لستم تتركوني أنْ أُغمده. فضحك وخلاّه.

قيل للوطيِّ: ويحك؟ إنَّ مِن الناس مَنْ يسرقُ ويزْني، ويعملُ العظائمَ سنين كثيرة، وأمْره مسْتُور، وأنت إنما لُطت منذُ شهور. وقد شُهرت وافتضحت.

فقال: من يكونُ سرُّه عند الصِّبيان، كيف يكونُ حاله؟

نظر بعضُهم إلى غلام وأدمَنَ النظر. قال: فقال الغلام: لمَ هذا النَّظر؟

فقلتُ: سيِّدي: أيْن منْزلكم؟ قال: في النار، تطلُب أثرًا بعْد عيْن [ ][1] أن تؤخر اليومَ لغد، وتتَّبعَ ما لا تأْمَنُ السائِقَ عليه.

دخل بعضهم الحمام فرأى فيه غلامًا صبيحًا، فأَرادَه على نفْسه، فامتنع، فكابر، وأخذه وأفْلت الغلامُ، وصاحَ، فدخل القيِّم وجماعة معه فقالوا للرجل، ألا تستحي سوْءة لك؟ قال: قلت له: صُبَّ الماءَ عليَّ فامتنع. قالوا: فما بالُ أيرك قائمًا؟ قال: قام مِن شدة الغَضَب.

قيل للوطي: متى عهْدك بالحر؟ قال: مذْ خرجتُ منْه.

---

(١) بياض في الأصل.

ذكر يونس بعضَ اللاطة فقال: يضربُ ما بيْن الكُرْكيِّ إلى العنْدليب. يقول: لا يدَعُ رجُلاً ولا صَبيًّا إلا عفَجهُ[١].

حكى بعضهم قال: رأيتُ بعضَ اللاَّطة يضربُ غلامًا له ضرْب التَّلف، ويدَّعي عليه [ ][٢] فسألته عن ذنبه. قال: ليس قلْبه في العمل؛ نكته اليوم وكان أيره «نائم».

قيل [ ][٣] الفتيان: نيك الرجال ريبةٌ، وقال: هذا مِنْ أراجيف الزناة.

رأى يحيى بنُ أكثم غلامًا حسنَ الوجه في دار المأْمون فقال [ ][٤] فَرفع ذلك إِلى المأْمون، فعاتَبه. فقال: يا أمير المؤمنين. كان انتهى دَرْسي إِلى ذلك الموضع. فَضَحك.

استنقَع بعضُهم في الماءِ متكشِّفًا، فمرّ به غلامٌ عُمَريٌّ كان يتعسَّفُ فأَنكرَ ذلك على الرجل كالمحْتسب. فقال لهُ الرجلُ: بأَبي أنتَ! أردْتَ إِماتَة منْكر، فأَحييْتَ أنْكَر منه، وأوْمى إِلى متاعه.

قال بعضهم: كنتُ عند يحيى بن أكْثم عشيَّةً، فدخل إِليه عبد الملك بن عُثمان بن عبد الوهاب ـ وكان يُرْمَى به ـ فقال: أصلحَ اللَّهُ القاضِيَ، إنك أدْخلتَ علينا أمينًا في وقْفِنَا، ففعَلَ، وفَعلَ. فقال له: وتدعُ أنْتَ إِنسانًا يدخلُ عليْك؟ فلما سمعتُها نهضتُ. فلمَّا كنتُ في صحْن الدار سمعتُه يقولُ له: حُلَّ حُلَّ.

وكان يحيى يقولُ بالبصْرة لي رجلان أبعثُهما ليأْتياني بالغِلمان، فأَحدهما لا يأْتيني بالغُلام حتى ينيكَ الغلامَ، وهو إِسماعيل بن إِسحاق. والآخر لا يأْتيني حتى ينيكُه الغلامُ وهو صلْت بن مسعود.

قال العدلي الشِّطْرَنجي: كنتُ غلامًا، فضمَّني المأْمونُ إِلى يحيى فإِني

(١) عجفه: أي لاطه.

(٢) و(٣) و(٤) بياض في الأصل.

لِعَنْدَهُ يومًا إِذْ جذَبني إِلى مخْدعٍ في مجلسه، وأضْجعني الفاحشةَ ونظر مِنْ وَراءِ السِّتر، فرأى ابنَ العَلاء بنَ الوضاحِ، وكان مفْرط الجمال فضربَ عَلَى جَنْبي، وقال: قُمْ [ ][1].

نوادر البغائين[2]

قال بعضهم: قلتُ لرجل كان يتعاطى الأَدبَ ـ وكان متَّهما ـ: ما مَعنى قولِهم: «إِذا عزَّ أخُوكَ فَهُنْ»؟ قال: إِذا لَمْ يَنَمْ لتنيكَه فَنمْ حتى ينيكَكَ.

دخل عبادة على المتوكِّل وهو نائمٌ، ومعه في الفراش أسود قد ظهرت رِجْلاَه من اللِّحاف، فقال عبادة: يا أميرَ المؤمنين بتَّ البارحةَ في خُفَّيكَ. وكان المتوكل ممَّن يُرمَى ويتَّهم بذلك، وخَبره في أمر بشياط الهليوف معروفٌ. قيل لمأبون: إن ابنك به أُبنَة فقال [ ][3].

قيل لابن عوْن: إِن المتوكلَ قد بنَى بناءَيْن سمَّاهما الشَّاةَ والعروس فقال: قد فرغ من تحميل الناسِ علَى الناس حتَّى صار يُنايك بيْن الأَبْنِيَةِ فقال [ ][4].

وقع بينَ أحمد بن السِّندي وبينَ غلامه كلامٌ، فَهجَره الغلامُ أيَّامًا، فكادَ أن يُجَنَّ، فتحمَّل عليه بغَرْسَةَ المحتسِب، فلم يُجِبْه الغُلام. وكان غرسةُ أيضًا مأبونًا. فقال: يا غلامُ لو كان أيرك مثل أير بغْل سماعةَ ما زادَ علَى هذا. فقال أحمدُ بنُ السِّندي هو [ ][5] قريبٌ منه وتحمَّل عليه بإِخوانه حتى صالحَهُ، واتَّخذ دعوة أرْعَد فيها وأبْرق، فقيلَ للحنْظلي: عِنْدَ مَنْ كُنتم أمس؟ قال: كنا في دَعْوة أير غلام أحمد بن السّنْدي.

(١) بياض في الأصل.
(٢) نثر الدر للآبي ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦.
(٣) بياض في الأصل.
(٤) بياض في الأصل بمقدار خمس كلمات.
(٥) بياض في الأصل.

ومرَّ أحمدُ السندي ببغْل أبي كامل الطَّحان ـ وقد أذلَى ـ فوقفَ بإزائه ثم تنفَّس الصُّعَداءَ، فقالَ: هذا الأير! لا ما نُعلِّلُ به استاهَنا أربعين سنةً.

قيلَ: وكان هذا البغْلُ إذا أذلَى أخذ مِن الأَرض برأسِ غُرْمولِه التُّرابَ، فإذا ضربَ به بطْنَه رأيتَ الغُبارَ يتطاير عن يَمينِه وشِمَاله.

قال بعضُهم: دخلْتُ إلى رجل من كبار الناسِ ببغداد فُجاءَةً، وإذا غُلامٌ له فوْقَه. فلما رآني استَحْيا وقالَ: زعمَ هذا الغلامُ أنه احْتلَم البارحةَ، فأردتُ أنْ أُجرِّبه.

وقال أبو العيناء: دخلتُ على أبي العلاءَ المنْقَرِي ـ وغلامه على ظهْره ـ فقلتُ: ما الخبرُ؟ فقال: إنَّ هذا الغُلام زعَم أنَّه قد احْتلمَ، فظنْنتُ أنه يكْسَلُ عَنْ خِدْمَةِ النِّساء، فأَحْبَبْتُ أن أمتحِنَه، قال: فحدَّثْتُ بهذا المعتصمَ، فقال: لعَنهُ اللَّهُ تركَني [ ][1].

قيل لرجل مِنْ وَلد بشْر بن داود، وكان مأْبُونًا: أما تَسْتَحِي وأبُوك وكان سيفَ السُّلطان؟ قال: فأَنا جُعْبَتُه.

وقال له آخر: إنَّ أبَاك ينيك، وأنتَ تناك، قال: نقَضَنِي دينُه.

قال ابنُ حمدون: بات عِنْدِي المراكبيُّ الشِّطْرَنْجي ـ وكان مأْبُونًا ـ فسمعْتُه يقولُ لغُلام كان قد بَاتَ أيضًا عِنْدِي: أُعْطيكَ دِينَارًا وتُبادِلنِي، وأُعْطيك أَنَا قبلاً، وإنْ صَغُرت لم أُبَال؟

قيل لبعضهم: لُوطيٌّ أَنْتَ أم صَاحبُ نِسَاء؟ قال: أَنَا لُوطِيٌّ، وزَانٍ، وأميلُ إِلَى المُخَنَّثين، وأدبُّ بالليل أيَّ دِبَاب، ويعْتريني قليلُ بغَاء.

أُحْضِرَتْ بصَليّةٌ في منزل رجل كبير من أهل بغداد ـ وابنُ الهفتي حاضرٌ ـ وكان يعاتبه كثيرًا، فتسرَّعَ ابنُ الهفتي أيضًا، فقال له: أتعجبك بالأُبنةِ قال: هي ألذُّ من طيِّب الطعام عِنْدي. قال خُذوهَا مِنْ بيْن أيْدينا، فإني لا أشْتهيها.

---

(١) بياض في الأصل بمقدار خمس كلمات.

قال: هذه أيضًا فَضيلةٌ مِنْ فضائل البصليَّة لا يشتهيها البغَّاؤُون.

وكان الرجل مرْميًا بالأُبْنة. وقال له يومًا وقد رأى له كنيفًا لا يدخُلُه غَيْرُهُ: استك عامةٌ وكينفُك «خاصة».

كان بعضُ آل الجُنيد إِذَا رأى إِنسانًا يُرْمَى بالبغاء دعَا لفتْحته بأَن [ ][١] عافية. فقال له عبادةُ [ ][٢] ما صحَّتْ نيتُك في الدُّعاء، لأَنك بَعْد تسأَلُ بأن [ ][٣].

قيل لأَبي سَوار: قد امْتَهنَك غُلامك هذا الأَسود. قال: ما امْتَهنَنِي، لكنِّي أمتهنُه. عَمدتُ إلى أكرم عِلْق فيه، واستعْمَلتُه في أَقْذر مدْخَل فيَّ.

أشرفَت امرأةٌ مِن منْظَرة لها فرأتْ فتًى جميلاً أعْجبَها، فقالت لجاريتها: أدخليه فأَدخلتْه، فقدَّمتِ الطعامَ، وأكلاَ، وأحضرتِ الشرابَ، وآنَستْه، فلَم تجد عنْده شيئًا، فقالت: ما أحْوجَنا إِلَى مَنْ كان ينيكنا جميعًا. فقال: «أخَذْتيهَا مِنْ فَمِي».

أدخلَ بعضُ البغَّائين واحداً من السقَّائين، وحَمَله علَى نفْسه، فلمَّا واقعه، قال: أوجعتني، لا تدخلْه كلَّه. قال السقاء: فأُخْرجُه؟ قال: لا. قال: فما أصنَعُ؟ قال: دعْهُ مكانَه، قال السقَّاءُ: فمن يحْفظُ البغْل؟

كان الناصرُ وليَّ واحدًا عمَلَ البندرة[٤] بجرجانَ، وكان يُرْمَى بالأُبْنة[٥]، فاستقصره يومًا في سَبب مال وَجَبَ لمَنْ يَجْبيه. فقال: أيُّها الناصر، إِنما أحتاج إِلى رجال جُلْد يُعينُونني. قال: قد بلغني ذلك.

ووَرَد على الصَّاحِب رحِمهُ الله بعضُ الكتَّاب مِن العِراق مِمَّن كان عرَفهُ وَقْتَ مُقامه ببغداد، وشكى سوء حاله، فأَحْسَنَ إِليه، وولاَّه عَملاً، وأجْرى له

---

(١) و(٢) و(٣) بياض في الأصل.

(٤) البندار: التاجر يحتكر البضائع ويتربَّص بها غلاء السعر، والبندرة، تخزين البضائع أو المعادن للغلاء.

(٥) الأُبْنة، بالضم: العيب، والحقد، والرجل الخيضف (أي الضروط).

في كلِّ شهر خمْسمائة درهم. وكتب صَكَّه بذلكَ، فحسدَه بعضُ الحَاضرين وقال للصَّاحب: إنَّ هذا رجلٌ مأبونٌ، معروفُ الطَّريقة بالفَسادِ، وجَميع ما تصلُه به، وتُوصِّلهُ إليه ينفقُه علَى مَنْ يرتكِبُ معه الفضيحةَ، وأفرطَ في ذمِّ الرَّجل، والدَّلالةِ على قَبائحهِ حتَّى ظن أنه قد أفسدَ حالَه.

فلما رُدَّ الصَّكُّ إليه للتوقيع فيه لم يُشكَّ السَّاعي أنه يُبْطِلُه أو يمزّقُه. فلمَّا أخذهُ، ونظر فيه كتبَ تحْت ما كان قَدَّرَ له كلَّ شهْر: ولغُلام يخدمه، ويستعينُ به خمسون درهمًا، ووقع في الصَّك وردَّه إليه.

كان لعبادَةَ غلامٌ كبير الفَقْحَة. فقيل له: أنت بغَّاء فَيَا لكَ غلام كبير الفقحة؟

قال: يا حمْقَى: ما يدريكم: كلما ثقلتْ المرزبَّة كانَ أشدَّ لدخول الوَتر.

نوادر جحا[(١)]

حكى الجاحظُ: أَنَّ اسمَهُ نوحٌ، وكنيتُه أبو الغُصن، وأنه أربى على المائةِ، وفيه يقولُ عمرُ بنُ أبي ربيعة: [السريع]

ولَّـهـتْ عَـقْـلـي وتـلـقّـبـتْ بـي   حتَّى كـأنِّـي مِـنْ جنُـونـي جُـحـا

ثم أدْركَ أبَا جعْفر، ونزلَ الكوفةَ.

قيلَ لجحا: أتعلمتَ الحسابَ؟ قال: نعمْ. فما يُشْكلُ عليَّ شيءٌ منه. قال له: أقْسِمْ أربعةَ دراهمَ عَلى ثلاثَة، فقال: لرجلين درهمان، درهمان وليسَ للثالثِ شيْءٌ.

وأراد المهديُّ أنْ يعبث به فَدَعا بالنَّطْع[(٢)] والسَّيفِ، فلما أُقْعِد في النِّطع، وقام السَّيافُ على رأسِه وهزَّ سيفه، رفع إليه رأسَهُ، فقال: انظُرْ لا

(١) نثر الدر للآبي ٣/٢٠٧ ـ ٢١١.
(٢) النطع: بساط من أديم يمدّ تحت الذي يحكم عليه بقطع الرأس.

تُصيبُ محاجمي بالسَّيفِ، فإِني قد احتجمتُ، فضحك المهديُّ وأجَازَه.

وماتت لأَبيه جاريةُ حبشية: فبعث به إِلى السُّوق ليشتري لها كفنًا، فأَبطأَ عليه حتى أنفذ غيره، وحمل الكفن، وحُمِلتْ جنازتها فجاء جحا وقد حملت - فجعل يعدو في المقابر، ويقول: رأيتم جنازة جارية حبشية، كفنُها معي؟

وجمحت به بغلةٌ يومًا، فأَخذتْ به في غير الطريق الذي أرادَه، فلقيه صديقٌ له، فقال: أيْنَ عزمْت يا أبا الغُصْنِ؟ فقال: في حاجةٍ للبغْلةِ.

وكان يأْكل يومًا مع أمه خُبزًا وبقلاً، فقال لها: يا أُمِّي، لا تأْكلي الجرْجِيرَ فإِنَّه يقيمُ الأَير.

ومرت به جنازة، فقالَ: بارك الله لنا في الموت وفيما بعدَ الموتِ. فقيل: إِنها جنازةُ نَصْرانيٌّ. فقال: إِذنْ لا بارك اللَّهُ لنا في الموتِ، ولا فيما بعد الموت.

وكانتْ لهم جاريةٌ يقال لها عميرةُ، فضربتْها أُمُّه ذاتَ يوم، وصاحتِ الجاريةُ واجتمع الجيرانُ على الباب. فخرجَ إِليهم، وقال: ما لكُم؟ عافاكم الله إِنَّما هِيَ أُمِّي تجْلد عميرةَ.

وصلَّى بقوم وفي كُمِّهِ جَرْوُ كلْب، فلما ركَع سقط الجروُ، وصاح وتنحْنح الناس. فالتفتَ إِليهم، وقال: إِنَّه سلُوقيٌّ عافاكم اللَّهُ.

وحمل جرَّة خضراءَ إِلى السوق يبيعُها، فقالوا: هي مثقوبةٌ. فقال: ليس تسيل، فإِنَّه كان فيها قُطنٌ لوالدتي، فما سالَ منه شيءٌ.

وأعطاه أبوه درهمًا يزنهُ، فطرحهُ في الكِفَّة، وطَرَحَ في الكِفَّةِ الأُخرى سَنْجة درهمين، وهو يحسبهما سَنْجةَ درهم، فلم يستويا، فطرحَ سَنْجَةَ الدِّرهم على رأس الدِّرهم، فكانَ أقلَّ، فطرح حبَّتين أيضًا، ثم قال لأَبيه: ليس فيه شيء، ويَنقُص حبَّتين.

ونظر يومًا إِلى السَّماء، فقال: ما أَخْلَقَها بالمطر لو «كان» متغيمةً.

ورأوهُ يومًا في السوق يَعْدو فقالوا: ما شأنك؟ قال: مرّت بكم جاريةُ رجل مخضوب اللحية؟

واجتَازَ يومًا بباب الجامع فقال: لِمنْ هذا القصر؟ قالوا له: هَذا مسجد الجامع. قال: رحِمَ اللَّهُ جامعًا. ما أحسنَ ما بَنَى مسجدَه؟

وذهبتْ أُمُّه في عرس، وتركتْهُ في البيْتِ، وقالتْ له: احفَظ الباب فجلَس إلى الظهر. فلما أبطأَتْ عليه قامَ، فقلَع البابَ، وحملَه على عاتِقِه.

ونظر إلى رجل مقيَّد ـ وهو مغْتَمٌّ فقال له: ما غمُّك؟ إذا نُزع عنكَ فثمنُه قائمٌ، ولبسه ربحٌ.

وماتتْ خالتُه فقالوا: اذْهبْ، واشترِ لها حَنُوطًا، فقال: أخْشى ألاَّ ألحق الجنازةَ.

وتبخَّر يومًا فأُحْرِقَتْ ثيابُه، فقال: واللَّهِ لا تبخرتُ أبدًا إلاَّ عُرْيانًا.

لما قَدِمَ أبو مسلم العراق قال ليَقْطين بن موسى: أُحِبُّ أنْ أرى جحا. قال: فوجَّه يقطينُ إليه فدعاهُ، وقال: تهيَّأْ حتى تدخُل على أبي مُسلم فإذَا دخلْت عليْه فَسلِّم، وإيَّاك أن تتَعَلَّقَ بشيءٍ دونَ أن تشْتَدَّ فإني أخشاهُ عليْكَ. قال: نعمْ.

فلمَّا كان مِنْ الغدِ، وجلسَ أبو مسْلم وجَّه يقْطِينُ إليه فَدَعَاه، فأُدْخِلَ على أبي مسلم ـ وهو في صَدْر المجلس ـ ويقطينُ إلى جنبه، فسلَّم، ثم قال: يا يَقطينُ، أيُّكما أبو مسلم؟ فضحك أبو مسلم حتى وَضَع يدَه علَى فمه، ولمْ يكُنْ رُئِيَ قبْلَ ذلك ضاحكًا.

وأراد جحا الخروجَ إلى ضيْعةٍ، فقيلَ له: أحْسنَ الله صَحَابَتَك، فقال: الموضعُ أقربُ مِنْ ذاك.

وعُجنَ في منزِله، فطَلبوا منه حطبًا. فقالَ: إنْ لم يكُنْ حطبٌ فاخْبزوه فطِيرًا.

ولما حَذِق الكتابةَ والحسابَ بعث به المعلم مع الصبيان إلى أبيه، فقال له أبوهُ كمْ عشرين في عشرين؟ قال: أربعين ودانقين. فقال: وكيف صارَ فيه «دانقين»؟ قال: كان فيها دِرْهم ثقيلٌ.

أكلَ جحا يومًا مع قوم رؤوسًا، فلمَّا فرغ من الأكل دعا للقوم، وقال: أطْعمكُم الله مِنْ رؤوس أهل الجنَّةِ.

وضرط أبوه يومًا، فقال جحا: على أيري، فقال أبوه: وَيْلَكَ أيش قُلْتَ؟ قال: حسبتُك أُمِّي.

وماتتْ أمّه فجعَلَ يبكي، ويقولُ: رَحمكِ الله فلقدْ كان بابُكِ مفتوحًا ومتاعك مبْذُولاً.

دخلَ البيتَ، وإذا جاريةُ أبيه نائمةٌ، فاتَّكأَ عليْها، فانتبهَتْ، وقالتْ: مَنْ ذَا؟ قال اسكُتي، أَنَا أبي.

ورأوهُ في جنازة أبي العباس النحوي وهُو يقول: يا أبا العبَّاس، رحمَك اللَّهُ مَنْ حُرْمَتُنَا بعدك يا أبا العباس.

وسمع قائلاً يقول: ما أحْسنَ القمرَ؟ فقال: أي واللَّهِ خاصةً بالليل.

وجاز بقوم في كُمِّه خُوخٌ، فقال لهم: مَنْ أخْبرَني بمَا في كُمِّي فلَه أكبر خُوخة فيه؟ قالوا: خُوخٌ. فقال: ما قال لكم إلاَّ مَنْ أمُّه زانيةٌ.

وقال له أبُوه يومًا: احملْ هذا الحُبَّ[1] فَقَيِّرْهُ[2]. فذهبَ به، وقَيَّرهُ مِنْ خارج. فقال أبُوه: أسْخَنَ اللَّهُ عيْنك: رأيتَ مَنْ قَيَّر الحبَّ مِنْ خارج؟ فقال جحا: إنْ لم تَرْضَ ـ عافاك اللَّهُ ـ فاقْلبه مثلَ الخُفِّ حتَّى يصيرَ القيْر مِنْ داخِل.

وبات ليلةً مع صبيانٍ له، فجعلوا يفْسون، فقال لامرأته: هذا ـ واللَّهِ ـ بليةٌ.

(١) الحُبُ: الجرّة، أو الضخمة منها.
(٢) قيره: طلاه بالقار.

قالت دَعْهم يفسون فإِنَّهُ أَدفأُ لهم. فقام: وخَرى وسطَ البيتِ، ثم قال: أنبهي الصبيان حتى يصْطلُوا بهذه النار.

قيل له: ما لوجهك مستطيلاً؟ قال: وُلِدتُ في الصيفِ، ولولا أن الشِّتاء أدركهُ لسال وجْهي.

ورئي يومًا مَغْمُومًا، فقيل له: مَا لَكَ؟ قال: وقعتْ أمي من السَّطح على مذاكيرها.

وأخذ بَوْلَه في قَارُورة، فأَتى به الطبيبَ، فقال: إِني أريد أنْ أنقطع إِلى بَعْض الملُوكِ، فانْظُرْ: هل أُصيبُ منه خيرًا؟

وكان في دارهم شجرةُ تين، وكانت الدار لأُمِّه، فدعا أبوه قومًا فسكروا، وجعلوا يَبُولُون في البستان، فقال لأمه: يا أُمَّه! هو ذي يبولُون في أصْل تينَتِكِ.

وماتت ابنةٌ له فذهب ليشتريَ لها كفنًا، فلما بلغ البزَّازين رجع مسْرعًا. فقال: لا تحملُوها حتى أجِيءَ أنا.

ومرَّ في الميدان فرأى قصرًا مشْرِفًا، فوقف ينظر إِليه، ويتأَمَّله طويلاً، ثم قال: أتوهَّمُ أنِّي رأيتُه في مَجلَّةِ بني فُلان.

ودخل البستان فتعلَّق ثوبُه بشجرة، فالتفت، وقال: لولا أنك بهيمة لكسرتُ أنْفك.

وخرج يومًا بقُمقم يسْتَقِي فيه مِنْ ماء النهر، فسقط مِنْ يده وغرِق فقَعد على شط النَّهر، فمرَّ به صاحبٌ له، فقال: ما يُقعِدك ها هِنا؟ قال: قمقمٌ لي قدْ غرق وأنا أنتظِرُ أنْ ينتَفخَ ويطفُوَ فوقَ الماء.

واشترى يومًا نفانق فانقضَّ عِليه عقابٌ، وانتسفَ بعض النَّفانِق فَطارَ به فنظَر إِليه، وقال: يا شَقِيُّ، ومَنْ أيْن لك خَردَلٌ تأْكلُه به؟

وأسلمتُه أُمّه في البزَّازِين، فقالتْ له بَعْد حَوْلين: توجهتَ في شيءٍ؟

قال: نعمْ، تعملت نصْفَ العمل، قيل: وما تعلَّمتَ؟ قال: تعلمتُ النَّشْرَ وبقي الطيُّ.

وقيل له ـ وكانَ بَرِيءَ من جراحة أصابته: بم تدَاويْت؟ قال: بدَم الوالدين. يُريد دمَ الأَخوين.

وركب يومًا حمارًا، وعقر ذَنبه، فقالوا: لِم فعلت ذلك؟ فقال: لأَنه يقدِّمُ سَرْجَه.

وتعلَّق بلصٍّ في بعض الليل، فصاح اللُّص: قُرْحتي فخلاه حتى مرَّ وقال: خشيتُ أنْ أُوجعَهُ.

وكان نقْشُ خاتمه: عَشاءُ الليل رَديءٌ.

وأخذَهُ صاحبُ المصلحة فقدَّمهُ إلى الوالي، فقال: رأيتُ هذا يجْلِد عَميرة. فقال: احبسوه. فلقيَهُ صديقٌ له، فقال: ما حالُكَ؟ قال: قصتي عجيبةٌ، لا «يَدَعونا» نَنيكُهم. فإذا نكنا أَنْفسَنا حَبَسُونَا.

نوادر أشعب[(١)(٢)]

كان يقول: كلْبي كلبُ سَوْء، يبصبصُ للأَضياف وينبح أصحابَ الهدايا.

وأشعبُ هذا هو الموصوفُ بالطمع، وقيل له: ما بلغ مِنْ طمعك؟ قال: لم تقُلْ هذا إلاَّ وفي نفْسِك خيرٌ تصنعه بي.

ومِن عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفٌ قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب علَى وَصيَّته، أو وارثه، وقال له: احلف أنه لَمْ يُوصِ لي بشيء قبل موته.

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ٢١٢ ـ ٢١٥.

(٢) أشعب الطماع: هو أشعب بن جبير، نشأ في المدينة في دور آل أبي طالب، ربّته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان (الأغاني ١٩/ ١٣٥).

وقيل له: لقد لقِيتَ رجلاً من أصْحاب النبي ﷺ، فلو حَفظتَ أحاديث تتحدَّثُ بها؟ قَال: أنا أعلمُ الناسِ بالحديث. قيل: فحدِّثنا. قال: حدَّثني عِكرمةُ عن ابن عباس، قال: خلَّتان لا تجتمعان في مؤمن إلاّ دخلَ الجنةَ. ثم سكت. قيل له: هاتِ، ما الخِلَّتان؟ قال: نسِي عكرمةُ إِحداهُما، ونسيتُ أنا الأُخرى.

قال بعضُهم: قلت له: لو تحدثتَ عِندي العَشيّةَ! فقال: أخافُ أن يجيء إِنسانٌ ثقيلٌ: قلتُ: ليس معنا ثالثٌ. فمَضى معي، فلما صلَّيتُ دعوتُ بالعشاء، فلم يلْبث أنْ جاء صديقٌ يدق الباب، فقال أشْعَبُ: تُرى قد صِرْنا إِلى ما نكْرهُ؟ قال: قلتُ له: عِنْدي فيه عشرُ خِصالٍ لا يُكرهُ منها خَصْلةٌ، فإِن كرهتَ واحدةً لمْ آذَنْ له. قال: هات. قلتُ: أُولاهُن أنه لا يأْكلُ. فقال: التِّسعُ الباقيةُ لك. أدْخِله.

وكان أشعبُ لا يُغِبُّ طعام سالم بنِ عبد الله بن عُمَر فاشتهى سالمٌ أَنْ يأْكل مع بناتِه. فخرج إِلى بُستان له، فجاء أشعب فَخُبِّر بالقصة، فاكترى جملاً بدرهم. فلما حاذى حائطَ البستان. وثَبَ، فصار عليه. فغطى سالمٌ بناتَه بثوبه، وقال: بناتي بناتي. فقال أشعبُ: إِنك لتعلَم ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

قيل: بغَتْ أمُّ أشعب، فضُربتْ، وحُلِقتْ، وحملت علَى بعير يُطاف بها، وهي تقول: منْ رآني فلا يزْنينَّ، فأَشرفتْ عليها ظريفةٌ من أهل المدينة، فقالت لها: إِنك لمطاعةٌ! نهانا اللَّهُ عنهُ، فما ندعُه، ونَدعهُ لقولك.

كان زياد بنُ عبدِ اللَّهِ الحارثي، عَلى شُرطةِ المدينةِ، وكان مبخَّلاً على الطَّعام فدعا أشعبَ في شهر رمضانَ ليفطرَ عنده، فقدِّمَتْ إِليه في أول ليلة بَصَليَّةٌ معْقُودةٌ، وكانت تُعْجِبه، فجعلَ أشعبُ يُمعِنُ فيها ـ وزيادٌ يلمحه ـ فلما فَرغوا من الأَكل قال زياد: ما أظُنُّ أن لأَهل السِّجن إِمامًا يصلِّي بهم في هذا الشهر فَليُصلِّ بهم أشْعَبُ. فقال أشْعبُ: لو غَير ذلك ـ أصْلحَك الله قال: وما

هُو؟ قال: أحْلِفُ أنّي لا أذوق بصَلِيَّةً أبَدًا. فخجل زيادٌ، وتَغافل عنه.

قال أشعَب: جاءتني جاريةٌ بدينار، وقالتْ هذه وَديعةٌ عندكَ فجعلتُه بيْن ثِنْي الفراش، فجاءتْ بعد أيَّام فقالتْ: بأَبي الدينارَ. فقلتُ: ارفعي الفراشَ، وخُذِي ولدَهُ. وكنتُ تركتُ إلى جَنْبه دِرهمًا، فتركت الدينارَ، وأخذت الدرهمَ وعادت بعد أيام فوجدْت معهُ درهمًا آخرَ، فأَخذته.

وعادت في الثَّالِثة كذلك، فلما رأيتُها في الرابعةُ بكيتُ، فقالت: ما يُبكِيكِ؟ قلتُ: ماتَ دينارُك في النِّفاس، قالت: وكيف يكون للدنيار نِفَاسٌ؟ قُلتُ: يا فاسقةُ تُصدِّقين بالولادة، ولاَ تصدقين بالنِّفاس!

سأَل سالم بنُ عبدِ اللَّهِ بن عمر أشعبَ عن طمعِه، فقال: قلتُ لصبيان مرَّةً: اذهبُوا هذا سالم قد فتحَ بيتَ صدَقَة عمرَ حتَّى يُطعمكم تمرًا، فلمَّا احْتسبوا ظننتُ أنه كما قلتُ لهم، فغدوْتُ في أثَرهم.

وقيل له: ما بلغ مِنْ طَمَعِكِ؟ قال: أرى دُخَانَ جَاري فَأُثْرِد.

وقيل له أيضًا: ما بلغَ من طمعك؟ قال: لم أر اثنين قطُّ يتسَارَّانِ إلاَّ ظننتُ أنهما يأْمران لي بشيء.

وقيل أيضًا: ما بلغ من طمَعكَ؟ قال: ما رأيتُ عروسًا بالمدينةِ تُزَفُّ إلاَّ كنستُ بيتي، ورَششتُه طمَعًا في أن تُزفَّ إلَيَّ.

ووقف علَى رجل خَيْزراني ـ وكان يعمل طَبقًا ـ فقال له: وسِّعْه قليلاً. قال الخَيْزَرانيُّ: وما تُريد بذلك؟ كأَنَّك تُريد أن تشتريَه؟ قال: لا، ولكن يشتريه بعضُ الأَشراف، فَيُهدى إلَيَّ فيه شيئًا.

وقال له ابنُ أبي عَتِيق: أمَا تستحي ـ وعندكَ ما أرى ـ مِنْ أنْ تسأَل النَاسَ؟

قال: معي من لُطفِ المسأَلةِ ما لا تطيبُ نفسِي بترْكه.

وكان أشعبُ يحدِّث عَنْ عبد الله بن عمُر، فيقولُ: حدَّثني عبد الله

وكان يُبغِضُنِي في اللَّهِ.

وجلس يومًا في الشِّتاء إلى رجل مِنْ وَلدِ عُقْبة بن أبي مُعَيْطٍ، فمرَّ به حسنُ بن حسن، فقال: ما يُقعِدُك إلى جَنْب هذا؟ قال: أصْطلي بناره.

ولما مات ابن عائشة المغنِّي جعل أشعب يبكي، ويقول: قلتُ لكم زوِّجوا ابنَ عائشة من الشماسيةِ حتى يخرجَ بينهما مزامير داودَ، فلم تفعلوا ولكن لا يُغْنِي حذَرٌ مِنْ قَدَر.

ولما أُخرجت جنازةُ الصَّريميَّة المغنيَّةِ كان أشعبُ جالسًا في نفر من قُريش فبكى عليها، وقال: اليومَ ذهبَ الغناءُ كلُّه. وترحَّمَ عليها، ثُم مَسحَ عينَيْهِ، والتفتَ إليْهم، وقال: وعَلى ذلكَ فقد كانتْ الزانيةُ شرَّ خلْق الله فضحكوا، وقالوا: يا أشعبُ، ليس بين بُكائِكَ عليْها، وبين لعْنِك إياها فرقٌ. قال: نعم كنا نحبوها الفاجرةَ بكَبْش إذا أرْدنَا أن نزورَها فتطبخ لَنا في دَارها. ثم لا تُعشِّينا ـ يشهد الله ـ إلاَّ بِسِلْق.

وجاز به يومًا سِبْطٌ لابن سُريج، وهو جالس في فِتية من قريش، فوثب إليه، وحمله على كتفه، وجعلَ يُرْقصُه ويقولُ: فُدِيتَ مِنْ ولَد علَى عُودٍ، واستهلَّ بغناء، وحُنِّك، بحلْوى، وقطعت سُرَّتُه بزير، وخُتنَ بمضْراب.

وتَبع مرة امرأةً فقالت له: وما تصنَعُ بي ولي زوجٌ؟ قال: فتَسَرِّي بي، فديتك.

وقيلَ له: هل رأيتَ أطْمعَ منك؟ قال: نعمْ. كَلْب أمِّ حومل، تبعني فَرسخيْن، وأنا أمضغُ كُنْدرًا، ولقد حسدتُهُ على ذلك.

وخفَّفَ الصلاةَ مَرَّةً، فقال له بعضُ أهل المسجد: خفَفتَ الصلاةَ جدًا! قال: لأَنه لم يُخالطْها رياءٌ.

وقال له رجل: ضَياعَ معْروفي عندَك. قال: لأَنه جاءَ من غير مخْتسب ثم وَقَعَ عند غير شاكر.

قيل له: هل رأيتَ أحدًا أطمعَ منك؟ قال: نعمْ، خَرجْتُ إلى الشَّام مع رفيق لي، فنزلنا بعض الدِّيَارات، فتلاحَيْنَا. فقلتُ: أير هذا الرَّاهب في حِر أُمِّ الكاذِب. فلم نشْعر إلا بالرَّاهب قد اطَّلع علينَا، وقد أنعظ، وهو يقول: أيُّكم الكَاذِبُ؟

ودخل يومًا إلى بعض الرؤساء ـ وهو يَحْتَجم فقال له أشعب: حَجمَك بنُوك.

كان أشعب عند الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، فدخل عليهم أعرابيٌّ مشعَّث اللِّمة، قبيح الخلقة متنكِّبًا قوسًا. فقال أشعبُ للحسن: أَتأْذنُ أنْ أسْلحَ عليه فسمعه الأعرابي، فوضع سهمًا في كبير قوسه، وفوَّقه نحو أشعب وقال: لَئِن فَعلت ليكونَنَّ آخِر سلْح تسْلحه أبدًا. فقال أشعب للحسن: يا سيِّدي، أخذني والله القولنج.

قال رجل لأَشْعبَ ـ وكان صديقَ أبيه ـ: يا بنيَّ كان أبوك عظيمَ اللحية، فمنْ أشبهتَ أنت؟ قال: أشبهتُ أمِّي.

نوادر السُّؤَّال[١]

قال بعضهم: رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزيَّاتين ـ وهم أنْصَب منْ في الأَرض ـ يسأَلُ، ويقول: تَصَدَّقُوا عليَّ حُبًّا وكرامةً لأَمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب، وليس يلتفتُ إليه أحد، ولا يُعطيه شيئًا. فدفعتُ إليه درهمًا، وقلتُ في نَفْسي: إن هذا المِسكين لا يعرف هؤلاء وبُغْضهم لعليٍّ عليه السلام فأَخذ الدرهمَ منِّي، وقال: يا صاحبَ الصَّدَقةِ، إنْ كنتَ تصدَّقتَ بها عليَّ وفي قلبك بُغْضٌ لأَبي بكر، وعمرَ، وعثمانَ، وفلانٍ، وفلانٍ ومعاويةَ خَالِ المؤمنين رديفِ المصْطفى، وكاتب الوحي فقطع اللَّهُ يدَيكَ ورجلَيْك وأعْمى عَيْنيْكَ.

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/٢١٦ ـ ٢١٩.

قال: فأَخذتْه الدراهمْ مِنْ كل جانبٍ، وبقيت أنا متحيِّرًا، ثُمَّ مَضى فلحظتُه. فَعلِم ما في قلبي، فقال: يا فَتَى على رِسْلكَ! عِنْدك أَنَّ هؤلاء القَرانِنَةَ[١] لا يصدَّقون عليَّ إلاَّ بمثْل هذِه الحيلةِ.

جاء سائلٌ إلى قوم فسأَلهم، فَردُّوا عليه، وألحَّ عليهم فردُّوا، فأَلحَّ، فخرجَ إليه بعضُهم فقال: عَافَاكَ اللَّهُ. أمَا سمعتَ الرَّدَّ؟ قال: ولكنكم غَممْتُموني فأردتُ أنْ أغمّكم يا قَرانِنَةُ.

وقف سائلٌ علَى قوم، فقال بعضُهم: بضاعتُنا واحدةٌ. فقال السائلُ: أنا أقود علَى أمّي.

أُعطِيَ سائلٌ كسرةً صغيرة. فقال: رحمَ الله من تمَّمها لُقمةً.

قال بعضهم: رأيتُ ببغداد مكفوفًا يقول: من أعطاني حَبَّةً سقاهُ اللَّهُ من الحوض عَلَى يَد معاويةَ، فتبعتُه حتى خَلوتُ به، ولطمْتُه، وقلتُ: يا كذا عَزلتَ أميرَ المؤمنين عن الحوْض، فقال: أردْتَ أنْ أسْقيهُمْ بحبة على يد أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام؟ لا، ولا كَرامَةَ.

سأَل أَبو فرعون رجلاً، فمنعهُ. فأَلحَّ عليْه فأَعطاه فقال: اللهم اخْزِنا وإيَّاهُمْ، نسْأَلُهم إلحافًا، ويعطوننا كُرهًا، فلا يُباركُ اللَّهُ لنا فيها، ولا يأْجرُهم عليها.

وقف سائل علَى باب، فقال: يا أَهلَ الدار. فبادر صاحبُ الدار قبلَ أن يُتمَّ السائلُ كلامه، وقال: صنَع اللَّهُ لك، فقال السائل: يابنَ البَظْراء كُنتَ تصبر حتى تسمع كلامي عسى جئت أدعوك إلى دَعوة.

وقف أعرابيٌّ سائل علَى بابٍ، وسأَل. فأَجابه رجلٌ: ليس ها هُنا أحدٌ، قال: إنَّك لأَحدٌ لوْ جعل اللَّهُ فيكَ بَرَكةً.

قال الجمّازُ: سمعتُ سائلاً يقول: مَنْ يعطيني حُبًّا لأَمينين: جبريل ومعاويةَ؟

(١) القرانِنة: جمع قرنان، وهو الدّيوث المشارك في قرينته.

وقف سائلٌ على بابٍ وكانتْ صاحبةُ الدار تبولُ علَى البالوعة. فحسِبَ السائلُ أنّ صوتَ بَوْلها نَشيشُ المقْلى، فقال: أطْعمُونَا مِنْ هذا الذي تقْلُونه. فضرطت المرأةُ، وقالتْ: حطبُنَا ـ وحياتك ـ رطبٌ ليس يشتغل وكان آخر يقول: مَنْ يعطيني قطعةً حُبًّا لهندٍ حماة النَّبي.

ووقف سائل بباب (المافروخي) عامِل الأَهواز، وسأَل فأَعطَوْه لقمةً مِنْ خُبز، فسكتَ ساعةً، ولم يبرحْ، ثم صاح، وقالَ: هذا الدّواءُ لأَي شيءٍ ينْفعُني؟ وكيف آخذُه؟

وقف سائل على باب قوم فقال: تصدَّقوا عليَّ فإنِّي جائع، قالوا: لم نَخْبز بعدُ، قال: فكفّ سَوِيق؟ قالوا: ما اشترينا بعدُ. قال: فشربة ماء فإني عطشانُ، قالوا: ما أتانا السقَّاء بعدُ. قال: فيسيرُ دُهْنٍ أضعُه على رأسي. قالوا: ومنْ أين لنا الدهنُ؟ فقال: يا أولادَ الزِّنى، فمَا قعودُكُم ها هُنا؟ قومُوا وسلُوا معي.

وقف سائل على باب دار فقال: تصدَّقوا عليَّ، فقالت جاريةٌ من الدار: ما عِندنَا شيءٌ نعطيكَ، وسِتّي في المأْتم، فقال السائلُ: أيُّ مأتم أعظمُ مِنْ مأْتمكُم إِذا لم يكن عِندكم شيءٌ؟

وقف آخر بباب دارٍ، فسأَل، فقال صاحبُ الدار: أغْناكَ اللَّهُ، فليس صبيانُنا ها هنا. قال: إِنَّما طلبْتُ كسرةً، لمْ أطلُب الجماعَ.

وقفَ آخر بباب فقال: أوسِعُوا عليَّ مما رَزقكم اللَّهُ فإِنِّي في ضيق. فقالَ صاحبُ الدار: إِن كُنتَ في الدّهْليز في ضَيق فادخُل الدار فإنه أوسعُ لك.

فقال السائل: إنما قُلْتُ: تأْمُرُ لي بشيءٍ قالَ: قد أمرتُك أنْ تشتري لابني قَلنسوة.

فقال السائل: «أَيش» تريدُ منِّي يا هذا؟ قال: أريدُ منك عشرةَ دراهم أُؤدِّيها عَنْ كِرا الدار. فولَّى السائلُ هاربًا.

وقف أعرابيٌّ على قوم يسألهم، فقال أحدُهُمْ له: بُورك فيكَ. وقالَ آخرُ ما أكثر السُّؤَّال؟ فقال الأَعرابيُّ: تُرانَا أكثَر مِنْ «بُورك فيك»؟ والله لقدْ علَّمكُم اللَّهُ كلمةً ما تُبالُون ولو كُنا مثل ربيعة ومُضر.

وقف آخرُ على بابٍ، فأَجابتْه امرأةٌ من الدار: ما خبَزْنَا اليوم. قال: فأَعطني كفَّ دقيق. قالتْ: ما اشترينا بعدُ دقيقًا. قال: فاستقْرضي منْ الجيران رغيفًا، قالت: لا «يقرضونا». قال: قد أحْسَنُوا يا زانيةُ. تستقرضِين، ولا تردِّين، لا يُقْرضُونكِ!

وقف سائل على إنسان ـ وهو مقبلٌ على صديق له يحدثُه، ويتغافلُ عن السائل ـ ثم قال لهُ بعْدَ ساعة طويلة: صنع اللَّهُ لك. فقال له السائل: أين كان هذا يا سيِّدي إلى هذا الوقت؟ كان في الصُّنْدوق؟

وكان رجل ببغداد من الشحاذين فكان دأبُه أن يترصَّد إقبال الربيع، فيطلبُ وردةً أول ما تطلُع، وقبْل أن يراها الناسُ فيأْخُذها، ويحملها إلى الحذَّائين، ويبشِّرهم بمجيء الصيف، وحاجة الناس إلى النّعال، فيجُبون له شيئًا، ويعطونه وإذا أقبل الخريفُ عَمدَ إلى جَزرة قبل أنْ يرى الناسُ الجزر، ويُهديها إلى الخفَّافين، ويبشرهم بمجيء الشتاء. فما زال هذا دأبه يتعيَّش منه طول عُمره.

وكان رجلٌ منْهم معه صحيفة، ودواةٌ، فكان يتقدَّم إلى الرجل منْ أهْل السُّوق وغيرهم، فيسأَلُه أنْ يُعطيَه شيئاً، ثم يقول له: أنا أرْضى بدرهم واحد تُعْطِينيه في مثل هذا اليوم من السَّنة القابلة، فيستحي الرجلُ فيقولُ: أثْبت لي خطَّك بهذا الدرهم الواحِد، فيأْخُذ خطَّه، ويعود في القابل، وَفي اليوم الذي يكون قد أرَّخه فيأْخذ منه ذلك، فكان يجتمعُ له في كلِّ سنة جملةٌ جَاملةٌ.

سمع رجل سائلاً في مسْجد الكوفة يقول: أسأَلكم بحقِّ أبي بكر وعُمَر، فما أعطاه أحدٌ شيئًا، فقال: ليسَ لهؤلاء القوم ها هنا جاهٌ رأى أبو القمقام الهلال على وَجْه قصرية فقال لها: اضحكي في وَجْهي، وخُذي هذا

الدينار منّي، فاستظرفْته، وأخذت منهُ الدِّينار عبثًا، فقال: قد تفاءلت بوَجْهك، فما لي عندك؟ قالت: أردُّ دِينارًا، قال: هذا كما كُنَّا فأَينَ حلاوةُ الفأل؟ وصدقت، فأَعطته دينارًا. فقال: التجارةُ بركةٌ والخديعةُ يُمْنٌ.

وكان على عصًا ساسان المكري مكتوبًا بالذَّهب: الحركةُ بركةٌ، الطراوة سُفْتجَة، الكسل شُؤمٌ، التمييزُ جُرمٌ.

حكى بعضُهم قال: سَمِعتُ ابن سكّرة يقول: كان شَرْطِي مع خمْرة وهي التي يشببُ بها في شِعْره، وفيها يقولُ: [المتقارب]

لِخَمرةَ عندي حديثٌ يطولُ ... رأتني أبولُ فكادت تبولُ

أن أُعطيَها على كلِّ فرْد أربعة دَوانيق، قال: فجاءتْني يومًا فأَعطيتُها درهمين ونكتها مرَّتين. ولم ينتشرْ عليَّ في الثالث؛ فأَردْتُ ارتجاع قِسط الواحدِ منها، وامْتنعَتْ مِن ذلك، فبيْنا نحنُ في ذلك إذْ وقف سائلٌ على الباب، ودعا وسأَل. فقُلْتُ له: ادخُل فدخل. فقلْتُ: ليْس يحضُرُني، ولكنْ نِكْ هذه، فقد استوْفتْ جذْرها. قال: فأَخذ بيدها، ودخل البيت، وناكها، وخرجَ وأيرهُ في يده ـ وهو يقْطُر، ويُشيرُ إليه، ويقول لي: ثقل اللَّهُ بهذا مِيزانك يوم القيامةِ.

نوادر المعلمين(١)

قال بعضُهم: مررت ببعض سككِ البصرة وإذ معلِّمٌ قد ضرب صبيًا، وأقام الصبيان صفًا، وهو يقولُ لهم: اقرؤوا. ثم جاء إلى صبيٍّ بجنْب الصبي الذي ضربه، فقال: قُل لهذا يقرأُ، فإنِّي لستُ أكلِّمه.

قال أبُو عثمان: كان ابنُ شُبْرمة لا يقبلُ شهادة المعلِّم، وربَّما قبل شهادة المؤدِّب.

وكان يحيى بنُ أكثمَ أسوأ الناس رأيًا فيهم.

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢٥.

وكان السِّنديُّ بنُ شاهك لا يستحلِفُ المكَاريَ، ولا الحائكَ، ولا الملاَّحَ، ويجعلُ القولَ قولَ المدَّعي ويقولُ: اللَّهم إنِّي أستَخيرُك في الحمَّال ومعلِّم الكتاب.

وصفَ بعضُهم معلِّمًا فقال: هو أفْرهُ الناسِ وصيفًا، وأكثرهُم رغيفًا.

قال بعضهم: مررْتُ بمعلم وإذا صِبيانُه يلعبُون، ويقتَتِلُون؛ فقلتُ للمعلِّم: ما بالُ صبيانِكَ «ليْسُوا» يَفرَقُون منك! قال: وأنا أيْضًا لستُ أفْرقُ منْهم.

قال: وقال غُلام لأَبيه: لا أريد هذا المعلِّم. فقال له أبُوه: ما لَهُ؟ قال: يصْنعُ بي أمْرًا عظيمًا. قال: يسْتخدِمُك؟ قال: أشدّ مِنْ ذلك. قال: فيضربُك؟ قال: أشد منْ ذاك، قال: فيعْفجُك؟ قال: أشد مِن ذَاك. قال: فأَيُّ شيءٍ ويلك يفعلُ بك؟ قال: يأكُل غَدايَ.

قال: كان معلمٌ يقيمُ الصبيانَ صَفَّين، ويتَّكِىء صبيين بيديه، ويقولُ: أربعةٌ أربعةٌ: سِتَّةٌ. فقلت له: إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةً، فكم يكونُ ثلاثةٌ وثلاثةٌ؟ قال: صدقتَ. لم آخذْ جذْره.

وكان لأَبي داود المعلِّم ابنٌ، فمرض، فلما نَزَع قال: اغْسلوه. قالوا: لم يمتْ بعد. قال: إلى أن يُفرغَ من غَسْله ما قد ماتَ.

وقال شريكُه: تعلِّم الصبيانَ ـ وعليك قميصٌ جديدٌ، فيسوِّدونه عليك؟ قال: قد اشتريتُ قطْنًا وقلت لأَهلِنا: يغْزلون قميصًا خَلَقًا.

قال: مررتُ يومًا بمعلِّم ـ والصبيانُ يحذفُون عينَه بالقَصب ـ وهو ساكتٌ ـ فقلت: ويْحكَ! أرى منك عَجَبًا. فقال: وما هُو؟ قلتُ: أراكَ جالِسًا والصبيانُ يحْذفُون عَيْنك بالقَصب! فقال: اسكتْ، ودَعْهُم. فما فَرِحِي والله إلاَّ أنْ يُصيبَ عَيْنِيَ شيءٌ، فأُريكَ كيف أنتِفُ لِحَى آبائهم.

كان بحمص مُعلِّم يُكْنى أبَا جعفر يتَعاطى عِلْمَ الحساب، فصارتْ إليه يومًا امرأةٌ، فقالت: يا أبا جعفر: قفيزُ دقيق بثمانية دراهم كم يُصيبُني بأربعة

دراهمَ؟ فقال لها، بعد أن فكَّرَ: في هذه المسألةِ ثلاثةُ أقوال: أحدهما أنْ تُعطي الرجل أربعة أخرى، وتأْخذي قفِيزًا، والآخر: لك قفيزٌ إلا بأَربعة دراهم. والثالث: تدفعين دِرْهم درهمَ، وتأْخذين مَكُّوكَ مكُّوكَ حتى «تستوفين».

وصار إِليه ثلاثةُ روز جارتين، قد أخذوا أجْرَتهم دِرهمين فقالوا: يا أبا جعفر، كيف نَقْتسم الدِّرهمين ونحن ثلاثةٌ؟ قال: أسْقطوا منكم واحدًا، وخُذوا درهمًا درهمًا. قالوا: سبحانَ الله!! كيفَ نُسقط أحدَنَا وقد عمِلَ؟ قال: فزيدوا واحدًا، وخذوا نِصْفَ نصف. قالوا: كيف نزيد فينَا من لم يعمل ويأْخذ كرانًا؟ قال: فخذوا نِصْفًا نصْفًا واشتروا بالباقي تمرًا، وكُلوه.

وسأَلته امرأةٌ، فقالت: أربعةُ أرطال تمر بدرهم، كم يُصيبُني بدانق ونصف؟ ففكّر ساعةً طويلة، وأدخلَ يديه تحت ذَيْلِه، وجعلَ يحْسِبُ بهما ثم أخْرج يديْه وقد جَمعهُما، وقال: كُتلةٌ مثلُ هذه كبيرةٌ.

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده، وليس عِنْده من الصّبيان أحدٌ، فقلتُ له: يا معلّمُ، ما فعل صبيانُك؟ فقال: خلْف الدُّور يتصافَعُون. فقلتُ: أريد أن أنظرَ إليهم، فقال: إِن كان ولا بُدَّ فغطِّ رأسَكَ، لا يحسبُونك أنا «فيصفعُوك».

قال: ورأيت مُعلِّمًا وقد جاء غلامان قد تعلَّق أحدهما بالآخر، وقال يا معلِّمُ، هذا عضّ أُذُني، فقال الآخر: واللّهِ ما عضَضْتُها، وإِنَّما هو عضّ أُذن نفْسِه. فقال له المعلم: يابنَ الخبيثةِ، صار جَمَلاً حتى يعضَّ أذنَ نفسِه؟

وقال: رأيتُ معلمًا بالكوفة، وهو شيخٌ مخضوبُ الرأس واللّحْيَة، وهو يجلس يبكي فوقفتُ عليه، وقلتُ: يا عمّ: ممَّ تبكي؟ فقال: سرق الصبيانُ خُبْزي.

قال: وسمعتُ معلِّمًا وهو يقرىءُ صبيًا: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠] والصبيُّ يقول: كلحم بالبَصل. فقال له: يا فاعلُ،

أحسبُكَ تشتهي بصَليَّة قال: وقرأ صبيٌّ على معلِّم: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧] فقال المعلم: من عِند أبيك القرنان أوْلى؛ فإنَّه كثير المال يا بنَ الفاعلة هو ذا؟ تُلْزمْ النبيَّ نفقةً لا تجبُ عليه. أعجبك كثرة ماله؟

قال: ورأيتُ معلمًا وقد جاء صبيٌّ، فصفَعه صفعةً محكمة، فقال له المعلِّم: أيهما أصْلبُ: هذه أم التي صَفعْتُك أمْس؟

قال: وكان بالمدينة معلِّم يُفْرط في ضرْب الصبيان، ويشتمُهم فلاموه على ذلك، فسألني أنْ أقْعدَ عنده، وأُشاهدَ حالَه معهم، فقعدْتُ عنده، فإذا بصبيٍّ يقول: يا معلمُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر: ٣٥] فقال: عليكَ وعلى أبوَيْكَ.

وجاء آخر، فقال: يا معلِّم: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤] قال: ذاكَ أبُوك الكَشْخَان[1].

وجاء آخر، فقال: يا معلِّم: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ [القصص: ٢٧] قال: انكحْ أمَّك الفاعلةَ.

وقال آخر: يا معلم: ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩]، قال: لا، ولا كرامَة. فلا يزالُ معهم في مثل هذا وهو يَضْربُهم ويُزنِّيهم.

قال: ومررت بمعلِّم وقد جاء صبيٌّ صغير، فصفعه. فقلت له: لِمَ تَدَعُ هذا الصبيَّ يجترىءُ عليك؟ فقال: دعْهُ فإني أشكوه غداً إلى أبيه.

قرأ غلامٌ علَى معلِّم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ﴾ أُمِّك ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ [الزخرف: ٢٢] فرد عليْه المعلم ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ فقال: عَلى أمِّك، فلما تكرَّرَ ذلك، قال المعلِّم: قُلْ: علَى أُمِّي. فقال: عَلَى أمِّي، فقال المعلِّم: على أي حال إذا وجَدْتَ أباكَ على أمِّك (خيرًا) من أن تَجدَه علَى أُمِّي أنَا.

(١) الكشخان: الديّوث.

واستفتحَ غلامٌ، فقال: يا معلِّم: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ [القصص: ٢٥] فقال: هَاتُمْ نَعْلِيَ. فقال الغلامُ: إنما استفتحْتُ فقال: قد أنكرتَ أن يُفْلح أبُوك.

قال معلم لغلام: قُلْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] فقال: وقد داسَ مِنْ خبَّاها. فلم يزل يكرِّر ذلك عليه إلى أن أعْيَته العِلَّةُ. فقال المعلم: وقد داسَ مَنْ خبَّاها. فقال الغلام: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾. فقال المعلم لأَبيه: قد قلتُ لكَ إنه لا يُفْلِحُ.

قالوا: إذا قال المعلِّم للصبيان: تِهجُّوا ذَهبَ عقْلُهُ أربعينَ صَباحًا.

وكان بعضُ المعلمين يعلِّم صبيًا وأُمُّهُ حاضرةٌ، فقال له: اقرأ وإلا قمتُ ونكتُ أمَّك. فقالت الأُمُّ: إنَّه صبي، ويتيم، واليتيمُ فيه لجَاجٌ، ولا يؤمِنُ بالشيء حتَّى يراه.

أراد معلم أن يتزوجَ امرأةً، كان ابنُها عنده، فامْتنعت عليه، فأمر بحمْل ابنها وضربه، وقال: لم قلتَ لأمِّك إن أير المعلم كبير؟ فلما رجع الصبيُّ إلى أُمِّه قال: ضربني المعلمُ وقال لي: كذا، وكذا، فوجَّهت إلى المعلِّم: أحضرْ شهودَك تتزوَّجُ، وتزوجته.

قال آخر: مررت بأَحدهِم وصبي يقرأ عليه: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ٢] والمعلمُ يرد عليه: يدْعُو اليتيمَ، ويضربُه قال: فجئتُ إليه، وقلتُ: هذا من الأَمْر بالمعروفِ، ففسِّر.

فقلتُ: يا شيخُ، الصبي على الصَّواب، وأنت على الخطإِ. وإنما معنى يدعُّ: يدْفعُ. قال: فَزَبرني، وأغْلظَ لي وقالَ: إنَّما معْناهُ يَدْعُو اليتيمَ ليفْسِقَ به. قال: فولَّيت وقلتُ: أنْتَ لا تَرْضَى أن تُخطِىءَ حتى تفسِّرَ.

وقال: مررتُ بمعلِّم وهو يضرب صِبْيانَه كلَّهم، فسأَلتُه عن الذَّنْب، فقال: يُرْجفُون بي. قال: بماذا؟ قال: يزعمُون أني أحجُّ العامَ، وأُمُّ مَنْ نوى هذا قَحبةٌ.

قال: كان يعلِّم معلمٌ صبيًا: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] قيل: ما هذا؟ قال: أبوه يدخلُ مشاهرة شهر في شهر، وأنا أدخله مِنْ سورة في سورة.

وقرأ صبيٌّ علَى معلِّم: أريدُ أن أنكحكَ، فقال: هذا إِذا قرأتَ على أمِّك الزانيةِ.

وقرأَ آخر! وأمَّا الآخرُ فتصلَبُ، فقال: هذا إِذا قرأت على أبيك القَرْنَان.

قالت امرأةٌ لمعلم: إِذا كان مكُّوكُ دقيق بدرهم، كم يكون بربع درهم؟ فتحيَّر، ثم قال: ممَّن اشتريتِ؟ قالت: مِنْ فلان الدَّقاق. قَال: اقْنعي بما يعطيك فإِنَّه ثِقةٌ.

قال جرابُ الدولة: كان عندنا بسجستانَ معلمٌ سخيف اجتزتُ يومًا به وهو يقولُ لصبيٍّ بين يديه: اقرأ يا بنَ الزَّانية، فأَخذت أُوبِّخه، فقال: اسكتْ، فقد نكتُ أمَّه كثيراً.

قال أبو دواد لشريكه: يا أبا الحسين، دارُ جعفر بن يحيى، خيرٌ أو دارُ ورد؟

فأَطرقَ، ثم قال: خَيرُهما عند الله أتْقاهُما.

قال بعضُهم: مررتُ بمعلِّم وهو يتلوَّى، فقلتُ: مَا شأْنَكَ يا شيخُ؟ قال: ما نمتُ البارحةَ من ضربَان العُرُوق، فنظرْت إِليه، وقلتُ: أنتَ واللَّهِ صحيحٌ سليمٌ مثلُ الظَّلِيم. فغضِب واستَشاطَ، وقال: أحدُكُم يضربُ عليه عِرْقٌ واحد فلا ينامُ كلَّه من الصِّياح، وأنا يَضْربُ عليَّ حُزمة عروق، وتريدون منِّي ألاَّ أصِيحَ؟

فقلتُ: وأيُّ حزمة تضربُ عليك؟ فكشفَ عن أير مثل أير البغل، وقال: هذا.

قال بعضُهم: سأَلتُ معلِّمًا: أنت أسَنُّ أمْ أخوك؟ فقال: إِذا جاء رمضانُ استَوَيْنا.

حُكِي أنه كان في بعض دُروب بغدادَ معلّمٌ، فاجتازَ به أبُو عمر القاضي يومًا بزينة تامَّة، وهيئة حسنة، فقال المعلم: تَرونَ هذا؟ إِن خشخشةَ ثيابه، وقَعْقَعَة مرْكبِه هو تظلُّم الأَرامل والأَيتَامِ.

فبلغ ذلك أبا عُمر، فدعاهُ، وأدْناهُ، وأحْسنَ إِليه، فكان إِذا رآه بعد ذلك يقول: ما خَشْخَشةُ ثيابه، وقَعقعةُ مرْكبه إِلا تسبيحُ الملائكة وتهليلُهم.

نوادر الصِّبيان(١)

قال رجل لابنه: ما أراك تُفْلح أبداً. فقال الابن: إِلاَّ أنْ يرزقني اللَّهُ مؤدِّبًا غيرَك.

قال بعضهم: أُحضِرْتُ لتعليم المعتزّ ـ وهو صغير ـ فقلت له: بأَيِّ شيء تبدأُ اليوم؟ فقال: بالانصراف.

قال بعضهم: رأيتُ أعرابيًا يعاتبُ ابنًا له صغيرًا، ويذكر حقَّه عليه، فقال الصبي: يا أبهْ إِنَّ عِظَمَ حقِّك عليَّ لا يُبطلُ صغيرَ حقِّي عليك، والذي تَمُتُّ به إِليَّ أمتُّ بمثله إِليك، ولست أقولُ: إِنا سواءٌ، ولكن لا يجْمِل الاعتداءُ.

عرْبَدَ غلام على قوم، فأَراد عمُّه أن يعاقبَه، ويؤدِّبَه، فقال له: يا عمِّ: إِني قد أسأْتُ، ولَيس معي عقْلي، فلا تُسِيء بي ومعَك عقلُك.

ونظر دَميمٌ يومًا في المرآةِ، وكان دميمًا، فقال: الحمدُ للَّهِ، خلَقني فأَحْسنَ خلْقِي وصوّرني فأحسن صورتي، وابن له صغيرٌ، يسمع كلامه. فلمَّا خرج سأَلهُ رجلٌ ـ كان بالباب ـ عنْ أبيه، فقال: هو بالبيتِ يكْذبُ على اللَّهِ.

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

كان الفتحُ بن خاقان ـ وهو صبي ـ بين يدَي المعتصم فقال له، وعرضَ عليه خاتَمهُ: هل رأيتَ ـ يا فتحُ ـ أحسنَ من هذا الفَصِّ؟ قال: نعم، يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه.

وعاد المعتصمُ أباه ـ والفتحُ صغيرٌ ـ فقال له: داري أحسنُ أم دارُ أبيك؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، دارُ أبي ما دُمتَ فيه.

قال ابنُ أبي ليلى: رأيتُ بالمدينةِ صبيًا قد خرجَ من دار، وبيدِه عُودٌ مكشوفٌ. فقلتُ له: غَطِّه لا ذُعِرْتَ. قال: أو يُغطَّى من اللَّهِ شيءٌ. لا تَلِفْتَ.

قال الفرزدقُ لغلام أعجبهُ إِنشادُه: أيسرُّني أنِّي أبوك؟ قال: لا، ولكن أمِّي، ليُصيبَ أبي من أطايبك.

قال البلاذُري: أُدخِلَ الرّكاضُ وهو ابنُ أربع سنين إِلى الرَّشيد ليعجبَ من فطنته، فقال له: ما تحِبُّ أنْ أهِبَ لك؟ قال: جميلَ رأيك فإِني أفوزُ به في الدُّنيا، والآخرة؛ فأَمرَ له بدنانيرَ، ودراهمَ، فصُبَّتْ بين يديه. فقال: اختر الأَحبَّ إِليك، قال: الأَحبُّ إِلى أمير المؤمنين، وهذا مِنْ هذَيْن، وضربَ يدَه إِلى الدَّنانير فضحك الرشيدُ، وأمر أن يضم إِلى وَلدِه ويُجْرِي عليه.

اجتاز عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بصبيان يلعبون، وفيهم عبدُ الله بن الزُّبير، فتهاربُوا إِلاَّ عبدَ اللَّه فإِنَّه وقفَ. فقال له عمرُ: لِمَ لمْ تَفِرْ مع أصحابك؟ قال: لم يكُن لي جُرمٌ فأَفرَّ منك، ولا كان الطريقُ ضيّقًا فأُوسِّعَهُ عليك.

قال إِياسُ: كان لي أخٌ، فقال لي وهو غلامٌ صغيرٌ: مِنْ أيِّ شيءٍ خُلقنا قلتُ: مِنْ طِين. فتناول مَدَرةً، وقال: مِنْ هذا؟ قلتُ: نعم. خلَق اللَّهُ آدم من طين: قال: فيستطيع الذي خلقنا أن يُعيدنا إِلى هذا الذي خلقنا منه؟ قلتُ: نعمْ: قال: فينبغي لنا أن نخافَه.

قيل لغلام: أتحبُّ أن يموتَ أبُوك؟ قال: لا، ولكنْ أحِبُّ أنْ يُقتلَ

لأَرثَ ديتَه فإِنَّه فقير.

قَعَدَ صبيٌّ مع قوم، فقُدِّم شيء حارٌّ، فأَخذ الصبيُّ يبكي، فقالوا: ما يُبْكيك؟

قال: هو حارٌّ. قالوا: فاصبرْ حتى يبردَ. قال: أنتم لا تصبرون.

خرج صبيٌّ من بيت أُمِّه في صَحو، وعاد في مطر شديد، فقالت له أُمُّه: فَديتُك ابني هذا المطرُ كلُّه على رأسِك يجيء. قال: لا يا أُمِّي. كان أَكْثرُه على الأَرض، ولو كان كلُّه على رأسي لغَرقتُ.

وسمع آخر أمَّه تبكي في السَّحر، فقال: لِمَ تبكينَ؟ قالتْ: ذكرتُ أباك، فاحترق قلبي. قال الصَّبيُّ: صدقْتِ. هذا وقتُه.

وجّه رجل ابنه إلى السوق ليشتري حبلاً للبئر، ويكون عشرين ذراعًا، فانصرف مِنْ بعض الطريق. وقال: يا أبي في عرْض كَمْ؟ قال: في عَرْض مصيبتي فيك.

وقال آخر لابنه، وهو في المكتب، في أيِّ سُورة أنت؟ فقال: لا أُقسِمُ بهذا البلد، ووالد بلاَ ولد. فقالَ: لعمْري مَنْ كنتَ ولدَه فهو بلاَ ولد.

وقال آخر لابنه: أين بلغْتَ عند المعلِّم؟ فقال: الفرجَ. أراد الفجرَ. فقال الأَبُ: أنت بعدُ في حر أُمِّك.

قيلَ لبعضهم: إن ابنكَ يناك، فقال لابنه: ما هذا الذي يُقال؟ قال: كذَبُوا وإِنما أنا أنيكهم: فلما كان بعد أيام رآه وقد اجتمع عليه عدّةٌ من الصِّبيان ينيكونه، فقال: مِمَّن تعلمتَ هذا النيك؟ قال: مِنْ أمِّي.

قال ابنُ أبي زيد الحامِض: قال لي أبي: يا بنيَّ، ليس واللَّهِ تُفْلِحُ أبداً. فقال له: يا أبه! ليس واللَّهِ أُحْنِثُك.

جاء صبيٌّ إلى أبيه، فقال: يا أبَه: قد وجدتُ فأْسًا قال: هاته ـ يا بُني. قال: ليس في رأسه حديدٌ. قال: يا مشؤوم! فقل: وجدتُ وتدًا.

نوادر للعبيد والمماليك[١]

ولي بعض الأُمراءِ مَولًى بعد غيبة طويلة فقال: أنت في الأَحياء بعد، فقال: وأنا أستخير أن أموت قبل مولاي الأَمير.

قال بعضهم: رأيتُ في السوق غلامًا يُنادي عليه، فقدمتُ واستعرضته فقال: إن أردت أن تشترِيَني فاعلم أنِّي قد حلفت أن لا أنيك مولاي أبدًا حتّى ألقى الله فإذا إنّه المسكين كان مُبلًى بصاحب يؤذيه ويَسْتَنيكه.

استباعَ[٢] غلام فقيل: لم تستبيع؟ قال: لأَنَّ مولاي يُصَلِّي من قعود وينيكني من قيام ويلحَن إذا قرأ القرآن ويُعرب إذا زنا بي.

قال الدّارميّ لغلامه: بأَبي أنت وأمّي لو كان العِتق مثل الطّلاق لسَررتُك بواحدة.

اعترض بعضهم غلامًا أراد شراءه فقال: يا غلام إن اشتريتك تُفلح؟ فقال: فإن لم تشتر.

قال أبو العيناء: اشتُرِيَ للواثق عبدٌ فصيحٌ من البادية، فأَتيناه وجعلنا نكتب عنه كلّ ما يقول، فلما رأى ذلك مِنّا قلّب طرفه وقال: «إنّ تراب قعرها لملْتهب».

يقال ذلك للرّجُل يُسَرّ الناس برؤيته لانتفاعهم به وأصل ذلك: أنّ الحافر يحفر فإن خرج التّراب مُرًّا علم أنّ الماء ملح وإن كان طيِّبًا علم أنّ الماء عذب فأَنبط، وإذا خرج طيِّبًا انتهبه الصبيان.

اشترى بعضُ الهاشميّين غلامًا فصيحًا فبلغ الرّشيد خبره، فأَرسل إليه يطلبه، فقال يا أمير المؤمنين: لم أشتره إلاّ لك، فلمّا وقف الغلام بين يدي الرَّشيد قال له: إنّ موْلاك قد وهبك لي. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين ما زِلْتُ ولا زُلْتُ.

---

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣١.
(٢) استباع: أي عرض نفسه للبيع.

قال: فَسِّر. فقال: ما زِلتُ لك وأنا في مِلكه ولا زُلتُ عن مِلكه، فأُعجب الرَّشيد به وقدّمه.

قال أبو العيناء: مررتُ بسُوق النخّاسين[١] بالبصرة، فإذا غلام يُنَادَى عليه ثلاثين دينارًا والغلام يُساوي خمسمائة دينار، فاشتريته وكنت أبني دارًا فدفعت إليه عشرين دينارًا على أن يُنفقها، فلم أزل أصك عليه حتى أنفق نحو العشرة، ثم صككت بشيء آخر، فقال لي: فأَين أصل المال؟ قلت: ارفع إليَّ حِسَابك، فرفع حِسَابًا بعشرة دنانير. فقلت: فأَين الباقي؟

قال: اشتريتُ ثوبًا مُصمتًا[٢] وقطعته. قلت: من أمرك بهذا؟

قال: إنّ أهل المُرَوَّات والأَقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود زينة عليهم. قال: فقلتُ في نفسي: اشتريتُ الأَصمعيّ وابن الأَعرابيّ ولم أدر، وكانت في نفسي امرأة أردت تزوّجها فقلت: يا غلام فيك خير. قال: وهل الخير إلاّ فيّ. فقلت له: قد عزمت على كذا. وتزوجتها ودفعتُ إلى الغلام دينارًا وقلتُ له: خُذ لنا سمكًا هازبي، فأَبطأ واشترى مارماهي فأَنكرت عليه خلافي. فقال: يا مولاي: فكّرتُ فإذا بُقراط يقول: الهازبي يُولِّد السّوداء والمارمَاهي أقلّ غائلة. قلت: لا الذي بُقراط أنت أم جالينوس، وأدخلته البيت وضربته عشرة، فلما قام أخذني وضربني سبعة وقال: يا مولاي الأدب ثلاثة وسبعة لها قِصاص، فغاظني ورميته فشججته، فمضى إلى ابنة عمي وقال لها: «الدين النصيحة» وقال النبيّ ﷺ: «من غشّنا فليس منّا».

وقال: «مولى القوم منهم»: وأعلمك أنّ مولاي تزوّج واستكتمني، فلمّا أعلَمْتُه أني مُعرّفك ما فعل شجّني، فوجّهت إليَّ بنت عمّي بغِلمان، فبطِحت في الدّار وضربت وسمّته النّايح، فما كان يتهيّأ لي كلامه، فقلت: اعتقه، فلعلّه يمضي عنّي، فلزمني ولذَّ بي وقال: الآن وجب حقك عليّ، ثم إنّه أراد

---

(١) النخاسة: تجارة الرقيق.

(٢) الثوب المصمت: الذي لا يخالط لونه لون آخر.

الحجّ، فجهّزته، فغاب عني عشرين يومًا ورجع فقلت: لم رَجَعْتَ فقال: قُطع علينا وفكّرتُ، فإذا الله جل وعزّ يقول:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وكنتُ غير مُستطيع وإذا حقك أوجَبُ عليّ فرَجَعتُ، ثم إنه أراد الغزو فجهّزتُه، فلما صار على عشرة فراسخ بعتُ ما كان لي بالبصرة وخرجت عنها خوفًا أن يرجع وصرت إلى بغداد.

قال بعضهم: استعرضْتُ غلامًا فقلت له: يا غلام تحبّ أن أشتريك فقال: حتى أسأَل عنك.

أعتق عبد الله بن جعفر غلامًا فقال الغلام: أكتُب كما أُملي.

قال: فأَمْلِ. قال: اكتُب: كنتَ بالأَمس لي، فوهَبْتُك لمن وَهَبَكَ لي، فأنت اليوم واليوم صرت مثلي، فكتب ذلك واستحسنه وزاده خيرًا.

قال حماد بن إسحاق الموصلي: كان لأَبي غلام يسْتقي الماء لمن في داره علي بغْلَين، فانصرف أبي يومًا وهو يَسُوقُ البغل وقد قَرُب من الحوض الذي يُصبّ فيه الماء. فقال: ما خبَرُك يا فتح؟ قال: خبري أنّه ليس في الدّار أشقى منّي ومنك.

قال: وكيف؟ قال: لأَنك تُطعمهم الخُبز وأنا أسقيهم الماء، فضحك منه وقال: فما تحت أن أصنع بك؟ قال: تعتقني وتهب لي هذين البغلين، ففعل ذلك.

استعرض رجُل غلامًا فقال له: أشتريك؟ قال: لا. فقال: ولم؟ قال: كيف تتخذُني عبدًا بعد أن اتخذتني مُشيرًا.

وقال رجل لعبده: اذهب إلى المنزل واحمل الشمع لأَعود به، فقال: أنا لا أجْسُرُ. فقال: معي حتى أحمله وننصَرف جميعًا.

والحمد لله حقّ حمده والصّلاة على نبيّه محمّد وآلِه.

اتفاقاتٌ عجيبةٌ في الجِدِّ والهَزْل[١]

قال حمَّادُ بنُ الزِّبْرقان: حفِظتُ ما لم يحفَظْ أحدٌ، ونسَيتُ ما لم ينس أحدٌ. كنت لا أحفظُ القرآنَ، فأنفتُ أن أجيءَ بمن يُعلِّمُني، فحفظتُهُ من المصحف في شهر واحد. ثم قَبَضْتُ يومًا على لحيتي لأقُصَّ ما فضَلَ عن قَبْضَتي فنسيتُ أني أحتاجُ أن أقصَّ ما دونَ القبضة فقصَصْتُ أعلاها، فاحتجت أن أجلس في البيت سَنةً إلى أن استوتْ.

حدَّثَ أبو عاصم النبيلُ بحديث فقال: حدّثني أبو بكر ابني عَني. وكان الابن كتبه عنه ونسيه الأب فذكَّره.

وفي ضدِّ ذلك، ما حكاه الصاحبُ رحمه الله عن بعضهم، قال: كان يقولُ: حدَّثَني ابني عني كأنه أعلمُ به منِّي، على معنى قولهم: «كمعلِّمةٍ أمَّها البِضاعَ».

قال بعضُهُمْ: من طرائف المُجَّان أني بتُّ ليلةً عندَ قَوم، وحركَتْني الطبيعةُ في بعض الليل، ولم أعرفْ مَوْضعَ الخَلاء، فوقعْتُ على بيت فيه مهدٌ، وفيه صبيٌّ نائمٌ وليس عنده أحد، فعمَدْتُ إلى الصبيِّ فأخرجْتُهُ من المَهْد، وجعلتُهُ في حجْري، وجمعتُ عليه ذَيْلي، وحوَّلْتُ أستي إلى المهد وخَريتُ فيه، وقمت أرُدُّ الصبيّ، فإذا به قد وضَعَ في حجري أضعاف ما خَريتُ في مهده، فبَقيتُ مُتحيِّرًا في محنة، ما أعلمُ أن أحدًا دُفعَ إلى مثلها.

وحُكيَ أنه فَعلَ مثل ذلك إنسانٌ آخر ببُستوقة فيها صِحْناةٌ، في دار رجل كان قد أضافه، وأنه قَدَّمَ إليه ذلك في طعامه من غد.

قال عبدُ المَلك بنُ عُمَيْرٍ اللَّيْثيُّ: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوانَ وهو جالسٌ في بَهْو على سَرير، وقد وَضَع بين يديه رأسَ مُصعبِ بنِ الزبير. فلما رأيتُهُ قلتُ مُتعجِّبًا: لا إلـه إلا الله!! لقد رأيتُ اليومَ عجبًا تذكَّرتُ به عجائبَ.

---

(١) نثر الدر للآبي ٤/ ٢١٥ ـ ٢٢٤.

قال: وما ذاكَ؟ قلتُ: رأيتُ عُبَيْدَ الله بنَ زيادٍ في هذا البَهْو جالسًا على هذا السَّرير، وبين يديه رأسُ الحُسَين بنِ عليٍّ، عليه السلام. ثم دخلتُ بعدَ ذلكَ على المختار في هذا البهو جالسًا على هذا السرير، وبين يديه رأسُ عُبَيْد الله بن زياد. ثم دخلتُ على مُصْعب في هذا البهو على هذا السرير، وبين يديه رأسُ المُختار. وقد دخلت عليك يا أميرَ المؤمنين في هذا البهو على هذا السرير، وبين يديكَ رأسُ مُصْعب. فبادَر عبدُ المَلك ونزلَ عَن السَّرير، وخرجَ من البهو، وأمر بهدمه.

قُرىء في أخبار البرامكة: أنه وُجِدَ في بعض الأوارِجات[1] السلطانية في أولها: وما حُملَ إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيىٰ أعزّه الله لهدِّية النَّيْروز من العَيْن الطِّرْز مائةُ ألف دينار. وفي آخر الحساب: وما أُخرجَ لثمن النِّفْط والبواري والحطب لإحراق جثة جعفر بن يحيىٰ بضعةَ عشرَ درْهمًا.

ركبَ يَزيدُ بنُ نهشل النهشليُّ بعيرًا له، فلما استوى في غرْزه قال: اللهمَّ إنكَ قلتَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرُف: الآية ١٣]. اللهمَّ إنِّي أشهدُكَ أني لَهُ مُقرنٌ. فنفَرَ البعيرُ، وتَعلَّقتْ رجلُه في الغَرْز، والبعير يَجْمِزُ به حتى مات.

قال ثعلبٌ: قال السُّدِّيُّ: أتيتُ كَربلاءَ أبيعُ البز بها، فعملَ لنا شَيْخٌ من طيِّىء طعامًا فتعشَّينا عنده، فذكرنا قتلَ الحُسين، رضي الله عنه، فقلتُ: ما شَرِكَ في قتله أحدٌ إلا ماتَ بأسْوإِ مِيتة. فقال: ما أكذبَكُمْ يا أهلَ العراق! فأنا فيمن شَرِكَ في ذلك. فلم نبرح حتى دنا من المصباح وهو يتَّقدُ بنفْط، فذهبَ يُخرجُ الفَتيلةَ بإصبَعه، فأخذت النار فيها، فجعل يطفئها بريقه، فأخذت النارُ في لحيته، فعدا فألقَى نفسه في الماء، فرأيتُه كأنه حُمَمةٌ.

قالوا: كان بمدينة السلام رجلٌ ذو يَسار، فبينا هو ذاتَ يوم في منزله ـ وقد جلس ليأكلَ مع امرأته، وبين يديه سكباجةٌ قد فاحت رائحتُها ـ إذْ دنا

---

(١) الأوارجات: جمع أوارجة، من كتب أصحاب الدواوين في الخراج ونحوه.

سائلٌ من الباب، وكان ممن امتُحنَ بنَكْبة بعد نعْمة، فقال: أطعمُوني من فضل ما رزقَكُمُ اللهُ. فقامت المرأةُ وغرفتْ له منَ القِدْر، وأخذت رَغيفَيْن لتناولَهُ. فلما رأى الزوجُ ذلك حلف عليها ألاَّ تدفعَ إليه شَيْئًا، ومضى السائلُ خائبًا حزينًا، واستوفى الرجلُ طَعامَهُ، وصعَدَ السطحَ لبعض حوائجه فعثر بشيء وانتكس، فسقط في الأرض، ووُقصَ ومات. وحازت المرأةُ ميراثَه وتصرَّفَتْ فيه، وفرَّقَتْ شيئًا من أسبابه الرَّثَّة في المساكين، فكان في جُملتها مُضرَّبة خَلَقَةٌ وقعَتْ إلى هذا الرجل السائل ففَتَّها ليغسلَها ويجعلَها قميصًا يَلبَسُهُ، فوجدَ فيها ألفَ دينار، فأخذها وغيَّر بها حاله. وضرب الدهرُ، وأتتْ على ذلك الأيامُ، فطلبَ امرأةً يتزوّجُها. فقالت له بعض الدلاَّلات: هٰهنا امرأةٌ صالحةٌ قد ورِثَتْ، فما تقول في مواصلتها؟ فأنعم لها. فسعتِ الدلاَّلةُ بينهما حتى اتَّفقا واجتمعا، فلما دخل بها تحدثا ذاتَ يوم فقالتِ المرأةُ: فاعلم أن هذه هي الدارُ التي وقفت عليها، وأنا تلك المرأةُ، وأنَّ زَوْجي صعَد في ذلك اليوم السطحَ فسقطَ وماتَ. وقد أورثك الله مالَه ومسكَنَه وزوجتَه، فسجد الرجل لله شكرًا، وحدَّثَ إخوانه تعجُّبًا.

قال بعضُ تُجّار البحر: حملْنا مرةً متاعًا إلى الصِّين من الأُبُلَّة ـ وكان قد اجتمعَ رَكْبٌ فيه عَشْرُ سُفُن، قال: ومنْ رَسْمنا إذا توجَّهْنا في مثل هذا الوَجْه أن نَأْخُذ قومًا ضُعفاءَ، ونأخذَ بضائعَ قوم ـ فبينا أنا قد أصلحْتُ ما أريد إذ وقفَ عليَّ شيخٌ، فسلَّمَ، فردَدْتُ، فقال: لي حاجةٌ قد سألتُها غيرَكَ من التجّار فلم يقْضها. قلت: فما هي؟ قال: اضمنْ لي قضاءها حتى أقولَ. فضمنْتُ، فأحضَرني رَصاصةً فيها نَحْوٌ من مائة مَنًا، وقال لي: تأمرْ بحمل هذه الرصَّاصة معك، فإذا صرْتم في لُجَّة كذا فاطرحْها في البحر. فقلتُ: يا هذا، ليس هذا مما أفعلُهُ. قال: فقد ضمنتَ لي. وما زال بي حتى قَبلْتُه، وكَتبتُه في رُزْنامجي. فلما صرنا في ذلك المَوْضع عصفَتْ علينا ريحٌ فنَسِينا أنفسَنا وما معنا، ونَسيتُ الرَّصاصةَ، ثم خَرَجْنا من اللُّجة وصرنا حتى بلغْنا موضعًا، فبعْتُ ما صَحبَني، وحضَرني رجلٌ فقال لي: أمعكَ رَصاصٌ؟

فقلت: ليس معي رصاصٌ. فقال لي غلامٌ: معنا رَصاصٌ. قلت: لم أحملْ رَصاصًا معي. قال: بلى، الشيْخُ سلَّمَ إليك، فذكرتُ فقلتُ: خالَفْناهُ وبلَغنا هـٰهنا وما عَلَيَّ أن أَبيعَهُ، فإن ذلك فيه ما أرادَ. فقلتُ للغلام: أَحْضِرْها، وساوَمَني الرجُل بها، فبعْتُها بمائة وثلاثينَ دينارًا. وابتَعْتُ بها للشَّيخ من طرائف الصِّين. وخرجنا فوافَيْنا المدينةَ، وبعثُ تلك الطرائفَ فبلغَتْ سبعَمائة دينار، وصرْتُ إلى البصرة إلى الموضع الذي وصَفَهُ الشيخُ، ودقَقْتُ بابَ داره، وسألت عنه، فقيل: قد تُوُفِّيَ قلت: فهل خلَّفَ أحدًا يرثه؟ قالوا: لا نعلم إلا ابنَ أخ له في بعض نواحي البحر. قال: فتحيَّرتُ، وقيل لي: إن داره موقوفةٌ في يد أمين القاضي، فرجَعْتُ إلى الأُبُلَّة والمالُ معي. فبينا أنا ذاتَ يوم جالسٌ إذ وقف على رأسي رجل فقال: أنت فلانٌ؟ قلتُ: نعم. قال: أكنت خرجتَ إلى الصين؟ قلت: نعم. قال: وبعثَ رجلاً هناك رصاصًا؟ قلتُ: نعم. قال: أفتعرف الرجل وتأملته؟ قلت: أنت هو. قال: نعم، إني قطعتُ من تلك الرَّصاصة شيئًا لأستعمله، فوجدتها مجوفة، ووجدتُ فيها اثني عشر ألفَ دينار، وقد جئتُ بالماء، فخُذْ، عافاك الله فقلت له: ويحك!! والله ما المالُ لي، ولكنَّهُ كان من خبره كذا وكذا، وحدثتُه. قال: فتبسَّم الرجُل، ثم قال: أتعرفُ الشيخَ؟ قلت: لا. قال: هو عمي، وأنا ابن أخيه، وليس له وارثٌ غيري، وأراد أن يَزْوِي هذا المالَ عَنِّي، وهو هَرَّبَني من البصرة سبعَ عشرةَ سنةً، فأبى الله إلاَّ ما ترى على رغمه. قال: فأعطيتُه الدنانيرَ كلَّها ومضَى إلى البصرة وأقام بها.

قال بعضهم: جلس رجل إلى قوم، فصاح به إنسانٌ منْ خَلْفه، فالتفَت إليه فمات. فقيل لابنه: كيف مات أبوك؟ فحكى لهم كيف مات أبوه والتفت فمات هو أيضًا.

قال يحيىٰ بنُ اليمان: رأيتُ رجلاً باتَ أسودَ الرأس واللِّحية شابًّا ملْءَ العَيْن، نام ليلةً فرأى في منَامه كأنَّ الناسَ قد حُشرُوا، وإذا بنَهْر منْ لَهَب النَّار، وإذا بجسْر يَجُوزُ الناسُ عليه، يُدعَوْنَ بأسمائهم، فإذا نُوديَ الرجلُ

أجابَ، فنجا أو هلك. قال: فدُعِيَ باسمي، فدخلتُ الجسرَ، فإذا هو كَحَدِّ السيف يَمُورُ بي يَمينًا وشِمالاً. قال: فأصبحْتُ أبيض الرأس واللِّحية.

قال عُبيْدُ الله بنُ عبد الله بن طاهر: حدَّثني أبو محمد الرِّباطيُّ - رباطُ خاوةَ من عمل جُرْجانَ - قال: كنتُ قبارًا؛ فبينا أنا في منزلي إذ طرقني ليلاً ركْبٌ مُستعجلينَ فركبتُ، فإذا أنا بشُمُوع وخدم، فأمروني بالحَفْر، فحفَرْتُ قبرًا، وأودعُوهُ تابوتًا، وعفَّيْتُ عليه بالتراب، وأجالوا خيلَهم عليه، تغويرًا للوضع فانصرفُوا. فظننتُ أنه كَنزٌ، فأسرعتُ فانتشْتُه، وكشفتُ عن التابوت فإذا فيه رجل فوضعت يدي على أنفه، فإذا هو قريبٌ منَ التلف، فاستخرجتُهُ وأعدتُ الترابَ إلى ما كانَ عليه، واحتملتُهُ إلى منزلي. وعاد القومُ حذَرًا أن يكون قد تُنُبِّهَ على ما في التابوت، ونفضُوا الصحراء التي كان فيها، فلم يجدوا أثرًا ولا حسًّا لأحد، وأنا مشرفٌ من منزلي أرى ما يصنعون. فلما أمنُوا مما توهَّمُوا انصرفوا. وترادَّتْ نفسُ الرجُل، فسألته عن حاله. فقال: أنا محمدُ بنُ جعفر بن محمد بن عليِّ بن الحُسين بن عليٍّ، رضي الله عنهم، فأقام عندي إلى أن قَويتْ نفسُهُ وتراجعتْ، ثم شخَصَ إلى العراق، ثم إلى الحجاز، وظهرَ باليمن، وبويع له بأمير المؤمنين، ودخلَ مكةَ، ثم خرَج على عهدهم وبايع المؤمنون لابن أخيه عليِّ بن موسى بالعهد، فخرجَ محمدٌ إلى المأمون بخُراسانَ. وأدركتْهُ منيَّتُهُ بجُرْجانَ، فاحتفرتُ له ودفنته، فكان بينَ الدفْنَيْن عشرُ سنين.

قالوا: كانتْ في عبد الصمد بن عليٍّ عجائبُ:

منها أنه مات بأسنانه التي ولد بها ولم يَثَّغِرْ وكانتْ أسنانُه قطعةً واحدةً.

ومنها أنه كانَ في قُعدُد يزيدَ بن معاويةَ، هما في النسب إلى عبد مناف سواءٌ.

وقام على مِنْبر قام عليه يزيدُ وبينهما مائةُ سنة.

وحجَّ بالناس في سنة مائة وسبعين وحجَّ يزيدُ بالناس في سنة خَمسينَ

وبينهما مائةٌ وعشرون سنةً.

ومنها أنه دخل سَرَبًا فيه ريشٌ فطارتْ ريشتان فلصِقتا بعينَيْه فذهب بصره.

ومنها أنه كان يومًا عند الرشيد، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا مجلسٌ فيه أميرُ المؤمنينَ، وعمُّهُ، وعمُّ عمِّه وعمُّ عمِّ عمِّه يعني سليمانَ بنَ أبي جعفر عمِّ الرشيد، والعباسَ بنَ محمد عمَّ أبيه، وعبدَ الصمد عمَّ جَدِّه. ويقال: إن أم عبد الصمد هي كثيرة التي يقول فيها ابنُ قيس الرقيات[1]: [البسيط]

عـاد لـه مـن كَـثـيـرةَ الـطـربُ

ومن الاتفاقات العجيبة، ما كان من المعتصم وإبراهيمَ بن المَهْديِّ. قال الصولي: لا نعرفُ خليفة قبّلَ يدَ خليفة ثم قَبلَ ذلك الخليفةُ بعيْنه يدَهُ، إلا ما كان من فعْل المعتصم بإبراهيمَ ثم فعْل إبراهيمَ بالمعتصم. وحدَّثَ قال: كان المعتصم في فتنة الأمين يَمْضي مع عليِّ بن الجُنيْد إلى إسكاف فيُقيمُ عنده، ولا يقصِّر عليٌّ في خدمته وإكرامه والنفقة عليه. وكان عليٌّ أكثرَ الناس مُزاحًا، وأحسنَهم كلامًا. فآذاه المعتصمُ في شيء فقال عليٌّ: والله لا تُفلحُ أبدًا ـ على المزح ـ فحفظها المعتصمُ، فلمَّا دخل بغدادَ خليفةً، أمرَ وصيفًا بإحضار عليٍّ، فأحضَرُوه، وكان عدُوًّا للفضل بن مروان فقال له: يا عليُّ، زعمت أني لا أُفلحُ أبدًا، هل بعد هذا الفلاح شيء من أمر الدنيا؟ فقال له: الذي أفلح عندي الفضلُ بنُ مروانَ، فضحك المعتصمُ ـ وكان يقول: من ذلك اليوم اعتقدتُ أن أنكُب الفضلَ ـ ثم قال: يا عليُّ، أتذكر حيث وقفتُ لإبراهيمَ بن المَهديِّ بمُرَبَّعة الخُرْسيِّ فنزلت فقبَّلْتُ يَده؛ ثم أدنيتُ ابني هارونَ فقبَّل يدَه، وقلت: عبدُكَ هارونُ ابني، فأمر له بعشرة آلاف درهم؟ قال عليٌّ: أذكر ذلك. قال: فإنه ترجَّلَ ليَ اليومَ وقبَّلَ يدي في ذلك الموضع بعينه، ثم قال لي: عبدُكَ هبةُ الله ابني، وأدناه وقبَّلَ يدي، فأمرتُ له بعشْرة آلاف درهم، ولم تَطبْ له نَفْسِي بغيرها. فقال: بئسَ والله ما فعلَ أميرُ المؤمنينَ.

---

(١) البيت في ديوان ابن قيس الرقيات ص ٦٧، وخزانة الأدب ٧/ ٢٨٦، والأغاني ٥/ ٧٩.

قال: وكيف؟ ويلك! قال: إبراهيمُ أمرَ لهارونَ بعشْرة آلاف درهم وليس في يده إلاَّ بغداد وحدها. وفي يد أمير المؤمنين الشرقُ والغربُ. قال: صدقت، أعطُوهُ عشْرة آلاف دينار. وفرَّقَ المعتصمُ في أهله ثلاثينَ ألفَ ألف درهم.

دخل إيتاخُ إلى الواثق وهو بآخر رمق لينظرَ هل ماتَ أم لا، فلما دنا منه نظر إليه الواثقُ بمُؤْخر عينه فَفَزِعَ إيتاخُ ورجع القهقرى إلى أن وقعَ سيفُه في ملْبن الباب فاندق، وسقط إيتاخَ على قفاهُ هيبةً لنظرة الواثق. قيل: فلم تمض ساعةٌ حتى ماتَ الواثقُ فعُزلَ في بيت ليُغَسَّلَ، واشتغلُوا عنه، فجاءتْ هرَّةٌ فأكلتْ عَينه التي نظرَ بها إلى إيتاخ فتراجع وسقط واندق سيفُهُ هيبةً منها، فعجبَ الناسُ من ذلك. وكان إيتاخُ زعيمًا لسبعينَ ألفَ غُلام تُرْكيٍّ.

ومثله لسانُ مروانَ بن محمد، فإنه لمّا قُتلَ، وأُخذَ رأسُهُ وأرادُوا إنفاذَهُ إلى أبي العباس أمَرُوا بتنظيفه، فجاء كلبٌ فأخذ لسانَه وجعلَ يَمْضُغُهُ. فقال عبدُ الله بنُ عليٍّ: «لو لم يُرِنا الدهرُ من عجائبه إلاَّ لسان مروانَ في فَم كلب لكفانا ذلك».

قيل: إنه كان سببُ مَوْت المنتصر، أنه وجدَ حرارةً، ففُصدَ بمبضَعٍ مَسْموم فماتَ. وأنَّ الطبيبَ الذي فعلَ به ذلك احتاج إلى الفَصْد بعد أيام، فأخرج لتلميذه دَسْتَ مباضعَ ليَفصدَهُ، وفيها ذلك المِبضَعُ، وقد أُنسيَهُ، ففصده به تلميذُه فماتَ الطبيبُ.

وحُكيَ عن المستعين أنه قالَ: كان المنتصرُ قد جعلني في ناحية أخيه موسى الأحدب ـ وكان لأبيه وأمه ـ وأحسن إليَّ، فلما ثقُلَ اغتمَمْتُ، ورأيتُ موسى مسرورًا طامعًا في الخلافة، فانصرفتُ إلى بيتي مَغْمومًا فطرقَني رسولُ أوتامش ففزعتُ لذلك، وودّعتُ أمِّي وخرجتُ مع جماعة من الموالي حتى أُدخلتُ حجرةً، وجاءني كاتبٌ فسكَّنَ مني، وجعل يُؤنسُني ويُحدِّثُني ويَخدُمُني، فأصبحتُ يومي صائمًا. وأخرجوني في عشيَّة ذلك اليوم، فبايَعُوني.

قال أحمدُ بنُ أبي الأصبغ: لمّا وَليَ المستعينُ الخلافةَ، دعاني أحمدُ بنُ الخصيب ـ وقد استوزره ـ فقال ليَ: اكتُبِ الساعةَ في إشخاص أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزدادَ، من فارس بأسرعِ مَنْ عندَكَ وأفرِهِهم. فورد أبو صالح بعد شهر، فمكث جمعة ودب في أمر أحمدَ بن الخصيب حتى وُلِّيَ

مكانَه ونُفيَ أحمدُ بنُ الخصيب إلى أقريطش. قال: فدعاني أبو صالح حين وُلِّيَ فقال: اكتبِ الساعةَ إلى همذانَ في إشخاص شجاع بن القاسم إلى الحضرة، ووجِّهْ إليه بالذي جاء بي من فارس، قال: ففعلتُ ذلك، فوافى شجاع، فتقلد كتبة أوتامش، فلما تمكَّن نكبَ أبا صالح وقام مكانه.

خرج أبو العيناء ـ وهو ضريرٌ له نَيِّفٌ وتسعون سنةً ـ إلى البصرة في سفينة فيها ثمانون نَفْسًا، فغرِقَتْ فلم يسلَمْ غيرُه، فلما صار إلى البصرة تُوُفِّيَ بها وذلك في سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

كان الواقديُّ شيخًا سمحًا، وأظلَّهُ شهرُ رمضانَ، ولم تكُنْ عندَهُ نفقةٌ، فاستشار امرأتَهُ بمن يُنزل خَلَّته من إخوانه؟ فقالتْ: بفلان الهاشميِّ. فأتاه فذكر له خلته فأخرج له صُرَّةً فيها ثلاثمائة دينار فقال: والله ما أملُك غَيْرَها. فأخذها الواقديُّ فساعةَ دخلَ منزلَهُ جاءه بعضُ أخولته وشكا إليه، خَلَّته، فدفعَ إليه الصُّرةَ بخَتْمها، وعاد صاحبُ الصُّرَّة إلى منزله. فجاءه الهاشميُّ فشكا خَلَّتَهُ فناوله الصُّرةَ فعرفها الهاشميُّ، فقال له: من أين لك هذه؟ فحدَّثهُ بقصته، فقال: قُمْ بنا إلى الواقديِّ، فأتَوْهُ. فقال له الهاشميُّ: حدِّثْني عنك وعن إخْراج الصرة فحدَّثَهُ الحديثَ على وَجهِه فقال الهاشميُّ: فأحقُّ ما يُعمَلُ في هذه الصُّرة أن نقتسمَها ونجعلَ فيها نصيبًا للمرأة التي وقع اختيارُها عليَّ، ففعلوا.

جاء وَفدٌ من اليمن فقالوا: يا رسولَ الله لقد أحيانا الله تعالى ببيتَيْن من شعر امرىء القيس. قالَ: وما ذاك؟ قالوا: أقبلْنا نريدُكَ حتى إذا كنا بموضع كذا وكذا أخطأنا الماءَ، فمكثْنا ثلاثًا لا نقدرُ عليه، فانتهينا إلى موضع طَلْح وسَمُر، فانطلق كلُّ رجل منا إلى أصل شجرة ليموتَ في ظلِّها. فبينا نحن في آخر رمق، إذا راكبٌ قد أقبلَ مُعتم، فلما رآه بعضُنا تمثَّلَ[1]: [الطويل]

---

(١) البيتان في ديوان امرىء القيس ص ٤٧٥، ولسان العرب (ضرج)، (عرمض)، وتاج العروس (ضرج)، (عرمض)، والتنبيه والإيضاح ١/ ٢١٢، وعيون الأخبار ١/ ١٤٣، والشعر والشعراء ص ١١٧، وخزانة الأدب ١/ ٣٣٥، ومعجم البلدان (ضارج).

لـمّـا رأتْ أنَّ الـشـريـعـةَ هَـمُّـهـا وأن الـبـيـاضَ مـن فـرائـصـهـا دامـي

تـيَـمَّـمـتِ الـعـيـنَ الـتـي عـنـد ضـارجٍ يفـيءُ عليـها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي

فقال الراكبُ: مَنْ يقولُ هذا الشعرَ؟ فقال بعضُنا: امرؤُ القيس. قال: هذه والله ضارجٌ عندكم - وقد رأى ما بنا من الجَهْد - فزحَفْنا إليها فإذا بيننا وبينه نحوٌ من خمسين ذراعًا؛ وإذا هي كما وصفَ امرُؤُ القيْس يَفيءُ عليها الظلُّ. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك رجلٌ مَشهورٌ في الدنيا خاملٌ في الآخرة، مَذْكورٌ في الدنيا مَنْسيٌّ في الآخرة، يجيء يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء يقودُهُمْ إلى النار».

قالوا: بينا حُذَيْفَةُ بنُ اليمان وسَلْمانُ الفارسيُّ يتذاكران عجائبَ الزمان وتَغَيُّرَ الأيام - وهما في عَرْصَة إيوان كسرى، وكان أعرابيٌّ من غامد يَرْعَى شُوَيْهات له نَهارًا، فإذا كان الليلُ صَيَّرهُنَ إلى داخل العَرْصة، وفي العَرْصة سَريرُ رُخام كان ربما عليه جلس كسرى، فصعَدَتْ شُوَيْهاتُ الغامديِّ إلى ذلك السَّرير - فقال سَلْمانُ: «ومنْ أعجَب ما تذاكرنا صُعودُ غُنَيْمات الغامديِّ إلى سَرير كسرى».

قال بعضُهم: دخلتُ على صابح مولى منارة في يوم شات وهو في قُبَّة طارمة مُغشّاة بالسَّمُور، مَفروشة بالسَّمور، وبين يديه كانونٌ من فضَّة، وهو يُوقدُ عليه بعُود. ثم مَرَّتْ سُنَيَاتٌ فرأيتُ صابحًا على حمارٍ بإكافٍ يقفُ على الناس على الجسر فيقول: أنا صابحٌ مولى منارةَ، تصدَّقوا عليَّ رحمكم الله، فلا يُعطيه كثيرٌ منَ الناس، وإن أعطاه إنسانٌ، أعطاه درهمًا واحدًا فما دونه.

قال الجاحظُ: نَصَبَ ابنٌ لمحمد بن إبراهيمَ - كاتب ابن أبي دُواد - فَخًّا على ظهر الطريق إلى جانب حائط. فجاء بعضُ الأتراك فبالَ في مَوْضعه، فلما أراد أن يتمسَّحَ، نظر إلى نبكة مُرْتفعة فتمسَّحَ بها، فوقَعَ الفَخُّ في ذكره وخُصْيَيْه وظنَّ التركيُّ أنه أفعَى، فمرَّ يَعْدُو، وابنُ محمد يعدو خلفَه ويَصيحُ: فَخِّي، فَخِّي، والتركِيُّ يقول: فَخُّ أيش؟ ويلك! فاجتمع الناس فخلَّصُوا خُصْيَي التركيِّ من الفخِّ. وكتب بذلك صاحبُ

البريد إلى المعتصم، فلما دخل ابن أبي دواد، قال له: مَنْ كاتبُكَ هذا الذي يَصيدُ ابنُه خُصَى الأتراك بالفخاخ؟ فقال: والله ما أعرفُهُ يا أميرَ المؤمنين، فلمّا انصرف سأل عن الخبر، وأخرج الغلام عن داره.

قال بعضُ الأعراب: أضلَلْتُ بعيرًا لي فخرجتُ في طَلبه، فبينا أنا أسيرُ إذ رأيتُ خباء فإذا فيه جاريةٌ جميلةٌ. فاستضفتُها فأضافَتْني، وقدّمتْ إليَّ طعامًا، فلما مدَدْتُ يدي إليه، طلع بَعْلُها فقال: ما هذا؟ قالت: ضَيْفٌ استقرانا فقريناه. فقال: وإنما تزوجتك لتَقْرين الضيف؟ أُخرج عافاكَ الله، فخرجتُ منَ الخباء، وركبتُ بعيري وتركتُهُ يذهبُ حيث شاء، قال: فأضاء ليَ الفجرُ عن فَتًى كأنَّ وجهه فلْقَةُ قمر، قلتُ: هل من مضافة؟ قال: انزلْ فقدَّمَ إليَّ طعامًا، فلما شرَعتُ في الأكل إذا زوجتُه قد طلعتْ، فقالتْ: ما هذا؟ قال: ضيفٌ استضافنا فأنزلناه. فقالتْ: إنما تزوجتُكَ على أن تَقْريَ الأضيافَ؟ قم عافاكَ الله واخرجْ. قال: فضحكْتُ. فقال لي: ممَّ ضحكتَ؛ قلتُ: نزلتُ في أَوَّل الليل على جارية كان من قصَّتها كَيْتَ وكَيْتَ، ثم نزلتُ عليك فكان من قصتك ما رأيتَ. قال: أفلا أخبرك بأعجبَ منْ ذلك؟ قال: بلى. قال: تلك والله أختي لأبي وأمي، وهذه أختَ الرجُل لأبيه وأمه.

الحمقى والمغفلون(*)

قيلَ الحمَاقَةُ مَأْخُوذَةٌ منْ «حَمُقَتِ السُّوقُ» أيْ كسَدَتْ، فكأنَّ الأحْمَقَ كَاسِدُ العَقْلِ والرَّأْيِ، فلاَ يُشَاوَرُ ولاَ يُلْتفَتُ إلَيْهِ في أمْرٍ. والأحْمَقُ لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالنَّافِعِ والضَّارِّ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: الحَمْقُ والتَّغْفِيلُ هوَ الغَلَطُ في الوَسِيلَةِ والطَّرِيقُ إلَى المَطْلُوبِ معَ صِحَّةِ المَقْصُودِ، بخِلاَفِ الجُنُونِ فهُوَ خَلَلٌ في الوَسِيلَةِ والمَقْصُودِ معًا.

(*) المستطرف ٢/ ٢٦٥، أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي.

فالأحْمَقُ مَقْصُودُهُ صَحِيحٌ ولكِنْ سُلُوكُهُ الطَّرِيقَ فَاسِدٌ، وطَرِيقَتُهُ في الوُصُولِ إِلَى غَرَضِهِ غيْرُ صَحِيحَةٍ.

قالَ حَكِيمٌ: إذَا بَلَغَكَ أنَّ غَنِيًّا افْتقرَ فصَدِّقْ، وإذَا بلَغَكَ أنَّ فَقِيرًا اسْتَغْنَى فصَدِّقْ، وَإِذَا بَلَغَكَ أنَّ حَيًّا ماتَ فصَدِّقْ، وَإِذَا بلغَكَ أنَّ أحْمَقَ اسْتفَادَ عَقْلاً فَلاَ تُصَدِّقْ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ علَيْهِ السَّلاَمُ: يَا رُوحَ اللّهِ إنكَ تُحْيِي المَوْتَى؟ قالَ: نعَمْ، بِإِذْنِ اللّهِ. قيلَ: وتُبْرِىءُ الأكْمَهَ؟ قالَ: نعَمْ، بإِذْنِ اللّهِ. قيلَ: فمَا دَوَاءُ الأحْمَقِ؟ قالَ: هٰذَا الّذِي أعْيَانِي. وفي هٰذَا المَعْنى قالَ أحدُ الشُّعرَاءِ:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ ... إلاَّ الْحَمَاقَةَ أعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

وقالَ أحدُ البُلغَاءِ: الأدَبُ عِنْدَ الأحْمَقِ كالمَاءِ في أُصُولِ الحَنْظَلِ، كُلَّمَا ازْدادَ رِيًّا زَادَ مَرَارَةً. قالَ المَأْمُونُ: تَدْرُونَ مَا جَرَى بَيْني وبَيْنَ أَمِيرِ المُؤْمنِينَ هَارُون الرَّشِيد؟ كَانَ لِي إلَيْهِ ذَنْبٌ، فدَخَلْتُ مُسَلِّمًا عليْهِ، فقالَ: أعْزُبْ يَا أحْمَق، فانْصَرَفْتُ مُغْضبًا ولَمْ أدْخلْ إلَيْهِ أيَّامًا، فكتَبَ إليَّ يَقُولُ:

لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ تمَادَى بِكَ الهَجْـ ... ـرُ أمِنْكَ التَّفْرِيطُ أمْ كَانَ مِنِّي؟
إنْ تَكُنْ خُنْتَنَا فَعَنْكَ عَفَا اللّـ ... ـهُ وَإنْ كُنْتُ خُنْتُكُمْ فَاعْفُ عَنِّي

فسِرْتُ إلَيْهِ فقالَ: إنْ كانَ الذَّنْبُ لنَا فقَدِ اسْتَغْفَرْنَاكَ، وإنْ كانَ لكَ فقَدْ غفَرْنَاهُ. فقُلْتُ لهُ: قُلْتَ لِي يَا أحْمَق، ولَوْ قُلْتَ لِي: يَا أرْعَنَ لَكَانَ أسْهَلَ علَيَّ. فقالَ: مَا الفَرْقُ بَيْنَهُنَّ؟ قلْتُ لهُ: الرُّعُونَةُ تتوَلَّدُ عَنِ النِّسَاءِ فتَلْحَقُ الرَّجُلَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِنَّ، فَإِذَا فَارَقَهُنَّ وصَاحَبَ فُحُولَ الرِّجَالِ زَالَتْ عَنْهُ، وأمَّا الحُمْقُ فإنّهُ غَرِيزَةٌ. وأنْشدَ بعضُ الحُكمَاءِ:

وَعِلاَجُ الأبْدَانِ أيْسَرُ خَطْبًا ... حِينَ تَعْتَلُّ مِنْ عِلاَجِ الْعُقُولِ

وقَالُوا: الحُمْقُ فسَادٌ في العَقْلِ، أوْ في الذِّهْنِ، وَمَا كانَ مَوْضُوعًا في أصْلِ الجَوْهَرِ فهُوَ غَرِيزَةٌ لاَ يَنْفَعُهَا التَّأْدِيبُ، وَإنّما يَنْتَفِعُ بالرِّيَاضَةِ والتَّأْدِيبِ مَنْ

أصْلُ جَوْهَرِهِ سَلِيمٌ، فتَدْفَعُ الرِّياضَةُ العَوَارِضَ المُفسِدةَ، والنَّاسُ يتفاوَتُونَ في العَقْلِ وجَوْهَرِهِ، ومِقْدَارِ مَا أُعطُوا منهُ، فَلِهٰذَا يتفاوَتُ الحُمْقُ.

قِيلَ لِحَكِيم: مَا حَدُّ الحُمْقِ؟ قالَ: سَأَلْتَنِي عَمَّا لَيْسَ لهُ حَدٌّ. وقالَ الإِمَامُ عَلِيٌّ كرَّمَ اللَّهُ وَجهَهُ: لَيْسَ مِنْ أحدٍ إلاَّ وَفيهِ حَمْقَةٌ فيهَا يَعِيشُ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: كُلّنا أحْمَقُ في ذَاتِ اللّهِ. وقالَ: خَلَقَ اللّهُ آدَمَ أحْمَقَ، ولَوْلاَ ذَلِكَ مَا هَنَاهُ العَيْشُ. وقالَ آخرُ: لَوْ حَلَفْتُ رَجوْتُ أنْ أبَرَّ أنهُ لَيْسَ أحدٌ منَ النَّاسِ إلاَّ وَهُوَ أحْمَقُ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ، غيْرَ أنَّ بَعْضَ الحُمْقِ أهْوَنُ منْ بَعْض. وقالَ حَكِيمٌ: عُقُولُ النَّاسِ علَى قَدْرِ زَمَانِهِمْ. وقالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ أحْمَقَ لِكَيْ يَنْتَفِعَ بالعَيْشِ. وأنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ يَفُوتُكَ نَيْلُهُ   بِغَبْنٍ وَلكِنْ في الْعُقُولِ التَّغَابُنُ

ومِنْ أسْماءِ الأحْمَقِ: الرَّقِيعُ، المَائِقُ، الأزْبَقُ، الهِلْبَاجَةُ، الخَطِلُ، الخَرِفُ، المَأفُونُ المَأْفُوكُ، الأنْوَكُ، الأهْوَجُ، الأخْرَقُ، الدَّاعِكُ، الْهَبَنْقَعُ، الْفَدْمُ، الهَجْرَعُ.

* * *

وصِفَاتُ الأحْمَقِ تَنقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أحَدُهُمَا منْ حَيْثُ الصُّورَةِ، والثَّانِي منْ حَيْثُ الخِصَالِ والأفْعَالِ.

أمَّا عَنِ القِسْمِ الأوَّلِ، الّذِي يتنَاوَلُ الصُّورَةَ، فقَدْ قالَ الحُكمَاءُ: إذَا كانَ الرَّأْسُ صَغِيرًا، رَدِيءَ الشَّكْلِ، دَلَّ علَى رَدَاءَةٍ في هَيْئَةِ الدِّمَاغِ.

وقالَ حَكِيمٌ: لاَ يَخلُو صِغَرُ الرَّأْسِ الْبَتَّةَ منْ دَلاَلَةٍ علَى رَدَاءةِ هَيْئَةِ الدِّمَاغِ، وَإذَا قَصُرَتِ الرَّقَبَةُ دَلَّتْ علَى ضَعْفِ الدِّمَاغِ وقِلّتِهِ. وَمَنْ كانَتْ بِنْيَتُهُ غيْرَ مُتَنَاسِبَةٍ كَانَ رَدِيئًا حَتَّى في هِمَّتِهِ وعَقْلِهِ، مِثْلُ الرَّجُلِ العَظِيم البَطْنِ، القَصِيرِ الأصَابعِ، المُسْتَدِيرِ الوَجْهِ، الطّويلِ القَامَةِ، الصَّغِيرِ الهَامَةِ، اللّحِيم الجَبْهَةِ والوَجْهِ والعُنُقِ والرِّجْلَيْنِ، فكأنّمَا وَجهُهُ نِصْفُ دَائرَةٍ. كذٰلِكَ إذَا كَانَ مُسْتَدِيرَ الرَّأْسِ واللِّحْيَةِ ولٰكِنْ وَجْهُهُ شَدِيدَ الغِلَظِ وَفي عَيْنَيْهِ بَلاَدَةٌ وحَرَكَةٌ، فهُوَ أيْضًا منْ أبْعَدِ النَّاسِ عنِ الخَيْرِ. فإنْ جَحِظَتَا فهُوَ وَقِحٌ مِهْذَارٌ. فَإنْ كَانَتْ ذَاهِبَةً

في طُولِ البَدَنِ فصَاحِبُهَا مَكَّارٌ لِصٌّ. وَإِذَا كَانَتِ العَيْنُ عَظِيمَةً مُرْتَعِدَةً، فصَاحِبُهَا كَسْلاَن بَطَّالٌ أحْمَقُ، مُحِبٌّ للنِّسَاءِ.

والعَيْنُ الزَّرْقَاءُ الَّتي في زُرْقَتِهَا صُفْرَةٌ كأنّها زَعْفَرَان تدُلُّ علَى رَدَاءَةِ الأخْلاَقِ. والعَيْنُ المُشْبِهَةُ لأعْيُنِ البَقَرِ تَدُلُّ علَى الحُمْقِ. وَإِذَا كَانَتِ العَيْنُ كأنّها نَاتِئَةٌ، وسَائرُ الجَفْنِ مُنْخَفِضٌ فصَاحِبُهَا أحْمَقُ. وَإِذَا كَانَ الجَفْنُ منَ العَيْنِ مُنْكَسِرًا منْ غَيْرِ عِلّةٍ فصَاحِبُهَا أحْمَقُ كَذّابٌ مَكّارٌ.

والشَّعْرُ علَى الكَتِفَيْنِ والعُنُقِ يَدُلُّ علَى الحُمْقِ والجُرْأةِ، وعلَى الصَّدْرِ والبَطْنِ، يَدُلُّ علَى قِلَّةِ الفِطْنَةِ.

ومَنْ طالَتْ عُنُقُهُ وَرَقّتْ فهوَ جَبَانٌ أحْمقُ. ومَنْ كانَ أنْفُهُ غَلِيظًا مُمْتَلِئًا فهُوَ قَلِيلُ الفَهْمِ.

ومَنْ كَانَ غَلِيظَ الشِّفَةِ فَهُوَ أحْمقُ غَلِيظُ الطّبْعِ. ومَنْ كَانَ شَدِيدَ استِدَارَةِ الوَجْهِ فهُوَ جاهِلٌ. ومَنْ عَظُمَتْ أُذُنُهُ فَهُوَ جَاهِلٌ طَوِيلُ العُمْرِ.

ومِنَ العَلامَاتِ الّتِي لاَ تُخْطِىءُ طُولُ اللِّحْيَةِ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا لاَ يَخْلُو منَ الحُمْقِ.

وقالَ بَعْضُ الحُكمَاءِ: الحُمْقُ سِمَادُ اللِّحْيَةِ، فمَنْ طالَتْ لِحْيَتُهُ كَثُرَ حُمْقُهُ.

وقالَ حَكِيمٌ: إذَا رَأيْتَ الرَّجُلَ عَظِيمَ الهَامَةِ، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ فَاحْكُمْ عَلَيْهِ بالرَّقاعَةِ. وقالَ مُعَاوِيَةُ لِرَجُلٍ عَتَبَ علَيْهِ: كَفَانَا في الشَّهَادَةِ علَيْكَ في حمَاقَتِكَ وسَخَافَةِ عَقْلِكَ مَا نرَاهُ منْ طُولِ لِحْيَتِكَ. وقالَ حَكِيمٌ: مَنْ قَصُرَتْ قامَتُهُ، وصَغُرَتْ هَامَتُهُ، وطَالَتِ لِحْيَتُهُ، فوَجَبَ علَى النَّاسِ أنْ يُعَزُّوهُ في عَقْلِهِ. وقالَ أصْحَابُ الفِرَاسَةِ: إذَا كانَ الرَّجُلُ طَوِيلَ القَامَةِ وَاللِّحْيَةِ فَاحْكُمْ علَيْهِ بالحُمْقِ، وَإِذَا انْضَافَ إلَى ذَلِكَ أنْ يكُونَ رَأْسُهُ صَغِيرًا فلاَ تَشُكَّ فيهِ.

وقالَ بعضُ الشُّعرَاءِ:

إذَا عَرَضَتْ لِلْفَتى لِحْيَةٌ ... وَطَالَتْ فَصَارَتْ إلى سُرَّتِهْ

فَنُقْصَانُ عَقْلِ الْفَتَى عِنْدَنَا ... بِمِقْدَارِ مَا زَادَ في لِحْيَتِهْ

ومنْ صِفَاتِ الأحْمَقِ صِغَرُ الأذُنِ، ويُعْرَفُ الأحمقُ بمَشْيِهِ وتَرَدُّدِهِ.

وكلامُ الأحْمَقِ أقْوَى الأدِلَّةِ علَى حُمْقِهِ.

* * *

وأمَّا فِيما يتعَلَّقُ بالقِسْمِ الثّاني، أي الخِصَال وَالأفْعَال، فإنّ الأحْمَقَ يَتْرُكُ النَّظَرَ في العوَاقِبِ، ويَثِقُ بمَنْ لاَ يَعْرِفُهُ. والأحْمَقُ لاَ موَدَّةَ لهُ، مُعْجَبٌ بنَفْسِهِ إلَى أبْعَدِ الحُدُودِ، كثِيرُ الكلاَمِ. قالَ حَكِيمٌ: لاَ يَغُرَّنّكُمْ ظَرْفُ الرَّجُلِ وفصَاحَتُهُ، وإنْ كَانَ مَعَ ذٰلِكَ قَائِمُ اللَّيْلِ، صَائِمُ النَّهَارِ. إذَا رَأيْتمْ فيهِ ثَلاَثَ خِصَالٍ: الْعَجَبُ وكَثْرَةُ الكلاَمِ فِيمَا لاَ يَعْنيهِ، وأنْ يَعِيبَ علَى النَّاسِ مَا يَأتِي مِثْلَهُ، فَإنّ ذٰلِكَ منْ عَلاَمَةِ الجَاهلِ. وقالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ: مَا عَدِمْتُ منَ الأحْمَقِ فلَنْ تَعْدَمَ خُلّتيْنِ: سُرْعَةُ الجَوَابِ، وكَثْرَةُ الالْتِفَاتِ.

[فحص لعقل الرجال]

ومنْ خِصَالِ الأحْمَقِ: فرَحُهُ بالكَذِبِ ممَّنْ مَدَحَهُ وتأثُّرُهُ بتَعْظِيمهِ وإنْ كانَ غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ لذٰلِكَ. وقالَ حَكِيمٌ: لاَ أحَدَ أحْمَقُ منْ غَنِيٍّ قدْ أمِنَ الفَقْرَ، وفَقِيرٍ قدْ أيِسَ منَ الغِنَى. وقَالَ الأصْمَعِيُّ: إذَا أرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ عَقْلَ الرَّجُلِ في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ فحَدِّثْهُ بحَدِيثٍ لاَ أصْلَ لهُ؛ فَإنْ رَأيْتَهُ أصْغَى إلَيْهِ وقَبِلَهُ فَاعْلَمْ أنّهُ أحْمَقُ، وَإنْ أنْكرَهُ فَهُوَ عَاقِلٌ.

[أخلاق الحمقى]

وقالَ بعضُ الحُكمَاءِ في أخْلاَقِ الحُمْقِ: العَجَلَةُ، والخِفَّةُ، والجَفَاءُ، والغِلْظَةُ، والغُرُورُ، والفُجُورُ، والسَّفَهُ، والجَهْلُ، والتَّوَانِي، والخِيَانَةُ، والظُّلْمُ، والتَّفْرِيطُ، والغَفْلَةُ، والخُيَلاَءُ، والفَخْرُ، والمَكْرُ. إنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ، وإنِ افْتَقَرَ قَنِطَ، وإنْ فَرِحَ أشِرَ، وإنْ قالَ فَحُشَ، وإنْ سُئِلَ بَخِلَ، وَإنْ سَألَ ألَحَّ، وَإنْ قالَ لَمْ يُحْسِنْ، وإنْ قِيلَ لهُ لمْ يَفْقَهْ، وإنْ ضَحِكَ نَهَقَ، وإنْ بَكَى خَارَ.

[ست خصال للأحمق]

وقالَ بعضُ الحُكمَاءِ: يُعْرَفُ الأحْمقُ بسِتِّ خِصَالٍ: الغَضَبُ منْ غيرِ

شَيْءٍ، والإِعْطَاءُ في غيْرِ حَقٍّ، والكَلاَمُ منْ غيْرِ منْفَعَةٍ، والثِّقَةُ بكُلِّ أحَدٍ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ، وألاَّ يُفرِّقَ بَيْنَ عَدُوِّهِ وصَدِيقِهِ. ويتكلَّمُ بمَا يَخْطِرُ علَى قَلْبِهِ، ويتوَهَّمُ أنَّهُ أعْقَلُ النَّاسِ.

[علامة الحمق]

وقالَ حكيمٌ: عَلامَةُ الحُمْقِ سُرْعَةُ الجوَابِ، وتَرْكُ التَّثَبُّتِ، والإِفْرَاطُ في الضَّحِكِ، وكَثْرَةُ الالْتِفَاتِ، والوَقِيعَةُ في الأَخْيَارِ، والاخْتِلاَطُ بالأشْرَارِ. والأحْمَقُ إنْ أعْرَضْتَ عنهُ اغتَمَّ، وإنْ أقْبَلْتَ علَيْهِ اغترّ، وإنْ حَلُمْتَ عنهُ جَهِلَ علَيْكَ، وإنْ جَهِلْتَ عليْهِ حَلُمَ علَيْكَ، وإنْ أحْسَنْتَ إليْهِ أسَاءَ إلَيْكَ، وإنْ أسَأتَ إليْهِ أحْسنَ إليْكَ، وَإِذَا ظَلَمْتَهُ أنْصَفَكَ، وَإِذَا أنْصَفْتَهُ ظَلَمَكَ. فمَنِ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ الأحْمَقِ فَلْيُكْثِرْ منْ حَمْدِ اللّهِ علَى مَا وَهَبَ لهُ مِمَّا حُرِمَهُ ذَاكَ.

قالَ أحدُ الشُّعرَاءِ:

لَنَا جَلِيسٌ تَارِكٌ لِلأدَبْ   جَلِيسُهُ مِنْ قَوْلِهِ فِي تَعَبْ
يَغْضَبُ جَهْلاً عِنْدَ حَالِ الرِّضَى   وَمِنْهُ يَرْضَى عِنْدَ حَالِ الغَضَبْ

* * *

[لا تؤاخ الأحمق]

قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لاَ تُؤاخِ الأحْمَقَ فَإِنَّهُ يُشِيرُ عَلَيْكَ وَيُجْهِدُ نَفْسَهُ فَيُخْطِىءُ، وَرُبَّمَا يُرِيدُ أنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وَسُكُوتُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ، وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ».

[لا تغضب على الحمقى]

وقالَ حَكِيمٌ لابْنِهِ: يَا بُنيَّ إلْزَمْ أهْلَ العَقْلِ وجَالِسْهُمْ، واجتَنِبِ الحَمْقَى فإنِّي مَا جَالَسْتُ أحْمَقَ فقُمْتُ إلاَّ وجَدْتُ النَّقْصَ في عَقْلي. وقِيلَ: (أوْحَى اللّهُ إلى مُوسَى عليْهِ السَّلامُ: لاَ تَغْضَبْ علَى الحَمْقَى فيَكْثُرُ غَمُّكَ). وقالَ الحسَنُ بنُ عليٍّ: هِجْرَانُ الأحْمَقِ قُرْبَةٌ إلَى اللّهِ عَزَّ وجَلَّ.

[ثلاثة لا تنتصف]

وقالَ حَكِيمٌ: ثَلاَثَةٌ لاَ يَنتَصِفُ بَعْضُهُمْ منْ بَعْضٍ: حَلِيمٌ منْ أحْمَقَ، وشَرِيفٌ منْ دَنِيٍّ، وبَرٌّ منْ فَاجِرٍ.

[الناس أربعة]

وقالَ آخَرُ: النَّاسُ أرْبعَةٌ: رَجلٌ يَدْرِي ويَدْرِي أنَّهُ يَدْرِي فذَاكَ عَالِمٌ فَخُذُوا عنْهُ. ورَجُلٌ يَدْرِي وهُوَ لاَ يَدْرِي أنَّهُ يَدْرِي، فذَاكَ نَاسٍ فذَكِّرُوهُ. ورَجُلٌ لاَ يَدْرِي وهُوَ يَدْرِي أنَّهُ لاَ يَدْرِي فذَاكَ طَالِبٌ فعَلِّمُوهُ. ورَجُلٌ لاَ يَدْرِي ولاَ يَدْرِي أنّهُ لاَ يَدْرِي، فذَاكَ أحْمَقُ فَارْفضُوهُ. وقالَ آخرُ: مُعَاتَبَةُ الأحْمَقِ نَفْخٌ في قِرْبَةٍ مَقْطُوعَةٍ. وقالَ: كلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ لهُ عَقْلٌ فهُوَ أشَدُّ علَيكَ منْ عَدُوِّكَ. وقالَ: النَّظَرُ إلى الأحْمَقِ سُخْنَةُ عَيْنٍ. وقالَ: يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الدَّوْلَةُ فيهِ لِلْحَمْقَى. وقالَ: مَؤُنَةُ العَاقلِ علَى نَفْسِهِ، ومَؤُنَةُ الأحْمَقِ علَى النَّاسِ، ومَنْ لاَ عَقْلَ لهُ فلاَ دُنْيَا لهُ ولاَ آخِرَةَ.

وقالَ أحدُ الشُّعرَاءِ:

اتَّقِ الأحْمَقَ أنْ تَصْحَبَهُ ... إنّما الأَحْمَقُ كَالثَّوْبِ الخَلَقْ[1]
كُلَّما رَقَّعْتَ مِنْهُ جَانِبًا ... خَرَقَتْهُ الرِّيحُ وَهْنًا فَانْخَرَقْ
أوْ كَصَدْعٍ في زُجَاجٍ فَاحِشٍ ... هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَرْتَتِقْ؟
كَحِمَارِ السُّوقِ إنْ أقْضَمْتَهُ ... رَمَحَ النَّاسَ وَإنْ جَاعَ نَهَقْ[2]
أوْ غُلاَمِ السُّوءِ إنْ أسْغَبْتَهُ ... سَرَقَ النَّاسَ وَإنْ يَشْبَعْ فَسَقْ[3]
وَإذَا عَاتَبْتَهُ كَيْ يَرْعَوِي ... أفْسَدَ المَجْلِسَ مِنْهُ بالخَرَقْ[4]

* * *

(١) الخلق: القديم، البالي.
(٢) أقضمته: علفته.
(٣) أسغبته: أجعته.
(٤) الخرق: الحمق.

وتقولُ العرَبُ: «أحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَة» وستَأْتِي أخْبارُهُ. وَ«أحْمَقُ مِنْ حَذْنة» قيلَ هوَ رَجُلٌ بِعَيْنِهِ. وقيلَ هُوَ الصَّغِيرُ الأُذُنِ، الخَفِيفُ الرَّأْسِ، القَلِيلُ الدِّمَاغِ، وكَذٰلِكَ يكُونُ الأحْمَقُ. وقيلَ «حَذْنَة» امْرَأةٌ كَانَتْ تمْتَخِطُ بِكُوعِهَا.

وتَقُولُ العرَبُ: «أحْمَقُ مِنْ أبي غُبْشَانَ» وَ«أحْمَقُ مِنْ جُحَا» وَ«أحْمَقُ مِنْ عِجْلِ بْنِ لُجَيْم» وَ«أحْمَقُ مِنْ حُجَيْنَةَ» وهُوَ رجُلٌ من بَنِي الصُّدَّاء وَ«أحْمَقُ مِنْ بَيْهَس» وَ«مِنْ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاة» وَ«مِنْ عَدِيِّ بْنِ حَبَابٍ» وَ«أحْمَقُ مِنَ المَمْهُورَةِ إحْدَى خِدْمَتَيْهَا».

ويَقولُونَ: «أحْمَقُ مِنَ الضَّبعِ» وَ«أحْمَقُ مِنْ أُمِّ عَامِرٍ» وَ«أحْمَقُ مِنْ نَعْجَةٍ عَلَى حَوْضٍ» لأنَّهَا إذَا وَرَدَته المَاءَ أكَبَّتْ علَيْهِ ولاَ تَنْثَنِي. وَ«أحْمَقُ مِنْ ذِئْبَةٍ» لأنَّهَا تَتْرُكُ ولَدَهَا وتُرْضِعُ وَلَدَ الضَّبعِ.

ويقُولُونَ: «أحْمَقُ مِنْ حَمَامَةٍ» لأنَّهَا لاَ تُصْلِحُ عِشَّهَا، ورُبَّمَا سقَطَ بَيْضُهَا فانْكسرَ. ورُبَّمَا بَاضَتْ علَى الأوْتَادِ فيَقَعُ البَيْضُ. وَ«أحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ» لأنَّهَا إذَا مَرَّتْ بِبَيْضِ غَيْرِهَا حضَنَتْهُ وترَكَتْ بَيْضَهَا. وَ«أحْمَقُ مِنْ رَخْمَةٍ» وَ«أحْمَقُ مِنْ عَقْعَقٍ» لأنَّهُ يُضَيِّعُ بَيْضَهُ وفِرَاخَهُ. وَ«أحْمَقُ مِنْ كرَوَانٍ» لأنَّهُ إذَا رَأى أُنَاسًا سَقَطَ علَى الطَّرِيقِ فيَأْخُذُونَهُ.

ومنَ الموْصُوفِ بالحُمْقِ منَ الحيَوَانِ: الحُبَارَى، والنَّعْجَةُ، والبَعِيرُ، والطَّاوُوسُ، والزَّرَافَةُ.

ويَقُولُونَ: أحْمَقُ من رِجْلَةٍ، وهِيَ البَقْلَةُ الحَمْقَاءُ لأنَّهَا تَنْبُتُ فِي مجَارِي السَّيْلِ.

* * *

[هبنَّقة]

ومِنَ الحَمْقَى «هَبَنَّقَةُ» وَاسْمُهُ يَزِيدُ بنُ ثَرْوَانَ وَيُقَالُ ابْنُ مَرْوَان، أحدُ بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلبَةَ. ومِنْ حُمْقِهِ أنَّهُ جَعَلَ في عُنُقِهِ قِلاَدَةً منْ وَدَعٍ وعِظَامٍ وخَزَفٍ، وقَالَ: أخْشَى أنْ أضِلَّ نَفْسِي ففعَلْتُ ذٰلِكَ لأعْرِفَهَا بِهِ. فَحُوِّلَتِ القِلاَدَةُ ذَاتَ لَيْلَةٍ منْ عُنقِهِ إلَى عُنُقِ أخِيهِ، فلَمَّا أصْبَحَ قالَ: يَا أخِي، أنْتَ أنَا، فَمَنْ أنَا؟

وضَاعَ مِنْهُ بَعِيرٌ فَجَعَلَ يُنَادِي: مَنْ وَجَدَهُ فَهُوَ لهُ، فَقِيلَ لهُ: فَلِمَ تَبْحَثُ عنْهُ؟ قالَ: فَأيْنَ حلاَوَةُ الوجْدَانِ؟ وَفي رِوَايَةٍ: فَلَهُ عَشَرَةٌ. فَقِيلَ لهُ: لِمَ تَفْعَلُ هٰذَا؟ فقَالَ: لِلْوِجْدَانِ حَلاَوَةٌ فِي الْقَلْبِ.

وكَانَ إِذَا رَعَى غَنَمًا جَعَلَ يَخْتَارُ المرَاعِيَ للسِّمَانِ ويُنَحِّي المَهَازِيلَ ويَقُولُ: لاَ أُصْلِحُ مَا أفْسَدَهُ الدَّهْرُ.

* * *

[أخذ مفاتيح الكعبة بزق خمر]

ومِنْهُمْ أبُو غُبْشَانَ، وهُوَ رجُلٌ منْ خُزاعَةَ كَانَ يَلِي الكَعْبَةَ، فاجْتَمَعَ مَعَ قُصَيِّ بنِ كِلاَبٍ بِالطَّائفِ عَلَى الشُّرْبِ. فلمَّا سَكِرَ ٱشْتَرَى منْهُ قُصَيٌّ وِلاَيَةَ البَيْتِ بزِقِّ خَمْرٍ، وأخَذَ منْهُ مفَاتِيحَهُ وسَارَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ، وقالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هٰذِهِ مَفَاتِيحُ بَيْتِ أبِيكُمْ إسْمَاعِيلَ، رَدَّهَا اللّٰهُ علَيْكُمْ منْ غَيْرِ غَدْرٍ ولاَ ظُلْمٍ. وأفَاقَ أبُو غُبْشَان، فنَدِمَ، فقِيلَ «أنْدَمُ مِنْ أبِي غُبْشَان» وأخْسَرُ منْ أبي غُبْشَان، وأحْمَقُ منْ أبي غُبْشَان. قالَ بَعْضُهُمْ:

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ اللّهِ إذْ سَكِرَتْ   بِزِقِّ خَمْرٍ فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ الْبَادِي
بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالخَمْرِ وَانْقَرَضَتْ   عَنِ المقَامِ وظلِّ البيتِ والنَّادي

ثمَّ جاءَتْ خُزاعَةَ فحَارَبَتْ قُصَيًّا فغلَبَهُمْ، وَاسْتقرَّ أمْرُ الكَعْبَةِ لهُ.

* * *

ومنْهُمْ «عِجْلُ بنُ لُجَيْم» بنِ صَعْب بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ. منْ حُمْقِهِ أنَّهُ قِيلَ لهُ: مَا سَمَّيْتَ فرَسَكَ؟ فقَامَ إليْهِ ففَقَأَ إحْدَى عَيْنَيْهِ وقالَ: سَمَّيْتُهُ الأعْورَ.

قالَ أحدُ الشُّعرَاءِ:

رَمَتْنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أبِيهِمُ   وَأيُّ ٱمْرِئٍ في النَّاسِ أحْمَقُ مِنْ عِجْلِ
ألَيْسَ أبُوهُمْ عَارَ عَيْنَ جَوَادِهِ   فَصَارَتْ بِهِ الأمْثَالُ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ؟

* * *

ومنْهُمْ: «حَمْزَةُ بْنُ بَيضٍ» قِيلَ إنّهُ دعَا حَجَّامًا، وكَانَ الحَجَّامُ ثقِيلاً كثِيرَ

الكَلاَمِ، فلمَّا أزهَفَ المشَارِيطَ، قالَ لهُ: السَّاعَة تُوجِعُنِي. قالَ: لاَ. قالَ: فَانْصَرِفِ اليَوْمَ. قالَ: لاَ تَفْعَلْ فَإنّكَ مُحْتَاجٌ إلَى إخْرَاجِ الدَّمِ، وَذٰلِكَ بَيِّنٌ فِي وَجْهِكَ وَهِيَ سُنَّةٌ نبَوِيَّةٌ. قالَ: فَانصَرِفْ وَعُدْ إلَيَّ غَدًا. قالَ: لَسْتَ تَدْرِي مَا يَحْدُثُ غَدًا، والمشَارِيطُ حَادَّةٌ، وَإنَّمَا هيَ لَحْظَةٌ. قالَ: إنْ كانَ كمَا تَقُولُ فَأعْطِنِي إحْدَى عَيْنَيْكَ تَكونُ في يَدِي رَهِينَةً، فَإنْ أوْجَعْتَنِي أوْجَعْتُكَ. فقَامَ الحَجَّامُ وقالَ: أرَى أنْ تَدَعَ الحِجَامَةَ في هٰذَا العَامِ وانْصَرَفَ.

وقالَ حَمْزَةُ لِغُلام لهُ: أيَّ يَوْمٍ صَلَّيْنَا الجُمْعَةَ في الرَّصَافَةِ؟ ففكَّرَ الغُلاَمُ مُدَّةً، ثمَّ قالَ: يوْمُ الثُّلاثَاءِ.

* * *

ومنْهُمْ «أبُو أَسِيد» قيلَ إنهُ عَزَّى رَجُلاً عنْ مُصِيبَتِهِ، فقالَ لهُ: رَزَقَنَا اللّهُ مُكافَأتَكَ. ونظَرَ إلَى رَجُلٍ نَائمٍ، فقالَ لهُ: قُمْ فكَمْ تَنَامُ كأنَّكَ بَعِيرٌ شَارِدٌ.

وقيلَ لهُ: حَدِّثْنَا عنِ ابْنِ عَمَرَ، فقالَ: كَانَ يَحِفُّ شَارِبَهُ حتَّى يَبْدُوَ بيَاضُ إبْطَيْهِ.

* * *

[سقط القميص]

ومِنْهُمْ «جُحَا» ويُكْنَى أبَا الغُصْنِ. وقدْ رُوِيَ عنهُ مَا يدُلُّ علَى فِطْنَةٍ وذَكَاءٍ إلاَّ أنّ الغَالِبَ علَيْهِ التَّغْفِيل. قالَ لهُ رَجُلٌ: سَمِعْتُ مِنْ دَارِكُمْ صُرَاخًا، قالَ: سَقَطَ قمِيصِي منْ فَوْقٍ. قالَ: وَإذَا سَقَطَ منْ فَوْقُ؟ قالَ: يَا أحْمَقُ لوْ كُنْتُ فيهِ ألَيْسَ كُنْتُ قدْ وقَعْتُ معَهُ؟

وتأذَى جُحَا مرَّةً منْ شِدّةِ العوَاصِفِ فقالَ يُخَاطِبُهَا: لاَ يَعْرِفُكِ إلاَّ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ الّذِي حبسَكِ حتَّى هَلَكْتِ منَ الجُوعِ.

[صلب الميت لتوفير ٣ دراهم]

ومَاتَ جَارٌ لهُ فأرْسلَ إلَى الحَفَّارِ ليَحْفُرَ لهُ فجَرَى بيْنَهُمَا لَجَاجٌ في أُجْرَةِ الحَفْرِ، فمَضَى جُحَا إلَى السُّوقِ، وَاشْتَرَى خشَبَةً بدِرْهَمَيْنِ وجَاءَ بهَا، فسُئِل

عنها فقَالَ: إنّ الحفّارَ لاَ يَحْفُرُ بأقَلَّ من خَمْسَةِ دراهِمَ، وقَدِ اشْتَرَيْنا هٰذِهِ الخَشبَةَ بدِرْهَمَيْنِ لنَصْلُبَهُ علَيْهَا، ونُوَفِّرَ ثلاثَةَ دراهِمَ، ويَسْتَرِيحَ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ، وسُؤالِ مُنْكَرٍ ونكِيرٍ.

وتبخّرَ يَوْمًا فاحْتَرقَتْ ملاَبِسُهُ فغَضِبَ وأقْسمَ ألاّ يتبَخّرَ إلاّ وهُوَ عُرْيَانٌ.

[لا تعجلوا بالتوبة]

وهَبَّتْ يوْمًا رِيَاحٌ شدِيدَةٌ فأقْبلَ النَّاسُ يَدْعُونَ اللّهَ ويُظْهِرُونَ التَّوْبةَ، فصَاحَ جُحَا قَائِلًا: يَا قَوْم لاَ تَعْجَلُوا بالتَّوْبَةِ فإنَّمَا هيَ زَوْبَعَةٌ وتَسْكُنُ.

وخرَجَ وَالِدُ جُحَا يَوْمًا فوَجَدَ تُرَابًا كَثِيرًا عنْدَ بَابِ بَيْتِهِ فَاحْتَارَ ولَمْ يَدْرِ مَاذَا يَصْنَعُ؟ فقالَ لهُ جُحَا: يَا أبي لاَ تَحْزَنْ، فَمِنَ السَّهْلِ علَيْكَ أنْ تتخلَّصَ منْ هٰذَا التُّرَابِ. قالَ لهُ: كَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ؟ قالَ: احْفُرْ بِئْرًا وَاكْبِسْهُ فيهِ.

[اختبأ خشية الأجرة]

وَاشْتَرَى يَوْمًا دَقِيقًا وَدَعَا رَجُلًا لِيَحْمِلَهُ، فانتَهَزَ الرَّجلُ فُرْصَةَ ازْدِحَام النَّاسِ واخْتَفَى بالدّقِيقِ. فلمَّا كَانَ بَعْدَ أيَّام رَآهُ جُحَا فَاسْتترَ منْهُ، فقِيلَ لهُ: مَا لكَ تَفْعَلُ هٰكذَا؟ فقَالَ: أخَافُ أنْ يَطْلُبَ مِنِّي أُجْرَتَهُ.

[دفن المال]

وحُكِيَ أنّ جُحَا دَفَنَ دراهِمَ في صَحْرَاءَ وجعَلَ علامَتَهَا سَحَابَةً تُظِلهَا. ومَاتَ أبُوهُ فَقِيلَ لهُ: اذْهَبْ وَاشْتَرِ الكَفَنَ، فقالَ: أخَافُ أنْ أشْترِيَ الكَفَنَ فتَفُوتَني الصَّلاَةُ علَيْهِ.

وحُكِيَ أنَّ أحدَ الخُلَفَاءِ أحضرَهُ لِيَمْزَحَ معَهُ، فدَعَا بالنِّطْعِ والسَّيْفِ، فلمَّا أُقْعِدَ في النِّطْعِ قالَ للسَّيَّافِ: اُنْظُرْ لاَ تُصِبْ مَحَاجِمِي فَإِنِّي قدِ احْتَجَمْتُ.

ورَأوْهُ يَوْمًا في السُّوقِ يَجْرِي فقَالُوا لهُ: لِمَاذَا تَجْرِي؟ فقَالَ: هلْ مرَّتْ بِكُمْ جَارِيَةُ رَجُلٍ مَخْضُوبِ اللِّحْيَةِ.

وَاجتَازَ يَوْمًا بِبَابِ الجَامعِ، فقالَ: مَا هٰذَا؟ فَقِيلَ: مَسْجِدُ الجَامعِ، فقالَ: رَحِمَ اللّٰهُ جَامِعًا، مَا أحْسنَ مَا بَنَى مَسْجِدَهُ!

ومَرَّ بِقَوْمٍ وَفي كُمِّهِ خُوخٌ، فقَالَ: مَنْ أخبرَني بمَا في كُمِّي فلَهُ أكْبَرُ خُوخَةٍ، فقَالُوا: خُوخٌ. فقَالَ: مَنْ أخْبَرَكُمْ بهٰذَا فهُوَ خِنْزيرٌ.

وسَمِعَ قَائِلاً يقُولُ: مَا أحْسَنَ القَمَرَ! فقَالَ: إي وَاللّهِ وخاصَّةً في اللَّيْلِ.

[عقد الأصابع للحساب]

وقالَ لهُ رَجُلٌ: أتُحْسِنُ الحِسَابَ بأَصْبُعِكَ؟ قَالَ: نعَمْ. قالَ: خُذْ جَرِيبَيْنِ حِنْطةً، فعَقَدَ الخِنْصرَ والبِنْصِرَ. فقالَ لهُ: خُذْ جَرِيبَيْنِ شَعِيرًا، فعَقَدَ السَّبَّابَةَ والإِبْهَامَ، وأقَامَ الوُسْطَى. فقالَ لهُ الرَّجُلُ: لِمَ أقَمْتَ الوُسْطَى؟ قالَ: لِئَلاَّ تَخْتَلِطَ الحِنطَةُ بالشَّعِيرِ.

[شراؤه لباز ميت]

ومَرَّ يوْمًا بصِبْيَانٍ يلْعَبُونَ بِبَازٍ مَيِّتٍ فاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ بدِرْهَمٍ وحمَلَهُ إلَى البَيْتِ، فقالَتْ لهُ أُمُّهُ: وَيْحَكَ مَاذَا تَصْنَعُ بِهِ وهُوَ مَيِّتٌ؟ فقالَ لَهَا: اسْكُتِي، فلَوْ كانَ حَيًّا مَا طَمِعْتُ في شِرَائِهِ بمِائَةِ دِرْهَمٍ.

وخرَجَ أبُوهُ إلَى مَكّةَ حَاجًا، فقالَ لهُ عِنْدَ ودَاعِهِ: بِاللّهِ لاَ تُطِلْ غَيْبَتَكَ وَاجْتَهِدْ أنْ تكُونَ عِنْدَنَا في العِيدِ لأجْلِ الأُضْحِيَةِ.

* * *

ومنهُمْ «مَزْبَد» وهوَ أبُو إسْحَاقَ المَدَنِيُّ. وكانَ الوَالِي قدْ غَضِبَ عليْهِ يَوْمًا، فدَعَا أحدَ الحَلاّقِينَ لِيَحْلِقَ لهُ لِحْيَتَهُ. فقالَ لهُ الحَلاّقُ: انْفُخْ شِدْقَيْكَ حتّى أتمَكّنَ منَ الحِلاَقَةِ. فقالَ مَزْبَدُ: أمَرَكَ الوَالِي بحَلْقِ لِحْيَتِي، ولمْ يَأْمُرْكَ بأنْ تُعَلِّمَني الزَّمْرَ.

[تمنى السقوط بألف]

وقيلَ لهُ: إنّ فُلاَنًا الحَفّارَ قدْ ماتَ. فقَالَ: أبْعَدَهُ اللّهُ: مَنْ حفرَ حُفْرَةً

سُوءِ وقعَ فيهَا. وقالَ مَزْبَدُ لِرَجُلٍ: أَيَسُرُّكَ أَنْ تُعْطَى أَلْفَ دِرْهَم وتَسْقُطَ منْ فوْقِ البَيْتِ؟ قالَ: لاَ. قالَ مَزْبَدُ: وَدِدْتُ أَنَّها لِي وَأَسْقُطُ منْ فوْقِ الثُّرَيَّا. فقالَ لهُ الرَّجُلُ: وَيْلَكَ فَإِذَا سقَطْتَ مِتَّ. قالَ: ومَا يُدْرِيكَ، لَعَلِّي أسقُطُ فوْقَ جُرْنٍ منَ التِّبْنِ، أوْ فوْقَ فِرَاشٍ نَاعِمٍ.

وقيلَ لهُ: أيَسُرُّكَ أنْ يكُونَ هٰذَا الثَّوْبُ لكَ؟ قالَ: نعَمْ، وأُضْرَبُ عِشْرِينَ سَوْطًا. قالُوا: وَلِمَ تَقُولُ هٰذَا؟ قالَ: لأنّهُ لاَ يكُونُ شَيءٌ إلاَّ بِشيءٍ.

* * *

ومِنْهمْ: «أَزْهَرُ الحَمَّارُ» كَانَ جَالِسًا بيْنَ يدَيْ أحدِ الأُمرَاءِ يأْكلُ بِطِّيخًا، فقالَ لهُ الأمِيرُ: كَيْفَ طَعْمُهُ يَا أَزْهَرُ؟ أهُوَ حُلْوٌ؟ قالَ: أمَا أكَلْتَ الطِّينَ قطُّ؟

وقَدِمَ علَى أحدِ الأُمرَاءِ رَسُولٌ منْ قِبَلِ السُّلْطَانِ، فلمَّا حضرَتِ المَائِدَةُ دخلَ أزْهَرُ وجلسَ مَعَ الآكِلِينَ. فقالَ لهُ الأمِيرُ: جَمِّلْنَا بِسُكُوتِكَ يَا أَزْهَرُ، فسَكَتَ طَوِيلاً ثمّ لمْ يَصْبِرْ، فقَالَ: بَنَيْتُ في الْقَرْيَةِ بُرْجًا ارْتِفاعُهُ أَلْفُ خُطْوَةٍ، فأَشَارَ عليْهِ الحَاجِبُ أنْ يَسْكُتَ. فقالَ لهُ الرَّسُولُ: في عَرْضِ كَمْ؟ قالَ: في عَرْضِ خُطْوَةٍ. فقالَ لهُ الرَّسُولُ: مَا كانَ ارْتِفَاعُهُ أَلْفُ خُطْوَةٍ لاَ يكْفِي أنْ يكُونَ عَرْضُهُ خُطْوَةً! قالَ: أرَدْتُ أنْ أزِيدَ فيهِ فمنَعَنِي هٰذَا الوَاقِفُ.

وقَدِمَ رَسُولٌ آخَرُ فقِيلَ لأزْهَرَ: لاَ تتكَلَّم اليَوْمَ، وتجَمَّلْ لِهٰذَا الرَّسُولِ. فسكتَ مُدَّةً، فعَطَسَ الرَّسُولُ فأرَادَ أزْهرُ أنْ يُشَمِّتَهُ بالعِبَارَةِ المَأْلُوفةِ «يَرْحَمُكَ اللّٰهُ» فقالَ: صَبَّحَكَ اللّٰهُ. فقَالَ لهُ الأمِيرُ: أَلَمْ أطْلُبْ مِنْكَ أنْ لاَ تتكَلَّم؟! فقَالَ: أرَدْتُ ألاَّ يَرْجِعَ الرَّسُولُ إلَى بَغْدادَ فيَقُولُ: إنّ هٰؤُلاَءِ لاَ يَعْرِفُونَ العَرَبِيَّةَ.

وقالَ لهُ الطَّبِيبُ: خُذْ رُمَّانتَيْنِ فَاعْصِرْهُمَا بِشَحْمِهِمَا وَاشْرَبْ مَاءهُمَا، فعَمَدَ إلَى رُمَّانتَيْنِ وقِطْعَةِ شَحْمٍ ودقَّهُمَا في مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وعصرَهُمَا وأخَذَ مَاءَهُمَا فشَرِبَهُ.

* * *

ومِنهُمْ «أبُو مُحمَّد جَامِع الصَّيْدَلاَنِيّ» قالَ بَعْضُهُمْ: كتَبْتُ إلَى جامِعِ الصَّيْدلاَنِيِّ رِسالَةً، فكتَبَ جوابَهُ وجَعَلَ عُنْوانَهُ: إلَى الَّذِي كتبَ إلَيَّ. وجَاءَ إلَيْهِ قَوْمٌ فِي أمْرِ بُسْتَانٍ، فقَالُوا لهُ: يَا أبَا مُحمّد، مُنْذُ كمْ تَعْرِفُ هٰذَا البُسْتَانَ؟ قالَ: أعْرِفُهُ منْذُ أنْ كانَ صَغِيرًا وهُوَ لِفُلاَنٍ.

ورَكِبَ زَوْرقًا فأعْطَى المَلاّحَ دِرْهَمًا فاسْتزَادَهُ، فقالَ لهُ: مَسَخَنِي اللّهُ قِرْدًا مِثْلَكَ إنْ زِدْتُكَ شَيْئًا.

وذَهَبَ إلَى السُّوقِ لِيَشْتَرِيَ لابْنِهِ نَعْلاً، فقِيلَ لهُ: كمْ عُمْرُهُ؟ فقَالَ: مَا أدْرِي، ولٰكِنَّهُ وُلِدَ أوَّلَ مَا جَاءَ العِنَبُ، ومُحمَّدُ ابْنِي مَاتَ وهُوَ أكْبَرُ منْهُ بشَهْرَيْنِ ونِصْفٍ.

وكانَتْ لهُ بِنتٌ فسُئِلَ عنْ عُمْرِهَا، فقَالَ: لاَ أدْرِي إلاّ أنّهَا وُلِدَتْ أيَّامَ البرَاغِيثِ.

وَانْبثقَ لهُ كَنِيفٌ، فقالَ لِغُلاَمِهِ: بَادِرْ وأحْضِرْ مَنْ يُصْلِحُهُ حَتَّى نتَغَدَّى بِهِ قَبْلَ أنْ يتعَشَّى بِنَا.

* * *

ومنْهُمْ «أبُو عَبْدِ اللّهِ بْن الجَصَّاصِ» حُكِيَ عنْهُ أنّهُ كانَ يَوْمًا يَأْكلُ معَ أحدِ الوُزرَاءِ، فلَمَّا فرَغَ منَ الأكْلِ قالَ: الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لاَ يُحْلَفُ بِأَعْظَمَ منْهُ. ونظرَ يَوْمًا فِي المُصْحَفِ وجعَلَ يقُولُ: رَخِيصٌ وَاللّهِ، وهٰذَا منْ فَضْلِ رَبِّي، آكُلُ وأتمَتَّعُ بدِرْهَم، وَإذَا فِي المُصْحَفِ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ فصَحَّفَ «ذَرْهُمْ» فظَنَّ أنَّهُ «دِرْهَمٌ».

[غلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار]

ودخَلَ ابْنُ الجَصَّاصِ يوْمًا علَى ابْنِ الفُرَاتِ الوَزِيرِ وفي يَدِهِ بِطِّيخةٌ فأرَادَ أنْ يُعْطِيَهَا لِلْوَزِيرِ ويَبْصُقَ في دِجْلَةَ، فبَصَقَ في وَجْهِ الوَزِير، ورَمَى الْبِطِّيخَةَ في دِجلَةَ، فَارْتَاعَ الْوَزِيرُ وَانْزَعَجَ ابْنُ الْجَصَّاصِ وتحَيَّرَ، وقالَ: وَاللّهِ الْعَظيم لَقَدْ أخطَأْتُ وَغَلِطْتُ؛ أرَدْتُ أنْ أبْصُقَ في وَجْهِكَ وأرْمِي الْبِطِّيخَةَ في دِجلَةَ. فقَالَ

لهُ الوَزِيرُ: كَذٰلِكَ فعَلْتَ يَا جَاهِلُ، فغَلِطَ في الفِعْلِ وَأخْطأَ فِي الاعْتِذَارِ.

ونظرَ يَوْمًا في المِرْآةِ فقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ، وسَوِّدْهَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ.

ونظرَ يَوْمًا في المِرْآةِ فقَالَ لإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: أتَرَى لِحْيَتِي قَدْ طَالَتْ؟ فقَالَ لهُ: الْمِرْآةُ في يَدِكَ. فقَالَ: صَدَقْتَ، ولكِنِ الشَّاهِدُ يرَى مَا لاَ يَرَاهُ الغَائِبُ.

وكَسَرَ يَوْمًا لَوْزًا فطَارَتْ لَوْزَةٌ، فقَالَ: لاَ إلٰهَ إلا الله كُلُّ شَيْءٍ يَهْرُبُ من المَوْتِ حتَّى البَهَائم.

وأهْدَى إلَى أحدِ الوُزرَاءِ نَبْقًا وكتبَ إليْهِ: «تَفَيَّلْتُ[1] أنْ تَبْقَى فَأهْدَيْتُكَ النَّبْقَا» فَكَتَبَ في جوابِهِ: «مَا تَفَيَّلْتَ يَا أبَا عَبْدِ اللَّهِ وَلٰكِنْ تبَقَّرْتَ»[2].

وكانَ ابْنُ الجَصَّاصِ يُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ فيَقُولُ: نَعُوذُ باللَّهِ منْ نِعَمِهِ، ونَتُوبُ إلَيْهِ منْ إحْسَانِهِ، ونَسْتَقِيلُهُ منْ عَافِيَتِهِ، ونَسْألُهُ عوَائِقَ الأُمُورِ، حَسْبِيَ اللّهُ وأنْبِيَاؤُهُ والملاَئِكَةُ الكِرَامُ. سُبْحَانَ اللّهِ قَبْلَ اللّهِ، سُبْحَانَ اللّهِ بَعْدَ اللّهِ.

وأتَاهُ غُلاَمُهُ يَوْمًا بِفَرْخٍ فقَالَ: انْظُرُوا إلَى هٰذَا الفَرْخِ، مَا أشْبَهَهُ بِأُمِّهِ! ثُمَّ قالَ: هَلْ أُمُّهُ ذَكَرٌ أمْ أنْثَى؟

ومَرِضَ مرَّةً فقِيلَ لهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فقَالَ: الدُّنْيَا كُلُّهَا مَحْمُومَةٌ.

وحَكَى بَعْضُهُمْ: كُنْتُ عندَ أحدِ أصْدِقَائي أُعَزِّيهِ في أُمِّهِ، وَعِنْدَهُ الخَلْقُ منَ الرُّؤسَاءِ والكُتَّابِ، إذْ أقْبَلَ ابْنُ الجَصَّاصِ فدَخَلَ ضَاحِكًا وهُوَ يقُولُ: الحَمدُ لِلّهِ قَدْ سَرَّنِي وَاللّهِ يَا أبَا إسْحَاقَ. فدَهِشَ الحَاضِرُونَ وقَالُوا لهُ: يَا هٰذَا كَيْفَ سَرَّكَ مَا غَمَّهُ وغَمَّنَا؟ فقَالَ: بلَغَنِي أنَّهُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، فلمَّا صَحَّ عنْدِي أنَّهَا هيَ الَّتِي مَاتَتْ سَرَّنِي ذٰلِكَ، فضَحِكَ النَّاسُ جَمِيعًا.

وكتَبَ ابْنُ الجَصَّاصِ إلَى وَكِيلٍ لهُ لِيَحْمِلَ إلَيْهِ مِائَةَ رِطْلٍ منَ القُطْنِ،

---

(١) يقصد تفاءلت.

(٢) يقول: لم تصبح فيلاً، ولكنك أصبحت بقرة.

فحَمَلَهَا ولَمَّا حَلَجَهَا خرَجَ منْهَا رُبْعُ الوَزْنِ، فكَتَبَ إلَى الوَكِيلِ: لَمْ نَحْصُلْ منْ هٰذَا القطْنِ إلاَّ علَى خَمْسَةٍ وسَبْعِينَ رِطلاً، فلاَ تَزْرَعْ بعدَ ذٰلِكَ إلاَّ قُطْنًا مَحْلُوجًا وشَيْئًا منَ الصُّوفِ أيْضًا.

وسُمِعَ مرَّةً يُسَبِّحُ قائِلًا: حَسْبِيَ اللّٰهُ وَحْدِي. وقالَ: كَانَ الهَوَاءُ البَارِحَةَ بَارِدًا إلاّ أنّي لمْ أجِدْهُ. ودَخَلَ يوْمًا علَى مَريض فجَلَسَ عِنْدَهُ فشَكَا إليْهِ الكتِفَ فقَالَ: وَاللّٰهِ مَا أغْفَلُ منْ وَجَعِ كَتفَيَّ هٰذَيْنِ، وضرَبَ علَى رُكبَتَيْهِ.

* * *

[حد على البهائم]

وقدْ رُوِيَ عنْ بعضِ العُقلاءِ أنّهُ صدرَتْ منْهُمْ أعْمالٌ تَدُلُّ علَى الحُمقِ. فقَدْ حدَثَ أنْ أسْنَدَ الرَّشِيدُ وِلايَةَ الرَّقَّةِ إلَى رَجُلٍ اسْمُهُ «نَصْرُ بْنُ مُقْبِلٍ» فأمرَ بِمُعاقَبَةِ شاةٍ بالْجَلْدِ. فقِيلَ لهُ: إنَّهَا بَهِيمَةٌ، فقَالَ: الحُدُودُ لاَ تُعَطَّلُ وَإنْ عَطَّلْتُهَا فبِئْسَ الوَالِي أنَا. فانْتَهَى خَبَرُهُ إلَى الرَّشِيدِ فطَلَبَهُ فلمَّا دخلَ عليْهِ قالَ لهُ: مَنْ أنْتَ؟ قالَ: مَوْلًى لِبَنِي كِلاَبٍ. فضَحِكَ الرَّشِيدُ وقَالَ: كَيْفَ بَصَرُكَ بالحُكْمِ؟ قالَ: النَّاسُ والبَهَائمُ عِنْدِي سَوَاءٌ فِي الحَقِّ، ولَوْ وَجَبَ الحَقُّ علَى بَهِيمَةٍ وَكانَتْ أُمِّي أوْ أُخْتِي أجْرَيْتُ عليْهَا الْحَدَّ ولَمْ تَأْخُذْنِي في اللّٰهِ لَوْمَةُ لائِمٍ. فأعْفاهُ الرَّشِيدُ منْ عَمَلِهِ.

[دواء الحرارة بالموت]

وقالَ حَكِيمٌ لأحَدِ الوُزرَاءِ: مَا العِلْمُ الأكْبَرُ؟ قالَ: الطِّبُّ، وَإنِّي أعْرِفُ منْهُ أكْثرَهُ. فسألَهُ الحَكِيمُ عنْ كَيْفِيَّةِ عِلاَجِ شَخْصٍ مُصَابٍ بالحُمَّى. فقَالَ: دوَاؤُهُ أنْ يَمُوتَ حتَّى تَنْخَفِضَ درَجَةُ حرَارَتِهِ، ثُمَّ يُعَالَجُ بالأدْوِيَةِ لِيَعُودَ حيًّا. قالَ الحَكِيمُ: ومَنْ يُحْيِيهِ بعدَ المَوْتِ؟ قالَ: هٰذَا عِلْمٌ آخَرُ وُجِدَ في كِتَابِ النُّجُومِ ولَمْ أنْظُرْ في شَيْءٍ منْهُ إلاّ في بَابِ الحيَاةِ، فَإنِّي وجَدْتُ في كِتَابِ النُّجُومِ أنَّ الحيَاةَ للإنْسَانِ خَيْرٌ منَ المَوْتِ. فقَالَ الحَكِيمُ: أيُّهَا الوَزيرُ، المَوْتُ علَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ للجَاهلِ منَ الحيَاةِ.

وجَاءَ بعضُ الأُمراءِ المُغَفَّلِينَ إلَى بَائعِ ثَلْج فقَالَ: أرِنِي مَا عِنْدَكَ. فكَسَرَ البَائعُ قِطْعَةً ونَاولَهَا لهُ. فقالَ: أُرِيدُ أبْرَدَ منْ هٰذَا، فكَسَرَ قِطْعَةً منَ الجَانبِ الآخَرِ، فقَالَ: مَا سِعْرُ هٰذا؟ فقَالَ: رِطْلٌ بِدِرْهَمٍ، وَمِنَ الأوَّلِ رِطْلٌ وَنِصْفٌ. فقَالَ: أعْطِنِي منَ الثَّانِي.

وقالَ بعضُ النَّاسِ لِمَمْلُوكِهِ: اخْرُجْ فَانْظُرْ هَلِ السَّماءُ مُصْحِيَةٌ أوْ مُغَيِّمةٌ، فخرَجَ وعَادَ فقَالَ: وَاللّٰهِ مَا تركَنِي المطَرُ أنْظُرُ هلْ هيَ مُغَيِّمَةٌ أمْ لاَ.

وَاشْتَرَى رَجُلٌ منْ خَبَّازٍ مِائتَيْنِ وأرْبَعِينَ رِطْلاً مِنَ الخُبْزِ بدِينَارٍ، ثمَّ كانَ يَأْخُذُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا إلى أنْ بلَغَ جُمْلَةَ مَا أخذَهُ مَائَةً وعِشْرِينَ. فقَالَ للْخَبَّازِ: لقَدْ أَخَذْتُ مِائَةً وعِشْرِينَ رِطْلاً، وَلِي عِنْدَكَ مَائَةٌ وعِشْرُونَ، فَاخْصِمْ هٰذِهِ بتِلْكَ وأعْطِنِي الدِّينَارَ، فجعَلَ الخَبَّازُ يَصِيحُ ويقُولُ: كَيْفَ أفْعلُ هٰذَا؛ فيقُولُ الرَّجُلُ: أخَذْتُ مِنْكَ مِائَةً وعِشْرِينَ رِطْلاً، ألَيْسَ كذٰلِكَ؟ فقَالَ الخَبَّازُ: نعَمْ. قالَ المُشْتَرِي: وَلِي عِنْدَكَ مِائةٌ وعِشْرُونَ رِطْلاً، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟ قالَ الخَبَّازُ: نعَمْ. فقَالَ المُشْتَرِي: اخْصِمْ مَا أَخَذْتُهُ منْكَ في مُقابلِ مَالِي عِنْدَكَ، وأعْطِنِي الدِّينَارَ. ولمَّا ارْتفعَ صِيَاحُهُمَا اجْتمعَ النَّاسُ حوْلَهُمَا ورُفِعَتْ قِصَّتُهُمَا إلى الأمِيرِ.

* * *

[سرقة حمار بحيلة عقوق]

وحُكِيَ أنَّ بَعْضَ المُغفَّلينَ كانَ يقُودُ حِمَارًا. فقالَ بعضُ الأذْكِيَاءِ لِرَفِيقٍ لهُ: يُمْكِنُنِي أنْ آخُذَ هٰذَا الحِمارَ ولاَ يَعْلَمُ هٰذَا المُغَفَّلُ. قالَ: كَيْفَ تَعْمَلُ ومِقْوَدُهُ بيَدِهِ؟ فتقَدَّمَ فحَلَّ المِقْودَ وربَطَ رَأْسَهُ فيهِ، وَأشارَ علَى رَفيقِهِ أنْ يَأْخُذَ الحِمارَ ويَهْرُبَ بهِ، ومشَى هُوَ خَلْفَ المُغَفَّلِ والمِقْوَدُ في رَأْسِهِ مُدَّةً منَ الزَّمَنِ، ثمَّ وَقفَ فَجَذَبَهُ فمَا مشَى فالْتفتَ فرَآهُ، فقَالَ: أيْنَ الحِمارُ؟ فقَالَ: أنَا هُوَ، قالَ: وكَيْفَ هٰذَا؟ قالَ: كُنْتُ عَاقًّا لِوَالِدَتِي فمُسِخْتُ حِمارًا، وَلِي هٰذهِ المُدَّةُ في خِدْمَتِكَ، والآنَ قدْ رَضِيَتْ عَنِّي أُمِّي فعُدْتُ آدَمِيًّا.

فقَالَ صَاحِبُ الحِمارِ: لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللّٰهِ، وكَيْفَ كُنْتُ

أَسْتَخْدِمُكَ وأنتَ آدَمِيٌّ؟ قالَ: قدْ كانَ ذٰلِكَ. قالَ: فَاذْهَبْ في أَمَانِ اللّٰهِ، فذَهَبَ ومَضَى المُغَفَّلُ إلى بَيْتِهِ فقالَ لِزَوْجَتِهِ: أعِنْدَكِ الخَبَرُ؟ كَانَ الأمْرُ كذَا وكذَا، وكُنَّا نَسْتَخْدِمُ آدَمِيًّا ولاَ نَدْرِي، فبِمَاذَا نُكَفِّرُ وبِمَاذَا نَتُوبُ؟ فقَالَتْ: تَصَدَّقْ بمَا يُمْكِنُ.

ومضَتْ علَى ذٰلِكَ أيَّامٌ، ثمَّ قالَتْ لهُ زوجَتُهُ: إنَّما شُغْلُكَ تأْجِيرُ الحَمِيرِ، فَاذْهَبْ وَاشْتَرِ حِمَارًا لِتَتَكَسَّبَ منْهُ، فخَرَجَ إلى السُّوقِ، فوَجَدَ حِمَارَهُ يُنَادَى علَيْهِ فتَقَدَّمَ، وجعَلَ فمَهُ في أُذُنِ الحِمارِ، وقالَ لهُ: يَا مَلْعُونُ، عُدْتَ إلَى عُقُوقِ أُمِّكَ.

[نجم التيس]

قالَ مُنَجِّمٌ لِرَجُلٍ: مَا نَجْمُكَ؟ قالَ: التَّيْسُ، فضَحِكَ الحَاضِرُونَ، وقَالُوا: لَيْسَ في النُّجُومِ والكوَاكِبِ تَيْسٌ، قالَ: بلَى، قدْ قِيلَ لِي وأنَا صَبِيٌّ مُنْذُ عِشْرِينَ سنَةً نَجْمُكَ «الْجَدْيُ» فلاَ شَكَّ أنَّهُ صَارَ تَيْسًا مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ.

وكانَ لِبَعْضِ الكُتَّابِ غُلاَمٌ، فخرَجَ الرَّجُلُ لِزِيَارَةِ بَعْضِ أصْدِقَائِهِ، ولمَّا أقْبلَ اللَّيْلُ، طَلَبَ منْ غُلاَمِهِ أنْ يَعُودَ إلى المَنْزِلِ لإحْضَارِ شَمْعَةٍ. فقالَ الغُلاَمُ: إنِّي يَا سَيِّدِي لاَ أجْسَرُ علَى الذَّهَابِ إلى المَنْزِلِ بمُفْرَدِي في هٰذَا الوَقْتِ، فأُحِبُّ أنْ تَقُومَ مَعِي حَتَّى أحْمِلَ الشَّمْعَةَ وَأجِيءَ معَك.

[رجلان يسلبان ٦٠ رجلًا]

وهَجَمَ رَجُلاَنِ علَى قَافِلةٍ فيهَا سِتُّونَ رَجُلاً، فأخَذَا مَالهمْ وثِيابَهُمْ. فقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: كَيْفَ غلَبَكُمْ رَجُلاَنِ وأنتُمْ سِتُّونَ! فقالَ: أحاطَ بنَا وَاحِدٌ، وسَلَبَنَا الآخَرُ، مَاذَا كَانَ يُمْكِنُنَا أنْ نَعْمَلَ؟

وحُكِيَ أنّ بَعْضَ المُغَفَّلِينَ ذهَبَ لِيَشْتَرِيَ بدِرْهَم زَيْتًا، فامْتلأَ الإِنَاءُ الَّذِي كانَ معَهُ، وبَقِيَ بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُّهُ منَ الزَّيْتِ، فسألَهُ البَقَّالُ في أيِّ شَيْءٍ تأْخُذُ البَاقِيَ؟ فقلَبَ الإِنَاءَ، وقالَ في هٰذَا، وأشَارَ إلى كَعْبِ الإِنَاءِ، فطَرَحَ البَقَّالُ

البَاقِيَ في ذٰلِكَ الكَعْبِ، فأخَذَهُ الرَّجلُ وانصَرَفَ، فلَقِيَهُ رَجُلٌ، فقالَ لهُ: بِكَمْ اشتَرَيْتَ هٰذَا الزَّيْتَ! قالَ بدِرْهَمٍ. فقَالَ: هٰذَا القَدْرُ فقَطْ! فقَلَبَ الإِنَاءَ وقالَ: هٰذَا أيْضًا.

وَقالَ قَوْمٌ لغُلاَمٍ: امْلأْ بَيْتَ المَاءِ، فنَقَلَ مَاءً كَثِيرًا وأبْطأَ عليْهِمْ، فخرَجُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْلِبُ اَلمَاءَ في البِئْرِ، فقالَ: كلَّفْتُمُونِي أنْ أمْلأَ هٰذَا، ومَا أظُنُّهُ يَمْتَلِىءُ في شَهْرٍ.

* * *

كانَ رَجُلٌ يَسْكُنُ بجِوَارِ إصْطَبْلٍ، فقالَ لهُ أهلُه: إنّا نَغْسِلُ الثِّيَابَ في السَّطْحِ، فيَطِيرُ بَعْضُهَا إلى الإِصْطَبلِ فلاَ يَرُدُّونَهُ علَيْنَا. فقالَ: إذَا طَارَ لهُمْ شَيْءٌ إلَيْكُمْ فلاَ تَرُدُّوهُ. فقَالُوا: أيُّ شَيْءٍ يَطِيرُ مِنْ أرْضِ الإِصْطَبْلِ إلى سَطْحِنَا! قالَ: قدْ يَطِيرُ لِجَامٌ، رِكَابٌ، فرَسٌ وغيْرُهُ.

ودُعِيَ بعضُ المُغَفَّلِينَ إلى الطَّعَامِ، فاشْتغلَ النَّاسُ بالأكْلِ، وجعَلَ هُوَ يَنْظرُ إلى السُّتُورِ المُعَلَّقةِ، وكانَتِ الحيطَانُ كُلُّهَا قدْ سُتِرَتْ. فقِيلَ لهُ: لِماذَا لاَ تأْكُلُ؟ فقَالَ: وَاللّٰهِ لقَدْ طالَ تَعَجُّبي منْ هٰذِهِ السُّتُورِ الطِّوَالِ، كَيْفَ دخَلَتْ منْ هٰذَا البَابِ القَصِيرِ!

ودخلَ بعضُ المُغَفَّلِينَ علَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ. فلمَّا خرَجَ الْتفَتَ إلى أهْلهِ وقَالَ: لاَ تَفْعَلُوا بِنَا كما فعَلْتُمْ في فُلاَنٍ، مَاتَ وَمَا أعْلَمْتُمُونَا، إذَا مَاتَ فأعْلِمُونَا، حتَّى نُصَلِّيَ عليْهِ.

ودخَلَتْ عَجُوزٌ علَى قَوْمٍ تُعَزِّيهِمْ بمَيِّتٍ، فرَأتْ في الدَّارِ عَلِيلاً. فقَالَتْ: أنَا وَاللّٰهِ لاَ أسْتَطِيعُ أنْ أمْشِيَ كَثِيرًا، فأحْسَنَ اللّٰهُ عَزَاءَكُمْ في هٰذَا العَلِيلِ أيْضًا.

[عائد مريض]

وعَادَ رَجُلٌ مَرِيضًا، فقالَ لهُ: مَا عِلَّتُكَ؟ قالَ: وَجَعٌ في الرُّكْبتَيْن. فقالَ: وَاللّٰهِ لقَدْ قالَ جَرِيرٌ بَيْتًا ذَهَبَ مِنِّي صَدْرُهُ وبَقِيَ عَجزُهُ وهوَ قَوْلُهُ:

* وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ *

فقالَ المَرِيضُ: لاَ بشَّرَكَ اللّهُ بالخَيْرِ، لَيْتَكَ ذكَرْتَ صَدْرَهُ ونَسِيتَ عَجُزَهُ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: دخَلْتُ مَرَّةً على بَعْضِ أصْدِقَائي وفيهِمْ مَرِيضُ العَيْنِ ومَعِي بَعْضُ المُغَفَّلِينَ. فقَالَ لهُ المُغَفَّلُ: كَيْفَ عَيْنُكَ؟ قالَ: تُؤْلِمُني. فقَالَ: وَاللّهِ إنّ فُلاَنًا آلمَتْهُ عَيْنُهُ أيَّامًا ثمَّ ذَهَبَتْ، فاسْتَحَيْتُ وَاسْتَعْجَلتُ الخُرُوجَ.

ومَرِضَ رَجُلٌ فقِيلَ لِزَوْجَتِهِ: ادْخُلِي علَيْهِ لِتُوَدِّعِيهِ، فقالَتْ: أخَافُ أنْ يَعْرِفَني مَلَكُ المَوْتِ.

[هارب من شهر رمضان]

وهرَبَ رَجُلٌ إلى مغَارَةٍ فاخْتَفَى فيهَا فسُئِلَ عنْ سَبَبِ ذٰلِكَ. فقَالَ: هَرَبْتُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

[أريد أن أضحك]

ورُئِيَ رَجُلٌ يُدَغْدِغُ نَفْسَهُ، فقِيلَ لهُ: لِمَ تَفْعَلُ هٰذَا؟ فقَالَ: أشْعُرُ بحُزْنٍ شدِيدٍ، وأُريد أنْ أضْحَكَ قلِيلاً.

وَاشْترَى رَجُلٌ جَوْزًا وجَعَلَ يُقَلِّبُهُ، فأخذَ جَوْزَةً في يَدِهِ فقَالَ: مَا أرَى في جَوْفِهَا شَيْئًا، ثمَّ قالَ: أسْتَغْفِرُ اللّهِ، إنّي أخَافُ أنْ أكُونَ قدِ اغْتَبْتُهَا.

وتَزَوَّجَ رجُلٌ فَتَاةً صَغِيرَةً فسُئِلَ عنْ سَبَبِ ذٰلِكَ، فقَالَ: إنَّما المَرْأةُ شَرٌّ، وكُلَّمَا أقْلَلتَ منَ الشَّرِّ كانَ خَيْرًا.

* * *

[طول اللحية حمق]

وقالَ بعضُهُمْ: كانَ لِي جَارٌ منْ أهْلِ فارِسَ لهُ لِحْيَةٌ مَا رَأيْتُ أطْوَلَ منْهَا قَطُّ. وكَانَ طُولَ اللَّيْلِ يَبْكِي. فنَبَّهَني ذَاتَ لَيْلَةٍ بُكَاؤهُ ونَحِيبُهُ وَهُوَ يَشْهَقُ ويَضْرِبُ علَى رَأْسِهِ وصَدْرِهِ، ويُرَدِّدُ آيَةً منْ كِتَابِ اللّهِ تعَالى. فلمَّا رأيْتُ مَا نزَلَ بِهِ قُلتُ لأسْمَعَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ الَّتِي قتَلَتْ هٰذا الرَّجُلَ وأذْهَبَتْ نوْمِي. فإذَا

الآيةُ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فعَلِمْتُ أنَّ طُولَ اللِّحْيَةِ لاَ يُخْلِفُ الظَّنَّ في حُمْقِ صَاحِبِهَا.

وخَطَبَ أعْرَابيٌّ فَكانَ مِمَّا قالَهُ: إنَّ اللّهَ خلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ فِي سِتَّةِ أشهُرٍ. فَقِيلَ لهُ: في سِتَّةِ أيَّامٍ. فقَالَ: وَاللّهِ أرَدْتُ أنْ أقُولهَا، ولٰكِنْ اسْتَقْلَلْتُهَا.

[ماتوا جميعًا]

وكتبَ رَجُلٌ منَ البَصْرَةِ إلى أبيهِ: كتَبْتُ إليْكَ يَا أبَتِ ونَحْنُ كما يَسُرُّكَ، لمْ يَحْدُثْ لنَا بعْدُ إلاَّ كُلُّ خَيْرٍ، غيْرَ أنَّ حَائِطًا لنَا وقَعَ علَى أُمِّي وأخِي الصَّغِيرِ، وأخْتِي والجَارِيَةِ والحِمارِ وَالدِّيكِ والشَّاةِ فمَاتُوا جَمِيعًا ولَمْ يُفْلِتْ غَيرِي.

[مسخت كلبًا وكفيت حربًا]

وحَكَى بَعْضُهُمْ: كَانَ لِرَجُلٍ سَيْفٌ لاَ فَرْقَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قِطْعَةٍ منَ الخَشَبِ. وكانَ يُسَمِّيهِ «لُعَابَ المَنِيَّةِ». قالَ: فأشْرَفْتُ علَيْهِ لَيْلَةً وقَدْ تقَلَّدَهُ ووَقَفَ علَى بَابِ بَيْتٍ في دَارِهِ، وقدْ سَمِعَ حِسًّا وَهُوَ يَقُولُ: أيُّهَا المُغْتَرُّ بِنَا، والمُجْتَرِىءُ علَيْنَا، بِئْسَ وَاللّهِ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ، خَيْرٌ قَلِيلٌ وسَيْفٌ صَقِيلٌ، لُعَابُ المَنِيَّةِ الّذِي سَمِعْتَ بهِ، مَشْهُورَةٌ ضَرْبَتُهُ. اخْرُجْ بالعَفْوِ عَنْكَ، وَإلاَّ دخَلْتُ بالعُقُوبَةِ عليْكَ، إنِّي وَاللّهِ إنْ أدَعُ قَيْسًا تمْلأُ الفضَاءَ خَيْلاً ورَجْلاً، يَا سُبْحَانَ اللّهِ! مَا أكْثرَهَا وأطْيَبَهَا! ثمَّ فتَحَ البَابَ فإِذَا كلْبٌ قدْ خَرَجَ فقَالَ: الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي مسَخَكَ كَلْبًا وكَفَانِي حَرْبًا.

وقالَ رَجُلٌ اسمُهُ الفَضْلُ بنُ مَرْزُوقٍ لأصْحَابِهِ: أتَدْرُونَ لأيِّ شَيْءٍ كَثُرَ مَالِي؟ قَالُوا: لاَ، قالَ: لأنِّي سَمَّيْتُ نَفْسِي بَيْنِي وبَيْنَ اللّهِ مُحَمَّدًا، وَإذَا كانَ اسمِي عِنْدَ اللّهِ مُحَمَّدًا فمَا أُبَالِي مَا قَالَ النَّاسُ.

[حججت قبل حفر زمزم]

وشَهِدَ رَجُلٌ عندَ بعضِ القُضَاةِ علَى رَجُلٍ، فقَالَ المَشْهُودُ عليْهِ: أيُّهَا القَاضِي، كَيْفَ تَقْبَلُ شهادَةَ رَجُلٍ يَمْلِكُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ومَعَ ذٰلِكَ لمْ يَحُجَّ

إلى بَيْتِ اللّهِ الحَرَامِ؟ فقَالَ الشَّاهِدُ: بَلَى، لقَدْ حَجَجْتُ. قالَ: فَاسْأَلْهُ عنْ زَمْزَمَ. قالَ: حَجَجْتُ قَبْلَ أنْ تُحْفَرَ زَمْزَمُ فلَمْ أرَهَا.

وقيلَ لِبَعْضِ البُلْهِ وكَانَ يتجَنَّبُ الغِيبَةَ: مَا تَقُولُ في إبْلِيسَ؟ فقَالَ: أسمَعُ النَّاسَ يتكلّمُونَ عنهُ كَثِيرًا، واللّهُ أعْلَمُ بِسَرِيرَتِهِ.

وسَرَقَ رجُلٌ مَبْلَغًا منَ المَالِ وتصدَّقَ بهِ، فسُئِلَ في ذٰلِكَ فقَالَ: سِرْقَتي إيَّاهُ سَيِّئَةٌ، وصدَقَتي بهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. فكأنِّي قدْ خَسِرْتُ حسنَةً في مُقَابلِ السَّيِّئَةِ، ويتبَقَّى مَعِي تِسْعُ حسنَاتٍ.

وسُئِلَ بعضُ المشَايخ المُغَفّلِينَ: هلْ حَدَثَ أنْ حَجَّ النَّاسُ في رمَضَان؟ ففكّرَ بُرْهَةً. ثمَّ قالَ: نعَمْ. أظُنُّ هٰذَا حَدَثَ مرَّتَيْنِ.

وقالَ بعْضهُمْ لآخَرَ وكانَ أحْمَقَ: المُسْتَشَارُ مُؤْتمَنٌ وَإنّي أُرِيدُ أنْ أغْسِلَ ثِيَابي غدًا، أفترَى تَطْلُعُ الشَّمْسُ أمْ لاَ؟

وأرادَ رَجُلٌ أنْ يُزَوِّجَ بِنْتَهُ فسُئِلَ: هَلْ هيَ بِكْرٌ أمْ ثَيِّبٌ؟ فقَالَ: لاَ هِيَ بِكْرٌ ولاَ هِيَ ثَيِّبٌ، هيَ بَيْنَ بَيْنَ.

[حلف أن لا يتكلم بالنحو]

وكانَ بسِجِسْتَانَ شَيْخٌ يتعَاطَى النَّحْوَ، وكانَ لهُ ابْنٌ فقَالَ لابْنِهِ: إذَا أرَدْتَ أنْ تتكَلَّمَ بشَيءٍ فَاعْرِضْهُ على عَقْلِكَ وفَكِّرْ فيهِ بجُهْدِكَ حتَّى تُقَوِّمَهُ، ثُمَّ أخْرِجْ الكلِمَةَ مُقَوَّمةً. فبَيْنمَا هُما جَالِسَانِ في بَعْضِ الأيَّام في الشِّتَاءِ والنَّارُ تتَّقِدُ، وقَعَتْ شرَارَةٌ في جُبَّةِ خَزٍّ كانَتْ علَى الأبِ وهُوَ غَافِلٌ والابْنُ يراهُ. فسَكَتَ مُدَّةً يُفكِّرُ ثمَّ قالَ: يَا أبَتِ أُرِيدُ أنْ أقُولَ لكَ شَيْئًا أفَتأْذَنُ لِي فيهِ؟ قالَ: أبُوهُ: إنْ كانَ حَقًّا فتكلمْ. قالَ: أرَاهُ حقًّا. فقَالَ: قُلْ. قالَ: إنِّي أرَى شَيْئًا أحْمَرَ. قالَ: ومَا هُوَ؟ قالَ: شرَارَةٌ وقعَتْ في جُبَّتِكَ. فنظَرَ الأبُ إلى جُبَّتِهِ وقدِ احْترَقَ منْهَا جَانِبٌ كَبِيرٌ. فقَالَ لابْنِهِ: لِمَ لَمْ تُعْلِمْني سَرِيعًا؟ قالَ: فكَّرْتُ فيهِ كما أمَرْتَني، ثمَّ قوَّمْتُ الكلاَمَ وتكلَّمْتُ فيهِ. فحَلَفَ أبُوهُ بالطَّلاَقِ أنْ لاَ يتكلَّمَ بالنَّحْوِ أبَدًا.

الباب الثاني

في خلق الجنّ

روي عن الشيخ عبيد الله صاحب «تحفة الألباب»، أنه قال:

إن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم، وخلق من مارجها[1] خلقاً سماه جاناً، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحِجر: الآية ٢٧] وقال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ١٥]. وقيل: إن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار، والجانَّ من لهبها، والشياطين من دخانها.

وقد جاء في بعض الأخبار أن نوعاً من الجن في قديم الزمان، قبل خلق آدم، كانوا سكاناً في الأرض قد طبقوها براً وبحراً وسهلاً وجبلاً، وكان فيهم الملك والنبوَّة والدين والشريعة. وكانوا يطيرون إلى السماء، ويسلمون على الملائكة، ويستعلمون منهم خبر ما في السماء. وكثرت نعم الله عليهم إلى أن بغوا وطغوا، وتركوا وصايا أنبيائهم، فأرسل الله تعالى عليهم جنداً من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم إلى أطراف البحار وأسروا منهم أمماً كثيرة[2].

قبائل الجن وطرد إبليس

قال المسعودي: إن الفرس واليونان قالوا: كان الجن بالأرض قبائل،

---

(١) المارج: نار بلا دخان.

(٢) المستطرف: ٢/ ١٥٥.

منهم من يسترق السمع، ومنهم من ينطُّ مع لهب النار، ومنهم من يطير، ولكل قبيلة ملك. وكان من جملتهم إبليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افتقروا، وملّكوا عليهم ملوكاً وأقاموا على ذلك مدة طويلة.

ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض، وجرت بينهم وقائع وحروب. وكان إبليس لعنه الله يصعد إلى السماء ويختلط بالملائكة، فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم، وتملك الأرض مدَّةً طويلة إلى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام، واتفق له معه ما اتفق، وأهبط آدم إلى الأرض وعظم شأنه، فعند ذلك انتقل إبليس إلى البحر المحيط وسكن هناك.

وفي الحديث: «إنَّ إبليس لعنه الله قال: يا ربِّ أنزلتني إلى الأرض وطردتني وجعلتني رجيماً، فاجعل لي مسكناً. قال: مسكنك الأسواق. قال: فاجعل لي طعاماً. قال: ما لم يُذكر اسمي عليه. قال: فاجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: فاجعل لي مؤذناً. قال: المزامير. قال: فاجعل لي صيداً. قال: النساء».

من مكايد الشيطان

قيل إنه كان في بني إسرائيل عابد يدعى برصيصا، وله جار له بنت. فحصل لها مرض فقال له جيرانه: لو حملتها إلى برصيصا ليدعو لها. فجاء إبليس إلى العابد، وقال: إنَّ لجارك عليك حق الجوار، وإن له بنتاً مريضة، فما ضرَّك لو جعلتها عندك في جانب البيت، ودعوت لها عقب عبادتك، فعسى أن تشفى من مرضها.

فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد: دعها وٱنصرف. فتركها عنده مدة حتى شفيت. فجاءه إبليس ووسوس له حتى تزوجها فحملت منه. فلما حملت جاءه إبليس لعنه الله فقال له: اقتلها لئلا تفتضح. فقتلها ودفنها.

فعند ذلك ذهب الشيطان إلى أهلها وأعلمهم بالأمر، فجاؤوا إلى العابد

وكشفوا عن قضيته، ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه. فعارضه إبليس في الطريق وقال له:

إن سجدت لي خلَّصتك منهم، فسجد له، فعند ذلك تبرأ منه، ومات الرجل كافراً[١].

المتشيطِنة

وهم أنواع. منهم:

الولهان: قيل أنه كان يوجد في جزائر البحار على صورة الإنسان. حكى بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب، وصاح بهم صيحة عظيمة خرُّوا منها على وجوههم، وأخذ بعض من في المركب.

السعلاة[٢]: يحكى أن بعضهم تزوج امرأة وهو لا يعلم أنها سعلاة، فأقامت عنده مدة وولدت له أولاداً. فلما كانت ليلة صعدت إلى السطح معه فنظرت فرأت ناراً من بعيد عند الجبانة فاضطربت وقالت: ألم تر نيران السعالى وتغير لونها. وقالت: بنوك وبناتك، أوصيك بهم خيراً. ثم طارت ولم تعد إليه.

المذهَّب: وهو يخدم العُبَّاد، ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم. حُكي أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها، فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك. فقال له شخص بالصومعة: إنه المذهَّب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتي. والله إني لأعلم أنه شيطان.

ومن حكاياتهم:

قال بعض المسافرين: ضاع مني غلام فخرجت في أثره فإذا بأربعة

(١) المستطرف: ١٥٦/٢.

(٢) السعلاة: هي الغول؛ الجمع سعالى.

يتناشدون شعر الفرزدق وجرير. قال: فدنوت منهم وسلمت عليهم. فقالوا: ألك حاجة؟ قلت: لا. فقال بعضهم: تريد غلامك؟ قلت: وما أعلمك بغلامي؟ قال: كعلمي بجهلك. قلت: أو جاهلٌ أنا؟ قال: نعم، وأحمق.

قال: ثم غاب عني وأتاني بالغلام مقيداً. فلما رأيته غشي علي. فلما أفقت قال: انفخ في يده؛ ففعلت، فانفرج القيد عنه. وصرت لا أنفخ في شيء من ذلك، ولا في وجع من الأوجاع، إلاَّ برىء وخلص صاحبه.

قيل إن رجلاً اختُطِفَتْ ابنته زمن عمر بن الخطاب. وقال بعض المسافرين: بينما نحن سائرون ذات ليلة إذ عرضَ لي قضاء الحاجة، فانفردت عن رفقتي وضللتُ طريقهم. فبينما أنا سائر في أثرهم إذ رأيت ناراً عظيمة وخيمة فجئت إلى جانبها، وإذا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها، فقالت: أنا فزارة، اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني ههنا. وهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار.

فقلت لها: امضِ معي. قالت: أهلِكْ أنا وأنت؛ فإنه يتبعنا ويأتينا فيأخذني ويقتلك. فقلت: لا يستطيع أخذك ولا قتلي. فأقنعتها بالرحيل معي وسرت بها حتى طلع الفجر.

فالتفتُّ فإذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان في الأرض. فقالت: ها هو قد أتانا! فأنخت ناقتي وخططت حولها خطاً، وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول:

يا ذا الذي للحَيْنِ[1] يدعوه القَدَرْ   خلِّ عن الحسناء رسلاً ثم سِرْ
وإن تكن ذا خبرةٍ فينا اصطبِرْ

قال: فأجبته:

يا ذا الذي للحَيْن يدعوه الحَمَقْ   خلِّ عن الحسناء رسلاً وانطلِقْ
ما أنت في الجن بأول من عَشِقْ

---

(١) الحين: الهلاك.

قال: فتبدَّى لي في صورة أسد. وجاذبتُهُ ساعة، فلم يظفر أحد منا بصاحبه. فلما أيس مني قال: هل لك في جزّ ناصيتي أو إحدى ثلاث خصال. قلت: وما هن؟ قال: مائتان من الإبل، أو أخدمك كل حياتي، أو ألف دينار الساعة، وخلِّ بيني وبين الجارية. فقلت: لا أبيع ديني بدنياي، ولا حاجة لي بخدمتك فاذهب من حيث أتيت.

قال: فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه، وسرت بالجارية إلى أهلها، وتزوَّجتُ بها وجاءني منها أولاد.

قيل: لما سخر الله سبحانه وتعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل: أيها الجن والشياطين، أجيبوا نبيَّ الله سليمان بن داود بإذن الله تعالى. قال: فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والأودية والفلوات والآجام، وهم يقولون: لبيك! لبيك! والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم، حتى حشرت بين يدي سليمان طائعة ذليلة. وكانوا إذ ذاك أربعاً وعشرين فرقة.

فنظر إلى ألوانها فإذا هي: سود، وشقر، ورقط، وبيض، وصفر؛ وخضر وعلى صورة جميع الحيوانات. ومنهم من رأسه رأس الأسد، وبدنه بدن الفيل، ومنهم من له خرطوم وذنب، ومنهم من له قرون وحوافر، وغير ذلك من الأنواع.

عند ذلك تعجب نبيّ الله سليمان من هذه الأشكال وسجد شاكراً الله تعالى وقال: إلهي ألبسني هيبة من عندك.

وجعل يسألهم عن طعامهم وطباعهم وشرابهم وهم يجيبونه. ثم فرَّقهم في الصنائع، من قطع الصخور والأحجار والأشجار، والغوص في البحار، وبناء الحصون، واستخراج المعادن والجواهر(١).

(١) المستطرف: ٢/١٥٧.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: الآية ٣٩].

في ذكر عجائب المخلوقات

قال الشيخ عبيد الله صاحب كتاب «تحفة الألباب»:

دخلت إلى باشقرد[١] فرأيت قبور عاد فوجدت سنَّ أحدهم طوله أربعة أشبار كلوح الرخام، قال: ولقد رأيت في بلغار سنة ٥٣٠ هـ من نسل عاد رجلاً طويلاً، طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعاً كان يسمَّى دنقي أو دبقي. كان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الإنسان الولد الصغير، وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس، ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل.

وكان هذا العملاق قد اتخذ له درعاً تحمل على عجلة، وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل، وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله.

وكان خيِّراً متواضعاً، وكان إذا لقيني يسلم عليَّ ويرحب بي ويكرمني. وكان رأسي لا يصل إلى ركبته، رحمه الله تعالى.

وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار. وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها، وكان اسمه آدم، وكان أقوى أهل بلده. قيل إنها ضمته إليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته[٢].

عَوْج بن عَنَق

وروي أن عوج بن عنق كان من أحسن الناس وأجملهم، إلا أنه كان لا يوصف طوله. قيل: كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه. ويقال إن الطوفان علا على رؤوس الجبال أربعين ذراعاً. وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها

(١) باشقرد: بلاد بين القسطنطينية وبلغار.
(٢) المستطرف: ٢/ ١٥٩.

كما يتخطّى أحدكم الجدول الصغير. وعمَّره الله دهراً طويلاً حتى أدرك موسى عليه السلام. وكان جباراً في أفعاله يسير في الأرض براً وبحراً ويُفسد ما شاء.

ويقال إنه لما حُصِر بنو إسرائيل في التِّيه، ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم، فبعث الله طيراً في منقاره حجر مدوَّر فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه.

وأخبر الله عز وجل موسى بذلك، فخرج إليه وضربه بعصاه فقتله.

ويقال إن موسى كان طوله عشرة أذرع، وعصاه عشرة أذرع. وقفز في الهواء عشرة أذرع، وضرب عوج بن عنق، فلم يصل إلى عرقوبه! ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[1].

عَنَق أمُّ عوج بن عنق

وقيل إن أم عوج اسمها عَنَق بنت آدم عليه السلام. وكانت مفردة بغير أخ. وكانت مشوَّهة الخلقة لها رأسان، وفي كل يد عشرة أصابع، ولكل إصبع ظفران كالمنجلين. وقيل هي أول من بغى في الأرض، وعمل الفجور، وجاهر بالمعاصي، واستخدم الشياطين، وصرفهم في وجوه السحر. وكان قد أنزل الله على آدم أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها، وأمره أن يدفعها إلى حواء لتحترز بها. *فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين*، وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم، وأمنت على ذلك حواء، فأرسل الله عليها أسداً أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها، وذلك بعد ولادتها عوجاً بسنتين.

قومٌ يرون الجنّ

قال ابن الأعرابي:

(١) المستطرف: ٢/١٥٩.

قال لي أعرابي مرةً ـ وقد نزلت عندهم: ما أطيب ماءكم هذا، وأعذى[(١)] منزلكم! قلت: نعم؛ وهو بعيد من الخير كلِّه، بعيدٌ من العراق واليمامة والحجاز، كثير الحيَّات، كثير الجَان. فقلت: أترون الجن؟ قال: نعم، مكانهم في هذا الجبل، وأشار بيده الى جبل يقال له: سُواج، ثم حدَّثني بأشياء[(٢)].

... ويسمعون حِسَّها

قال عبيد بن أوس الطائي في أخت عَديٍّ بن أوس:

هل جاء أوساً ليلتي ونعيمها ومقام أوسٍ في الخباء المشرجِ[(٣)]
ما زلتُ أطوي الجن أسمع حِسَّهم حتى دفعت إلى ربيبة هَوْدَجِ
فوضعت كفيٍّ عند مقطع خصرها فتنفستْ بهراً ولما تنهجِ[(٤)]
فتناولت رأسي لتعرف مسَّهُ بمخضَّبِ الأطراف غير مشنَّج
قالت بعيش أخي وحرمةِ والدي لأنبهنَّ الحي إن لم تخرجِ
فخرجتُ خيفة قومها فتبسَّمتْ فعلمتُ أن يمينها لم تلججِ[(٥)]
فلثمتُ فاها قابضاً بقرونها شربَ النزيف ببردِ ماءٍ مثلج[(٦)]

الجنّ تبني مدينة تدمر

كان أهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان عليه السلام بأكثر مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود. فأما القوارير والحمامات، فذلك مما لا شكَّ فيه. وقال البعيث[(٧)]:

---

(١) عذا البلد عذواً: طاب هواؤه.
(٢) كتاب الحيوان: ٤ ـ ٧/٤١٨.
(٣) الخباء المشرج: الذي ضُمَّت أجزاؤه بعضها إلى بعض.
(٤) تنفست بهراً: انقطع نفسها من الإعياء. ونهج نهجاً ونهيجاً: تتابع نفسه من الإعياء.
(٥) أي لم تكن يميناً كاذبة.
(٦) النزيف: العطشان حتى يبست عروقه وجفَّ لسانه.
(٧) هو خداش بن بشر بن خالد، المعروف بالبعيث المجاشعي. خطيب شاعر، من أهل البصرة. توفي سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥١م.

بنى زيادٌ لذكر الله مصنعةً | من الحجارة لم تعمل من الطين
كأنها غير أن الإنس تعرفها | مما بَنتْ لسليمان الشياطينِ

وقال النابغة الذبياني:

إلا سليمان إذ قال الإلهُ لهُ | قُمْ في البريَّة فاحدُدْها عن الفَنَد[١]
وخَيِّسِ الجنَّ[٢] إني قد أذِنْتُ لهم | يبنون تدمُر بالصفَّاح والعَمَدِ[٣]

الحرقانة

كان وادي الجن من أرض الجوّ حرما عند العرب، لا ينزلونه أبداً، حتى أتى رهط من بني حلوان بن لحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير، فنزلوه. فبينما هم نائمون في جوف الليل إذ سمعوا دويًّا وهينمة، وناداهم مناد: «إنما هذا محرم الرابع وحمى أبرهة».

وأتتهم نار عظيمة فأكلت أموالهم، وأكلت أناساً، فولّوا هاربين، فسمي ذلك الموقع بالحرقانة.

والرابع: هو ملك من الجن تزوَّج ابنتَهُ ـ العَيوف ـ الملكُ أبرهة ذو المنار، فقال له الرابع: أيها الملك، منزلي وادي الجن من أرض جَوّ، (وهي أرض اليمامة اليوم) فتتعرى نساؤنا لرجالكم، ونساؤكم لرجالنا! فقال له أبرهة: أنا أتدبر لك الأمر، أُصدرُ أمراً إليهم وأمنعهم من أن ينزلوا بوادي الجن. وهم لا ينزلون فيه إلى اليوم[٤].

الحيَّة ذات الرأسين

وهي حية تسمّى الزمرّدة تسكن في الرمل ولها رأسان في طرفيها. وهي

---

(١) الفَنَدَ: الباطل.
(٢) خيِّس الجن: ذلّلها وليّنها.
(٣) كتاب الحيوان: ٤ ـ ٧/ ٤١٨.
(٤) بلوغ الأرب: ٢/ ٢٤٣.

من الخفة تضرب بطرفيها. وما أكلت بهذا الرأس ألْقتهُ بالآخر. وتعمى في الليل لأن جميع حيوان الأرض يخاف منها ولا يستطيع عليها لخفتها، ويسري سمُّها في الأبدان كسير البرق في الهواء.

وتقول الأساطير إن الملك أبرهة بن ذي مراثد ـ وكان عند مروره في حنو قراقر بأرض العراق ـ ظهرت الزمردة لجيشه وأضرَّت بعساكره كثيراً. فكان ينام في النهار ويسير في الليل، لأنها هي لا تظهر في الليل. وكان يوقد النيران ليرى الجيش الطريق أمامه. وهو أول منار جُعِلَ في الدنيا. وسمي أبرهة: ذو المنار.

أسماء الغول عند العرب

قال الجاحظ: كانوا يسمون من يجاور منهم الناس «عامراً» والجمع عمار، فإن تعرَّض للصبيان فهو «رَوْح»؛ فإن خبث فهو «شيطان»؛ فإن زاد على ذلك فهو «مارد»؛ فإن زاد على ذلك فهو «عفريت»؛ فإن طهر ولطُف وصار خيراً كله فهو «ملك».

وكانوا يفاضلون بينهم ويعتقدون مع كل شاعر شيطاناً، ويسمونهم بأسماء مختلفة. قال الجاحظ:

وفي النهار ساعات يُرى فيها الصغير كبيراً، أو يوجد لأوساط الفيافي والرمال مثل الدويّ، وهو طَبْع ذلك الوقت.

قال ذو الرمة:

إذا قال حادينا لترنيم نبأةٍ   صهٍ لم يكن إلاَّ دويُّ المسامعِ[1]

عِموا ظلاماً!

ومن هتاف الجن وأشعارهم ما رواه الجاحظ لسمير بن الحارث الضبّي:

(١) النبأة: الصوت ليس بالشديد ولا بالمسترسل.

ونار قد حضأتُ بُعَيْدَ وهنٍ بدارٍ لا أريد بها مقاما[(١)]
سوى تحليل راحلةٍ وعينٍ أكالئها مخافة أن تناما[(٢)]
أتوا ناري فقلت منون أنتم؟ فقالوا الجن، قلت عموا ظلاما[(٣)(٤)]

تغوُّل الغيلان

زعموا أن عمير بن ضُبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهاراً. فوثب غلام منهم فقام على عاتِقَيْ صاحبه، ووثب الآخر فقام على الأعلى منهما. فلما رآهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم، وهم يضحكون. فقال عمير بن ضبيعة: فما مررت بشجرة يومئذٍ إلا وسمعت من تحتها ضحكاً. فلما رجع إلى منزله مرض أربعة أشهر.

وكان العرب يزعمون أن الغول يتغول[(٥)] لهم في الخلوات، ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور، فيخاطبونها، وربما ضيّفوها.

وقال تأبط شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها:

فأصبحتُ والغولُ لي جارةٌ فيا جارتا أنتِ ما أَهْوَلا
وطالبتُها بُضْعَها فالْتوت فكان من الرأي أن تُقتلا
وكنتُ إذا هممتُ اعتزمتُ فَأَحْرِ إذا قلتُ أن أفعلا
فجلَّلْتُها مرهَفاً صارماً أبانَ المرافِقَ والمفصلا
فطار بقحف ابنةِ الجن ذو شقائِقَ قد أخلق المحملا

---

(١) حضأ النار: ألهبها وسعّرها.
(٢) أكالئها: أراقبها.
(٣) مَنون أنتم: من أنتم. وهو من الشاذ.
(٤) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٤١٤ ـ الحيوان ٤/ ٤٨١.
(٥) تغوَّل الأمرُ: تناكر وتشابه، أي أشكل. وتغوّلت المرأة: تشبّهت بالغول في تنكّرها. وتغوّلت الغيلانُ القومَ: ضلّتهم عن المحجّة.

فمـن يـكُ يـسـألُ عـن جـارتـي فـإن لـهـا بـالـلِّـوى مـنـزلا
عـظـاءَةُ قـفـرٍ لـهـا حُـلَّـتـا نِ مـن ورقِ الـطَّـلْـح لـم تُـغـزلا

وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة ويبيت مع الذئاب والأفاعي[١].

حكايات عن الغول

■ رِجْلُ عَنْز:

كانوا يزعمون أن رجلي الغول كرجلي العنز. وكانوا إذا اعترضهم الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون:

يـا رجـلَ عـنـزٍ انـهـقـي نـهـيـقـا لـن نـتـرك الـسـبـب والـطـريـقـا

وقد وصفها أحدهم:

وحافر العنز في ساقٍ مدملجةٍ وجفنِ عمينٍ خلاف الأنس بالطولِ

■ تلوُّن الغول:

وذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي، وأوقات الخلوات، فيتوهمون أنها انسان فيتبعونها، فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها، وتنبههم. وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد. فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال.

وقد ذكر جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب، أنه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام، وأن الغول كانت تتغول له، وأنه ضربها بسيفه، وذلك قبل ظهور الإسلام. وهذا مشهور عندهم[٢].

---

(١) الحيوان: ٦/ ١٦٧. وشرح نهج البلاغة: ١٩/ ٤١٦.
(٢) بلوغ الأرب: ٢/ ٣٤١.

■ غلامٌ من الغيلان:

حكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران، فإذا غلامٌ على الطريق. فقال له: من أنت؟ قال: أنا مسكين قد قُطع بي. فقال أحدهما لصاحبه: أَرْدِفْهُ خلفك. فأردفه. فالتفت الآخرُ إليه فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدَّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مراراً. فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجلدكما! واللَّهِ ما فعلتُها بآدميّ إلا وانخلع فؤاده. ثم غاب فلم يريا أثره[١].

■ تزوج الغول وأولدها بنين:

قالوا إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهراً، فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني. فاني إن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرتُ إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطّى وجهها بردائه فلا تبصره. وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري[٢] في قوله يذكر الإبل وحنينها إلى البرق:

طَرِبْنَ لضوءِ البارق المتعالي ... ببغداد وَهْناً ما لهنَّ وما لي
سمَتْ نحوه الأبصارُ حتى كأنها ... بناريَهْ من هنَّا وثَمَّ صَوَالي[٣]

إلى أن يقول:

إذا لاح إيماضٌ سترتُ وجوهها ... كأنِّيَ عمروٌ والمطيُّ سَعالي
وكم هَمَّ نِضْوي أن يطير مع الصَّبا ... إلى الشام لولا حبسُه بعقالِ

(١) بلوغ الأرب: ٢/ ٣٤١.
(٢) شروح سقط الزند: ١١٦٢ ـ ١١٦٧. ونوادر أبي زيد: ١٤٦.
(٣) من هَنَّا وثَمَّ: من هنا وهناك.

■ غلامٌ من الغيلان:

حكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران، فإذا غلامٌ على الطريق. فقال له: من أنت؟ قال: أنا مسكين قد قُطع بي. فقال أحدهما لصاحبه: أَرْدِفْهُ خلفك. فأردفه. فالتفت الآخرُ إليه فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدَّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مراراً. فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجلدكما! واللَّهِ ما فعلتُها بآدميّ إلا وانخلع فؤاده. ثم غاب فلم يريا أثره[١].

■ تزوج الغول وأولدها بنين:

قالوا إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهراً، فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني. فاني إن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرتُ إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطّى وجهها بردائه فلا تبصره. وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري[٢] في قوله يذكر الإبل وحنينها إلى البرق:

طَرِبْنَ لضوءِ البارق المتعالي ببغداد وَهْناً ما لهنَّ وما لي
سمَتْ نحوه الأبصارُ حتى كأنها بناريَهْ من هنَّا وثَمَّ صَوَالي[٣]

إلى أن يقول:

إذا لاح إيماضٌ سترتُ وجوهها كأنّيَ عمروٌ والمطيُّ سَعالي
وكم هَمَّ نِضْوي أن يطير مع الصَّبا إلى الشام لولا حبسُه بعقالِ

---

(١) بلوغ الأرب: ٢/ ٣٤١.
(٢) شروح سقط الزند: ١١٦٢ ـ ١١٦٧. ونوادر أبي زيد: ١٤٦.
(٣) من هَنَّا وثَمَّ: من هنا وهناك.

قالوا: فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها، فطارت وقالت له وهي تطير:

أمسِكْ بنيكَ عمرو إنيِّ آبِقُ ... بَرْقٌ على أرض السعالي آلِقُ

قال: فبنو عمرو بن يربوع ظلوا يُدعون بني السعلاة، ولذلك قال الشاعر يهجوهم:

يا قبح الله بني السعلاةِ ... عمرو بن يربوع شِرار النَّاتِ

ليسوا بأخيارٍ ولا أكياتِ[١]

ومن شعرهم في الغول، قال تأبَّط شراً:

لهانَ على جُهَيْنَةَ ما أُلاقي ... من الرَّوْعات يوم رَحَا بِطانِ[٢]

لقيتُ الغول تسري في ظلامٍ ... بسهبٍ بالعباءة صَحْصَحَانِ[٣]

فقلتُ لها: كلانا نِقْضُ أرضٍ ... أخو سَفَرٍ فخلّي لي مكاني[٤]

فشدَّت شدَّةً نحوي فأهوى ... لها كفي بمصقولٍ يماني

فقالت: زِدْ فقلتُ رُوَيدَ إني ... على أمثالها ثَبْتُ الجِنانِ

وفي رواية أخرى:

ألا من مبلغٌ فتياتِ جَهْمٍ ... بما لاقَيْتُ عَنَدَ رَحابطانِ

بأني قد لقيتُ الغولَ تلوي ... بمرتٍ كالصحيفة صحصحان[٥]

فصدَّت فأنتحيتُ لها بَعَضْبٍ ... حُسامٍ غير مؤتشبٍ يماني[٦]

---

(١) قوله: «النات» و«أكيات» يريد: «الناس» و«أكياس»، فجعل السين تاء لتكون مع تاء السعلاة. وهذا من عيوب الشعر.

(٢) رحابطان: موضع في بلاد هذيل.

(٣) الصحصحان: ما استوى من الأرض.

(٤) النِّقض: المهزول. وفي رواية أخرى «كلانا نضو دهر» وهما بمعنى واحد.

(٥) المرت: قفر لا نبات فيه.

(٦) العضب: السيف القاطع. وغير مؤتشب: أي صريح في انتسابه إلى بلاد اليمن.

فقدَّ سراتها والبَرْكَ منها فخرَّتْ لليدينِ وللجرانِ[١]
فقالت: ثنِّ قلتُ لها: رويداً مكانك إنني ثَبْتُ الجنانِ
ولم أنفك مضطجعاً لديها لأنظر مصبحاً ماذا دهانيَ
إذا عينان في رأسٍ دقيق كرأس المهر مشقوقِ اللسانِ
وساقا مُخْدِجٍ ولسانُ كلبٍ وثوبٌ من عباء أو شِنان[٢]

وقال بعضهم:

وصار خليلُ الغول بعد عداوةٍ صفياً وربَّتُه القفارُ البسابِسُ[٣]

وقال آخر:

فلله دَرُّ الغول أيُّ رفيقةٍ لصاحبِ قَفْرٍ في المهامِهِ يُذْعَرُ[٤]
أرَنَّتْ بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدت حواليَّ نيراناً تلوح وتزهر[٥]

سَعْدَة بنت جُرْهُم الساحرة

روى محمد بن هشام أن رجلاً قال:

خرجنا أنا وأبي إلى صحراء عدن ـ وكان جدي قد دفن مالاً فيها وأوصى أبي أنه إذا احتاج إلى المال ما عليه إلا أن يأتي إلى موضع كذا من الصحراء.

ولما قعد بنا الدهر سرت مع أبي حتى أصبنا ثلاث روابي متقابلات. فقال لي: لقد اشتبه عليَّ الموضع، وما أدري أي هذه الروابي هي؟ فما رأيك؟

---

(١) سراة الغرس: أعلى متنه. والبرك: الصدر. الجران: باطن العنق. وخرّت لليدين وللجران: أي خرّت على يديها وعنقها، كما تقول: وخرت لليدين وللفم.

(٢) المخدج: التي ألقت ولدها قبل تمام حمله. والشنان: جمع شَنّ، وهو القربة فيها الماء البارد.

(٣) البسابس: الخالية.

(٤) المهامه: المفازات المقفرة والبلاد البعيدة.

(٥) بلوغ الأرب: ٢/ ٣٤٤. وشرح نهج البلاغة: ١٩/ ٤١٥. ومعجم البلدان: ٣/ ٣١.

فقلت له: لا بد من الحفر ان كنت تعلم ان المال في إحداهن. ثم لاح له أمر وعلامة، فقال لي: احفر هاهنا. فحفرت. فكنت إذا حفرت وأعييت حفر مكاني أبي حتى انتهينا إلى بلاطة عظيمة، فحرصنا على قلعها فعجزنا عن قلعها. ثم حفرت الثانية فوصلت إلى بلاطة أخرى. فأعجزتنا. فحفرنا الثالثة فقال لي أبي: ما ترى يا بني؟ قلت له: أنت شيخ كبير لا تستطيع شيئاً، فهل لك أن تخلفني هاهنا وتمضي فتأتي ببعير وعبد من عبيدنا؟

فقال أبي: يا بني، الموضع مهول وأخشى عليك الوحشة وغلظ البلد. قلت له: دع عندي من الشراب والطعام ما يكفيني. وخرج على وجهه، فبات عني ليلتين. فلما كان في الليلة الثالثة، وأنا قائم أصلي، وكنت كثير التلاوة للقرآن، فلم أشعر إلا ورجل جميل الوجه نقيُّ الثياب طيب الريح يمشي وهو يقول:

لولا تلاوتُك القرآنَ ما امتسكت	بالأرض رجلاك فاعلم أيها الرجلُ
في بلدة لعُتاة الجن ماردة	في كل أفق لها من همسها زَجَلُ
لك النصيحةُ عندي وهي واجبةٌ	على ذوي الدين ان لم يسبق الأَجَلُ
فاستوقر[1] اليوم من رزق خُصصتَ به	ولا تَعُدْ راجعاً ينأى بك الأجلُ

قال: فحفظت الشعر. وطلع أبي والعبد معه والبعير، فأخبرته بما كان، وأتينا المكان إلى ما حفرنا أولاً، وقلعنا الحجر فإذا بشيخ يده مغلولة إلى عنقه بغلٍّ من حديد في هامته، وأصبنا عند رأسه ورقة من ذهب عليها كتابةٌ لا نعرفها.

فأخذنا الورقة، وأعدنا البلاطة إلى موضعها، وأهلنا التراب على البلاطة حتى رجعت كما كانت. ثم أتينا البلاطة الثانية، فإذا تحتها عجوز مسودة الذوائب واضعة احدى يديها على رأسها والأخرى على عورتها، وإلى جانبها

(١) استوقِرْ: احملْ حملاً ثقيلاً. وأوقر جمله: حمّله حِملاً ثقيلاً.

كتاب في لوح لا ندري ما هو. فأخذنا اللوح وأعدنا البلاطة وأهلنا التراب.

ثم قلعنا البلاطة الثالثة، فإذا تحتها سرداب دقيق ضيق، فدخلناه فأصبنا خابيتين مكشوفتين فيهما رجلان متقاربة اسنانهما متشابهة، عليهما حلل مرصعة بالذهب ورأينا كتاباً على الجرتين لا نعرف ما هو.

وأصبنا مالاً كثيراً وذهباً وفضة وغير ذلك من الدر والياقوت ما لم يُر مثله قط.

فقال لي أبي: وثقنا بالغنى والحبور. فقلت له: يا أبي، وكيف الخلود مع الفناء! لا خير فيما يفنى، وإن مالنا من هذا قليل في حياة قصيرة؟

وأوقرنا جملنا ثم حملنا نحن ما نستطيع فلم نقدر أن ننهض به. فلم نزل ننقص منه ونريد النهوض، فلم نستطع حتى أخذنا في أيدينا درة وياقوتة فلم نقدر نهوضاً بهما.

فقال لي أبي: أَلقِ ما معك يا بني، فقد أخذنا رزقنا. فعلمنا أننا منعنا غير ما صار إلينا.

وأعتق أبي العبد وكثرت نعمنا ووهب للعبد مالاً جسيماً. وقد حذرناه هو والعامل من أن يعود أحد إلى هذا المكان.

ولكن العبد أخذ لذلك الموضع ما يصلحه، فأخذ معه عونين وسار لأنه يعرف علامات الموضع. فلما نال من الغار توارى عن عَوْنيه ليقضي أربه، وبات عوناه أرقين قد ذعرهما ما يريان من وحشة ذلك الموضع وهوله.

فحدثني العونان قالا: سمعنا في جوف الليل حساً وذعراً وحركة شديدة من ناحية العبد واضطراباً، فجزعنا من القيام إليه لخوف دَاخَلَ قلوبنا.

فلما أصبحنا وجدناه ميتاً في حلقه آثار وفي ثيابه أخداش. فحفرنا له وواريناه وولينا هاربين لئلا يدركنا الليل في ذلك الموضع.

قال: ومكثت الورقة واللوح عندنا سنين لا نجد أحداً يعلم ما فيهما.

فبينما أنا في موضع إذا برجل من أهل نجران من بني الحارث بن كعب، نبيل جميل، وهو يسأل[١]. فقلت له: يا عبد الله إنك لجميل وخليق بالخير فما اضطرك للمسألة؟

قال لي: يا عبد الله الحمد لله الذي أحسن إليك، وأغناك عن خلقه ومنعك عن هذا المقام. وحدثني كيف تغيرت أحواله بعد أن كان من أعز الناس.

قلت له: إنك لفقيه، فما دينك؟ قال: الإسلام. قلت: فهل تقرأ؟ قال: نعم، بثلاثة ألسن. فوقع في نفسي أمر الورقة واللوح فأخرجتهما إليه فإذا هو يقرأ ذلك الكتاب، وإذا هو بالمسند[٢] قد كتب، وأما الشيخ المغلولة يده إلى عنقه والمضروب في رأسه فقد كان عمرو بن لحي أول من غير دين إسماعيل، وعَبَد اللاَّت (الأصنام). وقرأ اللوح الثاني الذي كان مع العجوز فإذا فيه: هذه سعدة بنت جرهم، جلبت السحر من دیناوند وتعلمته، وسحرت سبعة أخوة من خيار جرهم فصيرتهم وحوشاً لا يَقَرُّون[٣] مع الإنس ولا يطمئنون إلى دعة ويرعون مع الوحش كما ترعى. فأتت أمهم إلى نابت بن قيذار بن إسماعيل في الشهر الأصم[٤] فقالت له: يا ولي الله إن سعدة الساحرة أتلفت أولادي عني وما أحوج ما كنت إليهم. فأنا مؤمنة وهي كافرة، فهل أدعو الله عليها؟ فقال لها: افعلي. فقالت: ربِّ إنه الشهر الأصمُّ، حرَّمتُ ما حرَّمتَ فيه، فانتقم ممن لم يُحَرِّمْ حرامك ولم يُحِلَّ حلالك.

قال نابت: اللهم افعل! قال: فأنساها الله السحر، وهتك عنها الستر، ستر الحياء، فما لبست ثوباً حتى ماتت.

---

(١) أي يتسوّل ويطلب الصدقة.

(٢) المسند: خط قديم لحِمْيَر في بلاد اليمن مخالف لخطنا هذا.

(٣) لا يَقَرّون مع الإنس: لا يألفونهم ولا يستقرون بينهم.

(٤) الشهر الأصمّ: هو شهر رجب سمي بذلك لأنهم كانوا لا يتصايحون فيه بحرب.

ورجع السبعة النفر إلى نابت فأعلموه بما كان يتخايل لهم في أعينهم وقلوبهم، فدعا عليها نابت فهلكت وكُفِّنت، فلم تقبلها الأرض حتى غرقت. وذلك مقام الظالمين[١].

قتلتهما الجن
(حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر)

كان حرب بن أمية يوم عكاظ. ويقال إن سبب وفاته أن الجن قتلته. وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمي لإحراقهما شجر القرية وازدراعهما إياها. وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الروايات بذكره، فذكرته والله أعلم.

وذلك أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وأخوته مر بالقَريَّة[٢] وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتفّ لا يرام. فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال: بلى! قال: نعم المزدرع هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك؟ قال: نعم.

فأضرم النار في الغيضة. فلما استطارت وعلا لهبها سُمِع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيَّات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها، وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك:

إني أنتخبت لها حرباً وإخوتَهُ   إني بحبل وثيق العقد دسَّاسُ
إني أُقَوِّمُ قبل الأمر حجَّتهُ   كيما يقال وليُّ الأمر مِرْدَاسُ

قال: فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة:

ويلٌ لحرب فارسا   مطاعناً مخالسا[٣]

---

(١) كتاب التيجان: ص ٢١٧.

(٢) القُريَّة: وهي أربعة مواضع: محلة ببغداد، وموضع في جبل طيىء، وموضع بنواحي المدينة، ومن أشهر قرى اليمامة.

(٣) المخالس: الذي يختلس الطعنة اختلاساً.

ويل لعمرو فارسا إذ لبسوا القوانِسا[(١)]
لتقتلَنْ بقتله جحاجحاً عنابسا[(٢)]

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر أن ماتا. فأمَّا مرداس فدُفِنَ بالقُرية. ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمي، ثم الظَّفري. فقال في ذلك عباس بن مرداس:

أكليب ما لك كل يوم ظالماً والظُّلم أنكد وجهِهِ ملعونُ
قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيدٌ معيونُ[(٣)]

إلى أن يقول:

وافعل بقومك ما أراد بوائل يوم الغدير سمُّيك المطعون[(٤)]
وإخال أنك سوف تلقى مثلها في صفحتيك سنانها المسنون
إن القُرَيَّة قد تبين أمرها إن كان ينفع عندك التبيين
حيثُ انطلقت تخطُّها لي ظالماً وأبو يزيدَ بجوها مدفون[(٥)]

ابن الحمارس والجن

قال شرقي بن القطامي: كان رجل من كلب، يقال له عبيد بن الحمارس، شجاعاً، وكان نازلاً بالسماوة. فلما حسر الربيع وقل ماؤه وأقلعت أنواؤه، تحمَّل إلى وادي تُبَل، فرأى روضة وغديراً، فقال: روضةٌ وغدير، وخطبٌ يسير، وأنا لما حَوَيْتُ مُجير. فنزل هناك وله امرأتان: اسم إحداهما الرباب، والأخرى خولة. فقالت له خولة:

---

(١) القوانس: جمع قونس، وهو بيضة الحديد توضع على الرأس أثناء القتال.
(٢) الجحاجح: الأسياد الكرام. والعنابس: الأسود.
(٣) المعيون: الحسن المنظر في ما تراه العين، ولا عقل له. والذي أصابته عين.
(٤) يشير إلى تحكم كليب وائل بموارد الماء ونفيه بكر بن وائل عنها حتى كان يقتلهم عطشاً.
(٥) أبو يزيد هو مرداس بن أبي عامر.

أرى بلدةً قفراً قليلاً أنيسها ... وإنّا لنخشى إن دجا الليلُ أهلها

وقالت الرباب:

أرتك برأيٍ فاستمع عنك قولها ... ولا تأمَنَنْ جنَّ العزيف وجهلَها

فقال مجيباً:

ألَسَتُ كميّاً في الحروب مُجَرَّبا ... شُجاعاً إذا شَبَّتْ له الحربُ مُحْربا

سريعاً إلى الهيجا إذا حمي الوغا ... فأقسم لا أعدو الغدير منكَّبَا

ثم صعد إلى تُبَلْ، فرأى هشيمة ـ وهي الأنثى من القنافذ ـ فرماها فأقعصها[1]، ومعها ولدها، فارتبطه، فلما كان الليل هتف به هاتفٌ من الجن:

يا ابن الحمارس قد أسأتَ جوارنا ... وركبتَ صاحبنا بأمرٍ مفظعِ

وعقرتَ لَقْحَتَهُ وقُذت فصيلها ... قَوْداً عنيفاً في المنيع الأرفعِ[2]

ونزلت مرعى شائناً وظلمتنا ... والظلم فاعله وخيمُ المرتعِ

فلنطرقنَّك بالذي أوليتنا ... شرٌ يجئك وماله من مَدْفَعِ

فأجابه ابن الحمارس:

يا مدُّعي ظلمي ولستُ بظالِمٍ ... أسمع لديك مقالتي وتسَمَّعِ

أن كنتم جنّاً ظلمتم قنفذاً ... عُقِرَتْ فشرُّ عقيرةٍ في مصرعِ

لا تطمعوا فيما لديَّ فما لكم ... فيما حَوَيْتُ وحُزْته من مَطْمَعِ

فأجابه الجنيّ:

يا ضارب اللَّقْحة بالعَضْب الأفلّ ... قد جاءك الموت وأوفاك الأجلْ[3]

---

(١) قعصه بالرمح، وأقعصه: ضربه ضربة سريعة.
(٢) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. والفصيل: ولد الناقة.
(٣) العضب الأفلّ: السيف القاطع.

وساقك الحَيْنُ الى جنٍّ تُبَلْ فاليوم أقويت وأعيتك الحِيَلْ

فأجابه ابن الحمارس:

يا صاحب اللَّقحة هل أنت بَجَلْ مُستمعٌ مني فقد قلتَ الخَطَلْ[(١)]

وكثرةُ المنطق في الحرب فشلْ هيَّجْتَ قمقاماً من القوم بطلْ[(٢)]

ليثَ لُيوثٍ وإنْ اهَمَّ فَعَلْ لا يَرْهبُ الجنَّ ولا الإنس أجلْ

مَن كان بالعفو من جنِ تُبَلْ

قال: فسمعها شيخ من الجن، فقال: لا والله لا نرى قتل إنسانٍ مِثلَ هذا، ثابت الجنان ماضي العزيمة. فقام ذلك الشيخ وحمِدَ الله ثم أنشد:

يا ابن الحُمارِس قد نزلتَ بلادنا فأصبت منها مشرباً ومناما

فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحنا وأسأت لما أن نطقت كلاما

فاعمد لأمرِ الرُّشْدِ واجتنب الردى إنّا نرى لك حرمةً وذماما

واعزم لصاحبنا لقوحاً متبعاً فلقد أصبت بما فعلت إثاما

فأجابه ابن الحمارس:

الله يعلم حيث يرفع عرشه أني لأكره أن أُصيب إثاما

أما ادّعاؤك ما ادَّعيتَ فإنني جئت البلاد ولا أريد مقاما

فأقمتُ فيها مالنا ونزلتها لأريح فيها ظهرنا أياما

فليغدُ صاحبكم علينا نُعطهِ ما قد سألت ولا نراه غراما

ثم غرِمَ للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها.

وهذه الحكاية وان كانت كذباً إلا أنها تتضمن أدباً. وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وإمتاعها. ويقال أن الشرقي القطامي كان

(١) بَجَلْ: نعم. والخطل: الكلام الفاسد المضطرب.
(٢) القمقام: السيّد الجامع للسيادة.

يصنع اشعاراً وينحلها غيره(١).

عبيد بن أيوب العنبري
رفيق الغول والسعلاة

قال عبيد بن أيوب(٢) - وكان جوّالاً في مجهول الأرض، لمَّا اشتدّ خوفه، وطال تردده، وأبعد في الهرب؛ وكان يكنَّى أبا المطراب أو أبا المطراد:

لقد خفتُ حتى لو تمرُّ حمامةٌ لقلت عدوٌّ أو طليعة معشرِ
فإن قيل أمْن، قلت: هذي خديعةٌ وإن قيل: خوْف، قلتُ: حقاً فشمِّرِ
فلِلَّهِ دَرُّ الغول أي رفيقةٍ لصاحب قفرٍ خائفٍ متنفِّرِ
أرنَّتْ بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدتْ حواليَّ نيراناً تلوح بأزهَر
وأصبحت كالوحشيِّ يتبع ما خلا ويطلب مأنوسَ البلاد المبعثرِ

وقال عبيد بن أيوب أيضاً:

تقول وقد ألْمَمْتُ بالإنس لمَّة مُخَضَّبَةُ الأطراف خُرْسُ الخلاخلِ(٣)
أهذا خليل الغول والذِّئبِ والذي يهيم بربَّات الحجال الهراكلِ(٤)
رأتْ خَلَقَ الأدراس أشعَث شاحباً على الجدب بسَّاماً كريمَ الشمائلِ(٥)
تعوَّدَ من آبائه فتكاتِهم وإطعامَهم في كل غبراءَ شامِلِ(٦)

(١) بلوغ الأرب: ٢/٣٥٦؛ وشرح نهج البلاغة: ١٩/٤٢٢.
(٢) من شعراء العصر الأموي. كان لصاً حاذقاً. أباح السلطان دمه وبريء منه قومه فهرب في مجاهل الأرض واستصحب الوحوش وأنس بها. وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة ويبايت الذئاب والأفاعي.
(٣) ألمّ بالإنس لمَّةً: التقى بهم لقاءً يسيراً.
(٤) الهراكل: جمع هركلة، وهي المرأة الحسنة الجسم والخلق والمشية. وربات الحجال: النساء.
(٥) الأدراس: الثياب الخلقة البالية.
(٦) كتاب الحيوان: ٤ - ٧/٤١٨.

حكاية النُّوْرَة[١]
وتآمر الجن على زواج سليمان من بلقيس

عندما قرر النبي سليمان الزواج من بلقيس، ملكة سبأ، اجتمعت الجن وقالوا: إن هو تزوج منها أتته بولد تجتمع فيه فطنة الإنس والجن وكيد النساء، فلا نصيب راحة ولا نأمن على أنفسنا الهلكة، وينحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر. تعالوا فلنزهّده فيها، فإنه قد ذكر أنه يريد الزواج منها.

فقال عفريت من الجن يقال له زوبعة: أنا أكفيكم سليمان. ثم أتاه فقال: يا نبي الله بلغني أنك تريد الزواج من بلقيس، وأمُّها من الجن، ولم تلد جنيّةٌ من إنسيّ ولداً قط إلا كانت رجله كحافر الحمار وساقه شعراء[٢]، حادَّ النفس حارَّ الجسم. قال سليمان: فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها، وأعلم من غير أن تعلم ما أريد؟

قال زوبعة: أنا أكفيك ذلك. وصنع زوبعة لسليمان قصراً من زجاج أبيض ووضع سريره في صدره، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره. ثم قال زوبعة لسليمان: أرسل في طلبها، فلتدخل عليك فإنك ترى الذي تريد.

فبعث إليها سليمان وهو على كرسيه، ليس في البيت مجلس غيره. فلما رأت الماء والسمك تسبح فيه، حسبته لُجَّة[٣] فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء. فلما رآها سليمان ونظر إلى بياض ساقيها وعليهما شعر كثير أسود، قال لها: لا تكشفي عن ساقيك: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النَّمل: الآية ٤٤]. فنظرت فإذا مُلكها ليس بشيء عند الله ولما سمعت ذلك استترت، وتعجبت منه واستدلَّت به على التوحيد والنبوة. وقالت: يا نبيَّ الله لقد ظهر

---

(١) النُّورة: أخلاط تُضاف إلى الكلس، من زرنيخ وغيره، تستعمل لإزالة الشعر.
(٢) شعراء: كثيرة الشعر.
(٣) اللجَّة: البحر.

الحقُّ وذهب الباطل. ثم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النّمل: الآية ٤٤].

ثم تردَّد سليمان في أمر بلقيس شهراً، فقال له رجل صالح من الجن، كان يحب ما يوافق سليمان: هل كرهتَ منها غير ذاك الشعر؟ قال: كلاًّ! قال: فإني سأجعلها لك مثل الفضة من غير ريب. قال سليمان: وكيف؟ قال: سوف ترى. فصنع لها الجنّيُّ حَمَّاماً ونُوْرَة، وهي كانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام من صنع ذلك الجنيّ[١].

شياطين الشعراء

كان من مذاهب العرب أن لكل شاعر شيطاناً يُلقي إليه الشعر.

قال بعضهم:

إني وإن كنتُ صغيرَ السنِّ ... وكان في العين نُبُوٌّ عنّي
فإن شيطاني أميرُ الجنِّ ... يذهب في الشعر كلَّ فنِّ

وقال آخر:

لقد كان جنّيُّ الفرزدق قُدوةً ... وما كان فينا مثلُ فَحْلِ المخبَّلِ
ولا في القوافي مثل عمروٍ وشيخه ... ولا بعد عمروٍ شاعرٌ مثلُ مِسْحَلِ[٢]

وقال الفرزدق يصف قصيدة له:

كأنها الذهبُ العقيان حبَّرها ... لسانُ أشعرِ خلقِ الله شيطانا

وقال أبو النجم[٣]:

(١) عن كتاب التيجان؛ والتفسير الكبير للرازي: ٢٤/ ١٧٢.
(٢) «عمرو» هو اسم شيطان المخبَّل السعدي. و«مِسْحَل» اسم شيطان الأعشى.
(٣) هو الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم. من أكابر الرجَّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر الأموي. وتوفي سنة ١٣٠ هـ/ ٧٤٧م.

إنـي وكـلٌّ شـاعـرٍ مـن الـبـشـرْ شـيـطـانـهُ أنـثـى وشـيـطـانـي ذَكَـرْ

وقال الأعشى:

دعوتُ خليليَ مِسْحلاً ودعوا له جُهُنَّامَ جَدْعاً للهجين المذمَّمِ[١]

وقال كثيّر[٢] عزَّة:

ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: بينا أنا يوماً نصفَ النهار، أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان[٣]، إذا براكب قد دنا مني حتى صار إلى جانبي. فتأملته فإذا هو من صُفْرٍ[٤]، وهو يجرّ نفسه في الأرض جراً. فقال لي: قُل الشعر؛ وألقاه عليّ. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينُك من الجن. فقلت الشعر بعد ذلك[٥].

■ شيطان حسان بن ثابت الأنصاري[٦]:

قال حسان:

إذا مـا تـرعـرع فـيـنـا الـغـلام فـمـا إنْ يـقـال لـه: مـن هُـوَهْ؟

إذا لـم يَـسُـدْ قـبـل شَـدِّ الإزار فـذلـك فـيـنـا الـذي لاهُـوَهْ

ولـي صاحبٌ من بني الشَّيْصَبان فـطَـوْراً أقـولُ وطـوراً هُـوَهْ

ولهذا الشعر قصة طريفة رواها صاحب «لسان العرب» قال:

الشيصبانُ، والبَلأزُ، الجَلأزُ، والجانُ، والقازُ، والخيتعور: كلها من

---

(١) جُهُنَّام هو تابع أو شيطان الشاعر الذي كان يهاجي الأعشى.

(٢) هو كُثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي. اشتهر بحبّه العذري لعزَّة بنت حُميل الضمرية، وشعره فيها عذب وكثير. توفي سنة ١٠٥ هـ/ ٧٢٣م.

(٣) الغميم وبقاع حمدان: موضعان.

(٤) الصُفر: النحاس.

(٥) الأغاني: ٩/ ٢٤.

(٦) هو حسان بن ثابت الأنصاري؛ الصحابي، شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام.

أسماء الشيطان. والشيصبان أبو حيّ من الجن. قال: وكانت السعلاة لقيت حسان بن ثابت في بعض أزقة المدينة، فصرعته وقعدت على صدره وقالت له: أنت الذي يأمل قومك أن تكون شاعرهم؟ فقال: نعم. قالت: والله لا ينجيك مني إلا أن تقول ثلاثة أبيات على رويّ واحد. فقال حسان هذه الأبيات. وفيها روايات أخرى[١].

■ شيطان الأعشى:

ذكروا أن هاجس الأعشى (أي شيطان شعره) كان اسمه مِسْحَل بن أُثاثة. ويروون عن الأعشى أنه قال:

خرجتُ أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت، فضللت في أوائل أرض اليمن، لأني لم أكن سلكت ذلك من قبل، فأصابني مطر، فرميت ببصري أطلب مكاناً ألجأ إليه. فوقعت عيني على خباء من شعر، فقصدت نحوه وإذا على باب الخباء رجل فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت، فحططت رحلي وجلست، فقال: من أنت؟ وأين تقصد؟

قلت: أنا الأعشى، أقصد قيس بن معد يكرب. فقال: حيّاك الله أظنُّك امتدحته بشعر؟ قلت: نعم. قال: فأنشدنيه. فابتدأت مطلع القصيدة:

رَحَلَتْ سُميَّةُ غُدْوةً أجمالها   غضباً عليك، فما تقولُ بدا لها؟

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال: حسبُك! أهذه القصيدة لك؟ قلت: نعم. فنادى: يا سُمَيَّة اخرجي. وإذا جارية خماسية قد خرجت، فوقفت، وقالت: ما تريد يا أبت؟ قال: إنشدي عمَّك قصيدتي التي مدحتُ بها قيس بن معد يكرب ونسبتُ بك في أولها. فاندفعَتْ تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً. فلما أتمتها قال: إنصرفي، ثم قال: هل قلتَ

(١) لسان العرب: ١/ ٤٩٥.

شيئاً غير ذلك؟ قلت: نعم، كان بيني وبين ابن عم لي ـ يقال له يزيد بن مسهر ويكنَّى أبا ثابت ـ ما يكون بين بني العم، فهجاني وهجوته فأفحمته. قال: ماذا قلت فيه؟ قلت: قلت:

ودِّعْ هريرةَ إنَّ الرَّكب مرتحِلُ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟

فلما أنشدته البيت الأول قال: حسبك! ومن هريرة هذه التي نسبت فيها؟ قلت: لا أعرفها، سبيلها سبيل التي قبلها.

فنادى: يا هريرة! فإذا جارية قريبة السِّن من الأولى خرجت، فقال: انشدي عمَّك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر. فأنشدتها، من أولها آلى آخرها لم تخرم منها حرفاً.

فأُسقط في يدي وتحيرت، وتغشَّتني رعدة. فلما رأى ما نزل بي قال: ليفْرِخْ[1] رُوعك يا أبا بصير! أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر. فسكنت نفسي، ورجعت إليَّ ثم دلني على الطريق، وأراني سَمْتَ مقصدي وقال: لا تَعُجْ[2] يميناً ولا شمالاً حتى تصل بلاد قيس[3].

■ دِعْبل الخزاعي ورجلٌ من الجنّ:

وزعم دِعْبل الخزاعي[4] أن رجلاً من الجن استنشده قصيدته «مدارس آيات خلت». قال:

لما هربت من الخليفة المتوكل العباسي بتُّ ليلة في نيسابور وحدي، وعزمت على أن اعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة. فإني لفي ذلك إذ سمعتُ والباب مردود علي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أنَجُ

---

(١) أفرخ رُوعه: خلا قلبه من الهم.

(٢) عاج: مال وانحرف يميناً أو شمالاً.

(٣) بلوغ الأرب: ٢/ ٣٦٨. وشرح مقامات البديع: ٢٧٣.

(٤) هو دعبل بن علي الخزاعي. شاعر هجَّاء. هجى الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. توفي سنة ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م.

يرحمك الله فاقشعر بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم.

فقال: لا تُرَعْ عافاك الله فإني رجل من إخوانك الجن من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك.

مـدارسُ آيـاتٍ خـلَـتْ مـن تـلاوةٍ ومـنـزلُ وحـي مـقـفـرُ الـعَـرَصـات

فأحببت أن أسمعها منك.

قال: فأنشدته إياها، فبكى حتى خرَّ، ثم قال: رحمك الله ألا أحدِّثك حديثاً يزيد في نيَّتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى. قال: مكثتُ حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرتُ إلى المدينة فسمعته يقول:

«حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ، قال: عليٌّ وشيعتهُ هم الفائزون» قال دعبل:

ثم ودَّعني وانصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان بن عامر[1].

■ عبيد بن الأبرص وشجاع الجنّي:

سافر عبيد بن الأبرص[2] في ركب من بني أسد، فبينا هم سائرون، إذا بحيوان فاتحاً فاه من العطش. وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه غيرها، فنزل فسقى الحيوان حتى رويَ وانتعش، فانساب بالرمل. فلما كان الليل ونام القوم، ندَّت[3] رواحلهم، فلم يُرَ لشيءٍ منهم أثر. فقام كل واحد يطلب راحلته فتفرقوا.

---

(١) الأغاني: ٢٠/ ١٤٣.

(٢) شاعر من دعاة الجاهلية وحكمائها. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. عُمّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر، وقد وفد عليه في يوم نحسه.

(٣) ندَّ البعير: نفر وشرد.

وبينا عبيد كذلك، وقد أَيقن على الهلاك والموت إذا بهاتف يهتف:

أيها الساري المضلُّ مذهَبَهُ　　دونك هذا البكرَ فاركَبْهُ
وبكرُكَ الشاردُ أيضاً فاجنبْهُ　　حتى إذا الليلُ تجنَّى غَيْهَبُهُ[١]
فحُطَّ عنه رحله وسيِّبْهُ

فقال له عبيد: أيها ذا المخاطب، نشدتك الله إلاَّ أخبرتني من أنت؟ فأنشأ يقول:

أنا الشجاعُ الذي ألفَيْتَهُ رَمِضاً　　في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقاد[٢]
فجُدْتَ بالماء لما ظنَّ حامِلُه　　وزدت فيه ولم تبخل بإنكادِ[٣]
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به　　والشرُّ أخبثُ ما أَوْعَيْتَ من زادِ

فركب البكر وأجنب بكره، فبلغ أهله مع الفجر. فنزل وحلَّ راحلته وخلاَّه فغاب عن عينيه، ثم جاء من سَلِم من القوم بعد ثلاثة أيام[٤].

(١) البكر: الفتيّ من الإبل. وجنبه جنباً: قاده إلى جنبه.
(٢) الرمض: الذي احترق جوفه من شدة العطش. ألفيته: وجدته.
(٣) الإنكاد: قلة العطاء.
(٤) الأغاني: ١٩/ ١٧٢.

الباب الثالث

أساطير العرب

كانتِ العربُ تمرُّ في الجاهلية بضعفٍ في التعليل. أعني عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول.

مثلاً: يمرضُ أحدُهُم فيصفون لهُ علاجاً فيفهم نوعاً عاماً من الارتباط بين الداء والدواء، ولكن لا يفهمه فهم العقل الدقيق الذي يتفلسف!

يفهم أن عادة القبيلة أن تتناول هذا الدواء. لذا لا يرى عقله بأساً في أن يعتقد أن دَمَ الرئيس يشفي الكَلَب! أو أن سببَ المرض روحٌ شرير حلَّ فيه فيداويه بما يطردُ هذه الأرواح. أو أنه خِيفَ على الرجل الجنون فنجوه بتعليق الأقذار وعظام الموتى إلى كثير من ذلك.

ولا يستنكر شيئاً لأن القبيلة تفعله. لأن منشأ الاستنكار دقة النظر والقدرة على بحث المرض وأسبابه وعوارضه، وما يزيل هذه العوارض. وهذه الدرجة لا يصل إليها العقل في طوره الأول.

وقد مُلِئَتْ كتبُ الأدبِ بالخرافاتِ والأساطير التي كانت العرب تعتقدها. فهم يحدثوننا عن سدِّ مأرب وسبب خرابه. كان بين ثلاثة جبال تحصر ماء السيل والعيون، وليس للماء مخرج إلاَّ من جهةٍ واحدة، فسدَّ الأوائلُ تلك الجهة بالرصاص والحجارة الصلبة. فكانوا إذا أرادوا سَقْيَ زَرعِهم فَتَحوا من ذلك السدِّ بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة، فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدُّونه إذا أرادوا. ثم يحدثوننا أن سبب خرَابِهِ جُرذان حُمْر كنَّ يحفرنَ السَّد الذي يليها بأنيابها، فتقتلع الحجر الذي لا ينقله

مائة رجل ثم تدفعهُ بمخاليب رجليها حتى تسدَّ الوادي من الناحية التي يجتمع فيها الماء. ويُفتح من ناحية السد. وقد عجزوا عن أن يفهموا أن ليس هناك ارتباط صحيح بين هذه الجرذان الخرافية وخراب السد. وأن السبب الصحيح هو إهمال تعهد السد وصيانته، بحيث لم يعد يقوى على تحمل السيل.

وكذلك قالوا: إن الذي بنى الخورنق هو النعمان بن امرىء القيس. بناه له رجل من الروم يقال له سنِّمار. فلما أتمَّه قال له سنِّمار: إني أعلم موضع آجُرَّة لو زالت لسقط القصر كله. فقال النعمان: أيعرفها غيرك؟ قال: لا قال: لا جَرَم، لأدعنَّها وما يعرفها أحد. ثم أمر بقذفه من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع. فضرب به المثل، وقيل: «جزاه جزاء سنمار».

وقد صدَّق الناس هذه الخرافة مع استحالة تركيز القصر على آجرة واحدة. وكذلك قصة لقمان بن عاد. لما بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها فلما هلكوا خُيِّر لقمان بين أن يبقى بقاء سبع بقرات سمر، من أضبِ عفر، في جبل وعر، لا يمسها قطر.

أو بقاء سبع أنسر، كلما هلك نسر خلف بعده نسر. فكان آخر نسوره اسمه لبد. وقد ذكرته الشعراء، فقال النابغة:

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

ويطول القول عن هذا القبيل في كتب التاريخ، من حوادث تتعلق بالقبائل البائدة: كعاد وجديس وطسم، أو بالحوادث البعيدة عن زمن الهجرة كجذيمة الأبرش والزباء.

ولم يكن هذا شأن العرب وحدهم. بل شاركهم فيه غيرهم من الأمم في طوْرٍ مثل طَوْرهم كاليونان، وأصبحت هذه الأشياء وغيرها موضوعاً لما يسمى «علم المِيثولوجيا».

■ أسطورة شداد بن عاد

حدَّث شيخ من أهل اليمن بصنعاء عام الردة، وكان معمراً عالماً بملوك

بني حمير وأمورها قال: كان باليمن رجل من عاد بن قحطان، وهو عاد الأصغر ـ وأما عاد الأكبر فلم يبق منهم أحد. قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٨] وأن هذا الرجل العادي كان يقال له الهميسع بن بكر، وكان جسوراً لا يهاب أمراً، وكانت الصعاليك تقصده من آفاق الأرض، وكان أكثر طلبه المغاور والكهوف يطلبها في جبال اليمن وعمان والبحرين. فأتاه رجل من عبس وآخر من خزاعة وكانا صعلوكين جسورين فقالا له: يا هميسع خذنا معك أين ما أردت فإنَّا نبلغ مرادك.

فمضى معهما حتى أتى بهما جبلاً وعليه غابة فيها الثعابين لا تُرام، والهميسع أمامهم وكان قد أتى الجبل مراراً وحده، وكان إذا عاين الثعابين يجزع ويرجع. فلما أتى ومعه الصعلوكان جَسَر بهما وتشجع، فلم يزل يتزايا للثعابين وتهرب منه حتى بلغ باب كهف عظيم كأنه جبل، فسمعوا من داخل الكهف دوياً عظيماً وهيمنة، وعلى باب الكهف نقشٌ بالحميري فقالا له: إقرأ يا هميسع. فقرأه. فإذا مكتوب هذين البيتين:

لا يدخل البيت إلاّ ذو مخاطرة أو جاهل بدخول الكهف مغرورُ
إن الذي عنده الآجال حاضرةً موكلٌ بالذي يغشاه مأمورُ

فغلب الخوف والجزع على الخزاعي في أول أمره. ثم إن الجزع غلب أيضاً على العبسي فاستدرك نفسه العبسي وثبت. فقال الخزاعي: يا هميسع قد عاش في الدنيا كثير ممن لم تبلغ نفسه هذا المبلغ. ثم قال له: يا هميسع لقد بعْت نفسكَ من دهرك بأبخس ثمن. فقال الهميسع: نمضي بالكهف أم لا؟ قالا له: نمضي. فسارا قليلاً فوجدا باباً مكتوب عليه بالخط الحميري:

انظر لرحلك لا يساق فإنه حتم الحِمام إلى العرين يساقُ
يا ساكني جبليْ شمام لعله يُدني بما أجنبتما الميثاقُ
قوموا إلى الإنسيّ إن محلَّهُ يدعو إلى يوم الفراق فراقُ

قال: فولى العبسي هارباً عنه، وناداه الهميسع فلم يلتفت له. ومضى

وهو يقول: قاتل الله أخا عاد ما أجسره. قال: فهمَّ الهميسع أن يفر، ولكنه حمل نفسه على الأصعب، ومضى حتى بلغ إلى باب هو أعظم هولاً وأشدُّ وحشيةً وعليه نقش بالقلم الحميري ـ فقرأه الهميسع فإذا فيه:

قد كان فيما قد مضى واعظٌ لنفسك البيِّنة المسمعهْ
إن جهل الجاهل ما قد أتى وكان حيناً قلبه في دَعَهْ

فدخل الباب الثالث فسمع دوياً عظيماً كالرعد وهدَّةً عظيمة، فبينما هو كذلك إذ برز إليه تنين أحمر العينين فاتحاً فاه، فلما رآه الهميسع رجع هارباً إلى خلفه فسكن التنين. فوقف العادي وقال في نفسه: قد رآني، ولو كان حيواناً لم يدعني وما هو إلاَّ طلسم، فأخذ حذره من صدمته ـ وأقبل يمشي قليلاً قليلاً ويُخفف وطأ قدميه، حتى وضع قدمه في موضع فتحرك التنين ودوى.

فأخذ قدوماً كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات. فأجنه الليل فأسرع الخروج من الكهف وجمع حطباً من الغيضة وأضرمها ناراً وبات عند باب الكهف. فلما غشيه الليل سمع بكاءً عظيماً وحنيناً داخل الكهف، فلم يزل ينتظر ويرتقب وينظر حتى نظر إلى نار عظيمة خارجة إليه من داخل الكهف. فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته، فصبر لها فلم تؤلم فيه شيئاً. ثم أتته أخرى ثانية أكبر من الأولى، فصبر لها كذلك. فلما مالت عنه أخذ مقباس النيران التي أضرمها وأقبل يضرب بها حيطان الكهف يميناً وشمالاً حتى سمع نداءً من داخل الكهف يهتف:

يا هميسع لا حاجة لنا في دخولك. فأقام حتى أصبح، فدخل الكهف إلى أن وصل إلى الباب الذي رأى فيه التنين، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه.

وسقط التنين، فسار إليه الهميسع وقلع عينيه. فإذا هما يا قوتتان حمراوان لا قيمة لهما. وسار حتى انتهى إلى باب هو أعظم هولاً وأشدُّ

وحشةً. فلما همَّ أن يفتحه سمع دوياً عظيماً، وبدا له أسد عظيم، فرجع أيضاً إلى خلفه، فرجع عنه الأسد بدويٍّ عظيم. فحفر على موضع حركته كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته، وقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان.

ثم دخل باباً فإذا هو بدار عظيمة، وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب وعليه شيخ على رأسه لوح من ذهب فيه مكتوب:

أنا شداد بن عاد، عشت خمسمئة عام، وقتلت ألف مبارز، وتزوجت ألف امرأة، وركبت ألف جواد من عتاق الخيل. وتحته مكتوب:

من ذاك يا شداد عاد أصبحت ... آماله مهزومة الأقدام
يا من رآني إنني لك عبرةً ... من بعد ملكِ الدهر والأعوام
فكأنني ضيفٌ ترحل مسرعاً ... وكأنني حلم من الأحلام
احذر تصاريف الزمان وريبه ... لا تأمننَّ حوادث الأيام

قال: ثم ملت إلى الركن الذي عن يمينه، فإذا هو سريرٌ من ذهب وعليه جاريتان فوق رأسيهما في الحائط لوح من ذهب. أو قال من عاج - فيه مكتوب:

«أنا حبة، وهذه لبَّة بنت شداد بن عاد. أتت علينا أزمان أنفقنا فيها الطارف والتليد، ثم طلبنا صاعاً من بُرٍّ بصاع من دُرّ فلم نجده. فمن رآنا فلا يثق بالزمان وليكن على بيان، فإنه يُحدث العز والهوان». قال: فأخذ الهميسع الألواح وما بالبيت من درٍّ وجوهر وياقوت وخرج.

لما مات شداد بن عاد صار الأمر إلى أخيه لقمان بن عاد - وكان الله أعطى لقمان ما لم يعط غيره من الناس في زمانه - أعطاه حاسة مائة رجل، وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه[1].

---

(١) كتاب التيجان في ملوك حمير، ص ٧٧ - ٧٨.

■ قصة لقمان بن عاد والنسور السبعة

أُعطي لقمان بن عاد ما لم يُعطه غيره من الناس في زمانه؛ أعطاه الله حاسة وقوة مائة رجل. وكان حكيماً.

كان لقمان بن عاد بعد كل صلاة يدعو بطول العمر، وقد دعا بذلك في الكعبة.

فأتاه صوت وهو في الكعبة: يا لقمان بن عاد، أطلب تُجَبْ. فطلب طول العمر وقال:

«اللهم يا رب البحار الخضر، والأرض ذات النبتِ بعد القطر، أسألك طول العمر، وعمراً فوق عمر».

فنودي: قد أجيبتْ دعوتك، وأُعطيتَ سؤلك، ولا سبيل إلى الخلود، واْختر: إن شئت بقاء سبع بقرات عُفر، في جبل وعْر، لا يمسُّهُنَّ ذُعر. وإن شئتَ سبع نوايات من تمر، مستودعات في صخر، لا يمسُّهُنَّ ندى ولا قطر، وإن شئت سبعة نسور، كلما هلك نسر عقب بعده نسر. فقال: أنا أختار سبعة نسور.

فكان يأخذ فرخ النسر من وكره ويربيه حتى يموت. وكان آخرهم لُبَد.

النسر الأول: المصون

بينما لقمان يدور ذات يوم في جبل قبيس بمكة إذ سمع منادياً لا يرى شخصه، وهو يقول: يا لقمان بن عاد المغرور ببقاء النسور، اطلع إلى رأس «ثبير» لم يأت بعدُ قدرك المقدور.

فطلع رأس ثبير فإذا بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلَّقتا عن فرخيهما، فاختار لقمان أحد الفرخين، ثم عقد في رجليه سيراً ليعرفه وسماه: المصون. ثم قال: المصون الخالص المكنون، من بيت المصون، ومحذور السنون، وغبط العيون، والباقي بعد الحصون، إلى آخر الدهر الخؤون.

فكان لا يغفل عن إطعامه حتى صار طائراً مسخراً له، يدعوه فيجيبه، حتى أدركه الكبر فضعف ومات، فجزع لقمان جزعاً شديداً، وقال: هذا بلاء.

النسر الثاني: عِوَض

كان لقمان بالطائف يبكي نسره مصون، إذ سمع منادياً يناديه: يا لقمان بن عاد دونك البدل، رأس الجبل، مرعى الوعل، رأس السرماج المعتزل، مأمورٌ بطاعتك كالأول.

طلع لقمان إلى رأس الجبل فوق مرعى الوعل، فإذا بوكر نسر فيه بيضتان تفلقتا عن فرخيهما، فاختار أحد الفرخين، فسماه عوض، ثم قال: أنت العوض، المبرأ من تلف العَرَض، وآفات المرض، وتعواج الجرض، وحقك عليَّ أفضل مفترض، أودية كلما عرق نبض.

ولما كبر وأدركه الضعف. دعاه لقمان يوماً تحت شجرةٍ ومعه لحم ليطعمه، فأقبل النسر كاسراً بجوزه غصون الشجر فخر ميتاً. فهال لقمانَ موته هولاً عظيماً.

النسر الثالث: الخلف

كان لقمان بالسراة، فبينما هو سائر حزيناً على نسره عوض، سمع هاتفاً يهتف: يا لقمان بن عاد، اطلع الصفا تجد عند العرتون شرفا، تصادف فيه خلفا، واقبلْ بالحياة نَصَفا.

فطلع لقمان رأس الجبل، فوجد وكر نسر فيه بيضتان تفلقتا عن فرخيهما، فاختار أحد الفرخين، وقال:

أنت الخَلَف، كما وصفك من وصف، احترازاً من التلف، وأبقى مما قد سلف، ولك عندي أفضل النَصَف. وكان يطعمه ويدلله، حتى كبُر وضعف ولم يقدر أن يطير، فصنع له قفصاً كان يأخذه فيه أينما ذهب. وكان مرةً في عكاظ، إذ اجتمع إليه من حضر من العرب وطلبوا إليه أن يريهم

نسره. فبينما هم يقلبونه وينظرون إليه إذ مات النسر في أيديهم وبينهم. فاغتمَّ لقمان لموته وجزع عليه جزعاً شديداً. ويقال إن لقمان هو أول من حمل نسراً في قفص.

النسر الرابع: المغيَّب

وتوجه لقمان إلى جبل قريب وهو حزين على نسره خلف، إذ سمع منادياً ينادي. يا لقمان بن عادٍ، اطلع الجبل. تلق عند السهور[1] ذي الرتب، في تلة العرتون المنتصب، مغيباً لم يغب، من حلول موت قد كتب، على أهل المشرق والمغرب.

فطلع لقمان ذلك الجبل حيث وصَف الذي ناداه، فإذا بوكر نسرٍ فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما، فاختار أحد الفرخين، وسماه مغيباً، ثم قال: أنت المغيَّب، وقد سماك من لا يكذب، عيشك معي العيش المخصب، ويزاح عنك المكدر المخرب، وأنا عليك حدب، في بقائك مرتقب، فكن أبقى ممن ذهب. فكان لقمان لا يغفل عن إطعامه. ودعاه يوماً من رأس جبل فلم يجبه فطلع إليه فوجده ميتاً، فهاله موته هولاً شديداً وبكى بكاءً مرَّاً.

النسر الخامس: ميسرة

لما كان لقمان يبكي على النسر، سمع صوتاً يقول: يا لقمان بن عاد، لك في الجبل الأيسر، بين منبت الشبث والعرعر، فوق الشاهق الأغرَّ، فأخرجه منه واستبشر، فبطاعتك قد أُمر، وإلى الموت يصير البشر. فطلع لقمان فوجد عشاً فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخين، فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه، وسماه ميسرة. ثم قال: أنت الميسر المحبب إليك اليسر، إنك النسر الباقي بقاءَ الدهر. وكان لقمان يطعمه ويربيه، ودعاه يوماً ليطعمه فوجده ميتاً، فهاله موته وجزع جزعاً شديداً.

---

(١) كذا في الأصل.

النسر السادس: أنس

بينما لقمان يبكي على نفسه ذات يوم، لأن ذهاب النسور أنقص من عمره، إذ سمع منادياً يقول: يا لقمان بن عاد، لك الصفا الأسود، حيث الشجر المتلبد، خلصة بيت الرشد، فرخٌ به وفاء الوعد، مأمور بطاعتك فاصعدْ.

فصعد لقمان فوجد وكر نسر فيه بيضتان قد انشقتا وتفلقتا عن فرخيهما، فاختار أحد الفرخين، وسماه أنساً، ثم قال: أنت الأنس، من الروعات والدحس، والدهر غير التعس، وحياتك ببقاء النفس. وكان لقمان لا يعدل عن إطعامه حتى نهض طائراً مسخَّراً له، يدعوه إلى المأكل فيجيبه، حتى كبر وضعف. فبينما لقمان سائراً من الطائف إلى مكة ومعه لحم قد بضعه له، والنسر يحوم فوقه إذ دعاه إلى الأكل، فانقض كاسراً فوقع فمات، فاغتمَّ لقمان غماً شديداً وبكى.

النسر السابع: لُبَد

وبينما لقمان يبكي نفسه، إذ بصوت يناديه يقول: يا لقمان بن عاد، لك فوق الصفا الأسود، حيث الشجر المتلبد، خلصة بيت الرشد، فرخ به وفاء الوعد، مأمور بطاعتك فاصعدْ.

فصعد لقمان فوجد وكر نسرٍ فيه بيضتان قد انشقتا وتفلقتا عن فرخيهما، فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله عقدة، وسماه لُبَد. وقال: أنت لُبَد، الباقي المخلد، إلى آخر الأبد، عيشك معي رغد، ويزاح عنك النكد، ويوفق لك الرشد، وعمرك لا ينفد.

وكان لا يغفل عنه أبداً. وجاء رجل إلى لقمان من عاد الآخرة. فقال: يا عم، ما بقي لك من عمرك إلاَّ هذا النسر. فقال لقمان: يا بني، هذا لُبَد! ولُبَد في لغة العرب معناه الدهر.

فلما دنا أجل لقمان وبلغ الميقات، أقبل ذلك النسر لبد حتى وقع على

شجرة، فدعاه لقمان، فأراد أن يقوم فلم يستطع. فناداه مرعوباً حتى قام تحته وهو يقول: انهض لبد، أنت الأبد، لا يقطع بي الأمد، نهضاً شدد، نهض المجرد، الحارث بن ذي شدد. فلم يطق لبد ان ينهض، وتفسخ ريشة ومات. فهال ذلك لقمان وجاء لينهضه، فاضطربت عروق ظهره وخرَّ ميتاً.

وكان منظرهما هذا بمرأى رجل من العمالقة. يقال له: المثنى بن عمليق ـ والعمالقة سكان السراة والحجاز كلها. فقال وهو يبكي على لقمان ويرثيه:

فنيت وأفنى الله نسلك من نسر ... هلكت وأهلكت من عاد وما تدري
فمن ذا ينجي بعد لقمان فكره ... يخلصه يا قوم من تلف الدهر

وذهب المثنى إلى ناس من قومه العماليق فأخبرهم بأمر لقمان ونسره فانطلقوا ودفنوهما. ويقول ربيعة الكلابي شعراً بذلك:

لما رأى لبُد النسور تطايرتْ ... رفع القوادم كالعقير الأعزلِ
من تحته لقمان يرجو نهضه ... ولقد رأى لقمان ألا يأتلي
ولقد جرى لبدٌ فأدرك شأوهُ ... رب المنون وكان غير مغفلِ
غَلب الليالي خلف آل محرقٍ ... وكما فعلن بتبَّعٍ وبهرقل
وغلبنَ أبرهة الذي ألفيتهُ ... قد كان يخلُدُ فوق غرفة موكل
والحارث الحراب كانت دارهُ ... داراً أقام بها ولم يتحمَّلِ
تجري مواهبه على مَنْ نابَهُ ... جَرْيَ الفرات على قرار الجدولِ

وعاش كل نسر مائة عام، وكان لقمان عاش قبل النسور زمناً ورأى عذاب قوم هود. وكان من وفد عاد الذين ذهبوا إلى مكة ليستسقوا قبل أن يحل بهم العذاب[١].

---

(١) نشرت هذه القصة في مجلة «العربي»، العدد ٣٠٢، سنة ١٩٨٤، بعنوان «المغرور في بقاء النسور». وانظر كتاب التيجان، ص ٣٧٠ ـ ٣٨١.

حكايا عن النبي سليمان

■ قصة العنقاء والنبي سليمان (في القضاء والقَدَر)

عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال: إنك تأتين كذا وتفعلين كذا. فقالت: والله رب السماء والثرى، إنّا لنحرص على الهدى، ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقَدَره. قال سليمان: صدقت. لا حيلة لنا بالقضاء والقدر.

قالت العنقاء: لست أؤمن بهذا. قال لها سليمان: أفلا أخبرك بأعجب العجب؟ قالت: بلى. قال: إنه يولد الليلة غلام في المغرب وجارية من الشرق، هذا ابن ملك وهي بنت ملك، يجتمعان في أمنع المواضع وأهولها على سفاح يقدّر الله تعالى فيهما.

قالت العنقاء: يا نبيَّ الله قد ولدا؟ قال: نعم الليلة. قالت: فهل أخبرتني بهما وما اسمهما يا نبيَّ الله فإني أفرق بينهما وأبطل القدر. قال: إنك لا تقدرين. قالت: بلى. وكفلتها البومة. فأشهد سليمان عليهما الطير.

العنقاء والفتاة:

حلقت العنقاء في الهواء وأشرفت على الدنيا وأبصرت كل بيت حتى أبصرت الجارية تنام في مهدها وفي قصر والديها. فاختطفتها وطارت بها إلى جبل شاهق أصله في جوف البحر وعليه شجرة عالية لا ينالها طائر إلا بجهد. فاتخذت لها وكراً واسعاً. وأرضعتها وحضنتها حتى كبرت. وكانت العنقاء تغدو إلى سليمان كل يوم. ولم تعلم أحداً بذلك.

لقاء الشاب والفتاة:

وبلغ الغلام مبلغ الرجال وكان ملكاً من ملوك الدنيا. وكان يلهو بالصيد ويحبه. فقال يوماً لأصحابه: قد تمكنت من كل صيد البر. فما رأيكم إن

ركبنا البحر فننال من صيده الكثير؟

وركب الملك ومرَّ في البحر يتصيد حتى سار مسيرة شهر. فأرسل الله تعالى على سفينته ريحاً عاصفاً خفيفة ساقتها حتى وصلت بها إلى جبل العنقاء الذي فيه الجارية.

وأصبح الملك فرأى سفينته راكدة. فأخرج رأسه من السفينة، فرأى الجبل ورأى شجرة جميلة أعجبه منظرها.

سمعت الفتاة التي في عش العنقاء صوتاً وجلبة ولم تكن قد سمعت شيئاً من قبل، فأطلت رأسها، فرأى الملك وجهاً جميلاً وشعراً أجمل. فأخذه القلق فناداها: من أنت؟ فأفهمها الله لغته وقالت: لا أدري ما تقول ولا من أنت، إلا أني أراك يشبه وجهك وجهي وكلامك كلامي. وإني لا أعرف إلا العنقاء أمي. فقال لها الملك: وأين أمك العنقاء؟ قالت: في نوبتها. تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتعود في الليل، وتجيء تحدثني عنه، وإنه لملك عظيم.

قال لها: أرأيت إن هاجت الريح وأزعجتك من وكرك فمن يمسكك أن تقعي في البحر؟ قالت: أفزعتني بكلامك. وكيف يكون معي أنسيٌّ مثلك يحدثني ويحميني؟

قال الملك: أولا تعلمين أن الله الذي اتخذ سليمان نبيّاً وسخَّر له الطير والرياح، هو الذي رَحمَكِ وساقني إليك صاحباً وأنيساً وإني ملك من أبناء الملوك.

قالت: كيف تصير إليَّ وأصير إليك؟ قال لها: عندما تأتي العنقاء تكثرين من وحشتك وبكائك. فإذا قالت ماذا تريدين، أخبريها بحديثك. فلما جاءت العنقاء وجدتها حزينة باكية فقالت: ما بك يا بنية؟ قالت: الوحدة والوحشة! فقالت لها: يا بنية لا تخافي سأستأذن سليمان أن آتيه يوماً وأتخلف يوماً.

ثم عاد الملك ثانية، فأخبرته الفتاة بما قالت والدتها العنقاء، فقال لها: سأنحر من دوابي هذه فرساً وأبقر بطنه وأجوفه وأقيره وأدخل فيه وألقيه على رأس السفينة هذه. فإذا جاءت العنقاء فقولي لها: إني أرى عجباً، حلقة ملقاة على هذه السفينة. فلو اختطفتِها وحملتِها إلى وكري هذا فأنظر وأستأنس بها، كان أحب إلي من كينونتك معي وتركك زيارة سليمان. وهكذا لما جاءت العنقاء قالت لها الفتاة ما علمها الملك. فانقضت العنقاء إلى السفينة واختطفت الفرس والملك في جوفها. ففرحت الفتاة، فقالت العنقاء: لو علمت أن هذا يفرحك كنت آتيك به منذ حين. وذهبت العنقاء إلى نوبتها عند سليمان، وخرج الملك من جوف الفرس، وجلس مع الفتاة يلاعبها ويقبلها. وفرح كل واحد منهما بصاحبه.

في مجلس النبي سليمان:

وجاء الخبر إلى سليمان باجتماعهما من قبل الريح ـ وكان مجلس سليمان يومئذٍ مجلس الطير ـ فدعا بعرفاء الطير وأمرهم أن لا يدعوا طائراً إلا حشروه، ففعلوا، وكانت العنقاء بينهم. فأول سهم خرج من تقديم الطير: سهم الحدأة، ثم جاء سهم العنقاء. فسألها سليمان: ما قولك في القَدَر؟

قالت: يا نبيَّ الله إن لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وآتي بالخير. قال لها: وأين شرطك الذي بيني وبينك عن الجارية والغلام؟ قالت: قد فرقت بينهما. قال سليمان: الله أكبر! فائتني بها الساعة والخلق شهود لأعلم تصديق ذلك. وأمر العريف أن لا يفارقها أبداً.

فعادت العنقاء إلى العش. وكان الملك إذا سمع حفيف جناحيها اختبأ بجوف الفرس. ولما وصلت قالت للفتاة: إن سليمان أمرني أن أحضرك لمجلسه. قالت الفتاة. فكيف ستحمليني؟ قالت: على ظهري. قالت: أخاف أن أنظر إلى أهوال البحر فأقع. أدخل في جوف الفرس ثم تحملين الفرس على ظهرك أو في منقارك فلا أر شيئاً ولا أفزع. قالت: أَصَبْتِ!

فدخلت الفتاة في جوف الفرس وحملتها العنقاء وطارت حتى وقفت بين يدي سليمان وقالت: يا نبي الله هذه الفتاة في جوف الفرس. فنظر إليها طويلاً وقال لها: أتؤمنين بقدر الله تعالى وقضائه، وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضاء الله تعالى وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر؟ قالت العنقاء: أؤمن بالله وأقول: أن المشيئة للعباد والقوة. فمن شاء فليعمل خيراً، ومن شاء فليعمل شرًّاً. قال سليمان: كذبت! ما جعل الله من المشيئة إلى العباد شيئاً. ولكن من شاء الله أن يكون سعيداً كان سعيداً، ومن شاء أن يكون كافراً كان كافراً. فلا يقدر أحد أن يرد قضاء الله وقدره بحيلة ولا بفعل ولا بعلم. وإن الولد الذي قد وُلِدَ بالمغرب والجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن وفي مكان واحد على سفاح. وقد حملت منه الجارية ولداً. قالت العنقاء: لا تقل ذلك يا نبي الله فإن الجارية معي في جوف فرسي هذا. قال سليمان: الله أكبر! أين البومة المتكفلة بالعنقاء؟ قالت: ها أنا. قال سليمان: على مثل قول العنقاء أنت؟ قالت: نعم. قال: يا قدر الله السابق قبل الخلق، أخرجهما على قضاء الله وقدره! قال: فأخرجهما جميعاً من الفرس.

أما العنقاء فتاهت وفزعت فطارت في السماء وأخذت نحو المغرب واختفت في بحر من بحار المغرب وآمنت بالقدر وحلفت ألاَّ تنظر في وجه طير ولا ينظر طير في وجهها.

وأما البومة فلزمت الآجام والجبال وقالت: أما بالنهار فلا خروج ولا سبيل إلى المعاش. فهي إذا خرجت نهاراً وبَّخَتْها الطير واجتمعت عليها وقالت: يا قدرية! فهي تخضع لهذا[1].

■ بساط سليمان:

قال الكسائي: كان سليمان إذا ركب الريح تقدم أمام بساطه البعوض ثم

(١) نهاية الأرب: ١٤/٦٦ ـ ٦٨.

الزنابير وكل ما يطير بالهواء ثم الشياطين. وكان إذا أراد أن يركب الريح دعا الرياح الثمانية: الشمال، والجنوب، والصبا، والدَّبور، والصرصر، والعقيم، والكرس، والراكي.

فيبسط بعضها على بعض، ثم يبسط بساطه على هذه الرياح؛ وكان من السندس الأخضر، أخضر البطن أحمر الظهر، أهداه الله تعالى إليه من الجنة، لا يعلم طوله ولا عرضه إلا الله.

وكان سليمان إذا ركبه جعل اللون الأخضر ما يلي الأرض، فإذا رفع الناس رؤوسهم إليه يرونه على لون السماء. وكان يجلس على كرسيه وعن يمينه ويساره القضاة والعلماء والأحبار على كراسي معدة لهم، وهو جالس في وسط البساط والريح في يده. ويتغدَّى ويتعشى على مسيرة شهر. قال الله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ [سَبَأ: الآية ١٢].

■ خاتم سليمان:

قيل أوحى الله إلى جبرائيل أنه قد سبق في علمي أني أملِّك سليمان الدنيا، ليعلم الجن والإنس أني لم أخلق خلقاً هو أفضل من ذريَّة آدم. وأمره أن يأخذ الخاتم من الجنة ويأتيه به. فجاء جبرائيل إلى سليمان ومعه الخاتم وهو يضيء كالكوكب الدري، ورائحته كالمسك، وعليه كتابة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فأعطاه لسليمان وقال له: هنيئاً لك يا ابن داود.

■ حشر الجنّ لسليمان:

قال الكسائي: أمر الله عز وجل جبريل أن يحشر الجن، فنادى: أيتها الجن والشياطين، أجيبوا سليمان بن داود. فاجتمعت الجن وهي تقول: لبيك يا حجة الله فحشرها سليمان طائعة ذليلة تسوقها الملائكة، فوقفت بأجمعها بين يدي سليمان، فنظر في عجائب خلقها وسجد لله شكراً. ثم قام على قدميه والخاتم في إصبعه. فلما نظرت إليه الجن خرَّت ساجدة ثم رفعت رؤوسها

وقالت: يا ابن داود، قد حشرنا إليك وأمرنا بطاعتك. فختم على أكتافهم بخاتمه وجندهم وصفَّد مردتهم بالحديد ولم يتخلَّف إلا صخر الجني، تغيَّبَ في جزيرة.

وفرق سليمان الأعمال عليهم من الحديد والنحاس وقطع الصخور وعمارة القرى والمدن والحصون. قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سَبأ: الآية ١٣][١].

■ خبر الرجل الذي قُبض بأرض الهند

قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام قد سأل الله تعالى أن يريه ملك الموت، فأراه إياه.

وكان يعوده ويأتيه كل خميس. فأتاه في بعض الأيام على صورة البشر، وجعل يطيل النظر إلى رجل في مجلس سليمان حتى أرعب ذلك الرجل. فلما خرج ملك الموت قال الرجل لسليمان: يا نبيَّ الله لقد أفزعني هذا الرجل الذي كان بمجلسك من نظره إليّ، فمن هو؟

قال: هو ملك الموت. قال الرجل: يا نبيَّ الله أسألك أن تأمر الريح أن تحملني إلى أرض الهند. فأمر سليمان الريح فحملته من مجلسه ووضعته بأرض الهند.

ثم جاء ملك الموت إلى سليمان. فقال له: قد كنت اليوم عندي وأنت تنظر إلى ذلك الرجل نظراً سافياً حتى خاف منك.

قال: يا نبيَّ الله إني كنت قد أمرتُ بقبض روحه في موضع من الهند في هذا اليوم. فلما رأيته عندك عجبت متى يصل هذا الرجل إلى الهند، فإذا الريح قد جاءت به فألقته في البقعة التي أمِرتُ بقبض روحه فيها، فقبضت

---

(١) نهاية الأرب: ١٤/ ٩٥.

روحه هناك. فعجب سليمان من ذلك.

■ زوال ملكه أربعين يوماً:

حكى الثعلبي في خبر الفتنة: سمع سليمان عليه السلام أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له «صيدون»، ملكاً عظيم الشأن لم يكن لأحد من الناس عليه سبيل لمكانه في البحر.

فخرج سليمان إلى الجزيرة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وسبى ما فيها.

وأصاب بنت الملك وكان اسمها «جرادة» لم ير الناس أجمل منها، فتزوجها وطلب منها أن تسلم فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة. وقيل: إنه عندما طلب إليها أن تسلم قالت له: إن أكرهتني على الإسلام قتلت نفسي. فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوجها وهي مشركة أربعين يوماً. وكانت تعبد صنماً لها في خفيةٍ عن سليمان، إلى أن أسلمت. فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوماً، لأنه سكن مع امرأة كافرة.

■ صخر الجني:

وجمع سليمان عليه السلام عفاريت الجن والشياطين وأمرهم بإحضار صخر الجني، فقالوا: يا نبي الله إنَّ الله قد أعطاه قوة جماعةٍ منا، ويصعب علينا حمله إليك، وما لنا إلى أمر واحد وهو أنه يأتي في كل شهر إلى عينٍ في جزيرة فيشرب ماءها. والرأي أن ننزف الماء ونملأها خمراً. فإذا جاء وشرب وسكر ذهبت قوته فنحمله إليك.

ثم خرجوا ففعلوا ذلك واختفوا في تلك الجزيرة. فجاء صخر ليشرب فاشتم رائحة الخمر وقال: أيتها الخمرة، إنك لطيبة، غير أنك تسلبين عقلي وتجعلين من الحليم جاهلاً، وأمرك كلُّهُ ندامة. وانصرف ولم يشرب. ثم عاد في اليوم الثاني وقد أجهده العطش فقال: ما من قضاء يأتي من الله إلاَّ كان

مبرماً. ثم نزل على العين فشرب حتى امتلأ، ثم قام ليخرج فسقط، فتبادرت العفاريت إليه ومعهم طابع سليمان، فلما رآه ذلَّ وخضع، فحملوه حتى وقَّفوه بين يدي سليمان وهو يخرج من فمه لهيب النيران، ومن منخريه الدخان.

فلما عاين ضعفت قوته وخر ساجداً على وجهه، رفع رأسه وقال: يا نبيَّ الله ما الذي أحوجك إلي وأنا بعيد عن الآدميين؟ فقال له سليمان: إن الناس اشتكوا من وقع الحديد وصوته على الحجر.

قال صخر: يا نبي الله عليك بوكر العقاب وعشه وبيضه، فليس شيء بالطيور أبصر منه. فأتي به فوضعه في البرية وغطاه بمعدن شديد الصفاء، وضعه على عش العقاب.

وجاء العقاب فلم يجد عشه. فطار في الهواء حتى نظر إلى عشِّهِ في تلك البرية، فانقضَّ عليه وضرب الصفيحة برجله ليكسرها فلم يقدر على ذلك. فطار وتعلق بالهواء وغاب يومه وليلته، ثم أقبل صبيحة اليوم الثاني وفي منقاره قطعة من حجر السامور. فانقضَّ على الجام بذلك الحجر فضربه به، فانشق المعدن نصفين ولم يسمع له صوت. وأخذ العقاب عشه وبيضه، وترك حجر السامور هناك، فأخذه صخر وهو في صفاء المرآة وحرِّ النار.

فدعا سليمان بالعقاب وسأله عن حجر السامور[1] من أين احتمله، فأخبر أنه من جبل شامخ. فبعث سليمان الجن والشياطين فحملوا ما قدروا. فكان يقطع به الأحجار والصخور والجَزْع من غير أن يسمع صوت.

■ الجنيّ يسرق خاتم سليمان:

قال الكسائي: وكان لسليمان جارية اسمها «الأمينة» فكان إذا أراد الدخول إلى الصلاة والوضوء أو إلى الحمام سلَّمَ الخاتم إليها، فإذا اغتسل أخذ خاتمه منها.

---

(١) هو الألماس.

وفي أحد الأيام دخل سليمان وسلَّم خاتمه إلى الأمينة، فجاء صخر الجني بصورة سليمان وأخذ الخاتم من الجارية. ولما صار الخاتم في يده لم يستقر في يده لأنه شيطان، فرماه في البحر، فجاء الحوت بإذن الله فابتلعه. ومضى صخر وهو على صورة سليمان فجلس على كرسيه ومعه الناس وهم يظنون أنه سليمان. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: الآية ٣٤]. قيل: الجسد هو صخر الجني.

لما خرج سليمان من الخلاء، وقد غير الله صورته إلى صورة صخر، فطلب الخاتم، فقالت الجارية: أعوذ بالله منك، قد دفعت الخاتم إلى سليمان. فعلم سليمان أن الله قد أوقع به البلية. فخرج يريد القصر ويقول للناس أنا سليمان فلم يصدقه أحد.

وهام سليمان يدور في الأحياء وهو يقول: إلهي! إني تائبٌ إليك من خطيئتي. فلم يزل كذلك أربعين يوماً لم يطعم شيئاً، ثم وجد قرصة يابسة ملقاة، فأخذها ولم يقدر على أكلها ليُبسها. فأقبل إلى ساحل البحر وقعد يبل القرصة فأخذها الموج من يده. فقال: إلهي رزقتني بعد أربعين يوماً قرصة يابسة، فأخذها البحر من يدي فارزقني فأنت الرزاق الكريم.

وجعل يمشي وهو يبكي، فإذا بصيادين فسألهم شيئاً من الطعام فمنعوه وطردوه وقالوا: انصرف عنا، فما رأينا أوحش من وجهك! إذهب وحق سليمان إنْ قمنا لأوجعناك ضرباً!

قال: يا قوم، أنا والله سليمان. فضربه رجل منهم على رأسه وقال: أتكذب على نبي الله فبكى وبكت الملائكة لبكائه. ورحمه أولئك القوم فناولوه سمكة وأعطوه سكيناً. فشق بطنها لينظفها. فخرج الخاتم من بطنها فلبسه في أصبعه وعاد إليه حسنه وجماله. فسار يريد قصره، وجعل يمر بتلك القرى التي أنكرته. فكل من أنكره عرفه وسجد له. وبلغ ذلك صخراً الجني فهرب. وعاد سليمان إلى قصره واجتمع له الإنس والجن والطير والشياطين

والسباع كما كانوا أول مرة. فبعث العفاريت في طلب صخر فأتوه به. فأمر أن ينقروا له صخرتين وصفده بالحديد وجعله بينهما وأطبقهما عليه، وختم عليه بخاتمه وطرحه في بحيرة طبرية. فيقال: إنه فيها إلى يوم القيامة. ثم أمر الله الرياح أن تحشر له سائر الشياطين فحُشِرَت له. فصفد مَرَدَتهم بالحديد وحبسهم.

■ سليمان يطوف الأرض:

قال الكسائي: ملك سليمان شرق الأرض وغربها وطاف أقطارها حتى انتهى إلى جبل قاف، فوقف هناك ثم قال للريح: هل جريت هاهنا؟ قالت: لا يا نبي الله وإنه لآخر الدنيا وليس وراءه إلا علم الله تعالى. ثم أمر الريح فاحتملته حتى نظر إلى التنين المحدق بالعالم، فسار أياماً على طرفٍ من أطراف الأرض فإذا هو بملك يقول: يا ابن داوود إن هذا التنين محيط بالعالم الذي هو مسيرة خمسمائة عام. ثم ارتفع إلى مستقر الغمام ونظر إلى مجمع القطر، ونزل من هناك الى مسكن الليل والنهار. فإذا هو بملك يقول: اللهم اعط كل منفقٍ خلفاً وكل ممسك تلفاً.

■ سليمان وشجرة الخرّوب:

ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلى الأرض المقدسة. وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوماً. وكان طول سفرته هذه يرى شخصاً بين يديه يسبق كل شيء، فسأله من هو؟ فأخبره أنه ملك الموت، فوقعت عليه الرعدة وتغير لونه وجعل ابنه رحبعم خليفته وأوصى الناس بالسمع والطاعة له.

وأخذ بالصوم والصلاة طول ليله، فإذا أصبح خرج من محرابه إلى روضة هناك فيها نبات حسن يتسلى به.

فخرج في بعض الأيام فرأى نبتاً غريباً لم يكن قد رآه قبل ذلك. فقال: أيها النبت ما أنت؟ قال: أنا الخرنوب الذي لا أنبت في موضع إلاَّ خرّبته.

قال سليمان: فما تصنع هاهنا فلست من نبات هذه الرياض؟ قال: قد أمرت أن أنبت هنا. فعاد سليمان من الغد وهو على حاله وقد زاد نبته. فقال له: ألم آمرك أن تلحق بموضعك من البراري. قال الخروب: يا نبي الله إن هذا الموضع سيخرب عن قريب. فسكت سليمان.

■ ذكر حَشْر الطير لسليمان بن داود

قال الكسائي: لما أتى الله الملك والنبوة لسليمان عليه السلام أحبَّ أن يستنطق الطير فحشرت له. فكان جبرائيل يحشر طير المشرق والمغرب من البر، وكان ميكائيل يحشر طير الهواء والجبال.

نظر سليمان إلى عجائب خلقها، وجعل يسأل كل واحد منها عن مسكنه ومعاشه فيخبره. وكان بين يديه سبعة ألوية من ألوية الأنبياء، يمسكها سبعة من الملائكة.

قال: ولما حشرت الطير له جاءته فوجاً فوجاً، فسلمت عليه الخطَّافة بثلاث لغات وقالت: يا نبي الله أنا ممن اختارني نوح وحملني في السفينة ومنّي تناسل كل خُطَّافة في الدنيا، ودعا لي آدم وقال: إنك تدركين من أولادي من خلافته مثل خلافتي، وتحشر له الطير والوحوش والمردة. فإذا رأيته فأقرأيه مني السلام. ثم قالت له: يا نبي الله إن معي سورة تعجب الملائكة من نورها ما أعطيت لأحدٍ من بني آدم غير أبيك إبراهيم، فإنها نزلت كرامة له يوم أُلقي في النار. فهل لك أن تسمعها مني؟ قال: نعم.

فقرأت سورة ﴿الحمد﴾ حتى بلغت ﴿ولا الضالين﴾. فمدَّت صوتها بآمين، وسجدت، وسجد معها سليمان عليه السلام.

ثم تقدم النسر، وهو يومئذٍ في صورة عظيمة، فقال: السلام عليك يا نبي الله يا ملك الدنيا. ما رأيت مُلكاً أعظم من مُلكك! وإني قد صحبت آدم عليه السلام وساعدته على كثرة حزنه، وأنا أول من علِمَ بهبوطه إلى الأرض.

وكنت معه إلى أن تاب الله عليه. وقال لي: إنه يكون من ذريتي من يُحشر له الطير، فإذا رأيته فأقرئه مني السلام. وقد أديت إليك وديعته. فاصطنعني يا نبيَّ الله فإني عليم بمعادن الأرض وجبالها. ومعي آية عظيمة لا يفتر لساني عنها، وهي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ [النِّساء: الآية ٨٧] .

ثم سجد، فسجد معه سليمان. فلما رفع رأسه جعله سليمان ملكاً على الطيور.

ثم تقدمت العقاب، فوقفت بين يديه وسلَّمَتْ عليه وقالت: يا نبي الله إن خلقي كان أعظم من هذا، ولكن حزني على هابيل يوم قتله قابيل صيرني إلى ما أنا عليه، ولقد توحشت الأرض والجبال يوم قتل، ومعي آية أعطانيها ربي وهي: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: الآيتان ٩، ١٠] ثم قالت له: سلّطني على من شئت فإني قوية سميعة.

ثم تقدمت العنقاء، وهي يومئذٍ شديدة البياض، وصدرها كالذهب الأحمر ووجهها كوجه إنسان، ولها ذوائب، ورجلان صفراوان، ولها تحت جناحيها يدان كل يد فيها ثلاثون إصبعاً. فوقفت بين يديه وسلَّمتْ وقالت: إنَّ الله فضَّلك على كثير من الملوك حين أبرزني إليك بصورتي هذه، فمرني ما شئت. فوالله ما نطقت لأحد إلاً لصفوة الله آدم. فإني وقفت بين يديه وتعجب من حسن صورتي، وقال: ما أشبهك بطيور الجنان!. فمنذ كم خلقك ربك؟ قلت: من ألفي عام. ثم تبخترت بين يديه فقال: أيها الطائر أنك معجبٌ بنفسك وبخلقك، والعجب يهلك صاحبه. لقد فاز المفلحون وخسر المبطلون.

ثم تقدم الغراب، فسلم وقال: يا نبي الله لقد فضلك الله على كثير من ولد آدم، وعلمك ما لم تكن تعلم. وكان فضل الله عليك عظيماً.

وإني كنت أبيض قبل ذلك، فصرت أسود كما ترى، لمَّا سمعتهم

يقولون: اتخذَ الرحمٰن ولدا، وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً. ولقد دعا لي أبوك آدم ونوح بطول. وسمعت أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء وهي: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدّثّر: الآية ٣٨].

ثم تقدمت الحمامةِ فسلمت عليه وقالت: يا نبي الله أنا الحمامة التي اختارني أبوك آدم لنفسه إلفاً وأنيساً، وكنت آنس به وبتسبيحه، وكان إذا ذكر الجنَّة يصيح صيحةً عظيمة ويقول: أتراني أعود إليها؟ وإن لم أرجع إليها لأكوننَّ من الخاسرين.

واعلم يا نبيَّ الله أنه قد علَّمني كلمات حفظتها عنه وهي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين. وقد أقبلت إليك طائعة لأمرك. فمرني بما شئت.

ثم تقدم الهدهد، فسلم عليه وسجد بين يديه وقال: ما أحببت أحداً كما أحببتك يا نبيَّ الله لأني أرى الدنيا ضاحكة لك. وقد أعطاك الله ملكاً عظيماً، فاتخذني رسولاً آتيك بالأخبار وأدلك على مواضع الماء. فقال له: أراك أكْيَسُ الطيور، وأرى فخاخ بني إسرائيل تصطادك، ولا تغني عنك كياستك شيئاً. قال الهدهد: يا نبي الله الحيلة لا تنفع مع القضاء والقدر. قال: صدقت.

■ وادي النمل:

قيل: لما سار سليمان لقصد الغزو مرَّ في طريقه بوادي النمل: (وهو وادي السدير بالطائف) فنظر إليهم فإذا هم يزيدون على مئة ألف كردوس مثل السحاب. فقال سليمان: إني أرى سحابة في الأرض لا أعلم ما هي. فحملت الريح إليه قول النملة كما أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

ونزل سليمان ونزل الناس معه فقال: أتدرون ما هذا السواد؟ هذه أمة من الأمم يقال لها النمل. وأخبرهم بقول النملة، وسجد لله وسجدوا معه.

ودخلت النمل مساكنها زمراً زمراً والنملة تناديهم: الوحا الوحا! فقد وافتكم الخيل. فصاح سليمان وأراها الخاتم، فجاءته خاضعة، فوقفت بين يديه وسجدت ثم قالت: يا نبيَّ الله ما سجدتُ قبلك إلا لأبيك إبراهيم، وها أنا أسجد بين يديك.

قال لها: ما الذي تكلمت به قبل وصولي إليك؟ قالت: يا نبي الله إني رأيتك في موكبك وعسكرك، فناديت النمل أن يدخلوا مساكنهم لئلا يحطمهم جندك. وأنا كمثل غيري من الملوك أريد الصلاح لقومي. فقال لها: كم عددكم وما تأكلون وما تشربون؟

قالت: يا نبي الله لو أمرت الجن أن يحشرونا إليك لعجزوا. وليس على وجه الأرض وادٍ ولا جبل ولا غابة إلا وفي أكنافها مثل سلطانك كراديس من النمل. ولقد خلقنا قبل أبيك آدم وإنا لنأكل رزق ربنا ونشكره. فأمرها أن تعرض النمل عليه فنادتهم، فمرُّوا زمرة زمرة، وسلَّموا عليه بلغاتهم وهو ينظر إليهم. فقالت ملكة النمل:

يا نبيَّ الله مِنَّا في الجبال، ومنَّا ما يأوي قرب المياه والأشجار والزرع وفي الهواء ـ وهي الطيارة ـ فإذا نبتت أجنحتها هلكت واختطفها الطير. والنملة لا تموت حتى تلد كراديس من النمل. وإنها لتجمع في صيفها ما يملأ بيتها وهي مع ذلك تظن أنها لا تشبع. وتسبيحها تسأل ربها أن يوسع عليها الرزق.

قال الثعلبي: اسم النملة التي كلمت سليمان: طاحية.

■ سليمان وملك الموت:

قال سليمان ذات يوم لأصحابه، قد أتاني الله الملك كما ترون، وما مرّ

عليَّ يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر، وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلى الليل ولا أغتم فيه، وليكن غداً. فلما كان الغد دخل قصراً له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه.

ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره واتكأ عليه ينظر في ممالكه، فإذا بشاب حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب قصره فقال: السلام عليك يا سليمان. فقال سليمان: وعليكم السلام؛ كيف دخلت هذا القصر وقد مُنعتَ من دخوله؟ أما منعك البوّاب والحجاب؟ أما هبتني حين دخلت قصري فقال ملك الموت: أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يمنعني بواب، ولا أهاب الملوك، ولا أقبل الرشا، وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن؟ فقال له سليمان: فمن أذِن لك في دخوله؟ قال: ربي! فٱرتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت، فقال له: أنت ملك الموت؟ قال: نعم. قال: فيم جئت؟ قال: جئت لأقبِضَ روحك.

قال: يا ملك الموت، هذا يوم أردت أن يصفو لي وما أسمع فيه ما يغمني. قال له: يا سليمان إنك أردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه، وذلك اليوم لم يُخلق في الدنيا. فٱرضَ بقضاء ربك فإنه لا مردَّ له. فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه.

وبقي سليمان على حالته لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال. فهابوه وما جسروا أن يتقدموا. ولم تزل الأنس والجن والشياطين والوحش والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة. ثم وقعت الأرضة في أسفل العصا؛ فذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سَبَأ: الآية ١٤] فخرَّ سليمان عند ذلك كالخشبة اليابسة. وكانت الجن قبل ذلك تدَّعي علم الغيب وقد قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سَبَأ: الآية ١٤] أي في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان وغير ذلك(١).

■ سليمان وملكة سبأ:

لما أخبر الهدهد النبي سليمان أن في سبأ قوماً تحكمهم ملكة ويعبدون الشمس، كتب إليها كتاباً وأرسله مع الهدهد. فانطلق حتى أتاها وصار بحذاء رأسها وهي على سرير ملكها تنظر إلى الطائر من فوقها فألقى الكتاب في حجرها. فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى إليها الكتاب، فجمعت أهل الرأي وقالت ما ذكر الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النّمل: الآيات ٢٩-٣١] فأجابوها: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النّمل: الآيات ٣٣-٣٥].

فبعثت وفداً أربعين رجلاً من رجالها، وبعثت معهم بمائة وصيفة ووصيف ولدوا في شهر واحد، لهم ذوائب وقصاص، وزي واحد، وختمت على سراويلهم. وبعثت بمائة فرس نتجت في يوم واحد ألوانها واحدة.

وبعثت بحق رصاص فيه من الجوهر والزمرد والياقوت الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، ملحم لا يوصل إليه ولا ينكسر.

وبعثت بخرزة غير مثقوبة، وكتبت إليه: اثقب هذه الخرزة بغير حديد ولا علاج أنس أو جن.

وبعثت إليه بخرزة مثقوبة ثقباً ملتوياً وسألته أن يدخل فيه خيطاً. وقالت

(١) نهاية الأرب: ١٣/ ١٢٥ ـ ١٢٩.

للوفد: ان قبل الهدية فهو ملك من الملوك ويهون علينا محاربته، وإن ردها ولم يقبلها فهو نبي. وقد كتبت إليه كتاباً، فادفعوه إليه واسألوه عما في الحُق، وأن يفصل بين الذكر والأنثى من الوصائف والوصفاء، وان يميز الخيل وأيها نتج قبل صاحبه، وعن الولاء وعن قرابة ما بين ذلك.

فلما قدم الوفد إلى سليمان قرأ الكتاب وقال لعلمائه:

من يميز بين الجواري والغلمان ولا ينزع ثيابهم؟ فأعلموه انه لا علم لهم بهم. واشتد إعجابه بما جاءه من قبلها وشقَّ عليه بعض ما سألته عنه.

وعلمه الله من حكمته، فدعا بالغلمان والجواري، فأمر بطشت فملىء ماء ودعاهم واحداً بعد واحد وقال: اغسلوا أيديكم. فكان الغلمان إذا غسلوا أيديهم حدروا الماء حدراً والجواري يصببن الماء صباً، فميزهم على ذلك.

ودعا بالخيل، فقال: نتجن في يوم واحد. وقال: هذا خال هذا وهذا عم هذا، وهذا ابن عم هذا وابن أخ لهذا.

ثم دعا بالخرزة التي لم تثقب فوضعها بين يديه ثم قال لمن حضر: من يثقبها؟ فتكلمت دودة بين يديه فقالت: يا نبي الله أنا أثقبها على أن تجعل رزقي في الخشب. قال: نعم. فلزمت الدودة الخرزة تثقبها حتى خرجت من الجانب الآخر في ثلاثة أيام، ثم انطلقت لرزقها.

ثم دعا بالحُقّ فحركه، ثم قال: فيه جوهر، عدة الجوهر كذا وكذا، والزمرد كذا وكذا، والياقوت الأحمر كذا، والياقوت الأصفر كذا والأبيض كذا. حتى فرغ من جميع ذلك، والوفد ينظرون.

ثم دعا بالخرزة الملوي ثقبها وقال لمن بحضرته: أيكم يأخذ هذه الخرزة الملوي ثقبها فيدخل فيها خيطاً؟ فاجابته دودة تكون في الصفصاف وقالت: أنا أدخله فيها على أن تجعل رزقي في الخشب. قال سليمان: ذلك لك. فأخذت خيطاً فأوثقته في رأسها ودخلت في الخرزة من ثقبها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم انطلقت إلى رزقها في الخشب.

ثم ان سليمان رد جميع ما أمرت به إليها وقال كما ذكر الله ذلك في كتابه:

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النَّمل: ٣٦، ٣٧].

ثم قال سليمان حين ولى الوفد إليها:

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النَّمل: الآية ٣٨] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النَّمل: الآية ٣٩].

وكان سليمان إذا أصبح جلس بجلسائه مجلساً يقضي فيه بين الناس ويأمرهم بأمره، فلا يزال فيه حتى يؤذيه حر الشمس.

قال سليمان: أريد أعجل من هذا، قال رجل من الإنس، يقال له آصف بن برخيا: قد علمت اسم الله الأكبر، وأنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك.

لما دخلت بلقيس ملكة سبأ على سليمان، تركها ثلاثة أيام، فقال لها قومها: ما تقولين في أمر هذا الرجل؟ أتدخلين في طاعته أم تحاربينه؟ وهل تيقنت أنه نبي؟ قالت: سأعلمكم منه ما تعرفون أهو نبي أم ملك من هذه الملوك ـ انظروا إليه، إذا أنا دخلت عليه فأمرني بالجلوس فهو ملك، فإن الملوك لا يُجلس عندهم إلا بإذنهم ـ وإن لم ينهني ولم يأمرني فإنه نبي. وإني سأسأله عن ثلاثة أشياء لا أشك فيها، فإن أخبرني بها فإنه نبي، وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم به، وإن لم يخبرني فليس بنبي.

فلما دخلت عليه سلمت عليه وحيته بتحية الملوك، ثم قامت بين يديه لا يأمرها بالجلوس ولا ينهاها عن القيام، حتى إذا طال ذلك عليها رفع سليمان رأسه إليها وقال: إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين؛ فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم. قالت: الآن علمت أنك نبي.

■ سليمان والنملة:

روي أن سليمان عليه السلام كان على ساحل البحر ينتظر بعض جنوده فأبصر نملة تحمل حبة حنطة وهي تسعى نحو الماء فتعجب من قصدها الماء مع أنها تهرب منه إن وقعت فيه قهراً. فما أن وصلت إلى شاطىء البحر حتى خرجت ضفدع فدنت من النملة ثم فتحت فاها فدخلت النملة في فيها باختيارها فأطبقت الضفدع فمها وغاصت في البحر وما لبثت إلا برهة يسيرة ثم عادت الضفدع فقفزت إلى البر ثم فتحت فاها فخرجت النملة من فيها وليس معها حبة الحنطة.

فلما نظر سليمان النملة تقدم إليها وسألها عن شأنها مع الضفدع وأين ذهبت معها وكيف أرجعتها وأين وضعت الحبة.

فقالت النملة: اعلم يا نبي الله أنه يوجد في قعر هذا البحر صخرة مجوفة في وسطها دودة عمياء لا تستطيع الخروج منها لطلب المعاش. وقد وكلني الله تعالى برزقها وسخرني مع هذه الضفدع لتأمين معاشها.

فأنا أحمل لها طعامها من البر وهذا الحيوان ينقلني في فمه إليها. فإذا وصل بي إلى الصخرة وضع فمه على ثقبها ثم قذف بي إلى داخلها فأوصل الحبة إلى الدودة فأضعها في فمها ثم أعود إلى البر مع هذا الحيوان.

فدهش سليمان عليه السلام من تلك القصة وزاد تسبيحاً. ثم سألها هل سمعت لها تسبيحاً. قالت: نعم. سمعتها تردد هذا الدعاء:

«يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجة من رزقه، لا تنس عبادك المؤمنين من رحمتك الواسعة».

خطيئة داود

كان داود عليه السلام قسم أيامه ثلاثة أقسام: يوماً للعبادة ويوماً للناس يقضي فيه، ويوماً يخلو فيه بنسائه وأهله. وكان يجد فيما يقرأ من الكتب

فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا رب إن الخير كلَّه ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي!

فأوحى الله تعالى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا لم تُبْتَلَ بها فصبروا عليها. ٱبتُلِيَ إبراهيم بالنمرود وبذبح ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، وابتُلِيَ يعقوب بالحزن على يوسف؛ وأنك لم تبتلَ بشيء من ذلك.

فقال داود: ربّ فابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم. فأوحى الله تعالى إليه: إنك مبتلىً في شهر كذا في يوم كذا فاحترس.

دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور. فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان بصورة حمامةٍ من ذهب، فيها كل الحسن، فوقعت بين رجليه. فمد يده ليأخذها. فلما أهوى عليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها. فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فنظر داود من الكوة فأبصر امرأة في بستان على شطِّ بركة لها تغتسل، وكانت من أجمل النساء خلقاً، فعجب من حسنها. وحانت منها التفاتة، فأبصرته، فنفضت شعرها فتغطى بدنها، فزاده إعجاباً بها. فسأل: من هي؟ قالوا: هي بتشايع بنت سايع، وهي زوجة أوريا بن حنانا. وزوجها في غزاة في البلقاء، بُعِثَ مع أيوب ابن صروية أخت داود.

بعث داود إلى ابن أخته أن أبعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت. وكان كل من قُدِّم قبل التابوت لا يحلُّ له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد. فبعثه أيوب وقدمه فقتل أوريا. فلما انقضت عِدَّة المرأة تزوجها داود؛ وهي أم سليمان.

تزوج عليه السلام بامرأة أوريا، ولم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله عز وجل ملكين في صورة البشر يطلبان أن يدخلا عليه، فوجداه في عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي إلاّ وهما بين يديه جالسان. فذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ

﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١)﴾ [ص: الآيـة ٢١] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: الآية ٢٢] أي تجر ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ أي وسط الطريق. ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣)﴾ [ص: الآيـة ٢٣] قـال داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: الآية ٢٤].

ولما ذهب الرجلان انتبه داود أنه أخطأ؛ فهو له تسع وتسعون زوجة ولأوريا زوجة واحدة. ولما علم داود أنه ابتليَ سجد فمكث أربعين ليلة ساجداً باكياً حتى نَبَتَ الزرع من دموعه، وأكلت الأرض من جبينه، وهو يقول في سجوده: ربَّ داود، زلَّ داود زلَّةً أبعد مما في المشرق والمغرب. ربِّ إن لم ترحم ضعف داوود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعده.

ثم جاء جبرائيل فقال: يا داود إن الله تعالى غفر لك الهم الذي هممت به[1].

النبي موسى وسَحَرة فرعون

رغم أن فرعون وهامان كانا من أمهر السحرة وأنهما بسحرهما استوليا على الناس، فإن فرعون بعث يجمع السحرة لديه وأمرهم بمعارضة موسى عليه السلام في الأجل المضروب. قالوا له: أيها الملك قد علمت أنه ليس في الدنيا أقدر منا على السحر، فإذا كانت الغلبة لنا على موسى فما الذي يكون لنا عندك في الجزاء؟ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٤٢] أدنيكم مني وأشارككم في ملكي. ثم قالوا: وإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أن ما جاء به ليس من السحر ولا حيلة لنا عندئذٍ إلا أن نؤمن به

(١) نهاية الأرب: ١٤/ ٦٥.

ونصدقه. فقال فرعون: إن غلبكم موسى صدقته أنا أيضاً معكم. ولكن أجمعوا كيدكم وحيلتكم. وأخيراً حان يوم الموعد وكان يوم السبت وهو يوم سوق لهم. ووافق أنه أول يوم في السنة عندهم وكانوا يحتفلون به ويتخذونه يوم الزينة ـ وقيل أن المكان كان في الإسكندرية. فاجتمع في الموعد حشود الناس والآلاف المؤلفة، حتى ضاقت بهم البلدة وساحتها. وكان لفرعون تجاه تلك الساحة منصة فوقها قبة من حديد يطل منها على الجموع وينظر إليهم. ولما ارتفع النهار أقبل فرعون في زينته وقد حفت به أشراف قومه، وأشرفوا على الجموع، وأقبل السحرة تحمل ستون بعيراً عصيهم وحبالهم، وامتلأت الساحة بالجموع التي لا تحصى.

ثم أقبل موسى عليه السلام متكئاً على عصاه ومعه أخوه هارون لا غير، حتى انتهى إلى المجتمع الهائل. وبعد أن توقف هنيهه جعل ينظر إلى السماء فهال الناس ذلك وجعلوا يتساءلون عن معناه وأثره. ولما تقابل مع السحرة ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: الآية ٦١].

فازداد السحرة في كلامه رغبة ودهشة. وأخذوا يتناجون بينهم فيقول بعضهم لبعض: ما هذا قول ساحر. ويقول آخرون: إن الرجل ينظر إلى السماء ونحن لم يبلغ سحرنا السماء. فكاد شملهم يتشتت وجمعهم يتفرق. وأبى فريق منهم إلا الجحود والإصرار.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٤٣] ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ [طه: الآية ٦٥].

فأوحى الله تعالى إلى موسى ووعده النصر والغلبة وأمره بإلقاء العصا فقال له: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: الآيتان ٦٨، ٦٩]. فهجم الثعبان بعدما استوى على جميع ما في الميدان مما يراه الناس حيات وأفاعي

وجعل يلتقفها بكل سرعة حتى أتى على آخرها، ولم يترك منها شيئاً أصلاً كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: الآيات ١١٦-١١٨].

ولما ظهر ثعبان موسى عليه السلام واتجه يبلع أفاعي السحرة، انهزمت جموع الناس وأفواج الخلائق هاربين وقد انخلعت أفئدتهم فزعاً ورعباً وتسابقوا إلى الفرار ووطىء بعضهم بعضاً. وانهزم معهم فرعون بمن معه وقد انقطع فؤاده وعزب عقله، خاصة حين اتجه الثعبان نحو الناس بعد أن ابتلع أفاعي السحرة وقصد منصَّة فرعون، فأوحى الجليل إلى رسوله العزيز: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: الآية ٢١].

فتقدم موسى عليه السلام وأدخل يده في فم الثعبان فعاد عصا من خشب عادية. أما السحرة فلما عاينوا ذلك وهم اثنان وسبعون شيخاً من علماء السحرة ورؤسائهم المهرة الذين أفنوا أعمارهم في إتقان مهنتهم. وكان رؤساؤهم أربعة، فأسرعوا فوراً بعدما تبيّن لهم الهدى. ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأعراف: الآيتان ١٢٠،١٢١]. وتبعهم بقية السحرة فآمنوا كلهم، وآمن معهم جمع كثير من الناس وشهدوا لله تعالى بالوحدانية ولموسى وهارون بالنبوة وانصرفت بقية الناس مدهوشين مما شاهدوا يتذاكرون في محافلهم ذلك(١).

حكايا وأساطير عن الإسكندر

استناداً إلى بعض الأوراق من مخطوطة لا نعلم لها عنواناً ولا تاريخاً وهي تتعلق بمواقف غريبة ومفاجآت عجيبة حدثت للإسكندر اضطرته للعودة قسراً وجبراً؛ وهي مفاجآت بعضها عسكري وآخر معنوي، ولعله الأهم.

(١) ماذا في التاريخ، ص ١٢٧ ـ ١٢٩.

وحتى نفهم القصة لا بد من التذكير، بأن الهند والصين كانتا في زمان الإسكندر وحتى قرون طويلة بعده تشتمل كل منهما على ممالك عديدة، وهما ما زالتا حتى اليوم لم تستكمل أي منهما وحدتها القومية التامة. وذلك لأسباب أهمها سلطة الاستعمار أو عملائه. والآن فلنقرأ قصة الإسكندر في الشرق.

■ قصة الإسكندر وملك الهند:

تقول القصة: روي عن الملك الإسكندر أنه اخضع الملوك حتى انتهى إلى مطلع الشمس من العمران. فبلغه أن بأقصى أرض الهند ملكاً ذا حكمة وديانة، قاهراً لقوته الغضبية، زاهداً في الدنيا وشهواتها، يتحلى بكل خُلق كريم ومنقبه رفيعة. فأرسل له الإسكندر كتاباً يقول فيه: إذا وصلك كتابي وكنت واقفاً فلا تقعد أو كنت ماشياً فلا تجلس حتى تأتيني، وإلا مزقت ملكك وألحقته بمن مضى.

فكتب إليه ملك الهند الجواب بأحسن خطاب، ولقبه بملك الملوك العادلة، وأخبره أن عنده أربع هدايا ليست موجودة عند أحد من ملوك الأرض.

الأولى: ابنته التي لم تطلع الشمس على أجمل منها منظراً.

الثانية: قدح إذا ملأته ماءً شرب عسكرك كله ولم ينقص منه شيء.

الثالثة: طبيب لا يعجزه مرض إلا مرض الموت.

الرابعة: فيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأل عنه. ثم قال: إني لمهدِ هذه الهدايا إلى ملك الملوك إذا عفَّ عن هذا المطلب.

فلما وصل كتاب الملك للإسكندر قلق قلقاً عظيماً لهذه الهدايا وأرسل أربعة من الحكماء يستقصون صدقها فيأتون بها.

فلما وصل الحكماء إلى عند ملك الهند، أخذ يباحثهم في العلم

والهندسة والكيمياء وعلم النجوم وما أشبه ذلك، حتى ملأ صدورهم حكمة. وبعد أن استضافهم لثلاثة أيام خيّرهم في البقاء أو الرجوع، فاختاروا الرجوع حسب أمر الملك لهم. فلما برزت ابنة الملك عليهم ما وقع نظر أحد منهم عليها إلا علق بها.

لما وصلوا إلى الإسكندر، وكان من أعظم الملوك هيبة وشهرة، وما إن نظر إلى ابنة الملك حتى شغف بها شغفاً عظيماً وأمر بإنزالها مع حرمه، ثم أمر بالقدح فشرب منه وسقى عساكره فلم ينقص منه شيء. وهو قدح أبينا آدم عليه السلام، وهو مضروب من الخواص الروحانية. ثم شاهد من الطبيب ما بهر عقله، وأمر بإنزال الفيلسوف في دار الضيافة. فبعث إليه مع خادمه قدحاً مليئاً بالسمن وأمره أن لا يكلمه البتة. . . فأخذ الفيلسوف القدح وتأمله بحدقتيه وبصيرته، وتناول إبراً كثيرة وأغرزها في السمن حتى أصبح وجه السمن كالقنفذ وأرجعها إلى الإسكندر.

فأخذ الإسكندر الإبر وذوبها وجعلها كالكرة وأرجعها للفيلسوف، فلما وصلت إلى الفيلسوف بردخها وطرقها وأزال درنها حتى أصبحت كالمرآة وأعادها للإسكندر.

فلما وصلت إلى الإسكندر وضعها في طاسة ماء حتى رسبت، وأرسلها إلى الفيلسوف. فلما وصلت إلى الفيلسوف كوَّرها حتى طافت على وجه الماء وأعادها إلى الإسكندر.

فلما وصلت للإسكندر ثقبها وملأها تراباً وأرجعها للفيلسوف. فلما وصلت إليه دمعت عيناه وتغير لونه وأرجعها على حالها. فأمر الإسكندر بمثوله بين يديه.

فلما مثل بين يديه حياه بتحية الملوك، فنظر إليه الإسكندر، وتأمله فوضع الفيلسوف اصبعه على أنفه. فقال له الإسكندر: لماذا وضعت يدك على أنفك؟

فأجابه الفيلسوف: لأنك لما نظرت إلي وتأملتني فكرت أن حكمة هذا الشاب ليست على قدر صورته، فوضعت اصبعي على أنفي لأخبرك أنه كما أن الأنف زائد على الوجه، كذلك أنا ليس في بلاد الهند مثلي. أما خطر ببالك هكذا؟ قال الإسكندر: صدقت أيها الرئيس.

ثم قال له الإسكندر:

والأن اجلس أيها الفيلسوف وأخبرني عن معنى ما جرى بيني وبينك من المراسلة. فقال له:

أيها الملك، لقد بعثت لي قدحاً مليئاً بالسمن، تخبرني أنك قد امتلأت من الحكمة كما امتلأ هذا القدح بالسمن. فلا يزاد عليه شيء كما لا يزاد على حكمتك شيء، فأخذت الإبر وغرزتها في السمن لأعلمك أن عندي من لطائف الحكمة ما يخرق حكمتك كما تخرق الإبر السمن.

فأخذت الإبر وجعلتها كرة، لتخبرني أن نفسك من قتل الأعداء وسفك الدماء صارت كهذه الكرة.

فأخذتها وبردختها حتى صارت كالمرآة لأخبرك أنك بالتوبة إلى الله تعالى تتجوهر نفسك وتنصقل حتى تصير مثل هذه المرآة فتشرف على الموجودات بصفائها وقوة صقلها. فوضعتها في طست ماء لتخبرني أن الأيام والليالي قد عجزت عن ذلك، فكورتها حتى طافت على وجه الماء لأخبرك أنه في الوقت القصير قد يجري بها أكثر مما جرى لها في الوقت الطويل.

فثقبتها وملأتها تراباً لتخبرني بالموت. فأنا أخضع مثلك للموت ولا أغيره. ضاق عند ذلك صدر الإسكندر وذهب هائماً على وجهه حتى وصل الى وادٍ وفي ذلك الوادي غار مهجور.

فدخل فيه، وإذا بتقدير العزيز الحكيم موجود في ذلك الغار ملك محنط مسجى في نعشه، عن يمينه مفاتيح خزائنه ولوح نحاس مكتوب فيه: بهذا ملكناه». وعلى يساره لوح نحاس مكتوب فيه: «وبهذا تركناه».

■ حكمة من الصين:

وهذه قصة أخرى لا تقل في عبرتها عن الأولى تدلنا على عظمة الشرق وغناه بالنبالات العظيمة والنفوس السامية والعقول النيِّرة.

قيل إن الإسكندر لما أصبح قريباً من بلاد الصين وشعرت ملوكها بالخطر، أتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل جانب فقال له: إن رسول ملك الصين يستأذن بالدخول عليك.

قال له: مرهُ بالدخول. فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض أمامه وطلب أن يخلي له المجلس.

فأمر الإسكندر أن ينصرف من بحضرته. ثم أمر أن يفتشوه ـ ولم يعلم أنه ملك الصين ـ فلم يجدوا معه شيئاً من السلاح.

فلما خلي لهما المكان قال له: أنا ملك الصين وقد حضرت بين يديك لأسألك عما تريده مني. فإن كان مما يمكن الانقياد إليه ولو كان بأصعب الوجوه جئت به إليك واستغنيت عن حربك.

فقال الإسكندر: ما الذي أمكنك مني وأهجمك عليّ؟ قال: لعلمي أنك رجل عاقل، وليس بيني وبينك عداوة، ولعلمي أن أهل مملكتي متى قتلتني لا يسلمونك أمرهم، ولا يمنعهم ذلك من تنصيب أحد أولادي ملكاً عليهم ثم ينسبونك إلى الجهل وقلة الحزم.

فأطرق الإسكندر مفكراً ثم رفع رأسه إليه وقد تبين صدقه. وقال له: أريد منك ارتفاع مالك لثلاث سنوات، ثم نصف ارتفاعه كل سنة. فقال له ملك الصين: وهل تريد غير هذا؟ قال: لا. قال: قد أجبتك. فقال الإسكندر: وأنا رفعت عنك ذلك لأجل مجيئك. فشكره وانصرف.

لما أصبح الصباح وطلعت الشمس إذا بجيشٍ يحيط بجيش الإسكندر فتواثب رجال الإسكندر إلى خيولهم. فبينما هم كذلك، إذا بملك الصين قد

أقبل وهو راكب على فيل عظيم، وعلى رأسه التاج. فلما وصل قبالة الإسكندر ترجل ومشى إليه، وقبل الأرض بين يديه. فقال له الإسكندر: لقد غدرت بي! ما هذا الجيش العظيم الذي جئت به؟ قال ملك الصين: أردت أن أعلمك أني أطعتك لا لقلة ولا لذلة. وأن الذي غاب من جيشي أكثر بكثير مما هو حاضر منه. وعلمت أن من حارب الإله قهر وغلب. فأردت طاعته بطاعتك.

ثم قدم للإسكندر هدايا وتحفاً أضعاف ما كان يأمله الإسكندر، فقبلها وهو معجب بحكمته وحسن سياسته.

■ **ملكة صينية:**

هذه القصة بطلتها ملكة لبيبة. قيل إنه لما توغل الإسكندر في أطراف الأرض سمعت به ملكة إحدى مقاطعات الصين، فاحضرت عندها من يحسن الرسم وأمرته أن يرسم لها الإسكندر. فرسمه على البسط والأواني والحيطان وهي تنظر إلى رسومه حتى استقرت في نفسها صورته.

فلما أصبح الإسكندر على أطراف بلدها، قال لأحد مستشاريه. أريد أن أدخل هذا البلد متنكراً لأرى كيف أمره وأمر ملكته. فقال له مستشاره: افعل ما تريد.

فدخل متنكراً إلى عاصمة المملكة، ونظرت إليه الملكة من حصنها فعرفته بالصورة التي عندها.

فأمرت بإحضاره. فلما مثل بين يديها وتأكدت منه، أمرت أن يؤخذ فيترك يومين بلا أكل ولا شرب حتى كادت قوته تسقط وروحه تزهق واضطرب العسكر لغيبته.

فلما كان اليوم الثالث. مدت الملكة سماطاً طوله مئة ذراع ووضعت عليه آنية من الذهب وضروب الجواهر وأنواع التحف وما في ذلك شيء يؤكل أو يشرب.

وأمرت أن يوضع في آخر السماط رغيف خبز وقدح ماء في أحد زوايا السماط. فأتى إليها وأكل الرغيف وشرب الماء، ثم رجع وجلس في مكانه. فخرجت الملكة إليه وقالت له: ما أصدَّ عنك الذهب ولا الجواهر غائلة الجوع وصائدة العطش. وقد أغناك عن كل هذا ما قيمته درهم واحد. فمالك وللتعرض إلى أموال الناس، وأنت بهذه المثابة؟ فقال: لك ملكك وبلادك، ولا بأس عليك بعد اليوم.

■ ما قيل عند نعش الإسكندر:

من أنفس العبارات التي قيلت فوق نعش الإسكندر عند التأبين، قول أحد الحكماء:

قد كان هذا الملك يخزن الذهب. واليوم هو خزين فيه.

وقال آخر: كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت، فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت؟!

وقال أفلاطون الثاني: أيها الساعي المتوثّب، لقد جمعت ما خذلك. فلما تولى عنك لزمتك أوزاره، وعاد على غيرك جناه وثماره.

وقال ميلاطوس: خرجنا إلى الدنيا جاهلين، وأقمنا فيها غافلين، وفارقناها كارهين[١].

■ أسطورة بناء الإسكندر لمدينة الإسكندرية

ذكر أن الإسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء، حتى انتهى إلى موضع الإسكندرية، فوجد في موضعها آثار بناء عظيم، وعمداً كثيرة من الرخام، في وسطها عمود عظيم كتب عليه بالقلم المسند ـ وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد: «أنا

---

(١) سر الأسرار، ص ٤٤ وما بعدها.

شداد بن عاد، شددت بساعدي البلاد، وقطعت عظيم العماد، من الجبال والأطواد، وأنا بنيت إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وأردت أن أبني هاهنا كإرم، وأنقل إليها كل ذي إقدام وكرم، من جميع العشائر والأمم، وذلك إذ لا خوف ولا هرم، ولا اهتمام ولا سقم. فأصابني ما أعجلني، وعما أردت قطعني، مع وقوع ما أطال همّي وشجني، وقلَّ نومي وسكني، فارتحلت بالأمس عن داري لا لقهر ملك جبار، ولا لخوف جيش جرار، ولا عن رهبة ولا عن صغار، ولكن لتمام المقدار، وانقطاع الآثار، وسلطان العزيز الجبار. فمن رأى أثري، وعرف خبري، وطول عمري، ونفاذ صبري، وشدة حذري، فلا يغترَّ بالدنيا بعدي، فإنها غرَّارة، تأخذ منك ما تعطي وتسترجع ما تولي». وكلام كثير يُري فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها.

نزل الإسكندر متفكراً، يتدبر هذا الكلام ويعتبره. ثم بعث فجمع الصناع من البلاد، وخط الأساس، وحشد العمد والرخام، وأتته المراكب بأنواع الرخام، وأنواع المرمر من جزيرة صقلية، وبلاد إفريقية وأقاصي بحر الروم مما يلي مصبه. وحمل إليه أيضاً من جزيرة رودس.

لما بنيت الإسكندرية وشيدت، أمر الإسكندر أن يكتب على أبوابها: «هذه الإسكندرية أردت أن أبنيها على الفلاح والنجاح، واليمن والسعادة والسرور، والثبات في الدهور، فلم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومفني الأمم أن نبنيها كذلك، فبنيتها وأحكمت بنيانها، وشيدت سورها، وآتاني الله من كل شيء علماً وحكماً، وسهَّل لي وجوه الأسباب، فلم يتعذَّر عليَّ شيء في العالم مما أردته، ولا امتنع عني شيء مما طلبته، لطفاً من الله عز وجل، وصنعاً بي، وصلاحاً لي ولعباده من أهل عصري، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا الله رب كل شيء».

ورسم الإسكندر بعد هذه الكتابة وكل ما يحدث ببلده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان: من الآفات، والعمران، والخراب، وما يؤول إليه

إلى وقت دثور العالم.

وكان بناء الإسكندرية طبقات، وتحتها قناطر مقنطرة، عليها دور المدينة، يسير تحتها الفارس بيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة، وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء.

وكانت الإسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر، وأسواقها وشوارعها مقنطرة بالآجرّ لئلا يصيبها المطر.

وكانت آفات البحر وسكانه ـ على ما زعم الأخباريون من المصريين والإسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة، فيصبحون وقد فقد منهم الكثير.

ولما علم الإسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسالّ، وهي باقية إلى هذه الغاية، وكل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السَّرْوة، وطول كل واحدة منها ثمانون ذراعاً، على عمد من نحاس، وجعل تحتها صوراً وأشكالاً وكتابة، وذلك عند انخفاض درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم. وعند أصحاب الطلسمات من المنجمين والفلكيين أنه إذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة. وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى، ولهم في ذلك سرّ من أسرار الفلك.

■ منارة الإسكندرية:

أما منارة الإسكندرية فذهب الأكثر من المصريين والإسكندرانيين ـ ممن عني بأخبار بلدهم ـ إلى أن الإسكندر بن فيلبس المقدوني هو الذي بناها. ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هي التي بنتها، وجعلتها مرقباً لمن يرد من العدو إلى بلدهم، ومنهم من رأى ان العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها.

ومنهم من رأى ان الذي بنى مدينة رومية هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها والأهرام بمصر، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته بالاستيلاء على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به[١].

عوج بن عنق

تمر الأجيال وتنطوي الأيام ولا تلد النساء مثل عوج بن عنق. ذلك الرجل الذي يحق للتاريخ إن صدقت الأخبار أن يدوّن اسمه ويحتفظ بما يؤثر عنه ليكون عظة المغرورين بقواهم.

قيل: أرسل نبي بني إسرائيل سبعة أشخاص إلى العمالقة يدعوهم إلى الله تعالى، فرآهم أحد العمالقة، فحملهم في كمه، وأتى بهم إلى الملك، وألقاهم أمامه. وحينما علم بخبرهم سخر منهم. وكان عوج حاضراً. فغضب لكرامة قومه وأخذته الحمية. وسألهم الملك عن قومهم وسعة بلدهم، فاقتطع صخرة بقدرها وحملها على رأسه، وجاء ليلقيها عليهم فيهلكهم عن آخرهم. فدعا عليه نبيهم فأرسل الله من السماء طائراً عظيماً نقرها فمزقها، فهبطت في عنقه، فأصبحت طوقاً، فجعل يعالجه. فجاء موسى عليه السلام وكان طوله عشرة أذرع وطول عصاه مثلها، فقفز عن الأرض وضربه بعصاه، فأصابه في عقبه وهو مشغول بنفسه فوقع على الأرض، وأكلته السباع والهوام، ولم يستطع دفع ما ألمَّ به.

وقيل: إنه كان قبل الطوفان، وإنه تعلق بسفينة نوح وهمَّ بأن يغرقها فكلمه عليه السلام فيها، فقال:

ما أردت سوءاً، وإنما أريد أن اهتدي بها كي لا أعثر ببعض الجبال أثناء سيري في الماء.

وقيل: إنه كان يأخذ السمكة من البحر فيشقها ويرفعها إلى كبد السماء

(١) مروج الذهب: ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧٥.

حتى تشوى في حرارة الشمس.

وقيل: إن أمه تشبهه، وإن بينه وبين آدم آحاد، وأنه بقي إلى زمان موسى، والله أعلم بذلك كله.

ومن حكايات العجائز التي كانوا يروونها لنا ونحن صغار، أن عوج بن عنق عندما كان مريضاً مرض الموت مرَّ به أناس عند رأسه فقال لهم: أرجوكم أن تطردوا الذباب عن رجلي فإني أشعر بهم. ولما وصلُوا إلى مكان رجليه وجدوا أن الذي ينهش رجليه وحوش لا ذباب ولكنه لطوله لم يشعر بالألم من ذلك كثيراً.

في أبيات لخَّص فيها المعري قصة «جلقر في بلاد العمالقة والأقزام» فقال:

زعموا رجالاً كالنخيل جسومهم ومعاشراً قاماتهم أشبارُ
إن يصغروا أو يعظموا فبقدرةٍ ولِربِّنا الإعظام والإكبار
يستصغر الحيُّ الحقير وتحته أممٌ توهم أنه الجبارُ[1]

قصة عبد الله بن جدعان والكنز

كان عبد الله بن جدعان صعلوكاً ترب اليدين شريراً فاتكاً يجني الجنايات، فيعقل عنه أبوه وقومه، حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤدي عنه دية أو يؤويه.

فخرج في شعاب مكة حائراً ثائراً يتمنى الموت أن ينزل به. فرأى شقاً في جبل فظن أن به حية، فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئاً.

فدخل فإذا ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين. فحمل عليه الثعبان

(١) رسالة الغفران: ١/ ٣٤.

فأفرج له، فانساب عنه مستديراً. ثم خطا خطوة أخرى فصفر الثعبان وأقبل إليه كالسهم، فزاغ عنه. ثم وقف ينظر إليه ويفكر في أمره فوقع في نفسه أنه مصنوع وليس حياً. فأمسكه بيده. فإذا هو مصنوع من ذهب، وعيناه ياقوتتان. فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث طوال على سُرَرٍ لم يُرَ مثلهم طولاً وعظماً، وعند رؤوسهم لوحٌ من فضة فيه تاريخهم. وإذا هم رجال من ملوك جرهم، وآخرهم موتاً هو الحارث بن مضاض صاحب الغيبة الطويلة. وإذا عليهم ثياب لا يمسُّ منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان. ومكتوب في اللوح عظات.

قال ابن هشام: كان اللوح من رخام. وكان فيه: «أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان ابن نبي الله هود عليه السلام. عشت خمسمائة عام، وقطعت غور الأرض، ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت» وتحته مكتوب:

قد قطعت البلاد في طلب الثروة	والمجد قالصَ الأثوابِ
وسريت البلاد قفراً لقفرٍ	بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادي	بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدتي وأقصر جهلي	واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفا بالحلم لما	نزل الشيبُ محل الشباب
صاح هل رأيت أو سمعت براعٍ	ردَّ في الضَرْعِ ما قرى في الحلاب

وإذا وسط البيت كومٌ عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ، ثم علَّم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة. وأرسل إلى أبيه المال الذي خرج به وأنفق على قومه وعشيرته.

وجعل ينفق على الناس، ويفعل المعروف، ويطعم كل من يحتاج. وقال في القاموس: كانت له جفنة يأكل منها الراكب لعظمها، بل كانت جفنة

يأكل منها الراكب على البعير[١].

يوسف وزليخا

كانت زليخا زوجة العزيز فرعون مصر ـ وقصتها معروفة بالقرآن عندما أحبت يوسف عليه السلام.

لما مات العزيز فرعون مصر، وافتقرت زليخا وعمي بصرها، جعلت تتكفف للناس، فقيل لها: لو تعرضت للملك ربما يرحمك ويعينك، فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه. ثم قيل لها: لا تفعلي لأنه ربما يذكرك بما كان منك إليه من المراودة والحبس فيسيء إليك ويكافئك على ما سبق منك إليه. فقالت: أنا أعلم بحلمه وكرمه.

فجلست على رابية في طريق خروجه ـ وكان يوسف يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته. فلما أحست زليخا به قامت ونادت: سبحان من جعل الملوك عبيداً لمعصيتهم، والعبيد ملوكاً بطاعتهم! فقال: من هذه؟ من أنت؟ قالت: أنا التي خدمتك بنفسي، وأكرمتُ مثواك بجهدي، وكان مني ما كان، وذقت وبال أمري، وذهبت قوتي، وتلف مالي، وعمي بصري، فصرتُ أسأل الناس؛ فمنهم من يرحمني، ومنهم من لا يرحمني. وبعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها، صرت مرحومتهم، وهذا جزاء المفسدين.

فبكى يوسف عليه السلام بكاءً شديداً وقال لها: هل في قلبك من حبك لي شيء؟ قالت: نعم، والذي اتخذ إبراهيم خليلاً لنظرةٌ إليك أحبُّ إليَّ من ملء الأرض ذهباً وفضة. فأرسل إليها يوسف أنه يريد الزواج بها، فقالت للرسول: أنا أعرف أنه يستهزىء بي. هو لم يردني في أيام شبابي وجمالي، فكيف يقبلني الآن، وأنا عجوز عمياء؟! فتزوجها وصلّى إلى الله باسمه العظيم الأعظم أن يردّ إليها ما فقدته، فردَّ الله سبحانه وتعالى عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيأتها يوم راودته عن نفسه.

---

(١) بلوغ الأرب: ١/ ٨٩.

وولدت زليخا له: أفرائيم ومنشا، وطاب في الإسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما. وكان يوسف وهو ملك على خزائن الأرض يجوع ويأكل خبز الشعير فقيل له: لما تجوع وبيدك خزائن الأرض؟ وقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع[١].

قصة سواد بن قارب الدَّوْسي

كان سواد بن قارب من أعلم أهل الكهانة والشعر، وأطولهم باعاً في جميع المكارم. وقد وفد على النبي ﷺ فأسلم. وكان رئيُّه من الجن قد أتاه ثلاث ليال في حال سِنتِه يضربه برجله ويقول: «قم يا سواد بن قارب، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث نبيٌّ من لؤي بن غالب». وقد أورد قصته هذه مفصلة جمعٌ من الثقات منهم الإمام الماوردي في كتابه «أعلام النبوة»، قال: بينما كان عمر بن الخطاب ذات يوم جالساً إذ مرَّ به رجل فقيل له: أتعرف هذا المارَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: من هو؟ قالوا: هذا سواد بن قارب الدوسي رجل من أهل اليمن. وكان له رئيٌّ من الجن. فأرسل إليه عمر فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي أتاك رئيُّك بظهور النبي ﷺ قال: نعم يا أمير المؤمنين. بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذْ أتاني رئيٌّ من الجن فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤيّ بن غالب. يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته. وأنشأ يقول:

عجبتُ للجن وتطلابها ... وشدِّها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكَّة تبغي الهدى ... ما صادقُ الجنِّ ككذَّابها
فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ... ليس قُداماها كأذنابها

فقلت له: دعني فإني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً. فلما

---

(١) قصص الأنبياء: ١٢٥. وتأريخ النساء: ١٦٩.

كانت الليلة الثانية أتاني فضربي برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل. إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول:

عجبتُ للجنِّ وتخبارها وشدِّها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوةِ من هاشمٍ بين روابيها وأحجارها

فقلت: دعني قد أمسيتُ ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً. فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، فقد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته. وأنشأ يقول:

عجبت للجن وتحساسها وشدِّها العيس[1] بأحلاسها[2]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خيِّرَو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسْمُ بعينيك إلى راسها

قال فلما أصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام، فرحلت على ناقتي وأتيت المدينة. فأذا رسول الله ﷺ فقلتُ: اسمع مقالي يا رسول الله قال: هات! فانشأت أقول:

أتاني رئيٌّ بعد هَدْءٍ ورقدةٍ ولم أكُ فيما قد بلوت بكاذب
ثلاثَ ليالٍ قوله كلَّ ليلة أتاك رسولٌ من لؤيِّ بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزار ووسّطت بي الذِّعْلِبُ الوجناء بين السباسب[3]
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنَّكَ مأمون على كلِّ غائِب

---

(١) العيس: الإبل البيض.
(٢) الأحلاس: جمع حلس: وهو كساء على ظهر البعير.
(٣) الذِّعلب: الناقة السريعة. والسباسب: المغازة.

وأنك أدنى المرسلين وسيلةً إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسلٍ وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ بمُغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قاربِ

ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رؤي الفرح في وجوههم. قال: فوثب إليه عمر فالتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث، فهل يأتيك رئيُك اليوم؟ فقال: مذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن(١).

أسطورة بناء تدمر

تدمر بلدة قديمة ببادية الشام من أعمال حمص ـ وعلى شرقيها وأرضها سباخ، وكان فيها شجر ونخيل وزيتون.

وفيها آثار عظيمة قديمة من أعمدة وصخور. وكان لها سور وقلعة. وقد بناها العرب الأقدمون. وكانت منزل آل ربيعة ملوك الشام.

واختلف في بانيها بعض المؤرخين. فقيل: إن سليمان الحكيم عليه السلام قد بناها له الجن بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأشقر. وفي ذلك يقول النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهُهُ وما أُحاشي من الأقوام من أحدِ
إلا سليمان إذ قال الآله لهُ قم في البرية فاصدُدْها عن الفندِ
وجَيِّش الجن إني قد أذِنتُ لهم يبنُون تدمر بالصَّفاحِ والعمدِ
فمن أطاع فأعقبُه معاقبة كما أطاعك وادلُلْه على الرشدِ
ومن عصاك فعاقبه معاقبةً تُنهى الظلوم ولا تقعد على ضمدِ
إلا لمثلك أو من أنت سابقُهُ سبْقَ الجواد إذا استولى على الأمدِ

(١) بلوغ الأرب: ٣/ ٣٠٤.

وذكر الثعالبي في تفسيره:

وهذا مذهب من مذاهب العرب على سبيل المبالغة لا الحقيقة، كما كانوا يزعمون أن عبقر مدينة للجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب. فزعموا أن تدمر من بناء الجن لما يرون من قوتها الباهرة وصنعها العجيب. وقال بعضهم: إنها من أبنية العرب الأقدمين.

■ العنكبوت في الأسطورة:

تحكي الأسطورة الإغريقية أنه كان في سالف الأزمان عذراء جميلة تسمى «أراكن» تجيد فن التطريز والحياكة، ولها صيت ذائع في هذا المجال. وقد وصل بها الغرور أن تحدَّتْ إله الحكمة والفنون والصنائع النسوية عند الإغريق ـ الإله أثينا ـ ودعته إلى مسابقة تقام بينهما في فن التطريز. وتمادت في هذا التحدي بأن أعلنت على الملأ أنها سوف تفوز على الإله أثنيا. وعندما سمع ما قالته أراكن، قام بتمزيق كل ما قامت العذراء بحياكته من لوحات فنية عقاباً لها على فعلتها. وعندما رأت أراكن ما حدث لغزلها حزنت حزناً شديداً، وقامت بشنق نفسها بتعليق رقبتها بأحد الخيوط التي تستعملها في الحياكة.

وعندما علم الإله أثينا بذلك ندم على ما فعله بغزْل العذراء ندماً شديداً وقام بفك الخيط من رقبة أراكن، وحوله إلى خيط من الحرير. ثم قام بتحويل الجسد الميت إلى عنكبوت، وأسبغ عليها صفة البراعة في التطريز بخيوط الحرير التي تملكها، وان تظل قادرة على الحياكة حتى آخر يوم في حياتها. حتى لا تحزن مرة أخرى على ما أصابها من فعله. واليوم نرى العنكبوت تقوم بعمل تصاميم رائعة من الحرير الذي تنتجه من جسمها.

والعناكب من الحيوانات التي حيك حولها كثير من الخرافات والأساطير. فكثيرون يعتقدون أنه إذا ما مشت العنكبوت على الثوب القديم الممزق فإنها تعمل على إصلاحه وإعادة حياكته. وإذا قتلت العنكبوت أثناء

سيرها على الأثواب فإن تلك الأثواب سوف تصبح ممزقة وبها ثقوب كبيرة.

والإنجليزي يردد قولاً مأثوراً مفاده: إذا أردت أن تعيش بسلام فدع العنكبوت تعيش بسلام. وهو يتفاءل إذا وجد عنكبوتاً تمشي على ملابسه، لأن ذلك يعني هبوط ثروة مالية على صاحب الثوب.

وهنود النيفاكو في الولايات المتحدة الأميركية ماهرون في الحياكة، ويشيع بينهم أن خبراتهم تلك قد تعلمها الأجداد على يد عنكبوت تحولت إلى امرأة لتدربهم على فن الحياكة. ويهدد هؤلاء أطفالهم بأن المرأة العنكبوت ستعاقبهم إذا لم يكفوا عن الشغب والشيطنة.

أما حكايات العنكبوت في الإسلام فقد قصتها كتب الهجرة النبوية. فعنكبوت الغار هي أحد أسباب نجاة الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق من الكفار الذين لاحقوه عند هجرته من مكة إلى المدينة. وقد كرم الله العنكبوت بتسمية سورة كاملة باسمها في القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ والمعروف أن أنثى العنكبوت هي التي تقوم بالحياكة وليس الذكر[1].

من أساطير كاتمندو في نيبال
إنسان الثلج

يقولون: ثلاثة في حكم المستحيل: الغول، والعنقاء والخلُّ الوفي. ولكن إذا كان هذا الحكم ما زال ينطبق على المستحيلين الآخرين، إلا أن الأول لم يعد مستحيلاً.

أهل نيبال يؤكدون أن الغول ـ وهو بالنسبة لهم «الجيتي» أو «البيتي»، كما ينطقونه، ويعني «إنسان الثلج الوحش ـ ما زال يعيش في جبال هملايا،

(١) مجلة العربي، العدد ٣٥٢، سنة ١٩٨٨.

وهم ينسجون حوله الأساطير، ويتناقلون عنه الحكايات خلال جلوسهم حول المدفأة في الشتاء.

حتى الذين كتبوا عن نيبال وجبال هملايا تحدثوا في كتبهم عن أوصاف الوحش البشري ذي الشعر الأشعث الذي التقى به جندي أوروبي عام ١٤٠٠ م تماماً كما رآه المستكشفان البريطانيان الميجور واديل والكولونيل هوارد بري، حيث كانا يرأسان حملة المتسلقين في الجانب الشمالي من افرست.

وذكر الاثنان أنهما تبعاه وتوقفا عند آثار قدميه البشرية الضخمة على ثلوج السفح. ويقول النيباليون ان جسده الضخم يغطيه شعر كثيف من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، وإنه يسير معتدل القامة.

يقولون أن الجبل كان مليئاً بعدد كبير من هذه الوحوش البشرية، وأن رهبان التبت تآمروا للتخلص منهم، فاتفقوا على أن يقيموا حفلاً ساهراً على السفح حيث يختفي المئات من هذه الغيلان خلف المغارات. وخلال الحفل تظاهروا بتناول الخمر المصنوع من منقوع الأرز. وحين بدا كأنهم سكروا حتى الثمالة راحوا يتبادلون الطعان بسكاكين زائفة. ومع انتهاء الحفل بدأوا يبتعدون واحداً وراء الآخر. وهنا خرجت الوحوش البشرية من مغاورها، وراحوا يقلدون الرهبان في اكتراع كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا، ثم راحوا يضربون بعضهم بالسكاكين الحقيقية التي تركها الرهبان عن قصد. وكانت المعركة من العنف والشدة بحيث تساقط الجميع ولم يبق منهم سوى واحد فقط ـ وهو الذي ما يزال يجوب سفوح الهملايا ويشاهده الناس بين الحين والآخر.

ورواية ثانية يحكيها أحد الحمالين الذين يساعدون الرحالة والمتسلقين الى قمم هملايا، مفادها أن أحد تجار الفيروز كان يعبر الممر الجبلي حين فوجىء بالوحش الرهيب يوقفه ويرغمه على الذهاب معه إلى مغارة في عمق الجبل، حيث كانت أنثاه تستلقي وتصرخ بعد ان سدت حلقها قطعة كبيرة من العظم حتى تعذر عليها التنفس. وطلب الوحش من التاجر ان يشفيها وإلا

قتله. وفي رعشة الخوف مد الرجل يده المرتجفة ليضرب الأنثى على ظهرها بقوة، فانقذفت قطعة العظم من حلقها وتنفست الصعداء.

ومكافأة له أعطاه الوحش كيساً مقفلاً وطلب منه ان لا يفتحه إلا بعد أن يصل إلى داره. وإذ فتح الكيس وجده مليئاً برؤوس بشرية، ومن كل شعرة تتدلى حبة فيروز. وكانت الحصيلة هائلة كسب التاجر من ورائها ثروة ضخمة.

ومن أجل الحصول على ثروة مماثلة يجوب رجال «الشرباس» سفوح الجبل حاملين أحمال المتسلقين على أمل أن تتاح لهم فرصة مماثلة بلقاء إنسان الثلج ـ كما يسمونه[1].

حديث هلاك عاد

قيل: لما توالت ثلاث سنوات على عاد بأزمتها وقحطها، وهم في ذلك غير تائبين ولا مطيعين لنبيهم هود عليه السلام، قام رجل من أشرافهم وذوي أنسابهم، يقال له ـ زميل بن عنز، أخو القيل ابن عنز؛ وكان القيل رأس عاد وسيدها.

فقال زميل: يا قوم إني فكرت لما نزل بكم من هذا القحط، ورأيت رأياً، وقلت فيه قولاً، وأنا عارضٌ ذلك عليكم. فقالت الجماعة: إن رأيك أصيل، وإن فعلك جميل، فقل نسمع ما تقول. فقام زميل وقال:

ألا نـزلـت بـنـا حـجـج ثـلاثٌ ... عـلـى عـادٍ فـمـا تـحـتـال عـادُ
فـدمـعُـهُـمُ يـبـل الـتـرب مـنـهـا ... ومـا يـدرون مـا بـهـم يـرادُ
وقـد عـلـمـت بـنـو عـادِ بـن عـوصِ ... بـأن مـشـورتـي لـهـم سـدادُ
وإنـي عـارضٌ رأيـي عـلـيـهـم ... ومـا مـنّـي بـه فـيـه انـفـرادُ

(١) مجلة العربي، العدد ٣٢٦، سنة ١٩٨٦.

بأن يتخيّروا وفداً يسيراً إلى البيت العتيق لهم سدادُ
فَيَسْتَسقُوا المليك البرَّ غيثاً به تحيى البرية والعبادُ
وقد جربتم ذاكم فعرفي لديه في بدايته السدادُ
لأن الله مقتدرٌ حكيم غفورٌ رازقٌ برٌّ جوادُ
فإن يسمع مقالتنا سقانا فقد نزلت بنا أزمٌ شدادُ
وإن نهلك فأمر الله ماضٍ له منا المقادة والقيادُ

■ **وفد عاد:**

وسارت عاد إلى مكة وقد جهزوا من عظمائهم وأشرافهم وذوي أحسابهم سبعين رجلاً، ثم وضعوا على رأسهم أربعة منهم وهم:

قيل بن عنز، ولقمان بن عاد ـ صاحب النسور، وأبو سعيد مرثد بن سعد ـ وهو خيرُ النفر، وجلهمة بن الخيبري. فساروا إلى مكة ـ وسكانها يومئذٍ من العماليق ـ وهم يومئذٍ ملوك الحجاز وأرضها. فنزلوا على رجل يقال له بكر بن معاوية قد تزوج امرأة من عاد وهي أخت جلهمة بن الخيبري فولدت ابنة معاوية ـ وكان منزلهم بظهر مكة خارجاً عن الحرم. ففرحوا بالوفد وأكرموهم. وكان معاوية قد كبر وضعف، وكانت الرياسة لابنه بكر بن معاوية. فأنزل بكر أخواله عنده شهراً يأكلون اللحم ويشربون الخمر وتغنيهم قينتان يقال لهما الجرادتان.

ويقال إنه أول من اتخذ القيان في الأرض للغناء، وكان أكثر العرب مالاً في زمانه. فأقبل الوفد على اللهوُ والشراب وتركوا ما جاؤوا من أجله.

لما رأى ذلك معاوية بن بكر غمه ذلك وقال: إن تركت أخوالي وأصهاري، هلكوا وهلك من خلفوا من أهلهم وقومهم في بلادهم، وهم أيضاً ضيوفي ووجوه قومي وأنا استحي أن آمرهم بالشخوص لما قدمواله. ثم قال شعراً وحفظه للجرادتين، وأمرهما إذا أنتشى القوم وأخذ فيهم الشراب

أن تقوما على رأس كبيرهم وشريفهم قيل بن عنز وتغنياه. ولما أنتشوا قامت الجاريتان على رأس قيل بن عنز وأنشأتا تقولان:

ألا يا قَيْلُ ويحك قم فهينم ... لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي آل عادٍ إن عاداً ... قد أضحوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فلا تراهم ... ولا الشيخ الكبير ولا الغلاما
وإن الوحش تأتيهم نهاراً ... فما تخشى لعاديٍّ سهاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمست نساؤهم أيامى
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركُمُ وليلكُمُ نياما
فقُبِّحَ وفدكم من كل وفدٍ ... ولا لقوا التحيةَ والسلاما

فلما سمعوا شعر الجرادتين ووعته أسماعهم فزعوا لذلك وتركوا ما هم فيه من اللهو. وقال بعضهم: يا قوم إنما بعثكم قومكم لهذا البلاء الذي قد نزل بهم، ولكم منذ شهر هاهنا، فانطلِقوا الى بيِّنة ربكم واطلبوا الغوث من ربكم لقومكم.

■ أبو سعيد المؤمن ينصح عاداً

فقال لهم أبو سعيد المؤمن: يا قوم هلموا لأمر أدعوكم إليه تذكرون به حاجتكم وتغيثون به قومكم. قالوا: وما ذاك؟ قال: تؤمنون بنبيكم هود عليه السلام، وتؤمنون بربكم، فذلكم خير لكم. قال: فكرهوا قوله وردوا النصيحة. فقال في ذلك أبو جلهمة:

أبا سعيد كأنك من قبيلٍ ... سوى عادٍ وأمك من ثمود
أتأمرنا لنترك دين وفدٍ ... ورَمْلَ وآل صَدٍّ والعنود
أنترك دين أقوام كرامٍ ... ذوي حسب ونتبع دين هود
وأنا لا نطيعك ما حيينا ... ولسنا فاعلمنَّ على عهود

قال: فغضب من ذلك رجل من الوفد من قوم أبي سعيد فأجابه:

فمرثد مخ عادٍ في ذراها وأنت لساقطٍ وغدٍ كَنودِ
نماه يا زنيم إلى المعالي من أخوال وأعمامٍ صمودِ
وأفضلُ قوم عادٍ بعد هود وخيرهم الكريمُ أبو سعيدِ

■ **سير الوفد إلى الكعبة:**

ثم سار الوفد إلى الكعبة. وقبل مسيرهم طلبوا من بكرٍ وابنه أن يحبسا أبا سعيد المؤمن ففعلا، وكلماه في ذلك، فقال: نعم. ووقف عنهم هو ولقمان بن عاد.

ومضى سائر الوفد إلى البيت يتقدمهم قيل بن عنز. وصفَّ الوفد حوله ولاذ بالكعبة ودعا وتضرع فسمع منادياً ينادي من السماء يقول: يا قيل بن عنز، ما جئت تطلب، فاسألْ تُعْطَ. فقال: جئت أطلب القطر الذي ينبت الشجر، ويكثر الثمر، ويحيى به البشر، ويصلح به قومي وبلادي. فأنشأ الله ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء. ثم قيل له: اختر أيها شئت. قال: **أما البيضاء**: فجهام ليس فيها مطر ولا لغيثها روي. **وأما الحمراء**: فجهام غير أتيّ، ينفي السَّرَّاء ويأتي بالضراء. ولا حاجة لنا فيها، **وأما السوداء**: فكثيرة الماء والروي، معقبة لرخاء، مبلغة المنى، غائظة الأعداء، وقد اخذتها لقومي وبلادي.

فناداه المنادي: رماداً أرمداً، لا يبقي من عاد بن عوص أحداً، لا والداً ولا ولداً، إلاً القبيل الأبعدا. ويعني بقوله: إلاً القبيل الأبعدا: من أولاد عملوق بن لاوذ ـ وهي أخت بكر بن معاوية كما ذكرنا، هزيلة العملوقية، زوجة أبي سعيد المؤمن. وكانت امرأة مؤمنة فاضلة، آمنت بهود وكانت محبة له ولأصحابه، وكانت تلطف بهم وتوسع عليهم مالها. فنجاها الله من العذاب وولدها، وكانوا هم عاد الآخرة.

■ هزيلة العملوقية تصف كارثة قوم عاد:

لما هلكت عاد لم يسلم إلا هزيلة بنت هزيل من العماليق وبنوها، وهم: عمرو وعامر وعمير. وهي زوجة أبي سعيد المؤمن. فإن الله نجاهم من العذاب بإيمان أصحابهم، وأمر الله سبحانه وتعالى فحملتهم الريح برفق وشفقة هي وولدها، ولم تؤذهم ولم تضرهم، حتى أتت مكة فألقتهم في بيت بكر بن معاوية الذي فيه وفد عاد.

فبينما القوم في لهوهم ولذَّتهم إذ أقبلت هزيلة ببنيها حتى هجمت على عمها الشيخ وبكر بن معاوية في منزله، فقال: ويحك! ما بك؟ فاستعبرت هزيلة باكية وقالت: الخبر أفظع وأوجع وأجزع من أن أصفه لك. فقال لها: ويحك خبريني، لقد أكثرتِ وجدي! ـ قالت هزيلة: إن الخبر أفظع من أن أسمعكموه قيلاً، ولكني سأقوله شعراً وأرويه للجرادة فتقوله. فقالته الجرادة:

إن عــاداً آثــرت حــقــاً   عــلــى الــرشــد الــصــدودا
لــم تــقــل فــي غــيِّــهــا حــيــن   عَــتَــت قــولاً ســديــدا
بــل طــغــت بــغــيــاً وقــالــت   لــن نــطــيــع الــدهــر هــودا
كــذَّبــوا عــبــداً تــقــيَّــاً   مــســلــمــاً بــرَّاً رشــيــدا
وعــصــوا ربــاً عــظــيــمــاً   قــاهــر الــبــطــشِ مــجــيــدا
فــدعــا هــودٌ مــلــيــكــاً   مــبــديــاً لــهــم مــعــيــدا
أن يــذلَّــهُــمُ بــأيــدِ   يــقــمــعُ الــعــاصــي الــنــكــودا
فــاســتــجــاب لــه إلــه   عــز مــقــتــدراً حــمــيــدا
جــلَّ ربَّــاً ذا اقــتــدارِ   مــنــعــمــاً عــدلاً أبــيــدا
كــي يــتــوبــوا فــأراهــم   مــا يــردُّ الــصــدُّ قــودا
عــابــديــن مــن ضــلالٍ   صــنــمــاً يــدعــي الــصَّــمُــودا
يــطــلــبــون الــغــيــث مــنــه   بــعــد مــا خَــرّوا ســجــودا

الـــذي يـــحـــوي سَـــفـــاهـــاً سـألـوا مـنـه رفـودا
أفـكـوا مـن حـيـث طـاعـوا فـيـه شـيـطـانـاً مـريـدا
ثـم قـال لـهـم زمـيـلٌ بـعـدمـا ذاقـوا الـجـهـودا
اسـمـعـوا قـولـي ورأيـي وابـعـثـوا وفـداً جـنـودا
نـحـو بـيـتِ الله كـيـمـا يـسـألـوا الـرب ودودا
أن يـغـيـث الـقـوم مـنـا مـتـهـمـاً ثـم الـنـجـودا
بـعـثـوا سـبـعـيـن كـهـلاً تـبـعـوا قـيـلاً جـلـيـدا
بـعـثـوا لـقـمـان رأسـاً وأبـا سـعـد مـزيـدا
وأبـا جـلـهـمـة الـقـرم فـتـى الـحـي الـجـلـودا
ثـم قـيـلاً نـجـل عـنـزٍ قـائـداً لـيـس مـقـودا
ثـم سـاروا بـسـوادٍ نـحـو خَـشْـداءِ أسـودا
فـأتـوا مـكـة شـحّـاً بـيـن خـزٍّ وبـرودا
أحـسـن الـنـاس اعـتـدالاً ووجـوهـاً وخـدودا
كـلـهـم أكـرم عـادٍ أمـهـاتٍ وجـدودا
نـزلـوا بـالـمـرء بـكـر وابـنـه شـهـراً جـديـدا
يـشـربـون الـخـمـر صـرفـاً لا يـمـلُّـون الـركـودا
ثـم هـبُّـوا بـعـد مـاهـيًّـا لـهـم بـكـرٌ نـشـيـدا
ثـم غـنَّـتـهـم بـصـوتٍ قـيـنـةٌ تـسـمـى الـجـرودا
نـهـضـوا إذ سـمـعـوهـا كـأنـهـم كـانـوا رقـودا
فـأتـوا بـيـت مـلـيـكٍ لـم يـزل لـلـخـلـق عـيـدا
فـدعـوا فـاخـتـار لـقـمـان فـتـى الـحـي الـخـلـودا
بـبـقـا عـمـرِ نـسـورِ سـبـعـةٍ دهـراً أبـيـدا

وحـبـا الله أبـا سـعـدٍ تـقـاه والـسـعـودا
فـنـجـا بـالـبـرِّ زاداً ثـم تـقـوى الله زيـدا
وأرى قـيـلاً ثـلاثـاً مـن سـحـابـاتٍ فـرودا
قـطـعـةً بـيـضـاء كـانـت مـا بـهـا فـي الـغـيـث جـودا
ثـم حـمـرا لـم يـروهـا ظـنَّـهـا غـيـثـاً ثـمـيـدا
فـارتـضـى الـسـوداء الـتـي صـارت بـهـا الأقـطـار سـودا
أبـصـرت مـهـداً عـلـى الـر يـح مـطـيـعـيـن ركـودا
فـي أكـفـهـم لـهـا لـجـم يـخـيـلـن الـوقـودا
قـالـت الـويـل لـعـاد ويـلـهـا ويـلاً جـديـدا
لـيـلـة حـلـت بـه الـد هـر عـلـى عـاد الـصـدودا
أن تـرى الـسـبـعـة مـنـهـم كـلـهـم كـانـوا حـسـودا
كـل قـرم مـثـل طـودٍ لابـسٍ فـيـهـا الـحـديـدا
كـي يـردوهـا ومـن ذا يـسـتـطـيـع لـهـا ردودا
خـلـفـت أجـسـامـهـم فـي الـجـو والـقـفـر بـديـدا
عـذبـت سـبـع لـيـالٍ أمـة كـانـت يـهـودا
ثـم أيـامـاً ثـمـانـاً مـا هـبـوطـاً مـا صـعـودا
تـحـسـب الأصـوات إذ يـهـوون فـي الـجـور عـودا
ثـم خـروا فـي قـصـور صـيـرت فـلـقـاً بـديـدا
اسـتـبـاح الـدهـر صـداً ومـنـافـاً والـخـلـودا
وجـهـاراً لـم تـذره وهـبـاءً والـعـنـودا
قـيـل فـانـظـر أيـن عـاد ثـم دع عـنـك الـسـمـودا
لـن تـراهـم آخـر الـدهـر كـمـا كـانـوا قـعـودا

ثـــم نـــجّـــانـــي إلـــهـــي وبـــنـــي جـــدي الأبـــيـــدا
قـــد تـــفـــانـــوا ثـــم بـــادوا فـــي ديـــارهـــم حـــصـــيـــدا
حـــمـــلـــتـــنـــي وبـــنـــيّ نـــحـــوكـــم ريـــح بـــرودا
ونـــجـــا هـــود وأصـــحـــا ب لـــه خـــرّوا ســـجـــودا
مـــعـــه ثـــم ثـــلاثـــون يـــقـــيـــمـــون الـــحـــدودا(١)

كتابة «باسمك اللهمّ»

قال المسعودي: ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف أن السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها: «باسمك اللهمّ» هو أن أمية بن أبي الصّلْت الثقفي خرج إلى الشام في نفرٍ من ثقيف وقريش في عير لهم، فلما قفلوا راجعين نزلوا مكاناً، واجتمعوا لعشائهم، إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها، فرجعت، فشدّوا سفرتهم ثم قاموا وارتحلوا من مكانهم.

فأشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصاها فقالت: ما منعكم أن تطعموا رحيمة، الجارية اليتيمة، التي جاءتكم عشية؟ قالوا: ومن أنت؟ قالت أنا أم العوام، أويمتُ منذ أعوام. أما وربِّ العباد، لتفترقُنَّ في البلاد. ثم ضربت بعصاها الأرض فأثارت بها الرمل وقالت: أطيلي إيابهم، وأنفري ركابهم. فوثبت الإبل، فكأنَّ على ذروة كل بعير شيطاناً، حتى افترقت في البوادي.

قال: فجمعناها من آخر النهار إلى غد، ولم نكد. فلما أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فعادت بالعصا كفعلها أولاً، وعادت إلى مقالتها الأولى: ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة؟ أطيلي إيابهم، وأنفري ركابهم.

---

(١) كتاب التيجان في ملوك حمير: ص ٣٥٣ ـ ٣٥٨. وفي الشعر كثير من التحريف والألفاظ المبهمة في الأصل رسماً أو معنى ـ فتأمَّلْ.

فخرجت الإبل ما نملك منها شيئاً، فجمعناها من آخر النهار إلى غد، ولم نكد. فلما انخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز ففعلت مثل فعلتها الأولى والثانية، فتفرقت الإبل وامسينا في ليلة مقمرة، وقد يئسنا من ظهورها.

فقلنا لأمية بن أبي الصلت: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فتوجَّه إلى الكثيب الذي كانت تأتي العجوز منه، حتى هبط من ناحية أخرى، ثم صعد كثيباً آخر حتى هبط منه، ثم وجد بيتاً فيه قناديل، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية. قال أميَّة: فلما وصلت إليه رفع رأسه إلي وقال: إنك لمتبوع[(١)]. قلت: أجل. قال: فمن أين يأتيك صاحبك؟ قلت: من أذني اليسرى. قال: فبأي الثياب يأمرك؟ قلت: بالسواد. قال: هذا خطْب الجن. كدتَ ولم تفعل، ولكن صاحب هذا الأمر يكلمه في أذنه اليمنى، وأحبُّ الثياب إليه البياض، فما جاء بك؟ وما حاجتك؟ فحدثته حديث العجوز. قال: صدقت وليست بصادقة. هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لا تزال تضع بكم هذا حتى تهلككم إن استطاعت. قال أمية: فما الحيلة؟ قال: اجمعوا ظهوركم، فإذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل فقولوا لها: «سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل، باسمك اللهم» فإنها لا تضركم. فرجع أمية إلى أصحابه فأخبرهم بما قيل له. فجاءتهم وفعلت كما كانت تفعل، فقالوا لها: سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل باسمك اللهم، فلم تضرهم. فلما رأت الإبل لم تتحرك، قالت: «قد عرفتُ صاحبكم؛ لَيَبْيَضَّنَّ أعلاه، ويسودَّنَّ أسفله». فلما أدركنا الصبح، نظرنا إلى أمية قد بَرِصَ في عذاريه ورقبته وصدره، واسودَّ أسفله.

قال المسعودي: وكان أمية أول من كتب «باسمك اللهمَّ»، إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام، فرفع ذلك وكتب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم»[(٢)].

---

(١) أي أن له رئياً يحدّثه. والرئيّ هو الجنّي الذي يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب.

(٢) مروج الذهب: ١/ ٧١ ـ ٧٣.

الباب الرابع

أمثال العرب

١ ـ أبْصَرُ من زرقاءِ اليمامة:

واليمامة اسمها، وبها سمِّي البلد. وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لقمان بن عاد، وأن اسمها: عنز. وكانت هي زرقاء، وكانت الزَّباء زرقاء، وكانت البسوس زرقاء.

قال محمد بن حبيب: هي امرأة من جديس، كانت تبصرُ الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قتلت جديس طَسْماً خرج رجل من طسم إلى حسان بن تُبَّعَ، فاستجاشه، ورغَّبهُ في الغنائم، فجهَّز إليهم جيشاً، فلما صاروا من جَوّ ـ وهي ناحية بأرض اليمامة ـ على مسافة ثلاث ليالٍ صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش وقد أُمِروا أن يحمل كل واحد منهم شجرة يستتر بها ليلبِّسوا عليها. فقالت: يا قوم، قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير، فلم يصدّقوها.

فقالت على مثال الرجز:

أقسِمُ بالله لقد دبَّ الشَّجْر أو حِمْيَر قد أخذت شيئاً يُجَرّ

فلم يصدقوها. فقالت: أحلف بالله لقد أرى رجلاً ينهس كتفاً، أو يخصف النعل، فلم يصدقوها، ولم يستعدّوا حتى صبَّحهم حسان بن تُبَّع فاجتاحهم، فأخذ الزرقاء فشقَّ عينيها فإذا فيها عروق سود من الإثمد. وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب، وهي التي ذكرها النابغة في قوله:

وٱحْكُمْ كحكمِ فتاةِ الحيِّ إذْ نظرتْ ... إلى حمامٍ سراعٍ واردِ الثَّمدِ

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٠١. والرجز في جمهرة الأمثال: ١/ ٢٤١، وديوان النابغة: ٢٥.

٢ ـ أَجْمَلُ من ذي العِمامة:

هذا المثل من أمثال أهل مكة ـ وذو العمامة: سعيد بن العاص بن أمية، وكان في الجاهلية إذا لبس عمامةً لا يلبس قرشيٌّ عمامة على لونها، وإذا خرج لم تبق امرأة إلا برزت للنظر إلى جماله. ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان خطب بنت سعيد هذا إلى أخيها عمرو بن سعيد الأشدق، فأجابه عمرو بقوله:

فتاةٌ أبوها ذو العمامة وابنُهُ ... أخوها، فما أكفاؤها بكثيرِ

وزعم بعض أصحاب المعاني إنَّ هذا اللقب إنما لزم سعيد بن العاص كنايةً عن السيادة، قال: وذلك لأنَّ العرب تقول: «فلان مُعَمَّمٌ» يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة والعشيرة، فهي معصوبةٌ برأسه.

فإلى هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص: ذا العمامة وذا العصابة.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٨٨.

٣ ـ أَجْهَلُ من قاضي جُبَّلَ[(١)]:

يقال: إن جُبَّل مدينة من طسُّوج، كسكَّر، وهذا القاضي قضى لخصم جاءه وحده، ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر. وفيه يقول محمد بن عبد الملك الزيات:

قَضَى لمخاصمٍ يوماً فلما ... أتاهُ خصمه نَقَضَ القضاءَ

---

(١) كذا ضبطه في مجمع الأمثال. وقد ضبطه في معجم البلدان بفتح الجيم ورفع الباء المشددة.

دنا منك العدوُّ وغبتَ عنه فقال بحكمهِ ما كان شاءَ

* مجمع الأمثال: ١/ ١٩٠.

٤ ـ أَجْوَدُ من هَرِمٍ:

هو هَرِمُ بن سِنان بن حارثة المرِّي وقد سار بذكر جوده المثل. قال زهير بن أبي سلمة يمدحه:

إن البخيل ملومٌ حيث كان ولكنَّ الجود على عِلاَّته هَرِمُ
هو الجواد الذي يعطيك نائلهُ عفواً ويُظلَمُ أحياناً فَيَظلِمُ[(١)]

ووفدت ابنة هرم على عمر بن الخطاب، فقال لها: ما كان الذي أعطى أبوك زهيراً حتى قابله من المديح بما سار فيه؟ فقالت: قد أعطاه خيلاً تَنْضَى[(٢)]، وإبلاً تَتْوَى[(٣)]، وثياباً تَبْلَى، ومالاً يفنى. فقال عمر: لكنَّ ما أعطاكم زهيرٌ لا يبليه الدهر، ولا يفنيه العصر. ويروى أنها قالت: ما أعطى هرمٌ زهيراً قد نُسي، قال: لكن ما أعطاكم زهيرٌ لا يُنسى.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٨٨.

٥ ـ أَجْوَرُ من قاضي سَدُوم:

قالوا: سدوم ـ بفتح السين ـ مدينة من مدائن لوط. قال الأزهري: إنما هي سذُوم بالذال المعجمة ـ والدال خطأ ـ. قال الطبري: هو ملك من بقايا اليونانية غَشوم كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٩٠.

٦ ـ أَخْطَبُ من سَحْبَانِ وائلٍ:

وهو رجل من باهلة، وكان من خطبائها وشعرائها، وهو الذي يقول:

---

(١) أظلَّمَ: احتمل الظُلم. (٢) تنضى: تتعب وتهزل. (٣) تتوى: تهلك وتذهب.

لقد علِمَ الحيُّ اليمانون أنَّني إذا قلتُ أمَّا بعدُ أني خطيبُها

وهو الذي قال لطلحة الطلحات الخزاعي:

يا طلحُ أكرَمَ من بها حَسَباً وأعطاهُمْ لِتَالِدْ

منك العطاءُ فأعطني وعليَّ مَدْحُك في المشاهِدْ

فقال له طلحة: إحتكم، فقال: برذونكَ الأشهب الورد، وغلامك الخبَّاز، وقصرك بَزَرَنْج[1] وعشرة آلاف. فقال له طلحة: أُفٍّ لم تسألني على قدري، وإنما سألتني عن قدرك وقدر باهلة. ولو سألتني كلَّ قصر لي وعبدٍ ودابة لأعطيتك. ثم أمر له بما سأل ولم يزده عليه شيئاً. وقال: تالله ما رأيت مسألة مُحَكِّمٍ ألأمَ من هذا.

وطلحة هذا هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي. وأمَّا طلحة الطلحات الذي يقال له طلحة الخير وطلحة الفيّاض، فهو طلحة بن عبيد الله التيمي من الصحابة، ومن المهاجرين الأولين، ومن العشرة المسمّين للجنة.

❊ مجمع الأمثال: ١/ ٢٤٩. والدرة الفاخرة: ١/ ٩١. واللسان (سحب). وسرح العيون: ٢٥.

٧ ـ أَبْطَشُ من دَوْسَرَ:

قالوا: إن دوسر إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب، وكانت له خمس كتائب: الرهائن، والصنائع، والوضائع، والأشاهب، ودوسر.

أما الرهائن: فإنهم كانوا خمسمائة رجل، رهائن لقبائل العرب، يقيمون على باب الملك سنة، ثم يجيء بدلهم خمسمائة أخرى، وينصرف أولئك إلى أحيائهم. فكان الملك يغزو بهم ويوَجِّههم في أموره.

وأما الصنائع: فبنو قيس وبنو تيم اللاَّت ابني ثعلبة، وكانوا خواصَّ الملك لا يبرحون بابه.

(١) زَرَنْج: مدينة بسجستان.

وأما الوضائع: فإنهم كانوا ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب، وكانو أيضاً يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم ألف رجل، وينصرف أولئك.

وأما الأشاهب: فإخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم. وسمُّوا الأشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه.

وأما الدوسر: فإنها كانت أخشن كتائبهُ وأشدَّها بطشاً ونكاية، وكانوا من كلِّ قبائل العرب، وأكثرهم من ربيعة. سُميَّتْ دوسر اشتقاقاً من الدَّسْر، وهو الطعن بالثقل، لثقل وطأتها. قال الشاعر:

ضربت دَوْسَرُ فيهم ضربةً   أثبتتْ أوتادَ مُلْكٍ فٱستقرّ(١)

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة ـ وذلك أيام الربيع ـ يأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن، وقد صَيَّر لهم أكلاً عنده، وهم ذوو الآكال، فيقيمون عنده شهراً، ويأخذون آكالهم، ويبدِّلون رهائنهم، وينصرفون إلى احيائهم.

* مجمع الأمثال: ١/ ١١٨.

٨ ـ أبطأُ من غرابِ نوحٍ:

وذلك أن نوحاً بعثه لينظر هل غرقت البلاد، ويأتيه بالخبر، فوجد جيفةً فوقع عليها، فدعا عليه نوح بالخوف؛ فلذلك لا يألف الغرابُ الناس، ويضرب به المثلُ في الإبطاء.

* مجمع الأمثال: ١/ ١١٩.

٩ ـ أَبَرَماً وقَرُوناً؟:

البَرَم هو الذي لا يدخل مع القوم لبخله، أو الذي لا يدخل في الميسر

(١) البيت في اللسان والتاج (دسر). وينسب للمثقّب العبدي، يمدح عمرو بن هند.

وهو موسر لبخله. والقرون: الذي يقرن بين الشيئين. يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين. وأصله أن امرأة أحد الأبرام استطعمت من بيوت الأيسار فرجعت بقدر فيها قطع لحم، فوضعتها بين يديه وجمعت عليه الأولاد. فأقبل هو يأكل قطعتين قطعتين، فقالت ذلك.

* المستقصى في أمثال العرب: ١/ ١٧.

١٠ ـ إنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذو المالِ:

يُضرب في حفظ المال والإشفاق عليه.

قال أُحيحةُ بن الجُلاح(١):

كلُّ النداءِ إذا ناديتُ يخذلني إلاَّ ندائي إذا ناديتُ يا مالي
استغنِ أو مُتْ ولا يغررك ذو نسبٍ من ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خال
إني مقيمٌ على الزوراء أعمرها إنَّ الحبيبَ إلى الإخوان ذو المال

* مجمع الأمثال: ٣/ ٣٥.

١١ ـ أحمقُ من أبي غَبْشَان:

كان من حديثه أن خزاعة حدث فيها موت شديد ورُعاف(٢) عمَّهم بمكَّة، فخرجوا منها ونزلوا الظهران، فرُفع عنهم ذلك.

وكان فيهم رجل يقال له حليل ابن حبشيَّة، وكان صاحب البيت، وكان له بنون وبَنت يقال لها حُبَّى، وهي امرأةُ قصيٍّ بن كلاب، فمات حليل، وكان أوصى ابنته حُبَّى بالحجابة وأشرك معها أبا غبشان الملكاني. فلما رأى قصيّ بن كلاب إن حليلاً قد مات، وبنوه غُيَّبٌ، والمفتاح بيد امرأته، طلب إليها أن تدفع

---

(١) شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. كان سيد الأوس في الجاهلية، وكان مرابياً كثير المال.

(٢) الرُّعاف: المطر الكثير.

المفتاح إلى ابنها عبد الدار بن قصيّ، وحمل بنيه على ذلك، وقال:

اطلبوا إلى أمكم حجابة جدِّكم، ولم يزل حتى سلِسَتْ له بذلك، وقالت: كيف أصنع بأبي غبشان وهو وصيٌّ معي؟ فقال قصَيّ: أنَا أكفيك أمره. فاتَّفق إن اجتمع أبو غبشان مع قُصَيّ في شَرْب بالطائف فخدعه قُصَيٌّ عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشترى المفاتيح منه بزقّ خمر وأشهد عليه، ودفع المفاتيح إلى ابنه عبد الدار بن قصيّ وطيَّرَهُ إلى مكة.

فلما أشرف عبد الدار على دور مكَّة رفع عقيرته وقال: معاشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردَّها الله إليكم من غير غدر ولا ظلم، فأفاق أبو غبشان من سُكره أنْدَم من الكُسَعيّ، فقال الناس: أحمق من أبي غبشان. فذهبت مثلاً. وأكثر الشعراء فيه القول. قال بعضهم:

إذا فخرت خزاعةُ في قديم وجدنا فَخْرها شُرْبَ الخمورِ
وبيعاً كعبةَ الرحمن حُمْقاً بِزِقٍّ، بئسَ مفتخَرُ الفَخورِ

وقال آخر:

أبو غبشان أظلم من قُصَيٍّ وأظلمُ من بني فِهْرٍ خُزاعَهْ
فلا تلحَوْا قُصَيّاً في شِراهُ ولوموا شيخكُم أنْ كان باعَهْ

* مجمع الأمثال: ١/٢١٦ ـ ٢١٧.

١٢ ـ أشْأَمُ من أحمرِ عاد:

وأحمر عاد هو قدار بن سالف، ولُقِّب بالأحمر. قال زهير بن أبي سلمى في وصف الحرب:

فتُنْتجْ لكم غلمانَ أشأم كلّهم كأحمرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فتُفْطَمِ

قال الأصعمي: أخطأ زهير في هذا، لأن عاقر الناقة ليس من عاد، وإنما هو من ثمود. وقال المبرد: لا غلط، لأن ثمود يقال لهم عادُ الآخرة، ويقال لقوم هود عادُ الأولى. ويُضرب به المثل في الشؤم، فيقال: أشأمُ من

أحمر عاد، لأن الله أهلك بفعله ثمود. وذلك أنهم قالوا لنبيهم صالح حين دعاهم إلى الإيمان:

يا صالح إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ـ وصفوها له ـ فأخرجها الله بإذنه من الصخرة:

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ [القمر: الآية ٢٧] فآمن بعضهم عند ظهور هذه الآية ثم قال لهم: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥ - ١٥٨].

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٧٩. وجمهرة خطب العرب: ٢/ ٣٥٢.

١٣ ـ أَرَيْتُهُ النجومَ وسط النهار:

قال النابغة الذبياني يصف الحرب:

تبدو كواكبه والشمسُ طالعةٌ لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

يريد بقوله: «تبدو كواكبه والشمس طالعةٌ» شدة الهول والكرب، كما تقول العامة: أريتُه النجوم وسط النهار. قال الفرزدق:

أريكَ نجومَ الليل والشمسُ حيَّةٌ

وقال طرفة بن العبد:

وتريكَ النجم يجري في الظّهر

وإليه ذهب جرير في قوله:

والشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

يقول: إن الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل، لشدّة الغمّ والكرب الذي فيه الناس.

* العقد الفريد: ١/ ٦٩.

١٤ ـ أَدَقُّ من خَيْطِ باطل:

وهذا المثل فيه قولان: أحدهما أنه الهباءُ الذي يكون في ضوء الشمس، فيدخل من الكوَّة في البيت. والثاني أنه الخيط الذي يخرج من فم العنكبوت ويسمِّيه الصبيان: مخاط الشيطان. وهذا القول أجود. قال الجوهري: خيط باطل، ولعاب الشمس، ومخاط الشيطان، واحدٌ.

وكان لقب مروان بن الحكم: خيط باطل، وذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، فلقِّب به لدقته. وفيه يقول الشاعر:

لحا الله قوماً ملكوا خَيْطَ باطلٍ   على الناس يُعطي من يشاء ويمنعُ

والطويل أيضاً يُلقب بظلِّ النعامة، كما يُلقَّب بخيط باطل.

* مجمع الأمثال: ١/ ٤٨.

١٥ ـ أَلأَمُ من أَسْلَم:

هو أسلمُ بن زرعة. ومن لؤمه أنه جَبَى أهل خراسان حين وليها ما لم يَجْبِهِ أحد قبله. ثم بلغه أن الفُرس كانت تضع في فم كل من مات درهماً، فأخذ ينبش تربة النواويس ليستخرج ذلك الدرهم، فقال فيه صهبان الجرمي:

تعوَّذْ بنجمٍ واجعل القبر في صفاً   من الطود لا يَنْبِشْ عظامَكَ أسلمُ(١)

هو النابشُ الموتى المجيلُ عظامهم   لينظر هل تحت السقائف دِرْهَمُ

* مجمع الأمثال: ٢/ ٢٤٩.

١٦ ـ أَخْسَرُ من حمَّالةِ الحطب:

وهي أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب وامرأة أبي لهب المذكورة في سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المَسَد: الآية ١] وفيها قال الشاعر:

---

(١) أي اجعل قبرك في صخرة صمّاء في جبل لئلا ينبش أسلم عظامك.

جمعْتَ شتّى وقد فرقتها جُملاً لأنتَ أَخْسَرُ من حمَّالةِ الحطبِ

أي أظهر خسرانا؛ وذلك أنها كانت تحمل العِضَاه[١] والشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ ليعقره. وقال قتادة ومجاهد والسُّدي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، فتلقي بينهم العداوة وتهيج نارها، كما توقد النار بالحطب. وتُسمى النميمة حطباً. ويقال: فلان يحطبُ على فلان، إذا كان يغري به. وقال:

من البيضِ لم تَصْطَدْ على ظهر سَوْءَةٍ ولم تَمشِ بين القومِ بالحطبِ الرَّطْبِ

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٥٦.

١٧ ـ ارحموا عزيزَ قومٍ ذَلَّ:

قيل هذا المثل عن لسان النبي ﷺ.

أراد عمر بن الخطاب أن يبيع بنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيَّات وأعطاهنَّ لدلاَّل ينادي عليهنَّ في السوق، فكشف عن وجه إحداهن فلطمته على وجهه لطمةً شديدة فصاح: واعمراه! وشكا إليه، فدعاهنَّ عمر وأراد أن يضربهن بالدُّرَّة فقال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ارحموا عزيز قومٍ ذلَّ، وغنياً افتقر، وعالماً عاش بين جُهَّال» إنَّ بنات الملوك لا تباع، ولكن قَوِّمْهُنَّ. فَقَوَّمَهُنَّ وأعطاه أثمانهنَّ وقسمهن بين الحسن ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر.

١٨ ـ أَخْنَثُ من طُوَيسٍ:

ويقال: أشأم من طويس.

الطاوس: طائر معروف، ويصغَّر على طويس، بعد حذف الزيادات.

(١) العِضاه: كل شجر له شوك صغر أو كبر. الواحدة عضاهة.

كان طويس هذا من مخنثي المدينة، وكان يسمى طاوساً، فلما تخنَّث سمي بطويس، ويكنى بأبي عبد النعيم. وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة، ونقر بالدُّفّ المربع، وكان أخذ طرائق الغناء عن سبي الفرس، وذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب كان صيَّر لهم في كلِّ شهر يومين يستريحون فيهما من المهن، فكان طويس يغشاهم حتى فهم طرائقهم.

وكان طويس خليعاً يُضحك الجميع. فمن مجانته أنه كان يقول: يا أهل المدينة، ما دمت بين أظهركم فتوقَّعوا خروج الدجَّال والدَّابَةَ، وإن متُّ فأنتم آمنون، فتدبَّروا ما أقول.

إن أمي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنمائم، ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ وفطمتني في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وبلغتُ الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب، وتزوجتُ في اليوم الذي قتل فيه عثمان، ووُلد لي في اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب، فمن مثلي؟

وكان يُظهر للناس ما فيه من الآفة غير محتشم منه، ويتحدث به وقال فيه شعراً، وهو:

أنا أبو عبد النعيم   أنا طاوُسُ الجحيم
وأنا أشأمُ من دبَّ   على ظهر الحطيم
أنا حاءٌ ثم لامٌ ثم   قافٌ حَشْو ميم

عنى بقوله: «حشوميم»: الياء. لأنك إذا قلت ميم فقد وقعت بين ميمين ياء، يريد أنا حَلَقيّ.

ولما خُصي طويس مع سائر المخنثين قال: ما هذا إلاّ ختان أعيد علينا. وكان السبب في خصائهم أنهم كثروا في المدينة، فأفسدوا النساء على الرجال. وزعم بعضهم أن سليمان بن عبد الملك كان مفرط الغيرة وأن جارية له حضرته في ليلة قمراء وعليها حلى ومعصفر، فسمع في الليل سميراً الأبليّ

يغني هذه الأبيات:

وغادةٍ سمِعَتْ صوتي فأرَّقها من آخرِ الليل لما ملَّها السَّهرُ
تُدْني على فخذيها من معصفرةٍ والحليُ دانٍ على لبَّاتها خَضِرُ[١]
لم يحجب الصوتَ أحراسٌ ولا غَلَقٌ فدمعُها بأعالي الخدِّ ينحدرُ
في ليلة البدر ما يدري معانيها أوَجْهُهَا عنده أبهى أمِ القمرُ
لو خُلِّيَتْ لمشتْ نحوي على قدمٍ تكاد من رقَّةٍ للمشي تنفطرُ

فاستوعب سليمان الشعر، وظنَّ أنه في جاريته، فبعث إلى سمير فأحضره، ودعا بحجَّام ليخصيه، فدخل إليه عمر بن عبد العزيز وكلَّمهُ في أمره، فقال: اسكُتْ، إن الفرس يَصْهَل فتستودِقُ الحِجْرُ له[٢]، وإن الفحلَ يخطر فتضبع[٣] له الناقة، وإن التيس ينبُّ[٤] فتستحرم له العنز، وإن الرجل يغنّي فتشبق له المرأة، ثم خصاه.

ودعا بكاتبه فأمره أن يكتب من ساعته إلى عامله ابن حزم بالمدينة «ان أحصِ المخنثين المغنين» ـ فتشظَّى قلم الكاتب فوقعت نقطة حبر على ذروة الحاء، فكان أن بانت الكلمة: اِخْص المخنثين المغنين ـ وكان ما كان مما تقدم ذكره.

* مجمع الأمثال: ١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥. والشعر في الأغاني: ٤/ ٢٧٥، والعقد الفريد: ٦/ ٦٨ برواية أخرى.

١٩ ـ أَخْصَبُ من صبيحةِ ليلة الظُلْمة:

وذلك أنه أصابت الناس ليلةً ببغداد ريحٌ جاءت بما لم تأت به قطُّ

(١) اللبَّة: موضع القلادة من العنق.
(٢) الحِجر: أنثى الخيل. واستودقت له: دنت منه.
(٣) ضبعت الدابة: أرادت الفحل واشتدت شهوتها.
(٤) نبَّ التيس: صاح. واستحرمت: أرادت الفحل.

ريح، وذلك في أيام المهدي، فأُلفِيَ ساجداً وهو يقول: اللهم احفظنا واحفظ نبيَّك فينا عليه السلام، ولا تشمِّتْ بنا أعداءنا من الأمم، وإن كنتَ يا ربّ أخذتَ الناس بذنبي فهذه ناصيتي بيدك، فارحمنا يا أرحم الراحمين، في دعاء كبير حُفِظَ منه هذا. فلما أصبح تصدَّق بألف ألف درهم، وأعتق مائة رقبة، وأحجَّ مائة رجل، ففعل مثل ذلك جُلُّ قواده وبطانته والخيزران ومن أشبه هؤلاء، فكان الناس بعد ذلك إذا ذكروا الخصبَ قالوا: أخصبُ من صبيحة ليلة الظلمة.

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٦٢.

٢٠ ـ الشَّماتةُ لؤم:

قاله أكثم بن صيفي[١] التميمي، أي لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لَؤُم أصله. وقال:

إذا ما الدهرُ جرَّ على أُناسٍ كَلاَكِلَهُ أناخ بآخرينا

فقُلْ للشامتين بنا أفيقوا سيلقَى الشامتون كما لقينا

وفي حديث أيوب عليه السلام أنه لما خرج من البلاء الذي كان فيه قيل له: أي شيء كان أشدَّ عليك من جملة ما مرَّ بك؟ قال: شماتة الأعداء.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٦٧.

٢١ ـ صارت الفِتيانُ حُمماً:

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر؛ وذلك أن بني تميم قتلوا سعد ابن هند أخا عمرو ابن هند الملك، فنذر عمرو ليقتلنَّ بأخيه مائة من بني

---

(١) حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين. أدرك الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق. وهو المعني في الآية الكريمة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾.

تميم، فجمع أهل مملكته فسار إليهم، فبلغهم الخبر، فتفرقوا في نواحي بلادهم، فأتى دارهم فلم يجد إلاَّ عجوزاً كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة. فلما نظر إليها وإلى حمرتها قال لها: إني لأحسبُك أعجمية!

فقالت: لا والذي أسأله أن يخفض جناحك، ويُهدَّ عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية!. قال: فمن أنت؟ قالت: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد مَعَدّاً كابراً عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة.

قال: فمن زوجك؟ قالت: هَوْذَة بن جرول. قال: وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت: هذه كلمةُ أحمق، لو كنت أعلم مكانه حال بيني وبينك. قال: وأي رجلٍ هو؟ قالت: هذه أحمق من الأولى، أعَنْ هَوْذَة يُسأل؟

هو والله طيِّبُ العِرْق، سمين العَرْق[١]، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف، يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد.

فقال عمرو: أما والله لولا أني أخاف أن تَلدي مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقَيْتُكِ فقالت: وأنت والله لا تقتل إلاَّ النساء، أعاليها ثُدِيّ وأسافلها دُميّ[٢]، والله ما أدركت ثأراً، ولا محوت عاراً، وما من فعلت هذه به بغافل عنك، ومع اليوم غد.

فأمر بإحراقها. فلما نظرت إلى النار قالت: «ألا فتى مكان عجوز؟» فذهبت مثلاً. ثم مكثتْ ساعة فلم يفدها أحدٌ فقالت: هيهات! «صارت الفتيان حمماً» فذهبت مثلاً. ثم أُلقيت في النار.

ولبث عمرو يومه هذا لا يقدر على أحد، حتى إذا كان آخر النهار أقبل راكبٌ يسمى عماراً توضِع[٣] به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو: من

(١) العَرْق: العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة.
(٢) المراد أنها غير مهيأة للمواجهة والقتال.
(٣) توضع به: تسير به سيراً سريعاً.

أنت؟ قال: أنا من البراجم. قال: فما جاء بك إلينا؟

قال: سطع الدخان، وكنت قد طَوِيت[١] منذ أيام فظننته طعاماً. فقال عمرو: «إنَّ الشقيَّ وافِدُ البراجم» فذهبت مثلاً. وأمر به فألقي في النار، فقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره، وإنما أحرق النساء والصبيان.

※ مجمع الأمثال: ٢/٢١٦.

٢٢ ـ إذا ما القارظُ العَنَزيُّ آبا:

قال ابن الكلبي: هما قارظان، كلاهما من عنزة. فالأكبر منهما هو ـ يَذْكُرُ بن عنزة لصُلبه، والأصغر هو رُهْم بن عامر بن عنزة. كان من حديث الأول أن خزيمة بن نهد كان عشِقَ ابنة يَذْكُر وهو القائل فيها:

إذا الجوزاءُ أردفت الثريَّا ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنونا

ثم إن يَذْكُرَ وخزيمة خرجا يطلبان القَرَظ[٢]، فمرَّا بهوَّةٍ من الأرض فيها نخل، فنزل يذكر يشتارُ عسلاً، ودلاَّه خزيمة بحبل. فلما فرغ قال يذكر لخزيمة: أمددني لأصعد. فقال خزيمة: لا والله حتى تزوِّجني ابنتك فاطمة. فقال: أعلى هذه الحال؟ لا يكون ذلك أبداً! فتركه خزيمة حتى مات.

قال: وفيه وقع الشرُّ بين قضاعة وربيعة.

وأما القارظ الأصغر، فإنه خرج لطلب القرظ أيضاً، فلم يرجع ولا يُدرى ما كان من خبره، فصار مثلاً في امتداد الغيبة.

قال بشر بن أبي خازم لابنته عند موته:

فَرَجّي الخيرَ وانتظري إيابي إذا ما القارظُ العَنَزيُّ آبا

※ مجمع الأمثال: ١/١٢٨.

---

(١) طوي: جاع.

(٢) القَرَظ: شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز. وهي نوع من أنواع السنط العربي، يستخرج منه صمغ مشهور. والقارظ هو الذي يجني القرظ.

٢٣ ـ أَعَزُّ من مَرْوَانِ القَرَظِ:

هو مروان بن زِنْباع العبسي، وكان يحمي القَرَظ لعِزِّه. ويقال: سُمِّي بذلك لأنه كان يغزو اليمن وبها منابتُ القَرَظ.

ووُصف مروان هذا للمنذر ابن ماء السماء، فطلبه. ولما حضر عنده قال له: أنت مع ما حُبيتَ به من العزّ في قومك كيف عِلْمُكَ بهم؟ قال: أبَيْتَ اللعن[١]، إني إن لم أعلمهم لم أعلم غيرهم. قال:

ما تقول في عَبْس؟ قال: رمح حديد إن لم تطعن به يطعنك. قال: ما تقول في عبد الله بن غطفان؟ قال: صقور لا تصيدك.

قال: ما تقول في فزارة؟ قال: وادٍ يحمي ويمنع. قال: فما تقول في مُرَّة؟ قال: لا حُرَّ بوادي عوف.

قال: فما تقول في أشجع؟ قال: ليسوا بداعيك ولا بمجيبيك. قال: فما تقول في ثعلبة بن سعد؟ قال: أصوات ولا أنيس.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٣٩١.

٢٤ ـ أَبْلَغُ من قُسّ:

هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار، الإيادي، وكان من حكماء العرب وأَعْقَلَ من سُمع به منهم.

وهو أول من كتب: «من فلان إلى فلان» وأوَّلُ من أقرَّ بالبعث من غير علم، وأول من قال: «أما بعد» وأول من قال: «البيِّنة على من ادَّعى واليمين على من أنكر. وقد عُمِّر مائة وثمانين سنة. قال الأعشى:

وأبلَغُ من قسٍّ وأجرى مِنَ الذي بذي الغيل من خَفَّانَ أصبح خَادِرا[٢]

---

(١) أبيتَ اللعن: أي لا فعلتَ ما تستوجب به اللعن؛ وهي تحية الملوك في الجاهلية.

(٢) قوله: وأجرى من الذي... الخ. يعني أنه أسرع من أسد اتخذ من عرينه (غيله) خدراً =

وأخبر عامر بن شراحيل الشعبي عن عبد الله بن عباس أنَّ وفد بكر بن وائل قدموا على رسول الله ﷺ فلما فرغ من حوائجهم، قال: هل فيكم أحد يعرف قُسَّ بن ساعدة الإيادي؟ قالوا: كلنا نعرفه. قال: فما فعل؟ قالوا: هلك. فقال الرسول ﷺ: «كأني به على جمل أحمر بعكاظ قائماً يقول:

أيها الناس، اجتمعوا واستمعوا وَعُوْا، كلُّ من عاش مات، وكلُّ من مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لَعِبَراً. مِهادٌ مَوْضوع، وسقفٌ مرفوع.

ليلٌ داج، وسماء ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذات فجاج. أقسَمَ قُسٌّ حقاً لئن كان في الأرض رضاً ليكونَنَّ بعده سخَطَ، وإن لله عزَّتْ قدرتُه ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه.

مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا، أم تُرِكوا فناموا؟ ثم أنشد أبو بكر شعراً حفظه له، وهو قوله:

في الذاهبين الأولين ... من القرونِ لنا بصائِرْ
لما رأيتُ موارداً للموت ... ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوها ... يسعى الأصاغِرُ والأكابِرْ
لا يرجعُ الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابِرْ
أيقنتُ أني لا محالة ... حيثُ صار القومُ صائِرْ

❊ مجمع الأمثال: ١/ ١١١.

٢٥ ـ آكَلُ من السُّوس:

وفي مثل آخر: العِيال سوسُ المال. وقيل لخالد بن صفوان بن الأهتم: كيف ابنُك؟ فقال: سيد فتيان قومه ظرفاً وأدباً. فقيل: كم ترزقه في

= وذلك في موضع يقال له خفَّان، وهو مأسدة معروفة بين الثنيّ وعُذَيب.

الشهر؟ قال: ثلاثين درهماً. فقيل: وأين يقع منه ثلاثون درهماً؟! هلاَّ تزيدُ وأنت تستغلُّ ثلاثين ألفاً؟ فقال: الثلاثون أسرع في هلاك مالي من السوس في الصوف في الصيف. فحكي كلامه للحسن فقال: أشهد أن خالداً تميميٌّ لِرُشْده! وإنما قال الحسن ذلك لأن بني تميم معروفون بالبخل والنَّهم.

* مجمع الأمثال: ١/١٤٨. والدرة الفاخرة: ١/ ٧٢.

٢٦ ـ أكثِرْ من الصديق فإنك على العدوّ قادر:

أول من قال هذا فيما ذكر الكلبي: أبجر بن جابر العجلي. وكان من خبر ذلك أنَّ حجار بن أبجر كان نصرانيّاً، فرغب في الإسلام، فأتى أباه فقال: يا أبت، إني أرى قوماً قد دخلوا في هذا الدين ليس لهم مثل قومي، ولا مِثل آبائي، فتشرفوا، فأحبُّ أن تأذن لي فيه. فقال: يا بني، إذا أزمعت على هذا فلا تعجل حتى أقدم معك على عُمر فأوصيه بك، وإن كنت لا بُدَّ فاعلاً فخُذْ مني ما أقول لك: إياك وأن تكون لَك همَّةٌ دون الغاية القُصوى، وإيّاك والسآمة فإنك إن سئمت قذفتك الرجال خلف أعقابها، وإذا دخلت مصراً فأكثر من الصديق، فإنك على العدوِّ قادر. وإذا حضرت باب السلطان فلا تنازعنَّ بوَّابه على بابه، فإن أيْسَرَ ما يلقاك منه أن يعلقك اسماً يسبُّك الناس به.

وإذا وصلت إلى أميرك فبَوِّىء لنفسك منزلاً يجمل بك، وإياك أن تجلس مجلساً يقصر بك. وإن أنت جالست أميرك فلا تجالسه بخلاف هواه، فإنك إن فعلت ذلك لم آمن عليك. وإياك والخُطَبُ فإنها مشوارٌ كثير العثار. ولا تكن حلواً فتُزْدَرَدْ، ولا مُرّاً فتُلْفَظْ. واعلم أن أمثل القوم تقيَّةً الصابرُ عند نزول الحقائق الذَّابُّ عن الحُرَم.

* مجمع الأمثال: ٣/ ٤٥.

٢٧ ـ إذا جاء الحَيْن حارَتِ العين:

قال أبو عبيد: وقد رُويَ نحو هذا عن ابن عباس، وذلك أنَّ نجدة

الحروريّ أو نافعاً الأزرق قال له: إنك تقول إن الهدهد إذا نَقَرَ الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء وهو لا يبصر شعيرة الفخ! فقال: إذا جاء القَدَر عميَ البَصَر!.

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٠.

٢٨ ـ إنه لَهِتْرُ أَهْتار:

الهِتْر: العجب والداهية. يضرَب للرجل الداهي المنكر. قال بعضهم: الهَتْرُ في اللغة العَجَبُ، فسميَّ الرجل الدَّاهي به، كأن الدهر أبدعه وأبرزه للناس ليعجبوا منه. والهتر: الباطل، فإذا قيل: «فلان هتر» أي من دهائِهِ يعرِض الباطل في معرَض الحق، فهو لا يخلو أبداً من باطَل، فجعلوه نفس الباطل كقول الخنساء:

ترتع ما رتَعَتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

وأضافه إلى أجناسه إشارة إلى أنه تميَّز منهم بخاصية يفْضُلهم بها، ومثله «صِلُّ أصلال» وأصله الحيَّة تكون في الصلَّة وهي الأرض اليابسة.

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٧.

٢٩ ـ أنا ابنُ جَلاَ:

يضربُ للمشهور المتعالَم. وهو من قول سُحَيْم بن وَثيل الرِّياحي:

أنا ابنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثنايا ... متى أضَعِ العمامة تعرفوني

وتمثل به الحجَّاج على منبر الكوفة.

قال بعضهم: ابنُ جَلاَ هو النهار. وحكي عن عيسى بن عمر أنه كان لا يصرف رجلاً يسمى بضربَ، ويحتجّ بهذا البيت ويقول: لم ينوّن «جَلاَ» لأنه على وزن مَعَل. قالوا: وليس له في البيت حجة؛ لأن الشاعر أراد الحكاية، فحكى الاسم على ما كان عليه قبل التسمية، وتقديره: أنا ابن الذي يقال له جَلاَ الأمورَ وكشفها.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣١.

٣٠ ـ إذا زلَّ العالِمُ زلَّ بزلَّته عالَمٌ:

لأن للعالم تبعاً فهم به يقتدون. قال الشاعر:

إنَّ الفقيهَ إذا غَوَى وأطاعهُ قومٌ غَوَوْا معه فضاع وضيَّعا
مِثلَ السفينة إن هوَتْ في لُجَّةٍ تغرَقْ ويغرَقْ كلُّ ما فيها معا

* مجمع الأمثال: ١/ ٤٤.

٣١ ـ أَمَكْراً وأنتَ بالحديد؟!

هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد لما قبض عليه وكبَّله. فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا تفضحني بأن تخرجني إلى الناس فتقتلني بحضرتهم فافعل. وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك ويخرجه فيمنعه أصحابه منه.

فقال عبد الملك: أبا أمية، أمكراً وأنت في الحديد؟! يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور.

* بلوغ الأرب: ٣/ ١٩.

٣٢ ـ أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نعامةٌ:

قال هذا المثل الشاعر عمران بن حطان(١).

ذكر صاحب الأغاني أن غزالة الحرورية ـ من الخوارج ـ لما دخلت على الحجاج هي وشبيب بن شبَّة بالكوفة، تحصن منها وأغلق قصره عليه، فكتب إليه عمران بن حطان، وقد كان الحجاج لجَّ في طلبه:

---

(١) عمران بن حطان السدوسي الشيباني الوائلي: رأس الصفرية من الخوارج، وخطيبهم وشاعرهم. توفي سنة ٨٤ هـ/ ٧٠٣م.

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ   فَتْخاءُ[1] تنفر من صفير الصافرِ
هلاَّ برزتَ إلى غزالةَ في الوغَى   بل كان قلبكَ في جناحي طائرِ
صدعت غزالةُ قلبه بفوارسٍ   تركت مدابرهُ كأمسِ الدابرِ

* عيون الأخبار: ١/ ١٧٠. والعقد الفريد: ٥/ ٣٠٢. وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٢٦.

٣٣ ـ أَقْرَى من مَطاعيم الرِّيح:

زعم ابن الأعرابي أنهم أربعة: أحدهم عمُّ أبي محجَن الثقفي، ولم يسمِّ الباقين. وقيل: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفي عم أبي محجن، ولبيد بن ربيعة وأبوه، كانوا إذا هبَّت الصَّبا[2] أطعموا الناس؛ وخصُّوا الصَّبا لأنها لا تهبُّ إلا في جَدْب.

قالت بنت لبيد:

إذا هبَّتْ رياحُ بني عقيلٍ   ذكرنا عند هبَّتها وليدا
أشمَّ الأنف أبيضَ عَبْشَمياً[3]   أعان على مروءته لبيدا

والوليد هو ابن عقبة، وكان والياً على الكوفة. وعندما هبَّت ريح الصبا ذكَّر الناس بفعل لبيد وأرسل إليه مساعدة من أجل ذلك.

* مجمع الأمثال: ٢/ ١٢٧.

٣٤ ـ أَقْرَى من زاد الرَّكب:

زعم ابن الأعرابي أن المثل من أمثال قريش، ضربوه في ثلاثة من أجوادهم: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وأبي أمية بن المغيرة، والأسود بن

(١) الفتخاء: اللينة الجبانة.
(٢) الصَّبا: ريح مهبُّها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.
(٣) العبشميّ: نسبة إلى عبد شمس من قريش.

المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى. سمُّوا زادَ الركب لأنهم كانوا إذا سافروا مع قوم لم يتزوَّدوا معهم.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٥٣٤. والدرة الفاخرة: ٢/ ٣٥٦.

٣٥ ـ أَقْرَى من حاسي الذهب:

هذا أيضاً من قريش، وهو عبد الله بن جُدعان التَّيمي الذي قال فيه أبو الصَّلْت الثقفي:

لـه داعٍ بـمـكـةَ مُـشْـمَـعِـلٌّ وآخـرُ فـوق دارتـه يـنـادي[١]

إلـى رُدُحٍ مـن الـشِّـيـزَى مِـلاءٍ لُـبـابَ الـبُـرِّ يُـلْـبَـكُ بـالـشِّـهـادِ[٢]

وسمي «حاسي الذهب» لأنه كان يشرب في إناء من الذهب.

* مجمع الأمثال: ٢/ ١٢٧.

٣٦ ـ أَقْرَشُ من المجبِّرين:

القَرْش: الجمع والتجارة. والتقرُّش: التجمع. ومن هذا سميت قريش قريشاً. زعم أبو عبيدة أن أربعة رجال من قريش، وهم أولاد عبد مناف بن قصيّ، أولهم هاشم، ثم عبد شمس، ثم نوفل، ثم المطلب ـ بنو عبد مناف ـ سادوا بعد أبيهم، لم يسقط لهم نجم[٣]، جبر الله تعالى بهم قريشاً فسمُّوا المجبّرين. وذلك أنهم وفدوا على الملوك بتجاراتهم، فأخذوا منهم لقريش العُصَم[٤]. أخذ لهم هاشم عهداً من ملوك الشام حتى اختلفوا[٥] بذلك

(١) اشمعلَّ الرجل: ارتفع وأشرف.

(٢) الردح: جمع رداح، وهو العظيم من كل شيء. والشيزى: خشب أسود تعمل منه الجفان ونحوها. والمراد أن له جفاناً عظاماً مليئة بلباب القمح المعجون بالشهد، وذلك علامة الجود.

(٣) أي لم يهبط مقدارهم يوماً بين القبائل.

(٤) العصم: جمع عصام، وهو الحبل تشدُّ به القربة وتحمل. والمراد: أخذ لهم العهود والمواثيق.

(٥) اختلف إلى المكان: تردَّد إليه.

السبب إلى أرض الشام وأطراف الروم. وأخذ لهم عبد شمس عهداً من النجاشي الأكبر حتى اختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة. وأخذ لهم نوفل عهداً من ملوك الفرس حتى اختلفوا بذلك السبب إلى أرض فارس والعراق. وأخذ لهم المطلب عهداً من ملوك حمير حتى اختلفوا بذلك السبب إلى بلاد اليمن.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٥٣٤. والدرة الفاخرة: ٢/ ٣٥٦.

٣٧ ـ أَلْوَتْ به عنقاءُ مُغْرِبٌ:

ويقال أيضاً: طارت به عنقاءُ مغرِبٌ، وحلَّقت به...

يضرب مثلاً لما يُئس منه. والعنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم. وأغرب: أي صار غريباً. وإنما وصف هذا الطائر بالمغرب لبعده عن الناس، ولم يؤنثوا صفته لأن العنقاء اسم يقع على الذكر والأنثى كالدابة والحية.

قال ابن الكلبي: كان لأهل الرسّ نبيٌّ يقال له حنظلة بن صفوان[1]، وكان بأرضهم جبل يقال له دَمْخ، مصعده في السماء ميل، وكانت تنتابه طائرة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، من أحسن الطير، فيها من كل لون. وكانت تقع منتصبة، فكانت تكون على ذلك الجبل تنقضُّ على الطير فتأكله. فجاعت ذات يوم وأعوزت الطير، فانقضَّت على صبي فذهبت به، فسميت «عنقاء مغرب» لأنها تغرب كل ما أخذته. ثم إنها انقضَّت على جارية فضمّتها إلى جناحين صغيرين ثم طارت بها، فشكوا ذلك إلى نبيّهم فقال: اللهم خذها، واقطع نسلها، وسلِّط عليها آفة، فأصابتها صاعقة فاحترقت، فضربتها

(١) حنظلة بن صفوان الرسّي: من أنبياء العرب في الجاهلية. كان في الفترة التي بين الميلاد وظهور الإسلام. وهو من أصحاب «الرسّ» الوارد ذكرهم في القرآن. بعث لهدايتهم فكذبوه وقتلوه. قال ابن خلدون: والرس ما بين نجران إلى اليمن، ومن حضرموت إلى اليمامة.

العرب مثلاً في أشعارها. وأنشد لعنترة بن الأخرس الطائي في مرثية خالد بن يزيد:

لقد حلَّقت بالجود فَتْخاءُ كاسرٌ كفتخاءِ دَمْخٍ حلَّقتْ بالحزوَّرِ

٣٨ ـ أحبَّها وشيَّعته بالبَعَرات:

عن يحيى بن طفيل الجشمي قال: كان عند رجل من قريش امرأة يحبُّها فسافر عنها، فقالت: أشيِّعُكَ، فشيَّعته ثلاث مراحل. فلما مضى قالت لخادمها: ناولني بعرة وروثة وحصاة فناولها.

فألقت الروثة وقالت: راث خبرك (أي أبطأ خبرك)، وألقتْ البعرة وقالت: وعرَ سفرك، وألقت الحصاة وقالت: حصَّ أثرك. فسمعها رجلٌ على الماء فلحقه. فقال له: ما هذه منك؟ قال: امرأتي وتحبني.

٣٩ ـ أَسَدةٌ من بني أسد:

عن خالد الحذَّاء قال: خطبتُ امرأة من بني أسد، فجئت لأنظر إليها، وبيني وبينها رواق يَشفّ[١]. فدعت بجفنة[٢] مملوءة ثريداً مكللة باللحم، فأتت على آخرها. وأتت بوعاء مملوءٍ لبناً أو نبيذاً فشربته حتى كفأته[٣] على وجهها، ثم قالت: يا جارية، إرفعي السَّجْفَ[٤]، فإذا هي جالسة على جلد أسدٍ، وإذا هي شابة جميلة. فقالت: يا عبد الله أنا أسدة من بني أسد على جلد أسدٍ، وهذا مطعمي ومشربي، فإن أحببت أن تتقدم فافعل، فقلت: أستخير الله وأنظر، فخرجت ولم أعُدْ.

* عيون الأخبار: ٤/٩.

(١) يشفّ: يستبان من خلفه.
(٢) الجفنة: وعاء من فخار أو غيره.
(٣) كفأته: شربت كل ما فيه وكاد يلامس وجهها لأنها أخته لتستخرج كل ما فيه.
(٤) السجف: الستار.

٤٠ ـ أنا الغريقُ وما خوفي من البَلَلِ:

قال المتنبي:

والهجر أقتلُ لي مما أراقبهُ   أنا الغريقُ فما خوفي من البللِ

عاد المتنبي إلى سيف الدولة بعد غيبة تسعة عشر يوماً، فلما دخل عليه سأله سيف الدولة عن حاله وهو مستحي فقال أبو الطيب: رأيت الموت عندك أحبَّ إليَّ من الحياة عند غيرك. فقال: بل يطيلُ الله في عمرك، ودعا له، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلقٌ كثير إلى منزله، وأَتْبَعَهُ سيف الدولة بالهدايا.

فقال أبو الطيب يمدحهُ قصيدة أولها:

أَجابَ دمعي وما الدَّاعي سوى طللِ   دعا فلبَّاهُ قبل الرَّكب والإبلِ

إلى أن يقول:

لا أكسبُ الذكر إلاَّ من مضاربهِ   أو من سِنانٍ أصمِّ الكعب معتدلِ
جاد الأمير به لي في مواهبه   فزانها وكساني الدرع في الحللِ
ومن عليٍّ بن عبد الله معرفتي   بحمله من كعبد الله أو كعلي
ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ   مِلءِ الزمانِ وملءِ السهل والجبلِ
فنحن في جَذَلٍ والرُّوم في وَجَلٍ   والبرُّ في شُغُلٍ والبحر في خَجَلِ
من تغلب الغالبين الناسَ منصبُهُ   ومن عدىٍّ أعادي الجُبن والبَخَلِ
والمدحُ لابن أبي الهيجاء تُنجدُهُ   بالجاهلية عينُ العِيِّ والخطلِ
ليت المدائحُ تستوفي مناقبَهُ   فما كليب وأهل الأعصر الأُوَلِ
خذ ما تراه ودعْ شيئاً سمعتَ به   في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَلِ
وقد وجدتُ مكانَ القول ذا سعةٍ   فإن وجدتَ لساناً قائلاً فَقُلِ

* شرح ديوان المتنبي للبرقوقي: ٢/ ٢٠٤.

٤١ ـ إنَّ البَيْعَ مُرْتَخَصٌ وغالٍ:

قالوا: أول من قال ذلك أُحيحَةُ بن الجُلاح الأوسيُّ سيِّدُ يثرب. وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير العبسي أتاه، وكان صديقاً له، لمَّا وقع الشَّرُّ بينه وبين بني عامر، وخرج إلى المدينة ليتجهَّزْ لقتالهم حيث قَتل خالدُ بن جعفر زهيرَ بن جذيمة، فقال قيس لأحيحة: يا أبا عمرو، نُبِّئْتُ أن عندك درعاً فبِعنيها أو هَبْها لي، فقال: يا أخا عبس، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه. ولولا أني أكره أن استلئم إلى بني عامر لوهبتها لك ولحملتُكَ على سوابقِ خيلي، ولكن اشترِها بابن لبون فإن البيع مرتخصٌ وغال، فأرسلها مثلاً.

فقال قيس: وما تكره من استلآمك إلى بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي قال:

إذا ما أردْتَ العِزَّ في دار يثربٍ ... فنادِ بصوتٍ يا أُحيحةُ تُمْنَعِ

رأينا أبا عمروٍ أحيحةَ جارُهُ ... يبيتُ قريرَ العين غير مُرَوَّعِ

ومن يأته من خائفٍ ينْسَ خوفهُ ... ومن يأتِهِ من جائعِ البطن يَشْبَعِ

فضائلُ كانت للجُلاح قديمةٌ ... وأكرِمْ بفَخرٍ من خصالك أربعِ

فقال قيس: يا أبا عمرو، ما بعد هذا عليك من لوم ـ ولهى عنه.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٠.

٤٢ ـ أَشْأَمُ من البسوس:

البسوس في الأصل الناقة التي لا تدرّ إلاّ بالإبساس، وهو أن يقال لها: بُسَّ ـ بُسَّ، لتسكن فتدرّ.

وقيل إن البسوس التي أشار إليها هذا المثل هي خالة جسَّاس بن مرة التي أحمسته عندما قتل كليب ناقتها، فوثب عليه فقتله، فهاجت الحرب بين

بكر وتغلب أربعين سنة لذلك قيل: أشأم من البسوس.

وروي أن رجلاً من بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات يُستجاب له فيها، وكان له امرأة يقال لها البسوس، وكان لها ولد، وكانت له محبة. فقالت: اجعل لي منها دعوة واحدة، فأجابها: لك ذلك. فقالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل، ففعل، فصارت من أجمل النساء لا تضاهيها امرأة في الجمال.

وعند ذلك استخفَّتْ بزوجها، ورغبت عنه، فغضب زوجها ودعا الله أن يمسخها كلبة نباحة فمسخت. إلاَّ أن أولادها غضبوا وقالوا لوالدهم: ليس لنا على هذا قرار، ولا نرضى أن تكون أمنا كلبة تعيرنا الناس بها، فادعُ الله أن يعيدها إلى الحال التي كانت عليها، فلم يجد الرجل بداً من النزول عند رغبتهم، فدعا الله أن يعيدها إلى حالتها الأولى، فعادت كما كانت. فذهبت الدعوات الثلاث فصارت مثلاً في الشؤم، وقيل: أشأم من البسوس.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٧٤. والمستقصى: ١/ ١٧٧. ولسان العرب (بسس).

٤٣ ـ أثْقَلُ من الكانون:

حكى المفضَّل عن الفرَّاء أن من كلامهم[١]: «قد كَنْوَنَتْ علينا» أي ثَقُلَتْ علينا. وحكى عن الأصمعي أن الكانون هو الذي إذا دخل على قوم وهم في حديث كَنَوْا عنه، قال: ولا أعرف هذه العبارة ما معناها. وحكى عن أبي عبيدة أنه «فاعول» من كَنَنْتُ الشيء إذا أخفيته وسترته. قال: ومعناه أن القوم يكنون حديثهم عنه. وأنشد للحطيئة في هجاء أمه وكان من العققة[٢]:

جــزاكِ الله شــراً مــن عــجــوزٍ ولـقَّـاكِ الـعُـقـوقَ مـن الـبـنـيـنـا

(١) أي من كلام العرب.

(٢) العققة: جمع عاق وعقوق. وعقَّ أباه وأمه: استخف بهما وعصاهما وترك الإحسان لهما.

تنحَّيْ فاقعدي مني بعيداً أراح الله منكِ العالمينا
أَغِرْبَالاً إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدّثينا
ألم أظهِرْ لك الشَّحْناء[1] منّي ولكن لا إخالك تعقلينا
حياتُك ما علمتُ حياةُ سوءٍ وموتُك قد يسرُّ الصالحينا

وقال الطبري: قولهم «أثقل من كانون» فيه وجهان؛ أحدهما أن الكانون عند الروم الشتاء، ويحتاج فيه إلى النفقة ما لا يحتاج إليه في الصيف؛ فهو ثقيل من هذه الجهة. قال الشاعر:

لعنةُ الله والرسول وأهل الـ أرض طُراً على بني مظعونِ
بعثُ في الصيف عندهم قُبَّة الخيـ ـشِ وبعثُ الكانون في الكانونِ

والثاني أن الكانون ثقيل، فإذا وُضع لم يحرَّك ولم يرفَعْ إلى آخر الشتاء، فقيل لكل ثقيل: يا أثقل من كانون!

* مجمع الأمثال: ١/ ١٥٦.

٤٤ ـ أَنْقَى من مرآةِ الغريبة:

يعنون التي تتزوج من غير قومها، فهي تجلو المرآة أبداً، لئلا يخفى عليها من وجهها شيء. قال ذو الرمة في ناقته:

لها أُذُنٌ حَشْرٌ وذِفْرَى أسيلةٌ وخدٌّ كمرآة الغريبةِ أَسْجَحُ[2]

* مجمع الأمثال: ٣/ ٤٠٨.

٤٥ ـ أَنْوَمُ من الفَهْد:

لأن الفهد أَنْوَمُ خلق الله وليس نومه كنوم الكلب، لأن الكلب نومه

(١) الشحناء: البغضاء.
(٢) أذن حَشر: أي لطيفة، كأنها حشرت حشراً. والذفرى الأسيلة: العظم الأملس خلف الأذن. والأسجح: السهل المنبسط.

نعاس، والفهد نومه مصمت. وليس شيء في جسم الفهد، أي في حجم الفهد، إلا والفهد أثقل منه، وأحطم لظهر الدابَّة.

وقالت امرأة من العرب: زوجي إذا دخل فهد، وإذا خرج أسد، يأكل ما وَجَد، ولا يسأل عما عهد.

* مجمع الأمثال: ٣/ ٤١١. والدرة الفاخرة: ٢/ ٤٠٠.

٤٦ ـ أَنْكَدُ من تالي النجم:

يعنون بالنجم الثريا، وتاليه الدَّبَران. قال الأخطل:

فهلاً زجرتِ الطير إذا جاء خاطباً بضَيْقَةَ بين النجم والدَّبَرانِ[١]

وقال الأسود بن يعفرُ يصف رفعة منزلته:

نزلتُ بحادي النجم يحدو قرينَهُ وبالقلب قلبُ العقرب المتوقِّد

والعرب تقول: إن الدبران خطب الثريا، وأراد القمر أن يزوِّجه، فأبت عليه وولَّتْ عنه، وقالت للقمر: ما أصنع بهذا السُّبروت[٢] الذي لا مال له، فجمع الدبران قلاصه[٣] يتموَّل بها، فهو يتبعها حيث توجهت، يسوق صداقها (أي مهرها) قُدَّامه، يعنون القلاص.

وإن الجدي قتل نَعْشاً، فبناتُه تدور به تريده. وإن سهيلاً ركض وراء الجوزاء فركضته[٤] برجلها فطرحته حيث هو، وضربها هو بالسيف فقطع وسطها. وإن الشِّعْرى اليمانية كانت مع الشِّعرى الشامية، ففارقتها وعَبَرت المجرَّة، فسميت الشعرى العَبُور، فلما رأت الشِّعرى الشامية فراقها أياها بكت عليها حتى غمِصَت فسُمِّيتْ الغُميصاء.

---

(١) ضَيْقَة: منزل من منازل القمر. (٢) السُّبْروت: الشيء القليل التافه.

(٣) القلاص: جمع قلوص، وهي من الإبل الفتية المجتمعة الخلق وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها، ومن ثم هي ناقة.

(٤) ركضه: رفسه.

٤٧ ـ أَحْلَمُ من الأحنف:

هو الأحنف بن قيس، وكنيته أبو بحر، واسمه صخر، من بني تميم. وكان في رجله حَنَفٌ وهو الميل إلى إنسيِّها، وكانت أمه ترقصه وهو صغير وتقول:

والله لولا ضعفه من هُزْلِهِ وحَنَفٌ أو دِقَّةٌ في رِجْلِهِ
ما كان في صبيانكم من مِثْلِهِ

وكان حليماً[١] موصوفاً بذلك، حكيماً معترفاً له به. وكان يقول: كثرة المزاح تذهب بالهيبة، ومن أكثر من شيء عُرف به، والسؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل. وقال: ثلاث ما أقولهنَّ إلا ليعتبر معتبر: لا أَخلف جليسي بغير ما أحضر به، ولا أُدخل نفسي فيما لا مدخل لي فيه، ولا آتي السلطان أو يرسلَ إليّ.

وسئل: هل رأيتَ أحلمَ منك؟ قال: نعم، وتعلمتُ منه الحلم. قيل: ومن هو؟ قال: قيس بن عاصم المنقري، حضرتُه يوماً وهو مُحْتَبٍ[٢] يحدّثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل، وابن عم له كتيف[٣]، فقالوا: إن هذا قتل ابنك هذا، فلم يقطع حديثه، ولا نقض حَبْوَته، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال: أين ابني فلان؟ فجاءه، فقال: يا بنيَّ قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه.

* مجمع الأمثال: ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

---

(١) الحِلم (بكسر الحاء): الأناةُ وضبط النفس، والعقل. ويقال لمن يتعظ إذا وُعِظ وينتبه إذا نُبّه: «إنَّ العصا قرعت لذي الحِلْم». وحَلُمَ حِلْماً: تأنّى وصفح وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة.

(٢) احتبى: جلس على أليتيه وضمَّ فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند.

(٣) الكتيف: المقيد من كتفيه.

٤٨ ـ أَخْرَقُ من ناكِثَةِ غَزْلِها:

ويقال: من ناقضة غزلها. وهي امرأة كانت من قريش يقال لها: أم رَيْطة بنت كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة، وهي التي قيل فيها «خرقاءُ وجدت صوفاً» والتي قال الله عز وجل فيها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: الآية ٩٢]. قال المفسرون: كانت هذه المرأة تغزل وتأمر جواريها أن يغزلن ثم تنقض وتأمرهنَّ أن ينقضن ما فَتَلْن، فضُرب بها المثل في الخُرْق.

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٥٦.

٤٩ ـ أَخْرَقُ من حمامة:

لأنها لا تُحكِم عُشَّها. وذلك أنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبني عليه عشَّها في الموضع الذي تذهب به الريحُ وتجيء، فبيضُها أضْيَعُ شيء، وما ينكسر منه أكثر مما يسلم. قال عبيد بن الأبرص:

عَيُّوا بأمرِهِمُ كما ... عيَّت ببيضتها الحمامهْ[1]

جعلت لها عُودِين منْ ... نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامَهْ[2]

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٥٥.

٥٠ ـ انْصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً:

يروى أن النبي ﷺ قال هذا، فقيل له: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ فقال ﷺ: «تَرُدُّه عن الظلم». قال أبو عبيد:

(١) عيَّت: عجزت.

(٢) الثُمام: عشب من الفصيلة النجيلية. ويقال: هو على طرف الثُمام، إذا كان هيّن المتناول. والنشم: شجر من الفصيلة الزيزفونية كانت تتخذ منه القسيّ. والجمع بين الثمام الهش والنشم الصلب هو من علامات الخُرْق.

أما الحديث فهكذا، وأما العرب فكان مذهبها في المثل نصرته على كل حال.

قال المفضَّل: وأول من قال ذلك جُندب بن العنبر بن تميم بن عمرو، وكان رجلاً دميماً فاحشاً شجاعاً (روى مناسبة إرساله هذا المثل في قصة مع سعد بن زيد مناة).

قال الميداني: قوله: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» يجوز أن يكون «ظالماً أو مظلوماً» حالين من قوله «أخاك» ويجوز أن يكونا حالين من الضمير المستكن في الأمر، يعني: انصره ظالماً إن كنتَ خصمه أو مظلوماً من جهة خصمه، أي لا تُسلمه في أي حال كنت.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٣٣٤.

٥١ ـ بِبَقَّة صُرِمَ الأمرُ:

بقَّة: موضع بالشام. وهذا القول قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة الأبرش حين وقع في يد الزباء ملكة تدمر. والمعنى: قُطع هذا الأمر هناك، يعني لما أشار عليه أن لا يتزوجها فلم يقبل جذيمة قوله آنذاك. وروى الميداني قصة غدر الزباء بجذيمة الأبرش في كلامه على المثل «خطبٌ يسيرٌ في خطب كبير» ويضرب المثل «ببقَّة صُرم الأمر» لمن يستشير بعد فوت الأمر.

* مجمع الأمثال: ١/ ٩٠ و٢٣٣ ـ ٢٣٧. والمستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٦.

٥٢ ـ بلغَ السَّيْلُ الزُّبَى:

هي جمع زُبْيَة، وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده. وأصلها الرابية لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً. يضرب لما جاوز الحد.

حدث سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه عن ابن المعتمر قال: أُتيَ

معاذ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد في زُبْية، فلم يدر كيف يفتيهم، فسأل علياً وهو محتب بفناء الكعبة، فقال: قُصُّوا عليَّ خبركم. قالوا: صدنا أسداً في زُبية، فاجتمعنا عليه، فتدافع الناس عليها، فرموا برجل فيها فتعلق الرجل بآخر، وتعلق الآخر بآخر. فهووا فيها ثلاثتهم.

فقضى علي أن للأول ربعَ الديَّة، وللثاني نصف الدية، وللثالث الديَّة كلها. فأخبر النبي ﷺ بقضائه فيهم، فقال: لقد أرشدك الله للحق.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٥٨. والمستقصى: ٢/ ١٤.

٥٣ ـ بعض الشرّ أهْوَنُ من بعض:

هذا من قول طرفة بن العبد حين أمر النعمان بقتله، فقال:

أبا منذرٍ أفنيْتَ فاستبْقِ بعضنا   حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

يُضرب عند ظهور الشرَّيْن بينهما تفاوت.

* ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٠٨. ومجمع الأمثال: ١/ ١٦٤.

٥٤ ـ بيضةُ العُقْر:

قيل: إنها بيضة الديك. يُضرب للشيء يكون مرة واحدة، لأن الديك يبيض في عمره مرة واحدة فيما يقال. قال بشار بن برد:

قد زرتني زورةً في الدهر واحدةً   ثنّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ

قال أبو عبيدة: يقال للبخيل، يعطي مرة ثم لا يعود: كانت بيضة الديك. فإن كان يعطي شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة: كانت بيضةَ العُقْر.

وقال بعضهم: بيضة العقر، كقولهم: «بيضة الأَنُوق[1]، والأبلق العقوق» يقال مثلاً لما لا يكون.

* ثمار القلوب: ص ٩٦. ومجمع الأمثال: ١/ ١٦٧.

---

(١) الأَنوق: العقاب أو الرخمة.

٥٥ ـ بِئْسَ الرِّدْفُ «لا» بعد «نعم»:

الرِّدْف: الرديف. وأنشد ابن الأعرابي:

لا تُتْبِعَنَّ نَعَمْ لا طائعاً أبداً فإنَّ لا أفسدتْ من بعدما نَعَمِ
إنْ قلتَ يوماً نَعَمْ بَدْءاً فتمَّ بها فإنَّ إمضاءَها صِنفٌ من الكرمِ

قال المهلَّب بن أبي صُفرة لابنه عبد الملك: يا بني، إنما كانت وصية رسول الله ﷺ عامَّتُها عِدَاتٌ أنفذها أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، فلا تبدأ بنعم فإن موردها سهل، ومصدرها وَعْر. واعلم أن «لا» وإنْ قبُحت فربما روَّحت؛ وما قدرت فلا توجب الطمع. وقال سمرة بن جُندب: لأن أقول للشيء لا أفعله ثم يبدو لي فأفعله أحبُّ إليَّ من أن أقول أفعله ثم لا أفعله. قال المثقَّبُ:

حسنٌ قولُ نعم من بعد لا وقبيحٌ قول لا بعد نَعَمْ

* مجمع الأمثال: ١/ ٩٨.

٥٦ ـ جارٌ كجار أبي دؤاد:

يعنون كعب بن مامة الإيادي. فإن كعباً كان إذا جاوره رجلٌ فمات ـ وَدَاه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فجاءه أبو دؤاد الشاعر مجاوراً له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضربت العرب به المثل في حسنِ الجوار، فقالوا: كجار أبي دُؤاد. قال قيس بن زهير:

أطوِّفُ ما أطوِّفُ ثم آوي إلى جارٍ كجارِ أبي دؤادِ

وقال طرفة بن العبد:

إني كفاني من أمرٍ هممتُ به جارٌ كجارِ الحذافيِّ الذي اتَّصفا[1]

(١) الحذافي: هو أبو دؤاد، جارية بن الحجاج الإيادي. شاعر جاهلي، كان من وصَّاف الخيل المشهورين.

* ديوان طرفة: ص ٢١٥. وشرح شواهد المغني: ٤/ ٢٢٩. وبلوغ الأرب: ١/ ٨١.

٥٧ ـ جَزَاءَ سِنِمَّار:

أي جزاني جزاءَ سِنِمَّار؛ وهو رجل رومي بنى قصر الخَوَرْنَق الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس اللَّخمي[١]. فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخرَّ ميتاً. وإنما فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره، فضربت العربُ به المثل لمن يُجزَى بالإحسان الإساءة. قال الشاعر:

جَزَتْنا بنو سعدٍ بحُسن فعالنا   جزاءَ سنمَّارٍ وما كان ذَا ذَنْب

وقيل: هو الذي بنى أُطْمَ[٢] أُحيحة بن الجُلاح[٣]، فلما فرغ منه قال له أحيحة: لقد أحكمته؟ قال: إني لأعرفُ فيه حجراً لو نُزِعَ لتقوَّض من عند آخره. فسأله عن الحجر، فأراه موضعه، فدفعه أحيحةُ من الأُطم فخرَّ ميتاً.

* جمهرة الأمثال: ١/ ٣٠٥. ومجمع الأمثال: ١/ ٢٨٣.

٥٨ ـ تَرِبَتْ يداك:

قال أبو عبيد: يقال للرجَلْ إذا قلَّ ماله «قد تَرِب» أي افتقَرَ حتى لصق بالتراب. وهذه كلمة جارية على ألسنة العرب، يقولونها ولا يريدون وقوع الأمر، ألا تراهم يقولون: لا أرضَ لك، ولا أُمَّ لك، ويعلمون أن له أرضاً وأمّاً.

قال المبرّد: سُمع أعرابي في سنة قحط بمكة، يقول:

قد كنتَ تسقينا فما بَدَا لكا   ربَّ العبادِ ما لنا وما لَكَا

---

(١) كان ملك الحيرة من قبل الفُرس في الجاهلية يعرف بالأعور السائح، وهو باني القصرين الشهيرين: الخورنق والسَّدير، ويقال له فارس حليمة.
(٢) الأُطُم: الحصن والبيت المرتفع. الجمع: آطام.
(٣) شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. قال الميداني: كان سيد يثرب، وكان له حصنٌ فيها سمَّاه «المستظلّ» وحصن في ظاهرها سماه «الضحيان» (أمثال الميداني: ١/ ١٣).

أنــزِلْ عــلــيــنــا الــغــيــثَ لا أبــا لــكــا

قال: فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال: أشهد أن لا أبا له ولا أمَّ ولا ولد.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٣٣.

٥٩ ـ تركْتُه تُغَنّيه الجرادَتَان:

يُضرب لمن كان لاهياً في نعمة ودَعَة.

والجرادتان: قَيْنتا معاوية بن بكر أحد العماليق. وإن عاداً لما كذَّبوا هوداً عليه السلام توالت عليهم ثلاث سنوات لم يروا فيها مطراً، فبعثوا من قومهم وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم، ورأسوا عليهم، قيْل بن عنق، ولُقيم بن هزال، ولقمان بن عاد.

وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق، وهم من بني عمليق بن لاوذ بن سام، وكان سيدهم بمكة ـ معاوية بن بكر، فلما قدموا نزلوا عليه، لأنهم كانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً، وكان يُكرِمهم والجرادتان تغنِّيانهم، فنسوا قومهم شهراً، فقال معاوية: هلك أخوالي! ولو قلت لهؤلاء شيئاً ظنُّوا بي بخلاً، فقال شعراً وألقاه إلى الجرادتين تغنيانه:

ألا يا قَيْلُ وَيحك قُمْ فهيْنِمْ ... لعل اللَّهَ يبعثها غماما[1]

فيسقيَ أرضَ عادٍ إن عاداً ... قَدَ آمْسَوْا لا يُبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس ترجو ... لها الشيخَ الكبير ولا الغُلاما

وقد كانت نساؤهم بخيرٍ ... فقد أمست نساؤهم أيامَى

وإن الوحشَ يأتيهم جَهاراً ... ولا يخشى لعاديٍّ سهاما

---

(١) القَيْل: من ملوك اليمن في الجاهلية، دون الملك الأعظم. الجمع: أقيال وأقوال وهينم: دعا الله، أو تكلم وأخفى كلامه.

وأنتم هاهنا فيما أشتهيتم نهاركمُ وليلكم التَّماما
فقُبِّحَ وفدُكم من وفدِ قومٍ ولا لُقُّوا التحيةَ والسلاما

فلما غنَّتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومكم، يتغوّثون بكم، فقاموا ليدْعوا، وتخلَّفَ لقمان، وكانوا إذا دعوْا جاءهم نداء من السماء أن سلوا ما شئتم فتعطون ما سألتم. فدعوا ربهم، واستسقوا لقومهم، فأنشأ الله لهم ثلاث سحابات: بيضاء، وحمراء، وسوداء.

ثم نادى منادٍ من السماء: يا قَيْلُ اختر لقومك ولنفسك واحدة من هذه السحائب فقال: أما البيضاء فجفل[1]، وأما الحمراء فعارض، وأما السوداء فهطلة، وهي أكثرها ماءً فاختارها.

فنادى منادٍ: قد اخترت لقومك رماداً رمداً، لا تُبقي من عادٍ أحداً، لا والداً ولا ولداً. قال: وسيَّر الله السحابة التي اختارها قَيْلٌ إلى عاد، ونودي لقمان: سَلْ، فسأل عمرَ ثلاثة أنْسُر، وقيل سبعة أنسر. وكان يأخذ فرخ النسر من وكرهِ فلا يزال عنده حتى يموت، وكان آخرها لُبَد وهو الذي يقول فيه النابغة:

أضحتْ خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لبدِ

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٣٢.

٦٠ ـ حديثُ خُرافةٍ:

خرافة هو رجل من بني عُذْرة استهوته الجن كما تزعم العرب مدَّة، ثم لما رجع أخبر بما رأى منهم فكذَّبوه، حتى قالوا لما لا يمكن: حديث خُرافة.

(١) الجَفْل: السحاب الذي يريق ماءه ثم ينجفل ويمضي. والعارض: السحاب المطلّ. والهطلة: مطرها متتابع.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «خرافة حقٌّ» ـ يعني ـ ما تحدَّث به خرافةُ عن الجنِّ حق.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٤٦.

٦١ ـ الحربُ سِجال:

المساجلة: أن تصنع مثل صنيع صاحبك من جرْي أو سقي. وأصله من السَّجْل، وهو الدلو فيها ماء قلَّ أو كثر، ولا يقال لها وهي فارغة: سَجْل. قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مَن يساجِلْني يُساجِلْ ماجداً   يملأُ الدَّلوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ

وقال أبو سفيان يوم أُحُد بعدما وقعت الهزيمة على المسلمين: أعْلُ هُبَلُ، أعْلُ هُبَلُ! فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال: بلَى يا عُمر. قال عمر: الله أعلى وأَجَلُّ! فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، إنه يوم الصَّمْت، يوماً بيوم بدر، وإن الأيام دُوَل، وإن الحرب سجال. فقال عمر: ولا سَوَاء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.

فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خِبْنا إذن وخسِرْنا!

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٨٠.

٦٢ ـ حتَّى يؤوب المثلَّمُ:

هذا من أمثال أهل البصرة، يقولون: لا أفعل كذا حتى يؤوب المثلم. وأصل هذا أن عبيد الله بن زياد أمر بخارجي أن يُقتل، فأقيم للقتل، فتحاماه الشُّرَطُ مخافة غِيلة الخوارج.

ومرَّ به رجل يعرف بالمثلَّم ـ وكان يتَّجر باللقاح والبكاةِ ـ فسأل عن الجمع، فقيل له: خارجي قد تحاماه الناس، فانتدب له، فأخذ السيف وقتله به. فرصده الخوارج ودسُّوا إليه رجلين منهم، فقالا له:

هل لك في لقحة من حالها وصفتها كذا؟ قال: نعم، فأخذاه معهما إلى دارٍ قد أعدَّا فيها رجالاً منهم، فلما توسطها رفعوا أصواتهم: أن لا حكم إلا الله وعَلَوْه بأسيافهم حتى بَرَد[1]؛ فذلك حين قال أبو الأسود الدؤلي:

وآلَيْتُ لا أسعى إلى ربِّ لِقْحةٍ أُساوِمُه حتى يؤوب المثلَّمُ

فأصبَحَ لا يدري أمرؤ كيف حاله وقد بات يجري فوق أثوابه الدَّم

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٨٣. وديوان أبي الأسود الدؤلي.

٦٣ ـ خُذْهُ ولو بقُرْطَيْ ماريَةَ:

هي مارية بنت ظالم بن وهب، وأختها هند الهنود، امرأة حجر آكل المِرار الكندي. قال أبو عبيدة: هي أمُّ ولد جَفْنة. وقال حسان بن ثابت فيهم:

أولادُ جَفْنَةَ حول قبر أبيهمُ قبر ابن ماريةَ الكريم المُفْضِلِ

يقال: إنها أهدت إلى الكعبة قرطيها، وعليهما دُرَّتان كبيضتي حمام، لم يَرَ الناس مثلهما، ولم يدروا ما قيمتهما.

يضربُ في الشيء الثمين، أي لا يفوتنَّك بأي ثمن يكون.

* مجمع الأمثال: ١/ ٤١٠. وديوان حسان بن ثابت: ص ٣٠٩.

٦٤ ـ خالِفْ تُذْكَرْ:

قال المفضَّل بن سلمة: أول من قال ذلك الحطيئة ـ وكان ورد الكوفة فلقي رجلاً فقال له: دلَّني على أفتى المصر نائلاً[2]، قال: عليك بعُتيبة بن النَّهاس العجليِّ، فمضى نحو داره، فصادفه، فقال: أنت عتيبة؟ قال: لا. قال: فأنت عتَّاب؟ قال: لا. قال: إن اسمك لشبيه بذلك، قال: أنا عتيبة، فمن أنت؟

---

(١) بَرَد: مات.

(٢) المصر: البلد. وأفتاهم نائلاً: أكثرهم عطاءً. والفتوَّة: هي الحرية والكرم.

قال: أنا جَرْوَل. قال: ومن جَرْوَل؟ قال: أبو مليكة؟ قال: والله ما ازددت إلاَّ عمىً. قال: أنا الحطيئة. قال: مرحباً بك.

قال الحطيئة: فحدثني عن أشعر الناس من هو؟ قال: أنت ـ قال الحطيئة: «خالف تُذكر»، بل أشعر الناس مني الذي يقول[١]:

ومن يجعلِ المعروفَ من دون عِرْضهِ يَفِرْهُ، ومن لا يتَّقِ الشَّتم يُشْتَم[٢]

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله على قومِه يُستغنَ عنه ويُذمم

قال: صدقت، فما حاجتك؟ قال: ثيابك هذه فإنها قد أعجبتني، وكان عليه مطرف خَزّ، وجبَّة خَزّ، وعمامة خَزّ. فدعا بثياب فلبسها ودفع ثيابه إليه، ثم قال له: ما حاجتك أيضاً؟ قال: ميرة[٣] أهلي من حَبّ وتمر وكسوة، فدعا عوناً له فأمره أن يميرهم وأن يكسو أهله، فقال الحطيئة: العَوْدُ أحْمَدُ ـ ثم خرج من عنده وهو يقول:

سُئِلتَ فلم تبخلْ ولم تُعطِ طائِلاً فسيَّان لا ذمٌّ عليك ولا حَمْدُ

❊ مجمع الأمثال: ١/ ٤١٠.

٦٥ ـ الخَرَسُ لا يُبطِلُ الزواج:

يروى أن رجلاً من العرب خطب من آخر ابنته، فقال الأب: قد زوجتك خرساء اللسان، خرساء الدُّمْلُج[٤]، خرساء الخلخال، فقال: قد تزوجت ورضيت. فلما زُفَّت إليه وجد بلسانها خرس، فذكر ذلك لأبيها فقال الأب: ألم أخبرك أنها خرساء اللسان؟

قال: ظننت أنك تريد أنها قليلة الكلام والصَّخب، لا أنها عاجزة عن

(١) هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى.
(٢) وفرته عرضه وَفْراً: إذا أثنيت عليه ولم تُعبه.
(٣) الميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه.
(٤) الدملج: سوار يحيط بالساعد.

النطق. فترافعا إلى بعض القضاة، فحكم عليه بتمام الزواج، لأن الخرس ليس من العيوب التي يُرَدُّ بها الزواج.

وأقامت عنده، فولدت له أولاداً نجباء فقال في ذلك:

وإنَّ بني الخرساء أمطارُ شتوةٍ إذا العام أزرى بالبخيل المزنَّدِ[1]

هُمُ النَّفَرُ الحامون في موقفِ الوغى وهم خطباءُ الحي في كل مشهد

وكان رجل من «كلب بن وبرة» جالساً مع قومه، فجعلوا يتحدثون وهو ساكت، فقال له بعضهم: «بحقٍّ ما سُمِّيتم: «خُرْسَ العرب! أي قليلو الكلام».

فلهذا المعنى اغترَّ الخاطب بقول القائل: «زوَّجتك خرساء اللسان».

وفي المثل: «رُبَّ خَرَسٍ أنْجَى من فَرَس».

وذلك أن قوماً من العرب قُتِل منهم رجل، فطلبوا قاتله، فوجدوا أخويه، وكان أحدهما أخرس فلم يقتلوه. وركب الآخر فرساً لينجو فأدركه الطلب فقتِل، فقيلت هذه المقالة.

* رسالة الغفران: ١/ ٥٢٢.

٦٦ ـ زَمَنُ الفِطَحْل:

يضربُ في شيء قدم عهده.

قالوا: هو زمن لم يُخلق الناس فيه بعد. وهو زمن نوح النبيّ.

قال الجرمي: سألت أبا عبيدة عنه فقال: الأعراب تقول: ذلك زمن كانت الحجارة فيه رطبة. وروي أن رؤبة بن العجاج نزل ماءً من المياه[2] فأراد أن

(١) المزنَّد: البخيل الممسك. وإذا أزرى العام بمثل هذا البخيل فهو إذن عام في غاية الشدّة من المَحْل.

(٢) أي نزل حياً من أحياء العرب، إذ كانوا ينزلون على المياه.

يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ما سنّك، ما مالك، ما كذا؟ فأنشأ يقول:

تسألني عن السنين كَمْ لي؟
فقلت: لو عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ[1]
أو عمر نوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ
والصخرُ مبتلٌّ كطينِ الوَحْلِ
أو أنني أوتيت عِلْمَ الحُكْلِ[2]
علمَ سليمان كلامَ النملِ
كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

* مجمع الأمثال: ٣/ ٣١. ولسان العرب (فطحل).

٦٧ ـ رجع بخفَّي حُنين:

يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة:

أصله أن حُنيناً كان إسكافياً بالحيرة، وساومهُ أعرابي بخفَّين فاختلفا حتى أغضبه. فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنيْنُ الخفَّيْن فألقى أحدهما على طريقه، ثم ألقى الآخر بموضع آخر. فلما مرَّ الأعرابي بالخفّ الأول قال: ما أشبه هذا بخفي حنين، ولو كانا خفَّين لأخذتهما.

ثم مرَّ بالآخر فندم على ترك الأول، فأناخ راحلته وانصرف إلى الأول، وقد كمن له حنين، فأخذ الراحلة، وذهب بها. وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفَّيّ حنين... فذهبت مثلاً.

* نهاية الأرب: ٣/ ٣٢.

---

(١) الحِسْل: ولد الضبّ حين يخرج من بيضته. والمراد: لو عُمّرت طويلاً. وفي المثل: لا آتيك سِنَّ الحِسْل، أي أبداً، لأن سنها لا تسقط أبداً حتى تموت.

(٢) الحكل: العجم من الطيور والبهائم. وكلامُ الحُكْل: كلام لا يُفهم.

٦٨ ـ زوجٌ من عُودٍ خيرٌ من قعُود:

قالته بعض نساء العرب. قالوا: كان ذو الإصبع العدواني غيوراً وله بنات أربع. وكان لا يزوجهن غيرةً عليهن. فاستمع إليهن يوماً وقد خلون يتحدَّثن، فقالت إحداهن: لتقُلْ كل واحدة منا ما في نفسها، ولتصدقنَّ جميعاً.

فاشتهت كل واحدة من الثلاثة زوجاً وصَفَتْ من جماله وكماله وسعة حاله، ثم أبَتْ الصغرى أن تتكلم، فقالوا: لا بُدَّ أن تقولي، وألحوا عليها فقالت: زوج من عُودٍ، خيرٌ من قعود، فزوَّجهنَّ.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٢٠.

٦٩ ـ زُرْ غِبًّا تزدَدْ حبًّا:

قاله معاذ بن صِرْم الخزاعي، وكانت أمه من ـ عكّ، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زماناً، ثم خرج يتصيَّد مع بني أخواله. فحمل على عِير، فلحقه ابن خاله ويقال له الغضبان. فتخاصما فقال الغضبان:

والله لو كان فيك خير لما تركت أهلك. فقال معاذ: زُرْ غِبًّا تزدَدْ حبًّا، فذهبت مثلاً. وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا شئتَ أن تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاليا ... وإن شئتَ أن تزداد حبًّا فزُرْ غبَّا

وقال آخر:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... إذا كثرَتْ كانت إلى الهجر مَسْلكا
ألم تَرَ أنَّ القطر يُسْأمُ دائماً ... ويُسأَلُ بالأيدي إذا هو أمسكا

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٢٢.

٧٠ ـ عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ:

هذا المثل قاله المتنبي في قصيدة نظمها في صباه، وفيها تظهر همته

العالية. ومما قال فيها:

مَفْرَشي صهوةُ الحصان ولكـ ـنَّ قميصي مَسْرودةٌ من حديدِ(١)
أينَ فضلي إذا قنعتُ من الدهْـ ـرِ بعيشٍ معجَّلِ التنكيدِ
عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ بين طعن القَنا وخَفْق البنودِ
لا كما قد حييتَ غير حميدٍ وإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيدِ
فاطلب العزَّ في لظًى ودعِ الذُّ لَّ ولو كان في جنانِ الخلودِ

إلى أن يقول:

ما بقومي شرفْتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخرتُ لا بجدودي
وبهم فخرُ كل مَنْ نطق الضَّا دَ وعَوْذُ الجاني وغَوْثُ الطريدِ(٢)
إن أكُنْ معجباً فعُجْبُ عجيبٍ لم يجد فوقَ نفسه من مزيدِ

* شرح ديوان المتنبي: ١/ ٦٣ ـ ٦٤.

٧١ ـ على الخبير سقَطْتَ:

الخبير: العالم. والخُبْر: العلم. وسقطت: أي عثرت، عبَّر عن العثور بالسقوط؛ لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه.

يقال إن المثل لمالك بن جبير العامري، وكان من حكماء العرب. وتمثل به الفرزدق للحسين بن علي رضي الله عنهما حين أقبل يريد العراق، فلقيه وهو يريد الحجاز، فقال له الحسين: ما وراءك؟ قال: على الخبير سقطْتَ: قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والأمر ينزل من السماء. فقال الحسين رضي الله عنه: صَدَقْتَني.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٢٤.

---

(١) المسرودة: هي الدرع المنسوجة. وفي البيت إشارة إلى تأهّبه الدائم للقتال.
(٢) من نطق الضاد: العرب. العوذ: اللجوء والحماية. الغوث: النصرة.

٧٢ ـ اعقِلْ وتوكَّلْ:

يُضربُ في أخذ الأمر بالحزم والوثيقة. ويروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أأُرسلُ ناقتي وأتوكَّل؟ قال: «اعقِلْها وتوكَّلْ».

* مجمع الأمثال: ٢/٢٦.

٧٣ ـ العَجَبُ كل العَجب، بين جُمَادَى وَرَجب:

أول من قال ذلك عاصم بن المقشعر الضَّبي ـ وكان أخوه أبيدة علق امرأة الخنيفس بن خشرم الشيباني، وكان الخنيفس أغيَرَ أهل زمانه وأشجعَهُمْ، وكان أُبَيْدَةُ عزيزاً منيعاً، فبلغ الخنيفس أن أُبيدَة مضى إلى امرأته، فركب الخنيفس فرسه وأخذ رُمحه وانطلق يرصِدُ أُبيدة.

وأقبل أبيدة، وقد قضى حاجته راجعاً إلى قومه، وهو يقول:

ألا إنَّ الخُنَيْفِسَ فأعلموه ... كما سمَّاه والده اللعينُ
بهيم اللون محتقرٌ ضئيلٌ ... لئيماتٌ خلائقُهُ ضنينُ
أيوعدُني الخنيفس من بعيدٍ ... ولمَّا ينقطع منه الوَتينُ
لَهَوْتُ بجارتَيْه، وحادَ عنيٍّ ... ويزعم أنَّهُ أنِفٌ شَنُونُ

قال: فشدَّ عليه الخُنيفس، فقال أُبيدة: أذكِّركَ حرمة خَشْرم، فقال: وحُرْمةِ خشرمٍ لأقتلنَّك. قال: فأمهلني حتى أستلئم[1]. قال: أوَيستلئمُ الحاسر؟ فقتله، وقال:

أيا ابن المُقْشَعرِّ لقيتَ ليثاً ... له في جوفِ أيْكَتِهِ عَرينُ
تقول صددتُ عنكَ خَنَاً وجُبناً ... وإنك ماجدٌ بطلٌ متينُ
وإنك قد لهوتَ بجارتَيْنَا ... فهاكَ أُبَيْدُ لاقاكَ القرينُ

(١) استلأم: لبس اللأمة، وهي الدرع.

ستعلم أيُّنا أحمَى ذماراً إذا قصُرَتْ شمالُك واليمينُ
لهوتُ بها فقد بُدِّلْتُ قبراً ونائحةً عليك لها رنينُ

قال: فلما بلغ نعيُّهُ أخاه عاصماً لبس أطماراً[1] من الثياب وركب فرسه وتقلَّد سيفه، وذلك في آخر يوم من جُمادى الآخرة، وبادر قتلهُ قبل دخول رجب، لأنهم كانوا لا يقتلون في رجب أحداً، وانطلق حتى وقف بفناء خباء الخنيفس فنادى:

يا ابن خَشْرم! أغِثْ المرهَق فطالما أغَثْتَ، فقال: ما ذاك؟ قال: رجل من بني ضَبَّة غصَبَ أخي امرأته فشدَّ عليه فقتله، وقد عجزتُ عنه.

فأخذ الخنيفس رمحه وخرج معه، فانطلقا فلما علم عاصم أنه قد بعد عن قومه داناه حتى قارنه ثم قنَّعه[2] بالسيف فأطار رأسه، وقال:

«العجب كل العجب بين جمادى ورجب» فأرسلها مثلاً، ورجع إلى قومه.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٣٥٥.

٧٤ ـ عند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ:

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حَدَثاً، فخرج هارباً، فلقيه الحصين بنُ عمرو الكلابي فقال له: من أنت؛ ثكلتك أُمُك؟ فقال له الأخنس: بل من أنت ثكلتك أمُك؟ فردد هذا القول حتى قال الأخنس: أنا الأخنس بنُ كعب، فأخبرني من أنت، وإلا أنفذت قلبك بهذا السِّنان. فقال له الحصين: أنا الحصين بن عمرو الكلابي.

فقال له الأخنس: فما الذي تريد؟ قال: خرجتُ لِمَا يخرج له الفتيان.

---

(١) الأطمار: الثياب الخلقة البالية.
(٢) قنَّعه بالسيف أو السوط أو العصا: علاه به.

قال الأخنس: وأنا خرجتُ لمثل ذلك. فقال له الحصين: هل لك أن نتعاقد ألا نلقى أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه؟ قال: نعم؛ فتعاقدا على ذلك، وكلاهما فاتك يحذَرُ صاحبه!

فلقيا رجلاً فسلباه، فقال لهما: هل لكما أن تردّا عليّ بعض ما أخذتما مني وأدلّكما على مغنم؟ قالا: نعم. فقال: هذا رجل من لخم، قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير، وهو خلفي في موضع كذا وكذا. فرَدّا عليه بعض ماله، وطلبا اللَّخمي، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقُدّامه طعام وشراب، فحيياه وحياهما، وعرض عليهما الطعام، فكره كلٌّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به، فنزلا جميعاً، وأكلا وشربا مع اللّخمي.

ثم إن الأخنس ذهب لبعض شأنه، فرجع واللخمي يتشحّط في دمه. فقال الجهني ـ وهو الأخنس ـ وسلّ سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً: ويحك! فتكْتَ برجلٍ قد تحرمنا بطعامه وشرابه، فقال: اقعد يا أَخَا جُهينة؛ فلهذا وشبهه خرجنا. فشرِبا ساعةً وتحدثا.

ثم إن الحصين قال: يا أخا جهينة؟ أتدري ما صعْلةُ وما صَعْل؟ قال الجهني: هذا يوم شرب وأكل؛ فسكت الحصين حتى إذا ظن أنّ الجهني قد نسيَ ما يُراد به قال: يا أخا جهينة؛ هل أنت للطير زاجر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العُقاب الكاسر. قال الجهني: وأين تراها؟ قال: هي ذِه. وتطاول ورفع رأسه إلى السماء، فوضع الجهني بادِرة السيف في نحره، فقال: أنا الزاجر والناحر! واحتوى على متاعه ومتاع اللخمي، وانصرف راجعاً إلى قومه.

فمر ببطنين من قيس يقال لهما: مراح وأنمار، فإذا هو بامرأة تنشُد الحصين، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا صخرة أخت الحصين، قال: أنا قتلتهُ. قالت: كذبت! ما مثلك يقتلُ مثله، أما والله لو لم يكن الحيُّ خِلْواً ما تكلمت بهذا. فانصرف إلى قومه فأصلح أمرهم، ثم جاءهم، فوقف حيث

يسمعهم وقال:

وكم من ضَيْغَم وَرْدٍ هَمُوس أبي شِبلين مسكنهُ العرينُ
علوت بَيَاضَ مفرقِهِ بعَضْبٍ فأضحى في الفلاة له سكونُ
وأضحت عِرْسهُ ولها عليه بُعَيْد هدوءِ ليلتها رَنينُ
وكم من فارس لا تزدريه إذا شخصتْ لموقعه العيونُ
كصخرة إذ تُسائِل في مراحٍ وأنمار وعِلمُهما ظنونُ
تسائل عن حصين كلَّ ركبٍ وعند جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ
فمن يكُ سائلاً عنه فعندي لصاحبه البيانُ المستبينُ
جهينةُ معشري وهمُو ملوكٌ إذا طلبوا المعاليَ لم يهونوا

* مجمع الأمثال: ٢/ ٣ ـ ٥.

٧٥ ـ في بيته يؤتَى الحَكَم:

زعمت العرب عن ألسُنِ البهائم قالوا: إن الأرنب التقطت ثمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب:

يا أبا الحِسْل، فقال: سميعاً دعوت. قالت: أتيناك لنختصم إليك. قال: عادلاً حكَّمتما. قالت: فاخرج إلينا. قال: في بيته يؤتى الحكم ـ قالت: إني وجدت ثمرة. قال: حُلوةٌ فكليها. قالت: فاختلسها الثعلب قال: لنفسه بَغَى الخير. قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت. قالت: فلَطَمني. قال: حُرٌّ انتصر. قالت: فاقضِ بيننا. قال: قد قضيت. فذهبت أقواله كلها أمثالاً.

ومما يشبه ذلك ما حكي أن خالد بن الوليد لمَّا توجَّه من الحجاز إلى أطراف العراق دخل عليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة ـ فقال له خالد:

أين أقصى أثرك؟ قال: ظهر أبي. قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي. قال: علام أنت؟ قال: عَلى الأرض. قال: فيم أنت؟ قال: في

ثيابي. قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من خلفي. قال: أين تريد؟ قال: أمامي، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد.

قال: أتعقل؟ قال: نعم وأقيّد. قال: أحربٌ أنت أم سلم؟ قال: سلم. قال: فما بال هذه الحصون؟ قال بنيناها لسفيه حتى يجيء حليم فينهاه.

ومثل هذا أن عدي بن أرطأة أتى إياس بن معاوية قاضي البصرة في مجلس قضائه. وعديٌّ كان أمير البصرة، وكان أعرابيَّ الطبع، فقال لإياس: يا هَنَاه(١) أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: فاسمع مني. قال: للاستماع جلست. قال: إني تزوجت امرأة. قال: بالرفاه والبنين. قال: وشرطتُ لأهلها ألاَّ أخرجها من بينهم. قال: أوف لهم بالشرط. قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله قال: فأقض بيننا، قال: قد فعلت. قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن أخي عمِّك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أختِ خالتك.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٧٢.

٧٦ ـ هذا حِصْرَمٌ:

تزعم العرب أن الثعلب نظر إلى العنقود فرامه فلم ينلْه، فقال: هذا حصرم! وحكى الشاعر ذلك فقال:

أيُّها العائبُ سلمى ... أنت عندي كثُعالهْ
رامَ عنقوداً فلما ... أبصر العنقودَ طالَهْ
قال هذا ماحضٌ لـ ... مَّا رأى ألا ينالَهْ

وقال أحمد شوقي في هذا:

فقال هذا حصرمٌ ... رأيته في حلبِ

---

(١) يا هَنَاه: يا رجل؛ ولا يستعمل إلا في النداء.

قال له العنقود بلْ خسِئتَ فاذهب يا غبي
طولُ لسانٍ في الهوا وقِصَرٌ في الذنبِ

* مجمع الأمثال: ٢/ ٤٠٧. والشوقيات لأحمد شوقي.

٧٧ ـ تَعِسَتِ العَجَلَة:

أول من قال هذا ـ فِنْدٌ ـ مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وكان أحد المغنين المجيدين، وكان يجمع بين النساء والرجال. وفيه يقول ابن قيس الرقيّات:

قلْ لفِنْدٍ يشيِّع الأضعانا طالما سرَّ عَيْشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مِصْر، فخرج معهم فأقام بها سنة، ثم قدِم فأخذ ناراً، وجاء يعدُو فعثر وتبدَّد الجمر، فقال: تعِسَتِ العجلة! وفيه يقول الشاعر:

ما رأينا لغرابٍ مثلاً إذْ بعثناه يجي بالمِشْمَلهْ
غيرَ فِنْدٍ أرسلوه قابساً فثوى حَوْلاً وسَبَّ العَجَلَهْ

المشملة: كساء تُجمع فيه المقدحة بآلاتها. وقال بعضهم: الرواية «المشملة» بفتح الميم، وهي مهبُّ الشمال، يعني الجانب الذي بعث نوح عليه السلام الغراب إليه ليأتيه بخبر الأرض، أجفَّتْ أم لا؟

* مجمع الأمثال: ١/ ٢٤٣.

٧٨ ـ ربَّ رَمْيَةٍ من غيرِ رامٍ:

أي ربَّ رمية مصيبةٍ حصلت من رامٍ مخطىء، لا أن تكونُ رمية من غير رامٍ، فإن هذا لا يكون قط.

وأوَّل من قال ذلك: الحكم بن عبد يغوث المنقري، وكان أرمى أهل

زمانه وآلى يميناً ليذبحنَّ على الصنم مهاة، ويروى ليدجنَّ[١]، فحمل قوسه وكنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئاً، فرجع كئيباً حزيناً، وبات ليلته على ذلك. ثم خرج إلى قومه فقال: ما أنتم صانعون، فإني قاتلٌ نفسي أسفاً إن لم أذبحها اليوم؟

فقال له الحصين بن عبد يغوث أخوه: يا أخي دِجْ مكانها عشرة إبل ولا تقتل نفسك. قال: لا، واللاَّتِ والعزَّى لا أظلم عاترة، وأترك النافرة[٢]، فقال ابنه المطعم بن الحكم: يا أبةِ احملني أرفِدْك، فقال له أبوه: وما أحمل من رَعْشٍ[٣] وَهِلٍ جبانٍ فشل، فضحك الغلام وقال:

إن لم تر أوداجها تخالط أمشاجها فاجعلني وداجها[٤]، فانطلقا، فإذا بمهاةٍ فرماها الحكم فأخطأها، ثم مرَّت به أخرى فرماها فأخطأها، فقال: يا أبةِ أعطني القوس: فأعطاه فرماها فلم يخطئها، فقال أبوه: «ربَّ رمية من غير رام».

* مجمع الأمثال: ١/٢٩٩.

٧٩ ـ خير ذا بشر ذا:

قال أبو نواس:

اسقني وَاسْقِ يوسفا مُرَّةَ الطَّعم قَرْقَفَا
وضع الزِّقَّ جانباً ومع الزقِّ مصحفا
خيرُ ذا بشرِّ ذا فإذا الله قد عَفَا

---

(١) كذا، ولم نقع لها على معنى يناسب المقام. ولعل الصواب: ليودجنّ. من ودج: أي قطع الأوداج. والأمر منه: دِجْ، وسيأتي.
(٢) العاترة: المضطربة؛ وهي هنا بمعنى العاثرة.
(٣) الرعش الوهل: المرتعش الضعيف الجبان.
(٤) الأمشاج: الأوساخ التي تجتمع في السرة. والوداج: عرق في العنق، وهو الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

وعكس هذا قول الشاعر:

كمُطْعمة الأيتامِ من كَدِّ فَرْجها حنانَيْكِ لا تزنَيْ ولا تتصدَّقي

٨٠ ـ رماه الله بالصُّدام والأَوْلقِ والجذام:

الصُّدام: داء يأخذ برؤوس الدواب. والأولق: الجنون. والجذام: داء تتقرَّح منه الأعضاء وتتعفّن، وربما تساقَطُ، نعوذ بالله منه ومن جميع الأدواء. والمثل من قول كثير بن المطلب بن أبي وداعة.

قال الرياشي: كتب هشام بن عبد الملك إلى والي المدينة أن يأخذ الناس بسبِّ علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال كثير بن أبي وداعة:

لعن الله من يسبُّ حُسيناً وأخاه من سُوقَةٍ وإمامِ
ورمى اللَّهُ من يسبُّ علياً بصُدَامٍ، وأَوْلَقٍ، وجُذَامِ
طِبْتَ بيتاً وطاب أهلك أهلاً أهل بيتِ النبي والإسلامِ
رحمةُ اللَّه والسَّلامُ عليكم كلَّما قام قائمٌ بسلامِ
يأمَنُ الطير والظِّباء ولا يأ مَنُ رَهْطُ النبي عند المقامِ

قال: فحبسه الوالي، وكتب إلى هشام بما فعل، فكتب إليه هشام يأمره بإطلاقه وأمر له بعطاء.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٠٩.

٨١ ـ في الصيف ضَيَّعْتِ اللبن:

يُضرب لمن يطلب شيئاً قد فوَّته على نفسه. قيل كانت زوجة الأسود بن هرمز عَنُوداً فرغب عنها إلى امرأة جميلة من قومه ثم جرى بينهما ما أدَّى إلى الفراق، فبعث إلى الأولى يسترضيها، فقالت:

أتركتني حتى إذا عُلِّقْتُ أبيض كالشَّطَنْ

أنشأتَ تطلب وصلنا في الصيف ضيَّعْتِ اللبنْ[1]

ويقول وضاح اليمن في نونيته التي يتغزل بها بحبيبته روضة:

أتركتني حتى إذا علقتُ أبيض كالشَّطَنْ
أنشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيعتِ اللبنِ
لو قيل يا وضاح قمْ فاختر لنفسك أو تَمَنْ
لم أعدُ روضةَ والذي ساق الحجيجُ لهُ البُدَنْ

* مجمع الأمثال: ٢/ ٤٣٤. والأغاني: ١/ ٢١٥.

٨٢ ـ قلبَ له ظَهْرَ المِجَنّ:

يضرب لمن كان لصاحبه على مودَّة ورعاية ثم حال عن العهد.

كتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ: إني شركتك في أمانتي ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثق منك في نفسي، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمِّك قد كَلِبَ والعدو قد حَرِبَ، قلبت لابن عمك ظهر المجن، لفراقه مع المفارقين، وخذله مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من أموال الأمةِ اختطاف الذئب الأزلِّ رابية المِعزى. اضْحُ رويداً فكأنْ قد بلغت المدى، وعُرِضَتْ عليك أعمالك بالمحلِّ الذي ينادي به المغترُّ بالحسرة، ويتمنى المضيِّعُ التوبة والظالمُ الرجعة.

* مجمع الأمثال: ٢/ ١٠١.

٨٣ ـ كالمستجير من الرمضاء بالنار:

عندما انطلق جسَّاس ليقتل كليباً، اتبعه ابن عمه يقال له عمرو بن

(١) ويروى دائماً بكسر التاء في أي حال، إذا خوطب به المذكر والمؤنث والاثنان والجمع، لأن المثل في الأصل خوطبت به امرأة.

الحارث بن ذهل، وقيل الذي اتبعه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة، فلم يدركه حتى فتك جساس بكليب، ثم وقف عليه فصاح كليب: يا جساس أغثني بشربة ماء، فقال جساس: تركت الماء وراءك، وانصرْف عنه. ولحقه عمرو فقال كليب: يا عمرو أعنِّي بشربة، فنزل عمرو إليه وجهز عليه فضرب به المثل فقيل:

المستجيرُ بعمرو عند كُرْبته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٧٥. أيام العرب، ص ١٤٦. الأغاني: ٤/ ١٤٢.

٨٤ ـ سَبَق السيفُ العَذَل:

أول من قال هذا المثل: ضبَّة بن أُدّ بن طابخة، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل ضبة تحت الليل، فوجه ابنيه في طلبها، فتفرقا فوجدها سعد وردَّها، أما سعيد وكان بعيداً عن أخيه فلقيه الحارث بن كعب، وكان على سُعَيْد بُرْدان، فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه فقتله وأخذ بُرديه.

وكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال: أسعدٌ أم سُعَيْد؟ ومكث ما شاء الله وهو يأمل عودة ابنه.

ثم إنه حج فوافى عكاظ، فالتقى بالحارث بن كعب ورأى عليه بُرْدَي ابنه سعيد فعرفهما فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى، لقيت غلاماً هما عليه فسألته إياهما فأبى علي فقتلته، وأخذت برديه هذين. فقال ضبَّة: بسيفك هذا؟ قال نعم! قال: أعطنيه انظر إليه فإني أظنه صارماً ثم ضربه به حتى قتله، فقيل له: يا ضبَّة، أفي الشهر الحرام؟ قال: «سبق السيف العذل».

* العقد الفريد: ١/ ١٤٥. وزهر الآداب: ٣/ ١٩٧. وجمهرة خطب العرب: ٣/ ١٤٧.

٨٥ ـ كثاقبةٍ لحُلْي مستعار:

قال أحدهم:

مررت بابن هرمة وهو جالس على دكان في بني زريق، فقلت له: يا أبا إسحاق ما يجلسك هاهنا؟ قال: بيت كنت قلته ثم انقطع عليَّ الرويّ فيه وتعذَّر علي ما أشتهيه، فأبغضته وتركته ـ قلت: ما هو؟ قال:

فإنك وأطِّراحكَ وَصْلَ سُعدى ... لأُخرى في مودَّتها نُكوبُ

ثم قال: قلته ثم انقطع بي فيه، فمرَّت بي جويرية صفراء مليحة كنت أستحسنها أبداً وأكلمها إذا مرَّت بي، فمرَّت اليوم فرأيتها وقد ورم وجهها وتغير خلقها، فسألتها عن خبرها فقالت: كان عُرسٌ أردت حضوره، فاستعار لي أهلي حلياً وثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى، فردُّوه، ولم أشهد العروس. قال ابن هرمة: فاطَّرد لي الشعر وقلت:

كثاقبةٍ لحُلْي مستعارٍ ... بأذنيها فشأنهما الثقوبُ

فردَّت حلْي جارتها إليها ... وقد بقيَتْ بأذنيها ندُوبُ

وأوله:

عدا رسمُ القريَّةِ فالكثيبُ ... إلى ملحاء ليس بها عَريبُ

تأبَّد رسمُها وجرى عليها ... سفيُّ الريح والتُّربُ الغريبُ

فإنكَ واطِّراحَكَ وصل سُعدى ... لأخرى في مودَّتها نكوبُ

* الأغاني: ٥/ ٢١٤.

٨٦ ـ كأنه جاء برأس خاقان:

قال المفضل بن سلمة في كتابه المترجم بالكتاب الفاخر في الأمثال، قال: العامة تقول: «كأنه جاء برأس خاقان».

وخاقان هذا كان ملكاً من ملوك الترك، خرج من ناحية باب الأبواب،

وظهر على أرمينية، وقتل الجرَّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها، وغلظت نكايته في تلك البلاد.

فبعث إليه هشام بن عبد الملك سعيد بن عمرو الحرشي، وكان مسلمة صاحب الجيش فأوقع سعيد بخاقان، وفضَّ جموعه، واحتزَّ رأسه وبعث به إلى هشام فعظم أثره في قلوب المسلمين، وفخم أمره، ففخر بذلك حتى ضرب به المثل.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٠١.

٨٧ ـ رُبَّ أَكْلةٍ منعت أكَلاَت:

لأنها تُمرض فيُحتَمى من غيرها. وأول من قاله عامر بن الظرب العدواني، وذلك أنه كان يدفع بالناس في الحج فرآه ملك من ملوك غسان فقال: لا أترك هذا العدواني أو أذله؛ فسأله أن يفد عليه بقومه فيكرمه ويحبوه. فلما وفد عليه أكرمه وقومه، ثم لما انكشف له باطن الملك قال لقومه: الرأي نائم والهوى يقظان. فقالوا له: لقد أكرمنا هذا الملك كما ترى وليس بعده إلا ما هو خير منه. فقال: إن لكل عام طعاماً، ورُبَّ أكلة منعت أكلات. ثم احتال حتى ارتحل عنه وبلغ بلاده. يضرب في التحذير. قال:

ورُبَّـةَ أكـلـةٍ مـنـعـت أخـاهـا بـلـذة سـاعـة أكـلات دهـر

* المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٩٤.

٨٨ ـ كأنها نار الحُباحب:

قالوا: الحباحب طائر يطير في الظلام كقدر الذباب، له جناح يحمرّ، يرى في الظُّلمة كشرارة النار. يقال: نار الحباحب، ونار أبي الحباحب. قال القطامي:

ألا إنـمـا لـنـيـران قـيـسٍ إذا شـتـوا لـطـارقِ لـيـلٍ مـثـل نـار الـحـبـاحـب

وقال الأصمعي: هو رجل كان في الجاهلية، وقد بلغ من بخله أنه كان

إذا أوقد السراج فأراد إنسان أن يأخذ منه أطفأه. فيُضرب المثل به في البخل.

* مجمع الأمثال: ٣/ ٣٣.

٨٩ ـ ويلٌ للشجيّ من الخليّ:

قيل: أول من قاله امرأة كانت في زمن لقمان بن عاد، وقيل: أكثم بن صيفي لما أتاه ابنه من عند رسول الله ﷺ بكتاب فدعى قومه وحثَّهُمْ على الإسلام، فقال مالك بن نويرة: قد خَرِفَ شيخكم إنه ليدعوكم إلى الفناء، ويعرضكم على البلاء، إن تُجيبوه تفرَّقْ جماعتكم، وتظهر أضغانكم، ويذل عزيزكم، فمهلاً مهملاً!

فقال أكثم: ويل للشجيِّ من الخليّ!

يُضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه. يقول: إن الخلي لا يساعد الشجي على ما به ويلومه. والخلي: الخالي البال.

وأما الرواية الأخرى فذكرها الميداني في قصة المثل «صُغراهنَّ شُرَّاهنَّ». وذلك أن امرأة كانت في زمن لقمان بن عاد، وكان لها زوج يقال له الشجيّ وخليل يقال له الخليّ. فنزل لقمان بهم، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي، فارتاب لقمان بأمرها، فتبعها، فرأى رجلاً عرض لها ومضيا جميعاً وقضيا حاجتهما. ثم إن المرأة قالت للرجل: إني أتماوتُ، فإذا أسندوني في رَجَمي (قبري) فأتني ليلاً فأخرجني ثم اذهبْ إلى مكان لا يعرفنا أهله. فلما سمع لقمان ذلك، قال: ويلٌ للشجيّ من الخليّ، فأرسلها مثلاً.

* مجمع الأمثال: ١/ ٣٩٨ و٢/ ٣٦٧.

٩٠ ـ كدودة القَزّ:

يقال لمن يتعب نفسه لأجل غيره:

قال أبو الفتح البستي:

ألــم تــر أنَّ الــمــرءَ طــول حــيــاتــه   مــعــنًّــى بــأمــر مــا يــزال يُــعــالــجُــهْ
كــدود الــقــزِّ يــنــســج دائــبــاً   ويــهــلــكُ غــمًّــاً وســط مــا هــو نــاســجُــهْ

* مجمع الأمثال: ٣/ ٤٧.

٩١ ـ كُفيتَ الدعوة:

يقال لمن يدعو بشيء مفروغ منه.

أصل هذا المثل أنَّ بعض المجَّان نزل براهب في صومعة، وساعده على دينه، وجعل يقتدي به ويزيد عليه في صلاته وصيامه. ثم سرق صليب ذهب كان عنده، واستأذنه لمفارقته، فأذن له وزوَّده من طعامه. ولمَّا ودَّعه قال له: صَحِبَكَ الصليب، على رسمٍ لهم فيمن يريدون الدعاء له بالخير. فقال الماجن: «كُفِيْتَ الدعوة».

* مجمع الأمثال: ٣/ ٤٥.

٩٢ ـ كل غريب للغريب نسيبُ:

قال هذا المثل امرؤ القيس الكندي، في عودته من عند ملك الروم، وكان قد أهداه ملك الروم ثوباً مسموماً، فعندما لبسه سرى السم في جسمه. ومرَّ في عودته بالحجاز وهو مريض وقد أحس بالموت، فرأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم اسمها مارية ماتت فقُبِرَت هناك، قرب جبل يقال له عسيب. فوضع امرؤ القيس يده على القبر وقال:

أجــارتــنــا إن الــمــزارَ قــريــبُ   وإنــي مــقــيــمٌ مــا أقــام عــســيــبُ
أجــارتــنــا إنّــا غــريــبــان هــاهــنــا   وكــلُّ غــريــبٍ لــلــغــريــب نــســيــبُ

* ديوان امرىء القيس.

٩٣ ـ كل شاةٍ برجلها معلَّقة:

قال ابن الكلبي: أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ـ وكان

ولي البيت بعد جرهم ـ فبنى صرحاً بأسفل مكة عند سوق الخياطين اليوم وجعل فيه أمةً يقال لها حَزْوَرَة ـ وبها سُمِّيتْ حَزْورة مكة، وجعل في الصرح سُلَّماً، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجي الله تعالى، وكان ينطق بكثير من الخبر.

وكان علماء العرب يزعمون أنه صدِّيق من الصدِّيقين، وكان من قوله: مرضعةٌ أو فاطمة، ووادعةٌ وقاصمة، والقطيعة والفجيعة، وصلة الرحم، وحسن الكلم. ومن كلامه: «زعم ربكم ليجزينَّ بالخير ثواباً وبالشرِّ عقاباً ـ إنَّ من في الأرض عبيدٌ لمن في السماء. هلكتْ جُرْهُم وربلت[1] إياد، وكذلك الصلاح والفساد.

فلما حضرته الوفاة جمع إياداً فقال لهم: «إسمعوا وصيتي، الكلم كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه، ومن غوى فارفضوه، وكلُّ شاةٍ برجلها معلقة، فأرسلها مثلاً. قال: ومات وكيع فنعي على الجبال، وفيه يقول بشير بن الحجير الإيادي:

ونحن إيادُ عبادُ الإله ورهطُ مناجيه في سُلَّمِ
ونحن ولاةُ حجاب العتيق زمان النخاع على جرهَم

يقال: إن الله سلط على جرهم داءً يقال له النخاع، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشبان. وفيهم قال بعض العرب:

هكلت جرهمُ الكرام فعالاً ووُلاةُ البنيَّة الحجَّابِ
نُخعوا ليلةً ثمانون كهلاً وشباباً كفى بهم من شبابِ

❊ مجمع الأمثال: ٣/ ٤٥.

٩٤ ـ كلاهما وتَمْراً:

أوَّلُ من قال ذلك عمرو بن حُمران الجعدي. وكان حُمران رجلاً لَسِناً

(١) ربلت: كثرت ونمت.

مارداً، وإنَّه خطب صَدوفَ، وهي امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجِّع في المنطق، وكانت ذات مال كثير، وقد أتاها قومٌ يخطبونها فردَّتهم، وكانت تتعنَّتُ خُطَّابها في المسألة، وتقول: لا أتزوَّج إلاّ من يعلم ما أسأله عنه، ويجيبني بكلام على حدّه لا يَعْدُوه.

فلمَّا انتهى إليها حُمران قام قائماً لا يجلس، وكان لا يأتيها خاطِبٌ إلا جلس قبل إذنها، فقالت: ما يمنعك من الجلوس؟ قال: حتى يُؤْذَنَ لي، قالت: وهل عليك أمير؟ قال: ربُّ المنزلِ أحَقّ بفنائه، وربّ الماء أحقُّ بسقَائه، وكلٌّ له ما في وعائه، فقالت: اجلس، فجلس، قالت له: ما أردت؟ قال: حاجة، ولم آتك لحاجة. قالت: تُسِرُّها أم تُعْلِنُها؟ قال: تُسَرُّ وتُعْلَنُ، قالت: فما حاجَتُك؟ قال: قضاؤها هَيِّن، وأمرها بَيِّن، وأنت بها أخْبَر، وبنُجْحها أبصر، قالت: فأخْبِرني بها، قال: قد عَرَّضْتُ وإن شئْتِ بيَّنْتُ قالت: مَنْ أنت؟ قال: أنا بَشَر، وُلِدتُ صغيراً، ونشأتُ كبيراً، ورأيتُ كثيراً، قالت: فما اسمك؟ قال: مَنْ شاء أحْدَثَ اسماً، وقال ظُلْماً، ولم يكن الاسم عليه حتماً، قالت: فَمَنْ أبوك؟ قال: وَالِدِي الذي وَلَدَني، ووالده جَدِّي، فلم يعش بَعْدِي، قالت: فما مالك؟ قال: بعضُه وَرِثته، وأكثره اكتسبته، قالت: فمن أنت؟ قال: من بَشَر كثير عَدَده، معروف ولده، قليل صعده، يفنيه أبده. قالت: ما وَرَّثك أبوك عن أوليه؟ قال: حُسْن الهِمَم، قالت: فأين تنزل؟ قال: على بساط واسع، في بلدٍ شاسِع، قرِيبُه بعيد، وبعيدُه قريب، قالت: فَمَن قوْمُك؟ قال: الذين أنتمي إليهم، وأجني عليهم، وولدت لديهم، قالت: فهل لك امرأة؟ قال: لو كانت لي لم أطلُب غيرها، ولم أُضيِّع خيرها، قالت: كأنَّكَ ليست لكَ حاجة، قال: لو لم تكن لي حاجة لم أُنخ ببابك، ولم أتعرّض لجوابك، وأتعلّق بأسبابكِ، قالت: إنّكَ لحمران بن الأقرع الجَعْدِيّ، قال: إنّ ذلك ليُقال، فَزَوجته نفسها، وفوَّضت إليه أمرها.

ثم إنّها وَلَدت له غلاماً فسمّاه عمرو، فنشأ مارداً مُفوَّهاً، فلما أدرَك جعله أبوه راعياً يرعى له الإبل، فبينما هو يوماً إذْ مَرَّ به رجل قد أضرَّ به

العَطَشُ والسُّغوب، وعمرو قاعِدٌ، وبين يديه زُبدٌ وتمرٌ وتامِك[1]، فَدَنا منه الرجلُ فقال: أطْعِمْني من هذا الزُّبد والتامك، فقال عمرو: نعم، كِلاهما وتمراً، فأطعم الرجل حتى انتهى، وسَقَاه لَبَناً حتى رَوِي، وأقام عنده أياماً، فذهبت كلمته مثلاً.

* مجمع الأمثال: ٤/ ٣١.

٩٥ ـ كيف أعاودكَ وهذا أَثَرُ فأسك:

أصل هذا المثل على ما حَكَتْهُ العرب على لسان الحيَّة، أنَّ أخوين كانا في إبل لهما فأجدبت بلادهما، وكان بالقرب منهما واد خصيب وفيه حيَّة تحميه من كلِّ أحد فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أني أتيت هذا الوادي المُكلىء فرَعَيْتُ فيه إبلي وأصلحتها، فقال أخوه: إني أخاف عليك الحيَّة، ألا ترى أنَّ أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلاَّ أهلكته؟ قال: فوالله لأفعلن، فهبط الوادي ورعى به إبلهُ زمناً. ثم إنَّ الحية نهشته فقتلته.

فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير، فلأطلبنَّ الحيَّة ولأقتلنَّها أو لأتبعن أخي. فهبط ذلك الوادي وطلب الحيَّة ليقتلها، فقالت الحيَّة له:

ألستَ ترى أني قتلتُ أخاك؟ فهل لك في الصُّلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كلَّ يوم ديناراً ما بقيت؟ قال: أو فاعلةٌ أنت؟ قالت: نعم، قال: إني أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضُرُّها، وجعلَتْ تُعطيه كل يوم ديناراً. فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً.

ثم إنَّهُ تذكَّر أخاه فقال: كيف ينفعني العيشُ، وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قَعَدَ لها فمرَّتْ به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلَتْ الجُحْر، ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثرت فيه، فلما رأت الحية ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرَّجُل شرَّها وندم فقال لها: هل لك في أن

---

(١) التامِك: السنام.

نتواثق ونعود إلى ما كنَّا عليه؟ فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟

يُضرب لمن لا يفي بالعهد.

وهذا من مشاهير أمثال العرب، قال النابغة الذبياني في هذا:

وإني لأَلْقَى من ذوي الغَيِّ منهمُ ... وما أَصْبَحَتْ تشكو من الشجو ساهِرَهْ
كما لقيتْ ذاتُ الصَّفا من حَليفها ... وكانت تُريه المال غِبّاً وظاهِرَهْ[1]
فلمَّا رأى أن ثمَّر اللَّهُ مالَه ... وأثَّلَ موجوداً وسدَّ مفاقِرَهْ[2]
أكبَّ على فأسٍ يُحِدُّ غُرابَها ... مُذَكَّرةٍ من المعاوِلِ باتِرَهْ[3]
فقام لها من فوقِ جُحْرٍ مشيَّدٍ ... ليقتلها أو يُخطىء الكفُّ بادِرَهْ
فلما وقاها الله ضربةَ فأسِهِ ... وللشرِّ عينٌ لا تُغمِّضُ ناظره
فقال: تعَالَيْ نجعلِ الله بيننا ... على مالَنَا أو تُنجزي ليَ آخِرَهْ
فقالت: يمينَ الله أفعلُ إنَّني ... رأيتُكَ مشؤوماً يمينك فاجِرهْ
أبى ليَ قبرٌ لا يزال مقابلي ... وضربة فأسٍ فوق رأسي فاقِره

* مجمع الأمثال: ٣/ ٢٨. وديوان النابغة الذبياني.

٩٦ ـ كالكبش يحمل شَفْرةً وزناداً:

يضرب لمن يتعرض للهلاك. وأصله أن كسرى بن قباذ ملَّك عمرو بن هند مُلْكَ الحيرة وما يلي مُلك فارس من أرض العرب، فكان شديد السلطان والبطش، وكانت العرب تسميه «مُضرِّط الحجارة» فبلغ من ضبطه الناس وقهره لهم واقتداره في نفسه عليهم أن اشتدَّت سنة على الناس حتى بلغت بهم كل مبلغ من الجهد والشدَّة، فعمد إلى كبش فسمَّنه حتى إذا امتلأ سمناً

(١) ذات الصفا: الحية.
(٢) أثّله: كثره.
(٣) فأس مذكرة: قاطعة. وكذلك يقال للسيف.

علَّق في عنقه شفرة وزناداً ثم سرَّحه في الناس لينظر هل يجترىء أحد على ذبحه، فلم يتعرض له أحد، حتى مرَّ ببني يَشْكر فقال رجل منهم يقال له عِلباء بن أرقم اليشكري:

ما أراني إلاَّ آخذ هذا الكبش فآكله، فلامه أصحابه، فأبى إلاَّ ذبحه، فذكروا ذلك لشيخ لهم، فقال:

«إنك لا تعدم الضَّار، ولكن تعدم النافع»، فأرسلها مثلاً.

وقال قائل آخر منهم: «إنَّكَ كائن كقدار على إرم» فذهبت مثلاً.

ولما كثرت اللائمة قال: إني أذبحه، ثم آتي الملك فواضعٌ يدي في يده ومعترف له بذنبي. فإن عفا عني فأهل ذلك هو، وإن كانت منه عقوبة كانت بي دونكم، فذبحه وأكله.

ثم أتى الملك عمرو بن هند، فقال له: أبَيْتَ اللعن وأسعدك إلهُك، يا خير الملوك إني أذنبت ذنباً عظيماً إليك، وعفوك أعظم منه، فقال: وما ذنبك؟ قال: إنك بلوتنا بكبش سرَّحته ونحن مجهودون، فأكلته. قال: أوَ قد فعلت؟ قال: نعم.

قال: إذن قتلتك، قال: «مليك شيء حَكَمه» فأرسلها مثلاً. ثم أنشده قصيدة في تلك الخُطَّة، فخلَّى عنه، فجعلت العرب ذلك الكبش مثلاً.

* جمهرة الأمثال: ١/ ٢١٢؛ ومجمع الأمثال: ٣/ ٢٤.

٩٧ ـ كأنَّ على رؤوسهم الطير:

يضرب مثلاً في الرزانة والحلم والركانة وقلة الطيش والعجلة، حتى كأن على الرؤوس طيراً يخاف أصحابها طيرانها، فَهُمْ سكون لا يتحركون.

* جمهرة الأمثال: ٢/ ١٤٣.

٩٨ ـ لا يُصلح العطَّار ما أفسد الدهرُ:

قال أعرابي في امرأة تزوجها، وقد خطبها شابة طرية فدسُّوا إليه عجوزاً:

عجوزٌ ترجِّي أن تكون فتيَّةً   وقد نحل الجنبان واحدودب الظَّهرُ
تدُسُّ إلى العطار سلعة أهلها   وهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر
تزوجتها قبل المحاق بليلة   فكان محاقاً كلَّهُ ذلك الشَّهرُ
وما غرَّني إلا خضابٌ بكفها   وكحل بعينها وأثوابُها الصفرُ

* العقد الفريد: ٤/ ٤٦.

٩٩ ـ لعلَّني مُضَلَّلٌ كعامر:

أصله أن شابين كانا يجالسان المستوغر بن ربيعة، فقال أحدهما لصاحبه واسمه عامر: إني أخالف إلى بيت المستوغر، فإذا قام من مجلسه فنبهني بصوتك، ففطن المستوغر لفعله، فمنعه من الصِّياح. ثم أخذ بيده إلى منزله، فقال: هل ترى بأساً؟ قال: لا. ثم أخذه إلى بيت الفتى، فإذا الرجل مع امرأته، فقال المستوغر: لعلَّني مُظلَّلٌ كعامر فذهبت مثلاً.

يُضرب لمن يطمع في أن يخدعك كما خدع غيركَ.

* مجمع الأمثال: ٣/ ١٢٦.

١٠٠ ـ مواعيد عرقوب:

ويقال أيضاً: أخلفُ من عرقوب.

قال كعب بن زهير في قصيدته «بانت سعاد» التي مدح بها النبي ﷺ:

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً   وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وعرقوب رجل من العماليق، أتاه أخ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا

أطلعت هذه النخلة فلك طَلْعُها. فلما أطلعت أتاه للعِدة (الوعد) فقال: دعها حتى تصير بلحاً. فلما أبلحت قال: دعها حتى تصير رطباً. فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمراً. فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدَّها[١] ولم يعطِ أخاه شيئاً، فصار مثلاً في الخُلْف.

وقال الشاعر:

وأكذبُ من عرقوب يَتْرَبَ لهجةً   وأَبْيَنُ شؤماً في الحوائج من زُحَلْ[٢]

* مجمع الأمثال: ٢/ ٣١١. وقصيدة «بانت سعاد».

١٠١ ـ لا ناقتي فيها ولا جملي:

يقال لمن لا علاقة له بالأمر. قال الطغرائي في لامية العجم:

فيمَ الإقامةُ بالزوراء لا سكني   بها ولا ناقتي فيها ولا جملي[٣]

ناءٍ عن الأهل صُفْرُ الكف منفردٌ   كالسيف عُرِّيَ مَتْناه عن الخِلَلِ[٤]

* معادن الجواهر: ٣/ ٥٧٥.

١٠٢ ـ ولما اشتدَّ ساعده رماني:

يضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه: قال الشاعر معن بن أوس:

فيا عجباً لمن ربَّيْتُ طفلاً   أُلقّمهُ بأطراف البنانِ

أعلمهُ الرمايةَ كل يومٍ   فلما اشتدَّ ساعده رماني

وكم علَّمتُهُ نظم القوافي   فلمَّا قال قافيةً هجاني

---

(١) جدَّها: قطع ثمرها.

(٢) يَتْرب (بالتاء وفتح الراء): موضع قريب من اليمامة. ويروى أن الرجل كان من يثرب، المدينة المنورة.

(٣) الزوراء: من أسماء بغداد. سميت بذلك لا زورار قبلتها أي انحرافها.

(٤) الصُّفْر: الخالي. والخِلل، بكسر الخاء وفتح اللام: جمع خِلَّة، وهي جفن السيف المغشى بالأدم أو بطانة منقوشة يغشى بها غمد السيف.

اعلَّمه الفتوَّة كل وقتٍ ... فلما طرَّ شاربهُ جفاني[١]

* المحاسن والمساوىء: ٤/ ١٢٧. ومجمع الأمثال: ٣/ ١٣٠.

١٠٣ ـ ما وراءَك يا عصامُ؟:

يضرب مثلاً في استعلام الخبر. وقال بعضهم: هو للنابغة الذبياني.

بعد أن وصف المتجردة زوجة النعمان بن المنذر وغضب النعمان منه فهرب خوفاً من انتقامه إلى ملوك غسان بالشام، كان النابغة يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده لحبهم له.

فلما بلغه أن النعمان عليل لا يرجى، أقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علَّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة فقال لعصام بن شهبر حاجب النعمان:

ألَمْ أُقسم عليك لتخبرنيِّ ... أمحمولٌ على النعش الهمامُ
فإني لا ألومك في دخولي ... ولكن ما وراءَكَ يا عصامُ
فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والشهرُ الحرامُ
ونمسكُ بعده بذناب عيشٍ ... أجبَّ الظهر ليس له سنامُ

وكانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافهم يتعاقبونه فيكون كذلك على أكتاف الرجال لأنه عندهم أوطأ من الأرض.

يقول النابغة لعصام حاجب النعمان: لستُ ألومك بمنعك إياي عن الدخول إليه، ولكن أعلمني حقيقة خبره.

وقيل أيضاً بأن المثل لامرأة من أهل اليمن يقال لها «عِصام».

* الأغاني: ١١/ ٢٩. ومجمع الأمثال: ٢/ ٢٦٢. وجمهرة الأمثال: ١/ ٥٦٩.

---

(١) طرَّ شاربه: نبت.

١٠٤ ـ لَجَمَلُ أهلك خيرٌ منك:

يقال تحقيراً للشخص. وكانت العرب تضرب بالجمل المثل في الهوان. وفي ذلك قال العباس بن مرداس:

لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍّ ولم يَسْتَغنِ بالعِظَمِ البعيرُ
يُصَرِّفُهُ الصبيُّ بكل وجهٍ ويحبسهُ على الخَسْفِ الجريرُ
وتضربُهُ الوليدةُ بالهراوي فلا غيرٌ لديه ولا نكيرُ

* ديوان الحماسة: ص ٤١٩؛ وشرح نهج البلاغة: ١٨/ ٥٧.

١٠٥ ـ وافق شَنٌّ طبقة:

قال الشرقي بن القطامي: كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شنٌّ، فقال: والله لأطوفنَّ حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها. فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق، فسأله شَنّ: أين تريد؟ قال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصدها شن، فوافقه حتى إذا أخذا في مسيرهما قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب، وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكت شن، وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع يحصده أهله، فقال شن: أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا؟ فقال الرجل: يا جاهل، ترى نبتاً مستحصداً وتقول أُكِلَ أم لا؟ فسكت عنه شن، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة. فقال شن: أترى صاحب هذا النعش حيّاً أو ميتاً؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك! ترى جنازة تسأل عنها أميتٌ صاحبها أم حي؟ فسكت شن عنه، فأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله، فمضى معه.

وكان للرجل بنت يقال لها طبقة. فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فأخبرها بمرافقته إياه وشكا لها جهله وحدثها بحديثه، فقالت: يا أبت ما هذا بجاهل.

أما قوله: «أتحملني أم أحملك» أراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا. وأما قوله أترى الزرع أُكِلَ أم لا، فأراد هل باعه أهله وأكلوا بثمه أم لا؟ وأما قوله في الجنازة ـ فأراد: هل ترك عقباً يحيا بهم ذكره أم لا.

فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ثم قال له: أتحبُّ أن أفسِّر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم فسِّره، ففسره. قال شن: ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه. قال: ابنة لي. فخطبها إليه، فزوجه إياها، وحملها إلى أهله، فلما رأوها قالوا: «وافق شنٌّ طبقة» فذهبت مثلاً.

* جمهرة الأمثال: ١/ ١٧٦؛ ومجمع الأمثال: ٣/ ٤١٨.

فهرس المحتويات

الباب الثاني
في خلق الجنّ

الباب الثالث
أساطير العرب

الباب الرابع
أمثال العرب

دار الكتب العلمية
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
BEIRUT

دار الكتب العلمية
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
BEIRUT



جامعُ

نوادر وأساطير وأمثال العرب

طرائفُ وأخبارٌ ونوادرُ وقصصٌ مُختارةٌ من كُتُبِ التُراثِ العربيّ
ودواوينِ الشّعرِ والموسوعاتِ الأدبيّة

ISBN 2-7451-4210-0

90000

9 782745 142108

Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية®

هاتف 12 / 11 / 804810 5 961+ ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان
فاكس: 804813 5 961+ رياض الصلح - بيروت 2290 1107

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com